



العقلانية الدينيّة – الجاهليّة المعاصرة



العقلانية الدينية – الجاهلية المعاصرة

الإعداد و التنظيم: حجة الإسلام الدكتور محمدحسين رفيعي – حجة الإسلام سيلحسن محمدى – محمدحسين مهلبويان
التصميم: علي رضا قرباني
تصميم الغلاف: محمد مهدي رحيمي
إشراف وتدقيق: قسم الدراسات القرآنية والحديثية وتطويرها في المعاونة الثقافية والتربوية
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: صيف ٢٠١٥ م.
الكمية: ٥٠٠ عدد

الجمهورية الإسلامية في إيران / قم / شارع معلم / جامعة المصطفى العالمية / الطابق الثاني
الأمانة العامة للجنة إقامة المهرجان المصطفى الدولي للقرآن و الحديث
الهاتف: ٣٧١٧٧٧٩٦ ٢٥ ٩٨ +
رسالة (SMS): ٣٠٠٠٨٥٦١٦٦

العقلانية الدينية - الجاهلية المعاصرة

مهرجان المصطفى الدولي للقرآن والحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا النص مقتطف من ٧١٦ مقالة التي تمّ عرضها على المؤتمر العالمي «للتيارات المتطرفة و التكفيرية في رؤية علماء الإسلام». إن هذا المؤتمر أقيم في ٢ و ٣ من شهر أذر ١٣٩٣ في مدينة قم المقدسة و بحضور عدد كبير من علماء الإسلام من مختلف الدول.

و إن كانت عند اللجنة العلمية للمهرجان الدولي للقرآن و الحديث آراء تختلف مما طُرحت من النكات و الآراء في بعض المقالات، ولكنّه ضمن القبول الكلي لمضمونها في هذا الكتاب، تترك اللجنة التحقيق و النقد فيها إلى الذهن النقاد لقارىء المحترم.

محمد فاكر المبيدي

مدير اللجنة العلمية للمهرجان الدولي للقرآن و الحديث بجامعة المصطفى العالمية

الفهرس

١	المَدخل.....
٣	كلمة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازى (دام ظلّه الوارف) الرئيس الاعلى للمؤتمر.....
	مقدمة المشرف العلمى للمؤتمر سماحة آية الله العظمى سبحانهى (دام ظلّه) جذور ظاهرة التكفير والدوافع وراء
٤	عقد مؤتمر " آراء علماء الإسلام.....
٧	الفصل الأول: نسابية المتطرفة و التكفيرية.....
٩	ظاهرة التكفير الخوارجى و المؤسساتى.....
١٥	انعكاسات آراء ابن تيمية فى جرائم التيارات التكفيرية.....
٣٩	ماهية التيارات التكفيرية وأهداف تأسيسها و أسباب اشداد شوكتها فى العقد الأخير.....
٥٩	ذرائع جيش الصحابة حول تكفير و إباحة دماء الشيعة، نقد و تحليل.....
٧٧	الفرق بين الحركات الثورية و الحركات التكفيرية و الإرهابية.....
٨٧	الفصل الثانى: سبر عقائد التيارات التكفيرية.....
٨٩	تقابل رأى الوهابية فى حرمة تكفير أهل القبلة مع الآيات والأحاديث.....
١١٣	أصول منهجية السلفية.....
١٣٣	تكفير التكفير العنفر التكفيرى كوظيفة للاستعمار الجديد.....
١٥٩	الفصل الثالث: التيارات المتطرفة التكفيرية و السياسية.....
١٦١	الهوية الجديدة للإرهابيين التكفيريين فى الشرق الأوسط دراسة و تحليل (مع التركيز على بعض مؤشرات التنمية).....
١٧٩	التيار التكفيرى و سياسة العنفر.....
٢١٣	داعش و العنفر الصّارخ مزيج من تفسير غير عقلانى للدين و تقنيات حديثة.....
٢٤٧	دور القوى الدولية فى نموّ التيارات التكفيرية و انتشارها و انعكاسات ذلك على العالم الإسلامى.....
٢٤٥	باثولوجيا التيارات التكفيرية و سبل مواجهتها من منظار سماحة قائد الثورة.....
٢٨٥	التيارات التكفيرية الناشطة فى باكستان و سبل التصدى لها.....

المَدخل

- كلمة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازى (دام ظله الوارف) الرئيس الاعلى للمؤتمر
- مقدمة المشرف العلمى للمؤتمر سماحة آية الله العظمى سبحانى (دام ظله) جذور ظاهرة التكفير والدوافع وراء عقد مؤتمر " آراء علماء الإسلام

كلمة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مد ظله الوارف) الرئيس الاعلى للمؤتمر

لا غرو أنَّ عصرنا هو عصر الوقائع المريرة و المعقدة و الفتن الخطيرة التي تعصف بالإسلام و المسلمين و تستقي من مؤامرات أعداء الإسلام الأجنب بالتواطؤ مع منافقي الداخل.

إنَّ فتنة التكفيريين و المتطرفين لهي من أعظم الفتن التي ابتلينا بها، و التي ظهرت لنا في الآونة الأخيرة في صورة الجماعة المسماة «داعش» و أخواتها.

فمن أين أطلت علينا فتنة التكفير هذه؟ و كيف نشأت و ترعرعت؟ و ما هي أسباب انتشارها؟ و أنى السبيل لإطفاء نائرتها؟ يحتاج كل من هذه الأسئلة إلى بحث مفصل و دقيق، و يقيناً أن الخطط السياسية و العسكرية، مهما كانت ذات مصداقية، فلن تكون، بمفردها، فعالة في دفع هذه الفتن. إذ لا بد لكبار علماء الإسلام أن يهبوا لاقتلاع جذور هذا الفكر المنحرف بالموعظة الحسنة و المنطق السليم، ليحولوا دون انجذاب الشباب نحوه.

من هذا المنطلق، أتخذ القرار و بمساعدة نخبة من العلماء الواعين و المشفقين من جميع المذاهب الإسلامية لعقد مؤتمر عالمي تحت عنوان «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة و التكفيرية» ليتدارسوا خلاله الموضوع بعمق و دقة، و يضعوا نتائج دراساتهم و أبحاثهم في متناول الجميع، أملاً في توعية الرأي العام الإسلامي و إطفاء نار هذه الفتنة العمياء. وهذا الذي بين يديك عزيزي القارئ هو جانب من تلك الدراسات.

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

قم الحوزة العلمية

ناصر مكارم الشيرازي

ذوالحجّه ١٤٣٥ هـ.

مقدمة المشرف العلمي للمؤتمر سماحة آية الله العظمى سبحانى (دام ظله) جدور ظاهرة التكفير والدوافع وراء عقد مؤتمر "آراء علماء الإسلام"

فى التيارات المتطرفة والتكفيرية

الإيمان والكفر مفهومان متضايقان، فعندما نذكر أحدهما يتداعى الثاني إلى ذهننا، ويطلق على هذه الحالة فى الفلسفة «التضايق».

إنّ مصطلح «الإيمان» يعنى التصديق والاعتقاد، ولفظ «الكفر» يقصد به الستر وأحياناً يفيد الإنكار، وبحسب ما اصطلح عليه المتكلمون فإنّ المقصود بالإيمان هو التصديق بنبوة النبي وبرسالته. أما «الكفر» فيراد به تجاهل دعوة هذا النبي وتكذيبه.

ولا شك فى أنّ دعوة معلمي السماء تشي أنّه فى كل عصر بُعث فيه الأنبياء وجاءوا بالأدلة والبراهين التى تؤكّد على صدق دعوتهم، انشطرت مجتمعاتهم إلى فئتين: فئة أمنت بالدعوة وأخرى كفرت بها، فالذين آمن بالدعوة وصدّقها يسمى «مؤمناً» والذى قلب ظهر المجن لها وكذّب بها يقال له «كافر».

ومن المعلوم أنّ منهج جميع الأنبياء فى الدعوة إلى الأصول واحد، ولا يوجد أى اختلاف بينهم، ففي جميع الدعوات كان أفراد الفئة المؤمنة إنّما يؤمنون بالله الخالق المدبر والحكيم الذى لا معبود سواه، ويصدّقون رسالة نبيّ عصرهم بكلّ جوارحهم.

وحين قضت إرادة الله تعالى ببعث النبي الخاتم ﷺ كانت علامة إيمان الناس بالدعوة النطق بعبارتين تفصحان عن الإيمان الذى فى مكنونهم، أعني، كل من كان ينطق بالشهادتين «لا اله الا الله محمد رسول الله»، أفراداً أو جماعات، كان يدخل فى حظيرة الإسلام، وينفصل عن دائرة الكفر.

من جهة أخرى، فإنّ الإقرار بكلمة الإخلاص - التى تنطوي على سلب الإلوهية من كل موجود إلا الله - تتضمن الإقرار بثلاثة أنواع للتوحيد: ١. توحيد الخالقية، ٢. توحيد التدبير، ٣. توحيد العبادة. لأنّ هذه الأنواع الثلاثة هي من خصوصيات إله العالمين لا خلائقه.

ناهيك عن أنّ الأساس الذى تقوم عليه أيّ دعوة إلهية هو الإيمان بالآخرة، طبعاً الإقرار بالحياة الأخروية كما التوحيد والرسالة، يعدّ من العناصر الإيجابية فى الإيمان الذى يستكنه أعماق كلمة الإخلاص.

لو رجعنا إلى السيرة النبوية المعطرة سوف نطالع صفحة باسم «عام الوفود» وهو العام الذي تقاطرت فيه الوفود على المدينة من كل حذب وصوب، زرافات ووحدانا، لتبايع الرسول الأكرم ﷺ، ولتستظل بخيمة الإسلام من خلال النطق بالعبارتين المذكورتين اللتين تختزلان الإيمان الحقيقي. وفي هذا الشأن نزلت سورة النصر المباركة لتصدق بالآيات الكريمة: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

إذن مفتاح دخول هذه الأفواج في الإسلام كان النطق بالشهادتين فحسب، ولم تكن ثمة مسائل كلامية أو فقهية تشترط قبول إسلامهم. مثلاً، لم يكن هؤلاء يُساءلوا عن مكان الله أو رؤيته في يوم البعث أو خلق القرآن وقدمه، وغير ذلك من الأسئلة، وإنما إيمانهم الكلي برسالة خاتم الأنبياء ﷺ كان يغنيهم عن كل هذه المسائل. كما لم يُساءلوا عن مسألة جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أو الصلاة إلى جانب القبور أو زيارة قبور الأولياء.

في العصر الراهن، ثمة فرقة متطرّفة وجاهلة بأصول الشريعة المحمدية وقواعدها، صارت تحتكر الإسلام والإيمان، فتعتبر فئة قليلة هي المؤمنة وسائر المسلمين كفارا ومهدوري الدم. وتعود جذور هذا النمط من التكفير إلى عصر ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) والوهابيين المتطرّفين من بعده، بل إن الوهابيين ذهبوا في تطرّفهم إلى مديات أبعد، ذلك أن ابن تيمية كان في أغلب الأحيان يستخدم كلمة البدعة، بينما الفرقة الوهابية استعاضت عنها بكلمة الكفر، فأصبح معيار التكفير عندها هو مخالفة أفكارها في المسائل المذكورة آنفاً.

وتعارض هذه الفرقة بشدة بناء أضرحة الأنبياء وأولياء الله وتعتبر ذلك من مظاهر عبادة الأوثان!! بينما شهد الإسلام عبر تاريخه الطويل بناء أضرحة الأنبياء والمحافظة عليها في فلسطين والأردن والشام والعراق، وكان المسلمون يأتون إلى زيارتها أفواجاً أفواجا، ولم يخرج علينا أحد ليصف هذا العمل بأنه مخالف للتوحيد. وحتى عندما فتح الخليفة عمر بن الخطاب بيت المقدس لم يأمر أبداً بهدم تلك المزارات و المقامات المقدسة، وإنما واصل نهج الماضين في المحافظة عليها وتزيينها.

وطيلة الفترة التي تلت رحلة النبي الأكرم ﷺ كان جميع الموحدّين يتوسّلون بمقام النبي الأعظم ﷺ ليشفع لهم في قضاء حوائجهم، غير أن هذه الفرقة تساوي بين هذا التوسل وبين توسل المشركين بالأصنام، في حين أن جوهر كل منهما متمايز عن الآخر والمسافة بينهما كالمسافة بين الأرض والسماء.

التكفير العنيف

كان التكفير عند أسلاف هذه الفرقة بالقلم واللسان، لكنّه أخذ طابعاً عنيفاً في عهد الوهابيين المتطرّفين، حيث كان أتباعهم يعيرون على القرى والتصبّات والقرى المحيطة بمنطقة «نجد» وينهبون ما أمكنهم وبذلك أصبحت لديهم قوة مالية كبيرة. وللإطلاع على الجرائم التي ارتكبتها مؤسسوا هذه الفرقة ومن جاء بعدهم ينصح بمراجعة مصدرين معتبرين في تاريخ الوهابية هما: «تاريخ ابن غنام» و «تاريخ ابن بشر»، وقد صدرا منذ فترة وأصبحا موضع اهتمام العلماء والمفكرين.

وأخيراً، لا نريد الإطالة في هذا المقام، لذا، سوف نختم كلمتنا بهذا البيت الشعري:

شرح ابن هجران و ابن خون جگر

ابن زمان بگذار تا وقت دگر

(دع سرد قصة هذا الهجران وهذا الزمان وهذه المصائب لوقت آخر)

يشار إلى أنه بعد احتلال أفغانستان من قبل الجيش الأحمر السوفيتي أُتخذ قرار بتوظيف الروح الجهادية للشباب المسلم في المنطقة لدرحر قوى الكفر وطرد الأعداء من الأراضي الإسلامية، فكان قراراً رائعاً وفيه مرضاة الله، بيد أن عدم وجود عالم ورع وقيادة واعية بأصول الجهاد في أوساط هؤلاء الجهاديين لتقودهم وفق النهج السليم، حرقت هؤلاء المقاتلين باتجاه آخر، فتأثر بعضهم بالأفكار الوهابية وراحوا يكفرون جميع البلدان الإسلامية وشعوبها.

ولسوء الطالع، انطلقت هذه الحملة أولاً ضدّ دول المقاومة والممانعة الصامدة بوجه الصهاينة، وبدلاً من تحرير القدس، راح هؤلاء يدمرون البنى التحتية في سورية والعراق. وقد بلغ عنفهم وإرهابهم ضدّ الأطفال والنساء والشيخ والعجزة والأبرياء مبلغاً شامت معه صورة الإسلام في العالم، ولم يعد في الغرب من يتعاطف مع هذا الدين. فأين الأعمال المروعة لهذه الجماعات من كلمات الوحي الإلهي حين يقول الباربي عزّ وجلّ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ قَلْبٍ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

ويقول النبي الأكرم ﷺ في حديث شريف: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»

في ظل هذه الظروف المفجعة، قررت المرجعية الرشيدة في الحوزة العلمية بقم عقد مؤتمر عالمي تحت عنوان: «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية» وذلك لتسليط الضوء على هذه الفرقة وما يترتب على أعمالها من نتائج وعواقب وخيمة، وفي هذا الإطار تم توجيه نداء إلى العلماء والباحثين في العالم الإسلامي من أجل سبر جذور التكفير وتعرية جوهره الشرير، والسبل الكفيلة بالخلاص من هذا الوضع. وقد لاقى النداء استجابة طيبة من لدن العلماء انعكس في إرسال العديد من المقالات إلى الأمانة العامة للمؤتمر، وكانت مضامين معظمها على درجة عالية من الجودة والقيمة، وبناءً عليه قرّرت الأمانة المذكورة أن تأخذ على عاتقها طبع ونشر هذه المقالات ووضعها في متناول أصحاب الرأي وضيوف المؤتمر الأعزاء من داخل البلاد وخارجها، لتكون خطوة على طريق الحؤول دون استفحال خطر هذه الغدة السرطانية المدمرة وانتشار هذا الفايروس المرعب.

في الختام، لا يسعني إلا أن أثني على الجهود المضنية لأعضاء الأمانة العامة المحترمين الذين واصلوا الليل بالنهار، وأقدر عالياً ما بذلوه خلال الفترة الماضية، كما وأشكر جميع الذين ساهموا في خلق هذه الأجواء الروحانية والعلمية.

قم - جعفر سبحاني

ذوالقعدة ١٤٣٥ هـ..

نسابية المتطرفة و التكفيرية

الفصل الأول

- ظاهرة التكفير الخوارجي و المؤسساتي
- انعكاسات آراء ابن تيمية في جرائم التيارات التكفيرية
- ماهية التيارات التكفيرية وأهداف تأسيسها و أسباب اشداد شوكتها في العقد الأخير
- ذرائع جيش الصحابة حول تكفير و إباحة دماء الشيعة، نقد و تحليل
- فتنة التكفير
- الفرق بين الحركات الثورية و الحركات التكفيرية و الإرهابية

ظاهرة التكفير الخوارجي و المؤسساتاتى

أحمد راسم النفيس^١

مقدمة

لم يمنح الله لأحد من خلقه سلطة الحكم على إيمان الناس و ضمائرهم و تصنيفهم لمؤمنين و كفار بل منح الله لأولياء أمور المسلمين حق الحكم على أفعال العباد وفقا للأدلة و البراهين و مكافأة المحسن و معاقبة المسيئ. يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ فِتْنَتَيْنِ إِنَّ اللَّهَ كَانَِيمًا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء ٩٣ - ٩٤).

لعل قارئ البحث يلحظ ترتيب الآيات التي جعلت عقاب من يقتل مؤمنا متعمدا؛ جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذابا عظيما و ارتباطها بما جاء بعدها من نهي عن اتخاذ التكفير أو نفي الإيمان ذريعة للقتل العشوائي ليس فقط لمن أعلن إسلامه بل لكل مسلم أو مسالم «ألقى إليكم السلام» و قوله «لست مؤمنا» ابتغاء لعرض الحياة الدنيا و المقصود هنا هو العلو و الهيمنة على رقاب العباد ﴿ وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص ٨٣).

العدوان على عباد الله عبر و صمهم بالكفر هو أحد أخطر مظاهر الكبر و أسوأ و أخط و وسائل و أساليب العلو في الأرض التي سلكتها النظم المستكبرة و الجماعات الساعية للقفز على رؤوس العباد و التحكم في أقدارهم و مصائرهم. التسلط على عباد الله و صمهم بالكفر و نفي صفة الإيمان عنهم هي أفة ابتلي بها بعض أصحاب الأديان السماوية الذين أرادوا نزع صفة الإيمان عن من لم يشاركهم ذات المفاهيم خاصة تلك المزيفة التي لا يمكن تعميمها عبر الحوار و الإقناع و لا سبيل لفرضها إلا عبر القهر و القمع و الذبح العشوائي.

ارتبطت ظاهرة التكفير في تاريخنا بمسارين أساسيين و مسارات متجددة.

١. دكتورى استاذ بجامعة مصر فى علوم سياسيه.

الأول هو محاولة السلطة الحاكمة التي انتزعت وجودها عبر الغش و التزييف ترسيخ هذا الوجود و شرعنته عبر إلغاء أي وجود معارض يملك حق الاختلاف في الرأي.

أما الثاني: فهو التكفير الذي أبدعته الجماعات المتمردة على الناموس العام و هو ما بات يعرف بالخوارج.

الآن و في هذه اللحظة التاريخية العصبية التقى التياران الرسمي و الجماعاتي و توحدوا في لحظة نادرة مشهرين سلاح التكفير بنوعيه في وجه فريق واحد من المسلمين حتى و إن بدأ أن عامة المسلمين مستهدفون بهذا التيار التكفيرى.

أما الأسوأ من هذا فهو ذلك التحالف الكوني بين هؤلاء التكفيريين و من يصفون أنفسهم بالعالم المتحضر و هو ما سهل لهؤلاء القتلة الذباحين القيام بمهمتهم!!

التحالف الكوني بين التكفيريين و السلطويين الأمويين و الاستكبار العالمي ليس تحالف مبدئيا بل هو تحالف انتهازي «ليس حبا في .. بل بغضا في ...» و لذا فلا مجال للدهشة و العجب عندما نسمع أن داعش تنهيا لغزو مملكة الشر الوهابي أو أن الولايات المتحدة شيطان العالم المعاصر الأكبر تقوم بقصف الدواعش لتجاوزهم الخط الأحمر الذي رسم لهم و هذا التنويه جوهرى للغاية قبل أن نمضي في هذا البحث قدما.

المسار التكفيرى الخوارجى

روى ابن حجر في الإصابة عن أنس قال: كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبه و اجتهاده فبينا نحن نذكره إذ طلع علينا فقلنا هو ذا فقال رسول الله ﷺ إنكم لتخبرون عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليهم و لم يسلم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحدا أفضل مني أو خيرا مني قال اللهم نعم.

كما أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدرى قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ و هو يقسم قسما قسما إذ أتاه ذو الخويصرة التميمي قال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله و يلك و من يعدل إن لم أكن أعدل فقال عمر ائذن لي فلاضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صيامه و صيامه يقرء القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث و الدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة يخرجون على خير فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت الحديث من رسول الله و أشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم و أنا معه فأمر بذلك فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي الذي نعتته.

و في رواية أخرى لأحمد بن حنبل «لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال».

و قد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة قال: «لما قتل الخوارج قيل للإمام علي عليه السلام هللك القوم بأجمعهم فقال عليه السلام كلا والله إنهم لنتلف في أصلاب الرجال و قرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين». شرح النهج ج ١ ص ٤٢٧.

و قد روى النسائي في خصائص الإمام علي بن أبي طالب عن أبي سعيد الخدري نفس الأحاديث و إن بصيغ مختلفة «تمرق مارقة من الناس يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق» و قوله عليه السلام «تفترق أمتي فرقتين تمرق مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق».

روى النسائي في الخصائص عن زيد بن وهب عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما كان يوم النهروان لقي الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح «قتلوا جميعا» فقال علي (رضي الله عنه) اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فلم يجدوه فقال علي (رضي الله عنه) ما كذبت و لا كذبت اطلبوه فطلبوه فوجدوه في وهدة من الأرض عليه ناف من القتلى فإذا رجل على يده مثل سيلات السنور فكبر علي (رضي الله عنه) و الناس و أعجبهم ذلك. رواية ١٧٦. و روى النسائي خبر المخدج أو ذو الثدية أيضا عن علي بن أبي طالب عليه السلام و عن غير طريق أبي سعيد الخدري (زيد بن وهب و عبيدة اليماني).

روى النسائي عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة لولا أنا ما قوتل أهل النهروان و أهل الجمل و لولا أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرًا ضلالتهم عارفا بالهدى الذي نحن عليه.

ملاحح الشخصية الخوارجية

كنا و لا زلنا نعتقد أن الخوارج (حالة) و ليست فريقا مذهبيا.

حالة نفسية و أسلوب فكري و سلوكي في التعامل مع الآخر المسلم و انتزاع الأدلة من مواضعها لتخدم غرضا في نفوسهم المريضة.

أما المذهب فهو كيان فكري و فقهي له حدود و أبعاد يمكن تمييزه و التعرف إليه من خلال قرائتها و الاطلاع عليها كما أن صاحب المذهب لن يخجل من الاعتراف بمذهبه و موقفه على عكس الخوارجي الذي سينكر تماما أي رابط بينه و بين ذلك الفكر أو تلك الحالة التي أوسعها المسلمون قديما و حديثا انتقادا و هجوما بل و أن عتاة الخوارج المعاصرين يصفون المتمردين عليهم بأنهم من الخوارج.

فما هي أهم صفات الخوارج؟؟

١. التزام ديني شكلي صارم فهم لا يملون و لا يكلون من الصيام و القيام و قراءة القرآن و لكن شيئا من هذا لا يمتد بأثره إلى القلب الصخري القاسي.

٢. صلف و غرور و تناول لا يحده حد أو يقيده قيد و إذا كان هؤلاء الأجلاف قد تناولوا على مقام النبوة ثم على مقام الإمامة المتمثل في علي بن أبي طالب (عليه السلام) فما بالك بمن هو دونهم و ما بالك بعبادة المسلمين.

٣. إنهم ليسوا أصحاب ديانة و لا أصحاب ورع حقيقي بل أصحاب شكل ديني جاءت به الأخبار و الروايات و (نزعة عدوانية) (وادعاء وقح) بأنهم خير البشر و خير من في المسجد و أهل الهداية و الرشد و الفهم الكامل الشامل للإسلام إلى آخر تلك المنظومة من المدائح الزائفة و لكن شيئا من ذلك لا يغير من حقيقة أنهم شر الخلق و الخليفة بعدوانهم على مقام النبوة و الإمامة ثم عدوانهم على عباد الله و حق الأمة و محاولاتهم الابتزازية الدائبة للفساد تحت عناوين الإصلاح.

كان ما سبق حديثا عن المضمون الفكري الخوارجي و طريقتهم في التعامل مع غيرهم أما عن أشكال تحركهم فكانت كما يلي:

١. برفعهم شعار (إن الحكم إلا لله) في مواجهة إمام الحق علي بن أبي طالب و من أين لهؤلاء الجهلة الأجلاف العلم و الدراية بحكم الله حيث تبلغ الوقاحة ذروتها برفع الشعار في مواجهة إمام الحق و لكن يبقى أن حال الخوارج هو أينما و حيثما رفعوا هذا الشعار من دون أن يكونوا مؤهلين لهذا التحكيم لا علما و لا خلقا بالترفع عن الأهواء و الأغراض و هو ما يفتقدونه منذ البداية و حتى الآن.

٢. بتكفيرهم لأمة لا إله إلا الله و إطلاقهم قذائف الأحكام عليها سواء كان التكفير واضحا جليا أم مبطنا تحت عناوين مختلفة مثل الردة و الجاهلية.

٣. باستباحتهم دماء المسلمين بناء على تكفيرهم.

من أين جاءت تسمية الخوارج؟؟

الغالب على الذهنية الإسلامية العامة أن كلمة الخوارج هو وصف التصق بهؤلاء بسبب خروجهم على الإمام علي بن أبي طالب (أي أنهم خوارج لأنهم خرجوا و لو لم يخرجوا لما سموا بالخوارج و لو خرجوا على غير الإمام علي فهم ليسوا بخوارج!!) و هو كلام يفتقر إلى الدقة و الموضوعية فهم أيضا المارقون (تمرق مارقة من الناس) و هم أحيانا (أهل النهروان) و هم تارة أخرى (الأزارقة) و أحيانا (المحكمة) و كل هذه أسماء تصف قوما من المسلمين تحولوا بهذه الصفات و بالتالي فهم خوارج (خرجوا عسكريا أو لم يخرجوا) كونهم خارجون على قواعد الشرع و متمردون على الدين باسم الدين و أصحاب رغبة عارمة في التسلط على رقاب العباد بموجب إتقانهم للطقوس الدينية الشكلية و رفعهم للشعارات الإسلامية الخاوية من أي مضمون حقيقي وصولا إلى رافعي شعار (الإسلام هو الحل!!!) و بالتالي فالمغالطة التي يدعيها البعض من أن الخوارج كانوا من الشيعة هي مغالطة ساذجة إذ إن التشيع بهذا المعنى العام أي الانضواء تحت راية الخلافة الشرعية كان دين الغالبية الساحقة من أبناء الأمة و المروق عن هذه الراهية كان هو الاستثناء.

أما عن التشيع بمعناه العقائدي أي الولاء لأئمة الحق من آل محمد فهو مفهوم كان يومها قاصرا على خواص أصحاب الإمام من أمثال ابن عباس و عمار بن ياسر و مالك الأشتري و محمد بن أبي بكر و الهيثم بن التيهان و ميثم التمار و كميل بن زياد فضلا عن أبناء الإمام.

مسارات التكفير المؤسسي

ظل تكفير المعارضين الراضين للقهر السلطوي المتمثل في إكراه الناس على الإذعان (لدين ملوكهم) خطأ يتجدد كلما احتاج هؤلاء الجبارة لتلك الوسيلة الشيطانية و الذرائع دائما موجودة و يمكن تغييرها وفقا لمتطلبات هؤلاء الأوباش.

التكفير الأموي

يروى ابن عبد ربه في (العقد الفريد): و كان عبدُ الملك بن مروان كتب إلى الحجاج في أسرى الجَمَاجِم أن يعرضهم على السيف فمن أقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخلَّ سبيله و من زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه. ففعل. فلما عرضهم أتى بشيخ و شاب فقال للشاب: مؤمن أنت أم كافر قال: بل كافر. فقال الحجاج: لكن الشيخ لا يرضى بالكفر. فقال له الشيخ: أعن نفسي تخادعني يا حجاج و الله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيتُ به. فضحك الحجاج و خلى سبيلهما. ثم قُدِّم إليه رجل فقال له: على دين من أنت قال: على دين إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين. فقال: اضربوا عنقه. ثم قُدِّم آخر فقال له: على دين من أنت قال: على دين أبيك الشيخ يوسف. فقال: أما و الله لقد كان صواماً قواماً خلَّ عنه يا غلام. فلما خلى عنه انصرف إليه فقال له: يا حجاج سألت صاحبي: على دين من أنت فقال: على دين إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين فأمرت به فقتل و سألتني: على دين من أنت فقلت: على دين أبيك الشيخ يوسف فقلت: أما و الله لقد كان صواماً قواماً فأمرت بتخلية سبيلي و الله لو لم يكن لأبيك من السيئات إلا أنه و لد مثلك لكفاه: فأمر به فقتل ثم أتى بعامر الشعبي و مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير و سعيد بن جُبَيْر. و كان الشعبي و مطرف يريان التورية و كان سعيد بن جُبَيْر لا يرى ذلك فما قُدِّم له الشعبي. قال: أكافر أنت أم مؤمن قال: أصلح الله الأمير نبا بنا المنزل و أجذب بنا الجَناب و استحلَّسنا الخوف و اكتحلنا السهر و خبطننا فتنة لم نكن فيها بررةً أتقياء و لا فجرةً أقوياء قال الحجاج: صدق و الله ما برؤا بخروجهم علينا و لا قوواً خلياً عنه. ثم قُدِّم إليه مطرف بن عبد الله فقال له: أكافر أنت أم مؤمن قال: أصلح الله الأمير إن من شقِّ العصا و نكث البيعة و فارق الجماعة و أخاف المسلمين لجدير بالكفر. فقال: صدق خلياً عنه. ثم أتى بسعيد بن جُبَيْر فقال له: أنت سعيد بن جُبَيْر قال: نعم. قال: لا بل شقيُّ بن كُسَيْر. قال: أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت و شقيت أمك قال: الشقاء لأهل النار. قال: أكافر أنت أم مؤمن قال: ما كفرت بالله منذ أمنتُ به. قال: اضربوا عنقه.

هكذا انتهى حفل التكفير الرسمي الذي أقامه الأمويون للمتمردين على دولتهم الجائرة بقطع رأس كل من تمسك بكونه مسلماً فليس في هذا الكون مسلمون إلا من رضي الأمويون عنهم!!

انعكاسات آراء ابن تيمية في جرائم التيارات التكفيرية

تأليف: مجيد فاطمي نجاد ١

ترجمة: عباس صافي

نبذة

يشهد العالم الإسلامي والشعوب غير الإسلامية كذلك في هذه الأيام موجات من الهجمات الوحشية والعدوانية لبعض الجماعات التكفيرية المجرمة التي بدأ وبأوها بالانتشار في جسد العالم الإسلامي بشكل متسارع لتؤفر الأرضية العقائدية المتطرفة لعلماء التيارات السلفية الجهادية والوهابية والدعم المالي والعسكري من الدول الغربية والعربية على حد سواء.

سنحاول في هذه المقالة البحث في آراء ابن تيمية وعقائده وفتاواه المتشددة، ثم التأثير الذي يمكن لتلك الآراء أن تخلقه في عقول ونفسيات الجماعات الجهادية المتطرفة في الوقت الحاضر، وسنكتشف حينها أن ابن تيمية استطاع في الواقع أن يلعب دوراً فعالاً في الأحداث التي وقعت في العالم الإسلامي، وخصوصاً في القرن الأخير. فمن خلال التوليفة التي صنعها ابن تيمية والمكونة من مجموعة من المبادئ السلفية كانفتاح باب الاجتهاد والترويج للظاهرية ومخالفته للعقل والمنطق، وغير طريقته المتشددة في بعض المعارف العقائدية للسلف - بزعمه - مثل التوحيد والشرك، ثم حصر مسألة التوحيد في المنحى العبادي وازدياد تيرة التكفير إلى جانب محاولاته للربط بين معتقداته المتطرفة وبين علم السياسة بهدف مواجهة مخالفيه والمعارضين لأفكاره وآرائه (لا سيما منهم الشيعة)، كل ذلك أفرز اتجاهاً انفعالياً - ونزعة راديكالية في الوقت نفسه - تجاه مخالفيه. وعلى مر القرون استطاع بعض الأفراد من أمثال محمد بن عبد الوهاب وثلة من قادة التيارات التكفيرية في عصرنا الحديث، استطاعوا استثمار آراء ابن تيمية المتطرفة وأساليبه التكفيرية واستغلالها بدقة من أجل تحقيق أغراضهم وعلى رأسها جر العالم الإسلامي والمسلمين إلى هاوية العنف والإرهاب والتقتيل، والدليل على هذا الكلام هو ما نشهده هذه الأيام من الجرائم البشعة التي تُرتكب باسم الإسلام في مختلف المناطق في العالم الإسلامي كسورية والعراق وأفغانستان والباكستان والصومال وغيرها من الأصقاع الأخرى.

١. باحث في مؤسسة دار الإعلام لمدرسة اهل البيت

الكلمات المفتاحية: ابن تيمية؛ التطرف؛ التكفير؛ الجماعات الجهادية و التكفيرية؛ الرفضية.

مقدّمة

يمرّ العالم الإسلامي في الوقت الحاضر بمرحلة تزخر بالاتّجاهات المنحرفة المستحدثة التي تحمل شعارات كاذبة منها محاربة البدعة و الشّرك و إيجاد حكومة إسلامية مزعومة، حيث قامت بعض الجماعات التي تدّعي الإسلام بارتكاب الكثير من الجرائم الشنيعة بحقّ الأبرياء من الناس في كلّ من العراق و سورية و البحرين و أفغانستان و غيرها، بدعوى أنّ ذلك جزء من واجبها الشرعيّ و الدينيّ فيما تبين أنّ بعضهم يلهث وراء المصالح الدنيوية، حاملين شعارات خدّاعة و زائفة منها أنّهم يهدفون إلى محاربة الكُفر و الشّرك و البدع. و تجدر الإشارة إلى أنّ المؤسّس الحقيقيّ لهذه المدرسة الفكرية هو شخص ظهر في القرن السابع الهجريّ يدعى أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرّانيّ الدمشقيّ (٦٤١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٤٣ - ١٣٢٨ م)، فجوبهت أفكاره و آراؤه المتطرّفة بشدّة آنذاك من قِبَل العلماء و الباحثين الذين عاصروه، فما لبث لمعان آرائه و بريق أفكاره أنّ خفّتا رغم محاولات بعض تلامذته من أمثال ابن قيمّ الجوزيّة (٦٩١ - ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) الإبقاء على حرارة آراء أستاذهم و لو تحت الرّماد من خلال بعض محافل التدريس. و بعد مرور أربعة قرون جاء محمّد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٩١ م) ليُحيي من جديد ما قد دُفِن من آراء ابن تيمية و اندثر من أفكاره فأضرم ناراً مستعرة في جسد العالم الإسلامي و هو ما نشهده هذه الأيام في صورة الجماعات السلفية التكفيرية.

وفي مقالنا هذه سنقوم باكتشاف العلاقة بين تيار محمّد بن عبد الوهاب و الجماعات التكفيرية من جهة و بين أفكار ابن تيمية و معتقداته و بيان التأثيرات التي خلّفتها تلك الآراء في هذه الجماعات، ثمّ تحديد السبب الرئيسيّ لتفاقم الجرائم و أعمال العنف في العالم الإسلامي في عصرنا الحديث.

لكنّنا في البداية سنأتي على أهمّ آراء ابن تيمية التي أدّت إلى تزايد الجريمة و العنف، و بعد ذلك سننتقل إلى بحث التأثيرات التي ولّدتها تلك الأفكار في نفسية محمّد بن عبد الوهاب و الجماعات التكفيرية.

أهمّ آراء ابن تيمية في باب استفحال جرائم السلفية

الظاهرية

استطاعت المدرسة الظاهرية التي أنشأها أهل الحديث و على رأسهم أحمد بن حنبل، استطاعت الحفاظ على بقائها و استمراريتها بواسطة الأشاعرة، ثمّ تبنّى ابن تيمية هيكلتها من جديد في القرن الثامن و إخراجها بحلّة جديدة مضيّفاً إليها لواحق و مرفقات عقائدية جديدة مثل نفية التوسّل و كُفر المتوسّل و اعتبار الشفاعة و التبرّك بدعة و ما إلى ذلك، و في القرون الأخيرة أخذ أتباع ابن تيمية و منهم محمّد بن عبد الوهاب، على عاتقهم نشر أفكار ابن تيمية و آرائه و الترويج لها. و من خلال إحيائه للنقل و توسيع دائرة الظاهرية في إطار محدّد، استطاع ابن تيمية إيجاد مدرسة و منهجية للوقوف بوجه العقلانية و المنطق، فقاد المعرفة السلفية باتجاه الظاهرية. وقد أدّى

منهج ابن تيمية في باب تعريف معنى الصفات الخبرية لله - وهو المذهب الظاهري^١ - إلى تعبيد الطريق أمام القائلين بالتشبيه والتجسيم وهو ما نلاحظه في تأكيد بعض علماء الوهابية وإصرارهم على مسألة الظاهرية وتجسيم صفات الله تعالى^٢. وبتفنيده مذهب العقلانيين أصدر حكمه بتكفير الفلاسفة والمناطقة^٣ معتبراً العقل مجرد خادم يقتصر عمله على القرآن الكريم والسنة، ولم يسمح له بالدخول إلى حظيرة الدين أو إنه أبعد منه بشكل مستقل^٤. وقد تسبب تمسك ابن تيمية بالمذهب الظاهري وتحييد العقل ومعارضته للمنطق بظهور بعض الأفكار والتصورات الجامدة والساذجة^٥ وكذلك المتعصبة فيما يتعلق بفهم التعليم الدينية بالإضافة إلى آثاره التخريبية الأخرى في مجال الفقه، وهياً الأرضية المناسبة لإيجاد التيارات التكفيرية.

ويشير صالح السريّة - قائد الجماعة الجهادية المسمّاة (الفنية العسكرية)^٦ - بصراحة إلى الظاهرية في آيات القرآن الكريم بما فيها الآيات المتشابهات ويدّعي أن ذلك هو منهج الصحابة، أمّا التفكير في تلك الآيات فهو من فعل علماء العصر الحديث^٧. وهذا شكري مصطفى^٨ الذي يرى ضرورة اتباع السلف الصالح في المسائل العقائدية والشؤون العسكرية على حدّ سواء وذلك لتمسّكه بالمعنى الظاهري للروايات المنقولة عن النبي الأعظم ﷺ التي تتحدث عن استخدام السيف في الحرب بين المؤمنين والكفار، ومن خلال الإشارة إلى الوسائل الحربية الحديثة يحاول إثبات ضرورة استخدام المؤمنين للوسائل الحربية البدائية في حربهم ضدّ الكفار ذلك بالاستناد إلى كلام الرسول الكريم ﷺ^٩.

١. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٥، ص ١١٤ و ج ١٧، ص ٣٦٠؛ و الفتوى الحموية الكبرى، ج ١، ص ٤٠ و ٥٤١.
٢. بن عثيمين، مجموع الفتاوى، ج ١، ص ١١٥؛ وصالح الفوزان في «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، ص ١٥٠؛ على عبد العزيز الشبل، والتنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، ج ٣، ص ٥٨٤.
٣. ابن تيمية، الردّ على الكبرى، ج ٢، ص ٥٠٧؛ والرد على المنطقيين، ج ١، ص ١٠١ و ٤٨٨ و ٥٢٣؛ ومجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ٢٣٧، و ج ٤، ص ٢٨٣ و ٣١٥، و ج ٩، ص ٣٩؛ والعقيدة الأصفهانية، ص ١٠٩ و ١١٠؛ والصفدية، ج ١، ص ٢٤٢.
٤. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج ٣، ص ١٥١؛ وابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٢، ص ٢١٥.
٥. فمن خلال تمسّكه بظاهر الآيات والروايات صنع لنفسه إليها خيالياً. وللتعرّف على مزيد من الصفات التي أطلقوها على إلههم، راجع مصادر السنة أو كتاب (التوحيد) لابن خزيمة، وعلى سبيل المثال: أنظر حاشية الألباني على كتاب (السنة) لابن أبي عاصم، العدد (٤٧١)، حديث أم الطفيل، حيث اعتبر الحديث صحيحاً وهو حديث يشير إلى أن الله سبحانه يشبه شاباً يافعاً بشعر طويل ونعلين من ذهب واقفاً في بستان.
٦. أسست عام (١٩٧٣ م) واشتهرت باسم (شباب محمد) أو (جماعة صالح سرية).
٧. السيد أحمد رفعت، النبي المسلح، ج ١، الرافضون، ص ٣٤.
٨. قائد جماعة التكفير والهجرة.
٩. المصدر السابق، ج ٢، الثائرون، ١٢٩ - ١٣١.

ويبذل قادة الجماعات التكفيرية و رؤساؤهم جلَّ جهودهم اليوم لتجنيد ما استطاعوا من الناس و إجبارهم على الجهاد بخدعة رؤية الله سبحانه و دخول الجنة، مستندين في كل ذلك إلى الأسلوب الظاهري^١.

الاجتهاد و التقليد

ما أكثر الفتاوى المتسرّعة التي تصدرها الجماعات المتطرّفة و علماء الوهابية في عالمنا الإسلامي في هذه الأيام و التي تأمر بقتل المسلمين و ذبحهم دون هوادة و تدريس تلك الفتاوى و تلقينها للمسلمين الجهلاء باسم أحكام الإسلام. و كان ابن تيمية و هو أحد أبرز الشخصيات السلفية في القرون الوسطى أول من أسس قواعد محاربة التقليد^٢، و كان ابن تيمية كذلك لا يقبل قول من يقول بضرورة حصر الاجتهاد في الأئمة الأربعة لدى أهل السنة و ذلك لأنهم غير معصومين، و يؤيد كلامه بما نقله عن أحمد بن حنبل من أنه قال: لا تقلّدوني و لا تقلّدوا مالك و لا الشافعي و لا الأوزاعي و لا الثوري، بل تعلّموا كما تعلّمنا؛ و لهذا نرى أن ابن تيمية لا يعتبر أحداً مجتهداً إلا بقدر علمه بالأحكام^٣، بل و قد حكم بتكفير و قتل كل من يؤمن بوجود تقليد أحد الأئمة الأربعة، و إذا كان ذلك الشخص يؤمن بوجود التقليد لكن ليس بشكل مُعيّن فإن ابن تيمية لم يكن يعتبر هذا الشخص مسلماً^٤. و هكذا استمرّ هذا النهج بعد ابن تيمية كما نلاحظ في آثار تابعيه من أمثال ابن قيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين)^٥ حيث قال: «وهو الصواب المقطوع به إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله و رسوله و لم يوجب الله و لا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فيقلده دينه دون غيره و قد انطوت القرون الفاضلة مبرأة مبرأ أهلها من هذه النسبة ... و الذي أوجبه الله تعالى و رسوله على الصحابة و

١. وفقاً لتقرير شبكة أخبار (فارس): إن الجماعات السلفية والوهابية المعروفة بطالبان تنتهج نفس الأسلوب مع أتباعها وتعطيهم سندات أو صكوك الغفران للدخول إلى الجنة في مقابل قتل الآخرين من المسلمين.

<http://www.farsnews.com/>

واستناداً إلى التقرير الإخباري ل- (عرب تايمز) فإنه من بين الأشياء التي وجدت مع أجساد بعض الإرهابيين التكفيريين في سورية بعد تحرير منطقة (القصور) كميات كبيرة من الحبوب والأقراص المنشطة للقوة الجنسية إلى جانب القنابل اليدوية والرصاص الحيّ. وصرّح عدد من الذين أسروا من التكفيريين أن تلك الأقراص المنشطة جنسياً أعطيت لهم للتّهيوّ عند دخولهم قصور الحور في الجنة. واستناداً إلى فتاوى علماء الوهابية، فإن من يذهب إلى سورية ويقاوم ضد جيشها ضدّ حزب الله بنية إسقاط بشار الأسد فإنه سيدخل الجنة مباشرة بعد مقتله وتحنضه حور العين هناك. نقلًا عن موقع:

www.mashreghnews.ir

٢. يمكن مراجعة بعض الكتب مثل (ابن تيمية، إقامة الدليل على إبطال التحليل)، ج ٥، ص ٣٩٨؛ و (المسودة)، ص ٤٦٢.

٣. ابن تيمية، مجموعه الفتاوى، ج ٢٠، ص من ٢١٠ إلى ٢١٤.

٤. المصدر السابق، ج ٢٢، ص ٢٤٩.

٥. حيث ذكر في مقدمة كتابه دلائل على ذم التقليد، ص ٦، و ج ٤، ص ١٩٦.

التابعين و تابعيهم هو الذي أوجبه على من بعدهم إلى يوم القيامة»^١. و أمّا محمّد بن عبد الوهاب الذي كان يرى أنّ معنى (الاجتهاد) هو (ردّ الأمر إلى الله و رسوله ﷺ)^٢، فقد انبرى لمحاربة التقليد بأسلوب أكثر تطرفاً فاعتبر التقليد نوعاً من الشُّرك، بل و قال عنه أنّه أساس دين المشركين^٣. و إلى جانب ذلك كان ابن عبد الوهاب يرى أنّ أتباع فتاوى علماء المذاهب المختلفة هو أتباع للأهواء التي وضعها الشيطان^٤.

وفي رسالته إلى ابن عيسى أفتى محمّد بن عبد الوهاب بجواز قتل جميع الذين يتبعون عقيدة أهل السنّة و الجماعة مشيراً في نفس الرسالة إلى أنّ الفقه المصطلح بين المذاهب الإسلامية هو شرك، و يبدو أنّه اعتبر (الفقه) أحد المصاديق التي تشير إليها الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^٥ و قال: «ومن أدلة شيخ الإسلام: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾».

فقد فسرها رسول الله ﷺ و الأئمة بعده بهذا الذي تسمونه الفقه و هو الذي سمّاه الله شركاً و اتخذهم أرباباً لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً^٦، ففتح ذلك أمام ابن عبد الوهاب باباً لنسبة الكُفر إلى علماء المذاهب كلّهم بمنّ فيهم الحنابلة^٧.

وأمّا الألباني و في تعليقه على الحديث الوارد في كتاب (مختصر صحيح مسلم) لحافظ منذري، فقد ساوى بين الفقه لدى المذاهب و خاصة المذهب الحنفيّ و بين الإنجيل المحرّف و أدخل المقلّدين للمذاهب الأخرى في زمرة أعداء السنّة^٨.

وبناءً على ذلك فقد أدّى انفتاح باب محاربة الاجتهاد و التقليد من جهة، و مجانية العقلانية ثمّ التمسك بالظاهرية من جهة أخرى، أدّى إلى ظهور تفاسير جديدة و مستحدثة في الدين الإسلامي يحيطها إطار التطرف، و أدّى هذا الاتجاه المعادي للتقليد و استخدام التطرف بدوره إلى قيام الكثير من الجماعات التكفيرية في الوقت

١. ابن الجوزي، إعلام الموقعين، ج ٤، ص ٢٦٢.

٢. عبدالرحمن بن حمد، الدرر السنية، ج ٤، ص ٨.

٣. محمد بن عبدالله بن سليمان السلماني، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١١٩.

٤. الأصل السادس: ردّ الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن و السنّة و اتباع الآراء و الأهواء المتفرقة المختلفة ... (مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان)، ج ١، ص ٣٩٦؛ و عبدالرحمن بن حمد، الدرر السنية، ج ١، ص ١٧٤.

٥. سورة التوبة، الآية ٣١.

٦. الرسائل الشخصية، ج ١، ص ٢٧٧.

٧. لاحظ العديد من هذه النماذج حول هذا الموضوع في كتاب الدرر السنية، ج ١٠.

٨. السلفية الوهابية، ص ٧٤.

الحاضر بإصدار أحكامها الخاصة بها تحت غطاء تطبيق أحكام الإسلام و بالتالي ارتكابها للعديد من الجرائم البشعة.

التفاسير المتطرفة عن المعارف الدينية

إنَّ ما يُميِّز الأديان و المذاهب عن بعضها البعض هي العقائد التي يلتزم بها أتباع ذلك الدين أو المذهب، لكنَّ التطرُّفَ الدينيَّ يَعدُّ اتِّجاهاً مذهبياً جذب نحوه الكثير من الأفراد و في الوقت نفسه أوجد العديد من الاتِّجاهات الأخرى المختلفة. و من المعلوم أنَّ الدين الإسلامي لم يخلُ يوماً من اشتماله على مثل هذه الاتِّجاهات أو التيارات، بل حمل بعض المتطرِّقين ممَّن سُمِّوا بالخوارج في بداية سنيِّ الإسلام شعار (لا حُكْمَ إلَّا لله) و ما زال ذلك التيار موجوداً و حياً إلى يومنا هذا لكن بحُلل جديدة و أطُر متنوعة، و هو ما نشهده في وقتنا الحاضر بشكل جماعات جهادية لوُثت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه بتطرُّفها و جرائمها الشنيعة حيث تستلهم تلك الجماعات الجهادية أو الوهابية معتقداتها و أفكارها و آراءها من الأسس و المبادئ التي وضع قواعدها ابن تيمية^١.

ومن خلال قراءته الحديثة لعقائد السلفية قسَّم ابن تيمية (التوحيد) إلى ثلاثة أنواع هي: التوحيد الربوبيّ و توحيد الأسماء و الصفات و التوحيد العبادي^٢، لكنَّه ركَّز على التوحيد العبادي و قدَّم له تفسيراً متطرفاً جعله يعتقد أنَّ الأنبياء ﷺ إنما بُعثوا للدعوة إلى التوحيد الإلهيِّ و لا غير^٣، و عليه، فإنَّ التوحيد الربوبيّ لوحده لا يستطيع منَع الشخص من الكُفْر^٤. و عبّر استدلاله بأنَّ المقصود من التوحيد في الدين الإسلامي هو التوحيد العباديِّ و أنَّ الله قصد بعبارة (لا إله إلَّا الله) التوحيد العباديِّ، يحاول ابن تيمية إثبات مبدأين للإسلام، هما:

١ - التسليم لله سبحانه و تعالى فقط؛

٢ - يجب أن يكون التسليم لله خالياً من أيِّ نوع من أنواع الشُّرك^٥. وبعد ذلك نسبَ ابن تيمية التحسيم إلى الله سبحانه دون أن يقدِّم معياراً محدداً للتوحيد أو الشرك، و تشدَّد في مسألة الاستغاثة و التوسُّل و التبرُّك بغير الله تعالى، بل و اعتبر ذلك كلُّه جزءاً لا يتجزأ من الشُّرك^٦، ففتح بذلك الطريق أمام التطرُّف الوهابيِّ و الجماعات الجهادية حتى كتب ابن عابدين - أحد علماء الحنفية - يقول:

١. وقد اعترف عبد الله عزام بهذه النقطة أيضاً، أنظر: حلف الإرهاب، عبد الرحيم على، ج ١، ص ٢٢.

٢. الرسالة التدمرية، الأسماء والصفات، ج ١، ص ٧.

٣. درء تعارض العقل والنقل، ج ٩، ص ٣٤٤؛ والاستقامة، ج ١، ص ١٨٠، و ج ٢ ص ٣١.

٤. مجموعة الرسائل، ج ٥، ص ١٢٩.

٥. إقامة الدليل، ج ٢، ص ١٠٠.

٦. مجموع الفتاوى، ج ٣، ص ١٤٠ و ١٤٢، و ج ٦، ص ٤٢١.

٧. الاستغاثة، ج ١، ص ١٨٤؛ واقتضاء الصراط المستقيم، ص ٥٤٠؛ و مجموع الفتاوى، ج ٢٥، ص ٣٢٣، و ج ٢٧، ص ٦٠.

«كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد و تغلبوا على الحرمين و كانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون و أن من خالف اعتقادهم مشركون و استباحوا بذلك قتل أهل السنة و قتل علمائهم»^١.

وفي كتابه (كشف الشبهات) أكد محمد بن عبد الوهاب على نفس العبارات و الاستدلالات التي جاء بها ابن تيمية، فهو يعتقد أن المشركين في زمن الرسول الأعظم ﷺ كانوا يؤمنون بالتوحيد الربوبي كذلك و لكن لانحرافهم عن التوحيد العبادي و كانوا يستشفعون بالأصنام و يستمدون منها العون فقد أرسل النبي ﷺ لينقذهم من الشرك العبادي و محاربة المشركين، فإذا كان أحد في زماننا هذا - والقول لابن عبد الوهاب - يؤمن بالتوحيد الربوبي و أشرك في التوحيد العبادي فهو كافر، و يُستفاد من هذه النقطة أن الذين يتبركون بالقبور و الأموات و يتوسلون بهم أو يطلبون منهم الشفاعة هم مشركون و كافرون لأنهم أشركوا في التوحيد العبادي^٢.
[انتهى]

ويمكننا ملاحظة التطرف بكل أشكاله في تكفير محمد بن عبد الوهاب الآخرين و اتّهام المسلمين بالشرك و هو واضح في كل عباراته، و قد علّق حسن فرحان المالكي على ذلك بقوله: «لا يجوز أن تقوم بكل هذا حتى نسوغ به قتالنا للمسلمين الرّكع السجود بزعمنا أنّهم مثل الكفار تماماً الذين (يصلون و يحجون و يتصدقون و يذكرون الله ...)؟! و أننا نقوم بعمل النبي ﷺ نفسه»^٣.

ثم أشار المالكي إلى بعض عبارات بن عبد الوهاب قائلاً: «فتركيز الشيخ على آية ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ التي هي - فيما يظهر - حكاية عن انقطاعهم و اعتذارهم الذي لا يصاحبه صدق نية، و إغفاله لبقية الآيات في وصف الكفار و عقائدهم فيه نقص في استيفاء مواطن اختلاف الكفار عن المسلمين. ثم طلب الشفاعة من النبي ﷺ و الصالحين مع الاعتقاد أنهم جميعاً عبيد الله، و أنهم لا يعطون شيئاً إلا بإذن الله، هذا كله ليس كالسجود للأصنام، و إن كان خطأً أو بدعة صغرى أو كبرى، و لذلك يستطيع مخالف الشيخ أن يلزمه تكفير شارب الخمر، لأنّه لا يشربها إلا و هو يحبها و المحبة عبادة، و صرف شيء من المحبة لغير الله شرك و هكذا ... و إن قلتم: نحن لا نعترض على محبة الصالحين و إنما نعترض على عبادتهم. قيل لكم: هؤلاء لا يعبدونهم و

١. حاشية ردّ المختار، ج ٤، ص ٤٤٩.

٢. محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، من ص ٣١ إلى ٣٣.

٣. داعية وليس نبياً، ص ٤٠.

٤. سورة الزمر، الآية ٣.

أنتم تسمون توسلهم بالصالحين أو تبركهم بهم عبادة و هم لا يقرون لكم بأن هذه عبادة و لهم أدلة في ذلك - على ضعفها - لكنها تمنع من تكفيرهم فهذا هو التأويل الذي ذكر العلماء أنه يمنع من التكفير^١.

وفي الوقت الحاضر فإننا نشهد نماذج حيّة لمثل تلك الآراء المتطرّفة كما ورد في عبارات و أقوال قادة السلفية الجهادية و علمائهم، و منها ما جاء على لسان أبو محمد المقدسيّ في استفتاءه الذي كتبه حول حكم الاستغاثة و التوسل حيث قال: «فإنّ الاستغاثة بالقبور أو الطواف بها أو سؤال أصحابها شرك أكبر مُخرج من ملة الإسلام»^٢، أو ما كان أبو مصعب الزرقاوي - أحد زعماء تنظيم القاعدة في العراق - يردّده بأنّ الزيارات و التوسل بالقبور إنّما هو جزء من الطاغوت مستنداً في ذلك إلى كلام ابن تيمية^٣. و في مكان آخر قال الزرقاوي إنّ مَنْ يُساوي بين عوامّ الرافضة و يُشبههم بعوام أهل السنّة فإنّ ذلك يُعدّ ظلماً و حيفاً بحق أهل السنّة لأنّ أصل التوحيد مختلف بين هاتين الطائفتين، فالرافضة تستغيث و تتوسل بالحسين عليه السلام و آل البيت عليهم السلام و يقيمون لهم التعازي و مجالس الرثاء و يدعون عصمتهم، و هذا كلّهُ من الشرك الذي لا يُغتفر و لا يمكن لجهلهم أن يكون عُذراً لهم في ذلك^٤.

التكفير عند ابن تيمية

يُعتبر مفهوم (التكفير) واحد من أهمّ المفاهيم التي أدّت إلى اتّساع رقعة العنف و التطرّف في العالم الإسلاميّ و قد ترتبت على ذلك الكثير من الآثار و العواقب ما أثار المعنيين إلى كتابة العديد من المقالات و تأليف الكتب. و لكننا سنشير في هذه المقالة بإيجاز إلى تأثير الجماعات الجهادية و السلفية المتطرّفة بالفكر التكفيريّ، و منشأ هذا الفكر و أسباب انتشاره و علل تفاقمه بين المتطرّفين من السلفيين ممّا يُعتبر عاملاً أساسياً في ازدياد نسبة الجرائم في العالم الإسلاميّ في الوقت الحاضر.

بالنظر إلى البحوث و التحقيقات التي أُجريت حتى الآن يبدو أنّه و على الرّغم من أنّ منشأ الفكر التكفيريّ يعود إلى فترة ظهور الإسلام، إلّا أنّنا نلاحظ أنّه كلّما ابتعدنا زمنياً عن تلك الفترة - أي، عصر النبي صلى الله عليه وآله - ازدادت هذه المسألة تعقيداً و تكرّرت بشكل مستمرّ الأمر الذي أدّى إلى ظهور الكثير من الجماعات و الفرق المختلفة. و لعلّ أسوأ نموذج على التكفير الذي وقع في صدر الإسلام هو تكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قِبَل الخوارج الذين عرّفوا في تاريخ الإسلام بالفرقة التكفيرية المتطرّفة^٥، إلّا أنّ العامل الرئيسيّ الذي تسبّب في

١. داعية وليس نبياً، ص ٤٣.

٢. أبو محمد المقدسي، مجموع الاستفتاءات، حكم من يستغيث بغير الله، ص ٢.

٣. أبو مصعب الزرقاوي، الكلمات المضئية، ص ٧.

٤. المصدر السابق، ص ٣٢٥.

٥. نقل المرحوم العلامة الطباطبائي عن الطبرسي و الزمخشري وغيرهما في ذيل الآية الثامنة والخمسين من سورة «التوبة» أنّهما أشارا إلى وجود أدلّة على أنّ هذه الجماعة المتطرّفة كانت موجودة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله. أنظر: تفسير الميزان، ج ٩، ص

بروز الجماعات التكفيرية في عصرنا هذا ليس الفكر المتطرف لفرقة الخوارج الذين يحاول الوهابيون اليوم إعلان البراءة منهم^١، بل هي الأفكار والآراء المنبثقة عن آراء ابن تيمية، وهكذا لا يتسنى لنا سوى اعتبار آراء ابن تيمية المصدر الأساسي للإلهام الفكري لدى الجماعات السلفية عموماً وكذلك ما قام به محمد بن عبد الوهاب كأمودج عملي للجماعات السلفية والوهابية المتطرفة بشكل خاص، مع أنه لا يمكننا في هذا المجال تجاهل الآراء و الفتاوى التي أصدرها بعض المثقفين المعاصرين من أمثال سيد قطب و أبي الأعلى المودودي. و يبقى الشيء المهم في مقالتنا هذه هو التأثير الكبير الذي ولّده أفكار ابن تيمية التكفيرية و تبناه دون شك العديد من أولئك المثقفين و المتطرفين في العصر الحديث، على الرغم من المحاولات التي يبذلها بعض علماء الوهابية اليوم لإثبات عدم صدور التكفير عن ابن تيمية^٢ مع أنّ جميع الشواهد و القراءات الموجودة في مؤلفات ابن تيمية تثبت خلاف ما يدعي هؤلاء، فبالنظر إلى مبادئ المنهجية التي أسسها ابن تيمية و التي تستند إلى النقل و مبادئ علم المعرفة التي تتكى على الاعتماد على الحديث و محاربة العقلانية^٣، أدى كلّ ذلك إلى حصره للمبادئ العقائدية الخاصة بباب التوحيد بالتوحيد العبادي و بالتالي اعتبار الكثير من الأعمال التي يؤدّيها المسلمون - مثل التوسّل و الشفاعة و التبركّ و ما شابهها - شركاً محضاً، ثمّ الحكم بقتل هؤلاء المسلمين و ذبحهم وفقاً لفتوى متطرفة و ذلك لمجرد توسّل هؤلاء المسلمين بقبر النبي ﷺ و اللوذ به و بقبور الأولياء و الصالحين و طلب الحاجة منهم^٤. و لقد أدّت هذه السلسلة من أفكار ابن تيمية و آرائه إلى ظهور موجة من التطرف في تكفير المسلمين بشكل عامّ ممّن يقومون بزيارة قبر رسول الله ﷺ بحيث قام محمد بن عبد الوهاب مستعيناً بسلفه ابن تيمية و آرائه إلى اعتبار جميع المسلمين الذين يتوسّلون بالملائكة أو الأنبياء أو الأولياء الصالحين، مشركين و كافرين، و أحلّ سفك دمائهم و نهب أموالهم^٥. و في كتابه المسمّى (كشف الشبهات) قام ابن عبد الوهاب باتهام المسلمين في أكثر من أربع و عشرين موضعاً بالشرك و تسميتهم بالكفار و المرتدين و المنافقين في حوالي خمس و عشرين موضعاً فيه^٦.

٣١٩؛ مجمع البيان، ج ٥، ص ٦٣؛ تفسير نمونه، ج ٧، ص ٤٥٤؛ الملل و النحل، ج ١، ص ١١٥؛ صحيح مسلم، ج ٢، كتاب الزكّات، ص ٧٤٣-٧٥٠، ح ١٤٨، ١٤٧، ١٥٨ و ١٥٦.

١. وقد أنكر محمد بن عبد الوهاب نفسه هذا الأمر حيث وضع فرقاً بين الوهابية و الخوارج. أنظر: الدرر السنية، ج ٨، ص ٢٠٤، أو القصيمي في كتاب (الصراع بين الإسلام و الوثنية)، ج ١، ص ٤٧٠.

٢. أنظر مثلاً كتاب (ضوابط تكفير المعين عند ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب و علماء نجد)، تأليف أبو العلا راشد بن أبي العلاء الرياض، (١٤٢٥ هـ).

٣. مباني فكري سلفيه و وهابيت، على زاده الموسوي، السيد مهدي، ج ١، ص ٤١ إلى ٥٥.

٤. ابن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ص ١٧.

٥. أشار ابن كثير - وهو تلميذ ابن تيمية - إلى أنّ أستاذه قد حرّف هذا الجزء في كلامه. أنظر: البداية و النهاية، ج ١٤، ص ١٤٣.

٦. محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، ص ٥٨، طبعة دار القلم، بيروت، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن الوهاب، ج ٦، ص ١١٥.

٧. السيد محسن العاملي، كشف الارتباب، ص ١٤٨.

و حول هذه المسألة يقول أحمد زيني دحلان: «فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حالهم و يغفلون و يذهلون عن تكفيرهم المسلمين فإنهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر من منذ ستمائة سنة و غفلوا أيضاً عن استباحتهم أموال الناس و دماءهم و انتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكابهم أنواع التحقير له و لمن أحبه و غير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها و كفروا الأمة بها»^١.

وفي الوقت الحاضر نشهد أناساً من أمثال عبد السلام فرج - قائد جماعة تنظيم الجهاد المتطرفة في مصر - يصرح في كتابه (الجهاد فريضة غائبة) بتكفير حكّام الدول الإسلامية و غير الإسلامية بالاستناد إلى فتوى ابن تيمية^٢، و وفقاً لفتاواه هو فإن ارتداد الحكّام المسلمين أشدّ - بزعمه - من ارتداد غير المسلمين^٣. و في كتابه المذكور أفرده فصلاً خاصاً أطلق عليه اسم (مجموعة فتاوى لابن تيمية تُفيد في هذا العصر) ضمّ الكثير من الفتاوى الخاصة بأحكام الجهاد و القتال بالاعتماد على فتاواه و هو ما يشير بوضوح إلى تأثر هذا الشخص بأفكار و آراء ابن تيمية بشكل غريب.

وشخصية أكثر غرابة و هو المدعو (صالح سرية)^٤ الذي صرّح في كتابه (رسالة الإيمان) أنّ أفضل العقائد في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر هي عقائد ابن تيمية و تلامذته، و يفخر بأنّه من الذين يسبّرون على نفس النهج الذي رسمه ابن تيمية^٥.

١. زيني دحلان، الدرر السنينة في الردّ على الوهابية، ص ٥٠.

٢. عبد السلام فرج، الجهاد الفريضة الغائبة، ذيل بحث الحكم بغير ما أنزل الله. قال ابن تيمية في كتاب (مجموع الفتاوى، ٢٨ / ٥٢٤): «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين و باتفاق جميع المسلمين أنّ من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر».

٣. المصدر السابق، ذيل بحث حكّام المسلمين اليوم في رده عن الإسلام. قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى، ٢٨ / ٥٣٤): «وقد استقرت السنة بأنّ عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها: أنّ المرتد يُقتل بكلّ حال، ولا يضرب عليه الجزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي».

٤. صالح عبد الله سرية، أردني من أصل فلسطيني. وُلد في حيفا وأكمل دراسته الابتدائية بها وبعد نكبة عام (١٩٤٨ م) هاجر مع أسرته إلى العراق وأكمل دراسته الثانوية هناك ودخل كلية الشريعة بجامعة بغداد. أسس مجموعة فلسطينية بالعراق سماها (جبهة التحرير الفلسطينية) وبعد حدوث خلاف بين عبد الكريم قاسم والإخوان لجأ إلى العمل السري؛ قام بعدة عمليات ضد اليهود.

٥. رسالة الإيمان، صالح سرية، مقتبس عن موقع:

المنهج التكفيري لدى ابن تيمية وإيجاد الفرقة بين المسلمين

إن من بين العوامل التي أدت إلى ازدياد الجريمة بين المسلمين هي الفرقة الحاصلة بينهم و تعصب بعضهم بالخلافات المذهبية و تكفير بعضهم البعض. فابن تيمية و من خلال مواقفه و آرائه المتطرفة ضد الشيعة كما ورد في كتابه المسمى (منهاج السنة) أو عبر الفتاوى التي أصدرها في هذا الباب، استطاع بلا شك أن يؤثر في أتباعه الذين جاءوا من بعده ممن كانوا يتحنون الفرص لإيجاد الأعدار و الحجج التي يمكنهم بواسطتها تكفير الشيعة. و يقول ابن تيمية في كتابه المذكور: «وإنما الكلام في استغاثة المقبورين و غيرهم بأوليائهم و طلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض و غيرها ... نعم استغاثة العباد يوم القيامة و طلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف و هذا لا شك في جوازه، أعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض و أمرنا سبحانه أن ندعوا للمؤمنين و نستغفر لهم ... و الكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرراً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً أن يشفوا مرضاهم و يردوا غائبهم و ينفسوا على حبالهم و يسقوا زرعهم و يدروا ضروع مواشيهم و يحفظوها من العين و نحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى»^١.

وفي موضع آخر من كتابه يقول ابن تيمية: «الرافضة لا تكلمهم و لا ترو عنهم فإنهم يكذبون ... سمعت الشافعي يقول: لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة ... و يزيد بن هارون يقول يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون»^٢.

بل و أفرد ابن تيمية فصلاً كاملاً في كتابه تحت عنوان (مشابهة الرافضة لليهود) و اتهمهم بالعلو و تحريف القرآن و ما إلى ذلك^٣، أو قوله بأنهم أشر من الخوارج «وَمَذْهَبُ الرَّافِضَةِ شَرُّ مِنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ؛ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ غَايِبُهُمْ تَكْفِيرُ عَثْمَانَ وَ عَلِيٍّ وَ شَيْعَتُهُمَا وَ الرَّافِضَةُ تَكْفِيرُ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عَثْمَانَ وَ جَمَاهُورِ السَّابِقِينَ الْأَوْلِيَيْنَ وَ تَجِدُ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ مِمَّا جَدَّ بِهِ الْخَوَارِجُ»^٤، و قوله: «وَهُمُ الَّذِينَ أَعَانُوا التَّنَارَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ كَانَ وَزِيرُهُمْ هُوَ الْوَلِيُّ الطُّوسِيِّ مِنْ أُمَّتِهِمْ»^٥، و «الرَّافِضَةُ جَهَالٌ لَيْسَ لَهُمْ عَقْلٌ وَ لَا نَقْلٌ وَ لَا دِينٌ وَ لَا دُنْيَا مَنْصُورَةٌ»^٦. أما في بحوثه العقائدية، فقد اتهم ابن تيمية الشيعة بالتجسيم و التعطيل و أنهم بعد ما

١. السيد محسن الأمين العاملي، كشف الارتياب، ص ٢٣٢.

٢. منهاج السنة، ج ١، ص ٤٠.

٣. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢ إلى ٢٩. وقد نسب الكثير من الاتهامات إلى الشيعة منها قوله: «لو كُنَّا مِنَ الطَّيْرِ لَكُنَّا رَحْمًا، وَلَوْ كُنَّا مِنَ الْبَهَائِمِ لَكُنَّا حُرًّا».

٤. مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٥٢٧ و ٥٢٨؛ في حين أفتى في كتابه (منهاج السنة، ج ١، ص ٤٧) بقتل الخوارج.

٥. مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٤٣٤ و ٤٣٨.

٦. المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢٩.

يكونون عن مذهب أهل البيت عليهم السلام و معارفهم و علومهم: «يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة و متأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة و نحوهم فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل و التمثيل لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا و هذا. و أئمة المسلمين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و غيرهم متفقون على القول الوسط المغاير لقول أهل التمثيل و قول أهل التعطيل و هذا مما يبيِّن مخالفة الرافضة لأئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله في أصول دينهم كما هم مخالفون لأصحابه بل و لكتاب الله و سنة رسوله^١.

وهكذا فإنَّ هذه النظرة المتطرِّفة إزاء الشيعة و تعريف بعض فرقها كالنصيرية و الإسماعيلية بأنَّها من الفرق المغالية و الكافرة^٢ من جهة، ثمَّ تسمية الفرق الشيعية بأجمعها و منها الإسماعيلية و الإثني عشرية و النصيرية و الزيدية باسم (الرافضة)^٣ من جهة أخرى، أو بعض ادعاءاته و منها أنَّ عقائد الشيعة هي عقائد كافرة و أنَّهم أسوأ من الإسماعيلية و النصيرية^٤، أو تكفيره لبعض علماء الشيعة من أمثال الخواجة نصير الدين الطوسي أو نسبته إلى الفرقة الإسماعيلية^٥، كلُّ هذا التشنيع و الاتِّهام و غيره كانت عوامل مساعدة عجزت بسببها التيارات التكفيرية عن التمييز أو التفريق بين فرق الشيعة المختلفة و بالتالي تكفير جميع الفرق الشيعية تحت اسم (الرافضة)، حتى بلغت هذه الموجات المتطرِّفة مبلغاً دفع علماء الوهابية إلى تكفير الشيعة عموماً و بصراحة^٦. وهذا ابن جبرين^٧ - أحد أكبر علماء الوهابية - يجيب على السؤال التالي: ما حكم دفع زكاة أموال أهل السنة لفقراء الرافضة (الشيعة)، و هل تبرأ ذمة المسلم الموكل بتفريق الزكاة إذا دفعها للرافضي الفقير أم لا؟ بقوله: «لقد ذكر العلماء في مؤلفاتهم في باب أهل الزكاة أنَّها لا تُدفع لكافر و لا لمبتدع، فالرافضة بلا شك كفار^٨! أو أنه يعتبر الدِّعاء لحزب الله غير جائز بل و محرَّم معرِّفاً للشيعة بأنَّهم أعداء الإسلام^٩. و استفتي الشيخ عبد الرحمن^{١٠} حول ما إذا كان بالإمكان وقوع الجهاد

١. ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٢، ص ٢٤٣.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٢.

٣. وقد وصف الإمامية بقوله: «فإنَّهم جهميَّة قدرية رافضة». (المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٣).

٤. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢٦.

٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٤٥.

٦. من أمثال محبِّ الدين الخطيب و إحسان إلهي ظهير و إبراهيم جبهان الذي كَفَرُوا الإمامية. (نقلًا عن عصام العماد، كُفْتُغوى بى ستيز، ص ٥٩).

٧. عبد الله بن عبد الرحمن جبرين.

٨. اللؤلؤ المكين من فتاوى فضيلة الشيخ بن جبرين، ص ٣٩.

٩. رقم الفتوى: ١٥٩٠٣.

١٠. هو أبو عبد الله عبد الرحمن البراك، ولد عام (٣٥٢هـ-) : عالم دين سعودي وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً.

بين أهل السنة و الشيعة فأجاب أنه إذا كان أهل السنة يمتلكون دولة و حكماً قويين و أظهر الشيعة بدعهم و كفرهم عندئذ يجب على أهل السنة إعلان الجهاد ضدّهم و بالتالي قتلهم^١. أو البيان الصادر عن (٣٨) عالماً وهابياً من هيئة كبار علماء السعودية و الذي دعا أهل السنة إلى الوقوف بوجه المخالفين - وقد أشار البيان إلى الشيعة بالذات - و استحلال قتلهم و تجويزه^٢.

دور ابن تيمية في توسيع دائرة التكفير ضد الشيعة

في الواقع يمكننا العثور على أولى بوادر الفتاوى التكفيرية ضد الشيعة في الخصومة و العداة اللذين كان بنو أمية يحملونهما ضدّهم و سعيهم إلى إضعاف المعنويات لدى الشيعة و القضاء على أحلامهم، ثمّ قام ابن تيمية من بعدهم ببذل قصارى جهده من أجل توسيع دائرة تكفير الشيعة بشكل عمليّ فكان يصرّح بأنّ عهد بني أمية كان أفضل العهود و حكومتهم أفضل الحكومات^٣ و أنّ الشقاء و الانحطاط اللذين أصيبت بهما الدولة الإسلامية كان بسبب خلافة بني العباس لأنّ الحكم الفعلي في تلك الفترة كان بيد الشيعة و أصحاب البدع^٤. و في موضع آخر أنكر فيه ابن تيمية نزول الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^٥ في شأن بني أمية و ادعى أنّ هذا التفسير هو من تحريفات الشيعة في القرآن الكريم^٦. و الأقبح من ذلك انتقاص ابن تيمية في كتبه من شخصية الإمام عليّ عليه السلام و الأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى تصدّى للردّ عليه الكثير من علماء أهل السنة^٧، و منهم ما صرّح به ابن حجر العسقلانيّ في كتابه (الدرر الكامنة) من أنّ كثيراً من المسلمين - ويعني بهم أهل السنة - وصفوا ابن تيمية بالمنافق و ذلك لوقاحته إزاء شخصية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^٨ و ذلك للحديث الشريف الوارد عن النبيّ ﷺ بحقّ عليّ عليه السلام حيث قال: «لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ»^٩.

١. موقع المنجد، السؤال رقم: ١٠٢٧٢.

٢. مقتبس عن موقع:

<http://old.ido.ir>

٣. منهاج السنة، ج ٨، ص ٢٣٨ و ٢٤٢.

٤. المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٠.

٥. سورة الإسراء، الآية ٦٠.

٦. المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٤.

٧. وفي ج ٨، ص ٣٣٠ و ج ٤، ص ٤٩٦ أساء إلى منزلة الإمام عليّ (ع) و في ج ٤، ص ٢٤٥ يسيء إلى السيدة فاطمة و من جهة أخرى تراه يمدح قاتل أمير المؤمنين عليّ (ع). أنظر: ج ٥، ص ٤٧ من نفس الكتاب.

٨. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٥١.

٩. صحيح مسلم، ج ١، ص ٦١؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٩٥؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، ج ١، ص ٦٠؛ شرح مسلم للنووي، ج ٢، ص ٦٤.

و منهم كذلك ابن حجر المكي الهيثمي الذي ألف كتاباً ضد الشيعة لكنه عندما يتحدث عن ابن تيمية يقول: «ابن تيمية عبد خذله الله و أصله و أمه و أصدمه و أدله، و بذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله و كذب أقواله»^١.

وعلى أية حال فإن الاتهامات التي وجهها ابن تيمية إلى آل البيت عليهم السلام و علماء الشيعة الإمامية من جهة، و تعصبه لبني أمية و شغفه بهم و تنزيههم عن كل منقصة و رذيلة من جهة أخرى^٢ قد أدى إلى إيجاد نظرة متطرفة إلى جانب الكراهية ضد الشيعة بعد تسميتهم بالرافضة حتى وصل الأمر اليوم إلى قيام البعض بطبع و نشر العديد من الكتب والمقالات و توزيعها بالمجان على المسلمين و التي تتضمن أشكالاً متنوعة من الدفاع عن عثمان بن عفان و أبي سفيان و ابنه معاوية و عمرو بن العاص^٣، فبعث ذلك الجراءة في الجماعات التكفيرية لتعلن صراحة أنها تهدف إلى إحياء تراث بني أمية و الانتقام من الشيعة جميعهم^٤.

التكفير السياسي

شطأت أولى بذور التكفير في العالم الإسلامي حين أقحم نفسه في المسائل السياسية و حاول العلماء و الأمراء استغلال هذه الناحية لصالحهم للوصول إلى أهدافهم السياسية^٥. فابن تيمية و رغم شهرته بين الناس كعالم دين أكثر من كونه رجل سياسة إلا أن الجماعات السياسية المتطرفة تصر على اتباع منهجه العلمي و العملي و اعتباره برنامجاً سياسياً ناجحاً لها، بل و صرح بعض المحللين و المختصين بدراسة الآراء التكفيرية لابن تيمية و ابن قيم الجوزية أن الشعارات السياسية التي استخدمها هؤلاء إنما أريد بها مواجهة الشيعة و محاربتهم^٦. و من المواقف السياسية التي اتخذها ابن تيمية ما حدث لمدينة دمشق عندما اقتحمها المغول و هرب أهلها منها سنة (٧٠٢ هـ) فعمد ابن تيمية إلى دعوة الناس آنذاك إلى الجهاد^٧. و بعد اندحار جيوش المغول عمد ابن تيمية إلى اتباع منهج جديد فصم على طرد بعض فرق الشيعة الباطنية (وهي النصيرية) من الجبال المحيطة بدمشق. كان ابن تيمية يعتقد أن هذه الجماعات و الفرق تمثل الطابور الخامس للمغول و أنها تنشر الفساد في البلاد، فقام مع جماعة من

١. الفتاوى الحديثة، ص ١٤٥.

٢. وفي كتابه (منهاج السنة)، ج ٢، ص ٢٢٥ و ص ٢٤٧، رفع الانتقاص عن يزيد و بنى أمية، وفي ص ٢٥٢ بالغ في تمجيد يزيد.

٣. عصام العماد، نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الداخل، ص ٩٧.

٤. وفقاً لموقع (رهبران شيعة-) أن جماعة داعش التكفيرية أعلنت في بيان لها أن قائدها هو (يزيد) وأن قائد أعدائها هو الإمام الحسين (ع) وأن نهضتهم هذه تهدف إلى الثأر لأجدادهم. أنظر: موقع (<http://www.shia-leaders.com>).

٥. الإسلام و السياسة، عبد الإله بلقزيز، ص ١٠٣.

٦. المصدر السابق، ص ١٠٠.

٧. محمد أبو زهرة، ابن تيمية، حياته و عصره، آراؤه و فقهه، القاهرة، دار الفكر العربي، (١٩٩١ م)، ص ٣٥.

أتباعه لمحاربة تلك الفرق الشيعة فقتل منهم مقتلة كبيرة و أمر بقطع الأشجار التي كانت موجودة في تلك المنطقة^١.

وتحت شعار أن من وصله البلاغ و لم يقبل به فينبغي قتله، و التأكيد على آيات الجهاد و فضائله، اعتبر ابن تيمية أن قتل الكفار و الجهاد ضدّهم يعدّ من أولويات الرسالة المحمدية، و لهذا لم تجد الجماعات المتطرّفة أفضل من ذريعة الجهاد للوصول إلى أهدافها و مصالحها الشخصية و تعزيز مواقعها و توسيع رقعة سيطرتها و القضاء على مخالفيها، و قد استعانت بآراء ابن تيمية المتطرّفة لغسل أدمغة المجاهدين و إضفاء الشرعية على جرائمها و تأصيل مبادئها بشكل عام، و اتخاذ ابن تيمية أسوة لها و ما قام به أنموذج و برنامج يهديها إلى مآربها.

وفي الفصل الرابع من كتابه (التبرئة) الذي أفرده لموضوع الجهاد و الأمر بالمعروف، يشير أيمن الظواهري - أحد قادة تنظيم القاعدة - في بداية حديثه مستنداً في ذلك إلى كلام ابن تيمية، يشير إلى أن الجهاد لا يُعتبر جهاداً إلا إذا كان قائماً على أساس رأي أهل الخبرة في الدين و الدنيا. و في نهاية الفصل المذكور كتب الظواهري يقول:

«وأنا أرجو من القارئ و هو يقرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجهاد أن يتذكّر أنّه قد جاهد بيده، و حرّض المسلمين على الجهاد و عدم الاستسلام، فهو عالم مدرك لأحوال الجهاد و المجاهدين، و أن يتذكّر أيضاً أنّه لما سجّن لم يتخلّ عن مبادئه، بل ظلّ ثابتاً عليها حتى مات في سجنه، فاستحق أن يكون إماماً يُقتدى به، رحمة الله عليه و على أئمة المسلمين»^٢.

ويقال أن ابن تيمية و بعد وقعة جبل كسروان، بعث بكتاب إلى الملك الناصر و ممّا قاله في كتابه بعد مدح الناصر: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الدَّاعِي أَحْمَدَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ إِلَى سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ... وَ ذَلِكَ: أَنَّ السُّلْطَانَ - أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - حَصَلَ لِلأُمَّةِ بَيْنَ وَوَلَايَتِهِ وَ حُسْنِ نَيْتِهِ وَ صِحَّةِ إِسْلَامِهِ وَ عَقِيدَتِهِ وَ بَرَكَةِ إِيمَانِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ وَ فَضْلِ هِمَّتِهِ وَ شَجَاعَتِهِ وَ ثَمَرَةِ تَعْظِيمِهِ لِلدِّينِ وَ شَرَعَتِهِ وَ نَتِيجَةِ اتِّبَاعِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَ حِكْمَتِهِ مَا هُوَ شَبِيهُ بِمَا كَانَ يَجْرِي فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَ مَا كَانَ يَقْصِدُهُ أَكْبَرُ الأئمةِ الْعَادِلِينَ مِنْ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ وَ هُمْ صِنْفَانِ: أَهْلُ الْفُجُورِ وَ الطُّغْيَانِ وَ ذُووُ الْعِي وَ الْعُدْوَانِ الْخَارِجُونَ عَنْ شَرَائِعِ الإِيمَانِ طَلِبًا لِلْعُلُوِّ فِي الأَرْضِ وَ الْفَسَادِ وَ تَرْكًا لِسَبِيلِ الْهُدَى وَ الرَّشَادِ ... وَ الصَّنْفِ الثَّانِي: أَهْلُ الْبِدْعِ الْمَارِقُونَ وَ ذُووُ الضَّلَالِ الْمُنَافِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ الْمَفَارِقُونَ لِلشَّرْعَةِ وَ الطَّاعَةِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَزَوْا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ مِنَ أَهْلِ الْجَبَلِ وَ الْجُرْدِ وَ الْكَسْرَوَانِ. فَإِنَّ مَا مِنْ اللَّهِ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَ النَّصْرِ عَلَى هَؤُلَاءِ الطَّغَامِ هُوَ مِنْ عَزَائِمِ الأُمُورِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى السُّلْطَانِ وَ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَ ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَ جِنْسَهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْمُفْسِدِينَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَ الدِّينِ، فَإِنَّ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عَثْمَانَ وَ أَهْلَ بَدْرِ وَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانَ وَ جَمْهُورَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارَ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَ أئمةِ الإِسْلَامِ وَ عُلَمَاءِهِمْ أَهْلَ

١. المصدر السابق، ص ٤٦.

٢. أيمن الظواهري، التبرئة، ص ٤٦.

المذاهب الأربعة وغيرهم ومشايخ الإسلام وعبادهم وملوك المسلمين وأجنادهم وعوام المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شر من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان!.

ويستطرد ابن تيمية في رسالته تلك فيقول: «وَفَرِحُوا بِمَجِيءِ التَّتَارِ هُمْ وَسَائِرُ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ مِثْلَ أَهْلِ جَزِينِ وَمَا حَوْلَيْهَا وَجِبَلِ عَامِلِي وَنَوَاحِيهِ. وَلَمَّا خَرَجَتْ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ظَهَرَ فِيهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالنِّكَالِ مَا عَرَفَهُ النَّاسُ مِنْهُمْ وَلَمَّا نَصَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ النُّصْرَةَ الْعَظْمَى عِنْدَ قُدُومِ السُّلْطَانِ كَانَ بَيْنَهُمْ شَبِيهُ بِالْعِزَاءِ؛ كُلُّ هَذَا وَأَعْظَمُ مِنْهُ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي خُرُوجِ جَنْكِيْزْخَانَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَفِي اسْتِبْلَاءِ هَوْلَاكُو عَلَى بَغْدَادَ وَفِي قُدُومِهِ إِلَى حَلَبَ وَفِي نَهَبِ الصَّالِحِيَّةِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِدَاوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يُوَافِقِهِمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌ... وَمِنْ حَرَمِ الْمُتَعَةِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ، وَمِنْ أَحَبِّ أَبَا بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ تَرْضَى عَنْهُمْ أَوْ عَنْ جَمَاهِيرِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَوْمَنْ بِمُنْتَظَرِهِمْ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ... وَعِنْدَهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرَى فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ حَقِيقَةً فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ آمَنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ يَقَلِّبُ قُلُوبَ عِبَادِهِ وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ».

يُضَافُ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ فَإِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ يُحَسِّنُ اسْتِغْلَالَ مَوْقِعَهُ مِنَ الْحُكُومَةِ وَالْمَنَاصِبِ الَّتِي كَانَ يَحْصِلُ عَلَيْهَا فَيَسْتَحْرِهَا لِأَعْرَاضِ الْعَقَائِدِيَّةِ بَيْنَمَا كَانَتْ مُعْظَمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ تَنْدَرُجُ فِي صِلَاحِيَّاتِ الْحُكُومَةِ نَفْسِهَا. وَيُذَكِّرُ أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ يَصْطَحِبُ مَعَهُ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ فَيُغَيِّرُونَ عَلَى بَعْضِ الْبُيُوتِ وَيَحْطَمُونَ أَوَانِيهَا وَيَفْرَعُونَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ثُمَّ يَهِينُونَ أَصْحَابَ تِلْكَ الْبُيُوتِ أَوْ يَعْتَقِلُونَهُمْ، وَالْغَرِيبُ أَنَّ أَعْمَالَ تِلْكَ كَانَتْ تُتَلَاقَى بِالْتَّرَحَابِ وَالْقَبُولِ مِنْ قِبَلِ الْآخَرِينَ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ تَطْبِيقُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَنَّ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ يَحْيَى مِنْ جَدِيدٍ.

وذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في أحداث سنة أربع وسبعمائة، بعض إنجازات ابن تيمية وعدة من حلفائه وأتباعه، حيث قال: «وفي هذا الشهر [أي، شهر رجب من عام (٧٠٤ هـ)] بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد النارج وأمر أصحابه ومعهم حجّارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر (قلوط) تزار ويُندّر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرّها عظيماً».

١. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص ٤٠٠.

٢. المصدر السابق، ص ٤٠١.

٣. محمد أبو زهرة، ص ٣٧؛ ومحمد يوسف موسى، أعلام العرب، ابن تيمية، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص ٨٩.

٤. ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، (١٤٠٧ هـ -)، ج ١٤، ص ٣٣؛ محمد يوسف موسى، المصدر السابق، ص ٩٠.

هذا، و قد أدت الاستعانة بأحكام التكفير و الجهاد لبلوغ الأغراض السياسية إلى ظهور أنموذج متطرف من التكفير بلغ أوجه خلال القرن الثاني عشر للهجرة قاده محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب. ففي سنة (١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م) بايع أمير الدرعية محمد بن سعود محمداً بن عبد الوهاب و تعاهدوا على نشر التوحيد بحسب المذهب الوهابي في كل الجزيرة العربية^١، و أول ما قاموا به هو تخريب قبور الأولياء و الصالحين و منهم قبر زيد بن خطاب^٢، و بعد سيطرتهم على مكة المكرمة عمدوا إلى هدم البيت الذي وُلد فيه النبي الأعظم ﷺ و ضريح السيدة خديجة و قبور العديد من الصحابة و أئمة الدين كذلك^٣، بالإضافة إلى ارتكابهم الكثير من الجرائم البشعة في بلدان المسلمين الأخرى و منها منطقة الأحساء و الطائف و النجف الأشرف و كربلاء المقدسة (في العراق) و غير ذلك^٤.

ومما لا شك فيه أن تصور ابن تيمية حول الشيعة و آراؤه تجاه الفرق الشيعية الأخرى و تسميتها بالرافضة و أن عقائدها تخالف أهل السنة و اتجاهاتها اتجاهات انفعالية بالإضافة إلى اتهامها بمعاداة الإسلام و المسلمين، كل ذلك أدى إلى إشعال نيران الفتنة الطائفية بين المذاهب الإسلامية المختلفة في الوقت الحاضر و استغلال ذلك أبشع استغلال من أجل الوصول إلى الأهداف السياسية الدنيئة في المحافل الغربية.

وهوذا أيمن الظواهري يصرح علناً بمواقفه المعادية لإيران و الشيعة، كما بين في مقاله الذي نُشر في مجلة (نشرة الأنصار)، و يُكرّر من جديد و يجترّ ما قاله سلفه و أستاذه و رمزه الديني ابن تيمية من قبل. و ممّا قاله في تلك النشرة: «اتهام وسائل الإعلام لنا بتلقّي الدعم من إيران هو من باب الإفتراء المحض، فإن لنا موقفنا الواضح من إيران، و هو الموقف الذي ينبني على الحقائق العقائدية و العلمية. فكما أسلفنا أننا نلتزم مذهب السلف الصالح - أهل السنة و الجماعة - و لذا فإنّ بيننا و بين الشيعة الإثني عشرية فروقاً واضحة في العقيدة، و الشيعة الإثني عشرية عندنا هم أحد الفرق المبتدعة الذين أحدثوا في الدين بدعاً عقائدية وصلت بهم إلى سبّ أبي بكر و عمر و أمهات المؤمنين و جمهور الصحابة و التابعين، و يرون كفرهم و يجاهرون بلعنهم، و القول بتحريف القرآن إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة كأدعاء عصمة الأئمة الإثني عشرية و أدعاء غيبة الإمام الثاني عشر و إدعاء الرجعة؛

١. علماء نجد، ج ١، ص ١٢٨.

٢. تاريخ نجد، ص ٨٤.

٣. ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ١٧٤، حوادث (١٢٢٠ هـ-).

٤. لمزيد من المعلومات راجع: تاريخ نجد، وقائع (١٢٢٠ هـ-) أو (١٢١٦ هـ-)؛ وكتاب (بحوث ملل و نحل آية الله سبحانه)، ج

٤، من ص ٥٨٥ إلى ٥٨٩.

فهذه العقائد من إعتقدها بعد إقامة الحجة عليه يصير مرتدّاً عن دين الإسلام، و من كان جاهلاً و اعتقد هذه الأصول الفاسدة بناءً على أحاديث ظنّها صحيحة و لم يبلغه الحقّ فيها أو كان عامياً جاهلاً فهو معذور بجهله^١.

وأما الرجل الآخر الذي كان أشدّ وطأة على الشيعة و أقسامهم قلباً عليهم مقارنة ببقية قادة تنظيم القاعدة فهو الذي يدعى بأبي مصعب الزرقاوي^٢، فهذا كان يرى أنّ أولوية الجهاد تكمن في محاربة الشيعة قبل غيرهم من الكفّار^٣، و تشير كلّ كتاباته و تصريحاته بوضوح إلى أنّ تهجمه على الشيعة و التغاضي في سبيل تكفيرهم و تكفير باقي المسلمين نابع من تأثره الشديد بابن تيمية. و في كتابه المسمّى (الكلمات المضيئة) يبيّن الزرقاوي مدى بغضه و مقدار سوء ظنّه بالشيعة و يرى أنّهم هم السبب في كلّ ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، و أنّ الرفضة - على حدّ زعمه - يهدفون إلى توسيع رقعة نفوذهم و سيطرتهم من إيران إلى العراق ثمّ سورية ثمّ أقطار الخليج الفارسي، و هكذا فهو يعتبر الشيعة منافقين و أنّهم تنطبق عليهم الآية الشريفة: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكَوْنَ﴾^٤

و على هذا الأساس لا يجد حرجاً في تكفيرهم مستنداً إلى ما نفوه به ابن تيمية فقال:

و ما أحسن ما ذكره ابن تيمية من وصف هؤلاء الرفضة عندما قال بأنهم يُعينون الكفّار على المسلمين و أنّ تعاونهم مع المغول هو السبب في خروج جنكيزخان و سيطرة هولوكو على بلاد المسلمين في العراق و سورية و غلبته على جنود المسلمين و الإغارة عليهم ... و كان المغول ذوي قلوب قاسية للغاية و لم يرحموا أحداً، و أمّا أسمى عباداتهم فتمتثل في لعن المسلمين و أولياء الله و أول مبادئهم هو لعن حكام الإسلام و الخلفاء الراشدين و علماء المسلمين و تكفيرهم و سبهم لهم، و لا غرابة في أنّ يتحالف هؤلاء الرفضة مع المغول و يحبّون حكمهم لأنهم استعادوا عزّتهم بواسطة المغول و لذلك كانوا يعينونهم لقتل المسلمين و انتهاك حرمانهم، و لمّا انتصر المسلمون على المشركين و النصارى كان ذلك غصّة بالنسبة للرفضة و عزاء لهم و إذا تغلّب المشركون على المسلمين كان في ذلك فرح للرفضة و يوم عيد^٥. ثمّ يتابع أبو مصعب الزرقاوي كلامه قائلاً:

١. أيمن الظواهري، موقفنا من إيران، الردّ على تهمة التعاون بين الحركة الجهادية السلفية و إيران الرفضة، مجلة (نشرة الأنصار)، العدد (٩١)، سنة (١٤١٥ هـ -).

٢. كان قائد جماعة ما يسمّى بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

٣. القاعده از پندار تا پديدار، ص ١٢٠.

٤. سورة المنافقون، الآية ٤.

٥. مجموع الفتاوى، ج ٢٨، من ص ٤٧٨ إلى ٥٢٧.

سيحان الله، و كان ابن تيمية كان يعلم الغيب و يعرف كل صغيرة و كبيرة ستحدث في هذا العصر فوصفهم بما وصفهم و أخبرنا ما كان ينبغي إخبارنا به، و لقد بين لنا طريقنا بكلماته تلك لأنه أظهر ما كانت تخفيه صدور هؤلاء القوم^١.

وأما شيخهم ابن تيمية فيقول:

«فَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُمْ شَرٌّ مِنْ عَامَّةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَ أَحَقُّ بِالْقَتَالِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِيمَا شَاعَ فِي الْعُرْفِ الْعَامِّ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ هُمُ الرَّافِضَةُ، فَالْعَامَّةُ شَاعَ عِنْدَهَا أَنْ ضِدَّ السُّنِيِّ هُوَ الرَّافِضِيُّ فَقَطُّ لِأَنَّهُمْ أَظْهَرُ مُعَادَةً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ شَرَّائِعِ دِينِهِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ»^٢.

هذا، و قد استشهد الزرقاوي بالعديد من عبارات ابن تيمية ما يظهر بجلاء مدى تأثره به^٣.

وقد استشرى تأثير ابن تيمية و أقواله حتى في عمق الجماعات الإرهابية و المتطرفة من أمثال ما يُسمى بتنظيم (داعش) أو (جبهة النصرة) ففي رسالة منسوبة إلى جماعة حكومة الشام و العراق تحت عنوان (دولة البغدادي: الواقع و الحكم الشرعي) تم تقسيم المجموعات الحكومية إلى عدة أقسام و جاء في نفس الرسالة أن هناك قسماً يتمثل بكبار الحكام و أركان الدولة ممن يكفرون مخالفيهم و يستحلون دماءهم و يبيحون نهب أموالهم، و بناءً على هذا تُعتبر جماعة جيش المجاهدين و لواء التوحيد و أحرار الشام و جبهة النصرة كفاراً. و جاء في الرسالة المذكورة التي حُكِمَ فيها على مُعارضيه بالمتطرفين، أن هؤلاء يحكمون بالتكفير من خلال الشبهة و الظنّ و الرأي دون أية بينة واضحة و أن كثيراً من الجنود يُطيعونهم في ذلك و يمتثلون لأوامرهم فيقومون بقتل المسلمين كما يفعلون مع الكفار فيشجعونهم على ذلك و يمدحون أفعالهم إذا ما قتلوا أعداءهم دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الأخلاقيات في الحرب، بل و يدفعونهم إلى قتل الأسرى و النساء و الأطفال و غيرهم و لو بعمليات انتحارية، و أن هؤلاء هم الخوارج بعينهم الذين قال عنهم الرسول الأعظم ﷺ «إِنَّ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَ يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، لَيْتِنِ أَدْرَكْتُهُمْ لِأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلُ عَادٍ»، فنحن نرى أن المصلحة الشرعية تحتم علينا محاربة هؤلاء الخوارج الذين يُحاربون مجاهديننا و يقاتلونهم لأنهم ينشرون الفساد في الأرض و ينتقمون من كل من يُعادي بشار الأسد و هم بذلك يضيعون علينا ثمرات الجهاد و نتائجها في سورية^٤.

١. الكلمات المضية، من ص ٦٢ إلى ٦٤.

٢. مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٤٨٢.

٣. وهذا واضح تماماً في كتاب (الكلمات المضية)، ص ٥١٨ أو في ص ٥٨٩ في إشارة إلى أتباعه لمنهج ابن تيمية في الجهاد ضد الرافضة.

٤. دولة البغدادي، الواقع و الحكم الشرعي، الجبهة الإسلامية، المجلس الشرعي، ١٤٣٥ هـ.

وأما ما نشره مراسل (الحياة)^١ عن معتقدات قادة الجماعات التكفيرية فيشير بوضوح إلى التعصّب المتطرّف الذي يحمله هؤلاء و الذي أجاز لهم تكفير من خالفهم لا سيّما الشيعة و استباحة دمايهم و أموالهم و أعراضهم و الحال أنّه ليس فيهم من يملك صلاحية إصدار مثل هذا الحكم إطلاقاً.

الخلاصة

استطاع ابن تيمية كقائد سياسي و ليس كعالم دين أن يلعب دوراً مؤثراً في الأحداث التي وقعت في العالم الإسلامي و خصوصاً في القرن الأخير، فمن خلال إيجاد منظومة من المبادئ السلفية كفتح باب الاجتهاد و الترويج للمذهب الظاهري و مخالفته للعقل و المنطق و اتباع الشدّة و التشدّد في بعض المعارف العقائدية للسلف مثل مسألة التوحيد و الشّرك و حصر التوحيد بالجانب العبادي فقط، و توسيع دائرة التكفير و ربط ذلك بعلم السياسة إلى جانب موقفه الانفعالي ضدّ الشيعة، كل ذلك أدّى إلى توجيه العنف في العالم الإسلامي نحو الاختلافات الطائفية و المذهبية بهدف ضمان المصالح السياسية بكلّ أنواعها، و نتيجة لذلك، فإننا نشهد في الوقت الحاضر وقوع العديد من الجرائم و الانتهاكات في مختلف مناطق العالم الإسلامي كالعراق و سورية و أفغانستان و باكستان و البحرين، و كل ذلك يحدث باسم الدين الإسلامي و هو براء من ذلك.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابن تيمية (١٤٢٤ هـ)، حياته عقايد: صائب عبد الحميد، قم: مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي، الطبعة الثانية.
٣. ابن تيمية (١٩٩١ م)، حياته و عصره، أراؤه و فقهه، محمد أبو زهرة، القاهرة: دار الفكر العربي.
٤. ابن تيمية (١٤٠٣ هـ)، الاستقامة، من منشورات جامعة محمد بن سعود، المدينة المنورة.
٥. عبد الإله بلقزيز (٢٠٠٨ م)، الإسلام و السياسة، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية.
٦. ابن تيمية، أعلام العرب، محمد يوسف موسى، مصر: وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، بدون تاريخ.
٧. إقامه الدليل، ابن تيمية، مأخوذ عن (المكتبة الشاملة).
٨. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (م ٧٢٨)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، (١٤١٩ هـ).

١. نقلًا عن عمر كايد مراسل (الحيا)، مقتبس من موقع:

٩. البداية و النهاية، ابن كثير، بيروت: دار الفكر، (١٤٠٧ هـ).
١٠. تاريخ نجد، الألوسي، محمود شكري، مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ.
١١. التبرئة، أيمن الظواهري، أيمن محمد ربيع الظواهري، بدون ناشر، بدون تاريخ.
١٢. تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، السيد محمد حسين، ترجمة: موسوي همداني، السيد محمد باقر، الناشر: (دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم)، طبعة قم، (١٩٩٥ م). ١٣. تفسير نمونه، آية الله مكارم شيرازي، ناصر، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طبعة طهران، (١٩٩٥ م).
١٤. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤٢١ هـ).
١٥. التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، علي عبد العزيز الشبل، دار الوطن، بدون تاريخ.
١٦. جعفر السبحاني، بحوث في الملل و النحل، مؤسسة (نشر إسلامي جامعة مدرّسين)، قم، بدون تاريخ.
١٧. الجهاد: الفريضة الغائبة، عبد السلام فرج، محمد عبد السلام، بدون ناشر، بدون تاريخ.
١٨. داعية و ليس نبياً، حسن بن فرحان المالكي، دار الرازي، الأردن، (٢٠٠٤ م).
١٩. درء تعارض العقل و النقل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، (١٤١١ هـ).
٢٠. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).
٢١. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أثرها في العالم الإسلامي، محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الناشر: وزارة الأوقاف الإسلامية في المملكة العربية السعودية، (١٤٢٢ هـ).
٢٢. الردّ على البكري، ابن تيمية، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، (١٤١٧ هـ).
٢٣. الردّ على المنطقيين، ابن تيمية، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
٢٤. رسالة الإيمان، صالح سرية، مُقتبس عن موقع: <http://www.elismaily.tv>.
٢٥. الرسالة التدمرية، ابن تيمية، الرياض، العبيكان، (١٤٢١ هـ).
٢٦. رساله دولة البغدادي: الواقع و الحكم الشرعي، الجبهة الإسلامية، المجلس الشرعي، (١٤٣٥ هـ). ٢٧. الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب، جامعة محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

٢٨. زياره القبور و الاستنجد بالمقبور، ابن تيمية، دار طبية، الرياض، بدون تاريخ.
٢٩. زيني دحلان، أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الردّ على الوهابية، بدون ناشر، بدون تاريخ.
٣٠. السلفية الوهابية، أفكارها الأساسية و جذورها التاريخية، حسن بن علي السقاف، الشافعي، دار الإمام النووي، عمّان، (١٤٢٣ هـ).
٣١. السنة، ابن أبي عاصم (م ٢٨٧)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠ هـ).
٣٢. الصراع بين الإسلام و الوثنية، عبد الله بن علي القصيمي، بدون ناشر، (١٤٢٧ هـ).
٣٣. الصفدية، ابن تيمية، محمد رشاد سالم، منشورات ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، (١٤٠٦ هـ).
٣٤. ضوابط التكفير المعين عند ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب و علماء نجد، تأليف: أبو العلا راشد بن أبي العلا، الرياض، (١٤٢٥ هـ).
٣٥. عقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٥ هـ).
٣٦. عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، عثمان بن بشر النجدي، دار الحبيب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٠ هـ).
٣٧. الفتاوى الحديثة، أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي، دار الفكر، بدون تاريخ.
٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (م ٧٩٥)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، (١٤١٧ هـ).
٣٩. الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعة، الرياض.
٤٠. القاعده از پندار تا پديدار، حميد رضا إسماعيلي، طهران، منشورات (انديشه سازان نور)، (٢٠٠٧ م). ٤١. كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، أمين، محسن، تحقيق: حسن الأمين، بدون ناشر، الطبعة الثانية، (١٣٨٢ هـ).
٤٢. الكلمات المضيئة، أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، (١٤٢٧ هـ).
٤٣. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد، المملكة العربية السعودية، (١٤١٨ هـ).
٤٤. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥. گفنگوی بی سترز، عصام العماد، دار العذیر، قم، (٢٠٠٧ م).
٤٦. اللؤلؤ المکین من فتاوی ابن جبرین، الریاض، المملكة العربية السعودية، بدون تاریخ.
٤٧. مجلة (نشرة الأنصار)، العدد (٩١)، سنة (١٤١٥ هـ).
٤٨. مجمع البیان فی تفسیر القرآن، الطبرسی، الفضل بن الحسن، منشورات (ناصر خسرو)، طهران، (١٩٩٣ م).
٤٩. مجموع الاستفتاءات، أبو محمد المقدسی، عاصم بن محمد بن طاهر البرقلاوی، بدون ناشر، بدون تاریخ.
٥٠. مجموع فتاوی بن عثیمین، ابن عثیمین، محمد صالح، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، (١٤١٣ هـ).
٥١. مجموع الفتاوی و الرسائل، ابن تیمیة، تقی الدین أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد، (١٩٩٥ م).
٥٢. مجموع مؤلفات الشیخ محمد بن الوهاب، إسماعیل الأنصاری و غیره، جامعة محمد بن سعود، الریاض، المملكة العربية السعودية، بدون تاریخ.
٥٣. مجموعة رسائل فی التوحید و الإیمان، محمد بن عبد الوهاب، إسماعیل بن محمد الأنصاری، جامعة محمد بن سعود، الریاض، المملكة العربية السعودية، بدون تاریخ.
٥٤. مجموعة الرسائل و المسائل، ابن تیمیة، منشورات (التراث العربي)، بدون تاریخ.
٥٥. محمد بن علی بن محمد بن عبد الله الشوکانی الیمنی (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، القول المفید فی أدلة الاجتهاد و التقليد، دار القلم، الكويت، (١٣٩٦ هـ). ٥٦. مسند أحمد بن حنبل، ابن حنبل الشیبانی، أحمد بن محمد (م ٢٤١)، تحقیق: شعیب الأرنؤوط و عادل مرشد، و آخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢١ هـ).
٥٧. المسند الصحیح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، النیشابوری، مسلم بن حجاج (٢٤١)، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بیروت، بدون تاریخ.
٥٨. منهاج السنة النبویة، ابن تیمیة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
٥٩. المنهاج: شرح صحیح مسلم بن الحجاج، النووي، یحیی بن شرف (م ٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بیروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٢ هـ).
٦٠. النبي المسلح، رفعت، السيد أحمد، كانون الثاني، (١٩٩١ م).
٦١. نقد الشیخ محمد بن عبد الوهاب من الداخل، عصام العماد، منشورات (اجتهاد)، قم، (٢٠٠٨ م).

62. [www. rajaneews. com](http://www.rajaneews.com)
63. [www. tawhed. ws](http://www.tawhed.ws)
64. [www. old. ido. ir](http://www.old.ido.ir)
65. [www. shamela. ws](http://www.shamela.ws)
66. [http:// www. elismaily. tv](http://www.elismaily.tv)
67. [http:// www. shia](http://www.shia)
68. [http ://www .farsnews .com](http://www.farsnews.com)
69. [http:// www. mashreg hnews. ir](http://www.mashreg hnews.ir)

ماهية التيارات التكفيرية وأهداف تأسيسها و أسباب اشداد شوكتها في العقد الأخير

تأليف: مهدي فرمانيان^١

ترجمة: أحمد المنصوري

نبذة

مع نفوذ الثقافة الغربية إلى العالم الإسلامي، و انهيار الإمبراطورية العثمانية في عام ١٩٢٥ م، بذل أهل السنة جهوداً كثيرة لأجل إحياء الخلافة الإسلامية من جديد و في هذا الصدد تشكلت في العالم الإسلامي العديد من الجماعات و الأحزاب؛ منها: حركة الخلافة في الهند، و الإخوان المسلمون في مصر، و المجموعات الجهادية في نصف القرن الأخير، حيث سعت بأجمعها إلى إعادة إحياء الخلافة الإسلامية و حاولت تحقيقها. لكن وجود الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ م و هجومهم العسكري على المنطقة، لم يقض على مسألة الإرهاب في المنطقة، بل تسبب فيازدياد المجموعات التكفيرية، ليس فقط في العالم الإسلامي، بل أدى إلى ظهورها و امتدادها إلى العالم الغربي أيضاً.

للأسف، فإن تواجد الولايات المتحدة في المنطقة أدى - سواء كان عمداً أو سهواً - إلى نموّ التيارات التكفيرية، و أصبح الهدف التي حشدت أمريكا جيشها ضدها.

الكلمات المفتاحية: الوهابية، جيش الصحابة، القاعدة، أمريكا، الجهاد

المقدمة

إن دخول الثقافة الغربية في العالم الإسلامي و انهيار الإمبراطورية العثمانية انعكس انعكاساً قوياً في العالم الإسلامي، و تسبب في أن تصبح مسألة الخلافة من أهم المسائل التي تشغل أذهان أهل السنة من المسلمين و فكرهم في المئة سنة الماضية، و لأجل هذه القضية ألف المفكرون الإسلاميون مئات الكتب في هذا المجال و تأسست عشرات الأحزاب و المجموعات السياسية في هذا الخصوص.

١. أستاذ مساعد و عميد كلية المذاهب الإسلامية في جامعة الأديان و المذاهب في مدينة قم المقدسة.

وكل هذا حدث بسبب غياب الخلافة الإسلامية، وانغماس العالم الإسلامي في الثقافة الغربية و لم يكن هناك بصيص من الأمل.

فاعتبر عدد من مفكري أهل السنة المصريين و بعض المهتمين بالقضايا الدينية أنّ الحل الوحيد للنجاة من هذا الوضع المؤسف و المؤلم هو الرجوع إلى السلف^١. فهذه المجموعة التي حملت هموم الدين؛ عملت على صدّ الفكر الغربي و منعه من أن يلقي بظلاله على أساسيات المسلمين و مرتكزاتهم؛ فرأت أنّ المخرج الوحيد من هذه المعضلات هو العودة إلى نهج السلف؛ فسّموا أنفسهم بالسلفية. و قد طرحت فكرة العودة إلى السلف لأول مرة في مصر فكان محمد عبده، و عبد الرحمن الكواكبي، و محب الدين الخطيب، و الشيخ محمد رشيد رضا من روّاد دعاة العودة إلى نهج السلف. غير أنّ الوهابية استعلت هذا الشعار و سمّوا أنفسهم بالسلفية أيضاً، و نشروا و روّجوا أفكار ابن تيمية على أنّها هي الفكر السلفي. و على هذا النحو، انخدع بعض المستضعفين فكرياً من المسلمين، و وقعوا في فخّ أفكار ابن تيمية، و روّجوا العنف و التكفير المستوحى من أفكاره^٢.

لقد تمسّكت هذه المجموعة بفتاوى ابن تيمية، بقصد إحياء الخلافة الإسلامية أو على أقل تقدير تشكيل الحكومة الإسلامية^٣، كما كرّسوا في بعض الأحيان فكر التكفير في العالم الإسلامي من خلال إصدار الحكم بالجهاد^٤، و بناءً على هذا؛ يمكن لنا الجزم بأنّ جميع التيارات التكفيرية قد خرجت من صميم الأفكار السلفية، كما أنّ جميع السلفيين واقعون تحت تأثير فكر ابن تيمية. و بعبارة أخرى: إنّ العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر، يواجه ظاهرة خطيرة باسم ابن تيمية الذي يروج العنف و يفتى بتكفير باقي المسلمين باستخدامه اسم السلف و السلفية.

و في هذا المضمار؛ يسعى هذا المقال إلى استعراض بيان قصير عن ماهية التيارات التكفيرية، و أسباب تزايدها و انتشارها، كما يتناول عدم نجاح أمريكا في هجومها بقصد القضاء على التكفيريين، و فشلها الذريع في الاقتراب من تحقيق هدفها؛ بل و ارتداد جميع ذلك على نحرها، حيث أوضحت القواعد الجماهيرية الداعمة للسلفية ضعف ما كانت عليه.

١. حيث تشكلت ثلاثة تيارات معروفة في العالم الإسلامي و هي فيما يلي: المتشددون (الأصوليون أو السلفيون)، الإصلاحيون (الجمع بين الحاضر و الماضي)، المثقفون (الذين يتقبّلون أغلب أسس الغرب و يفسرون الدين على ضوء ثقافة الحدائق)؛ و بما أنّ هذه المقالة مختصة بالتيارات التفكيرية لم تذكر باقي التيارات.

٢. راجع: رمضان البوطي، السلفية بدعة أم مذهب، ص ٢٤٨ فصاعداً.

٣. راجع: كتاب الخلافة و الإمامة العظمى السيد محمد رشيد رضا، جميع الكتاب.

٤. راجع: محمد عبد السلام فرج، الفريضة الغائبة، جميع الكتاب.

طبيعة التيارات التكفيرية

نظراً إلى أن جميع التيارات التكفيرية قد خرجت من رحم السلفية؛ فإن معرفة هذه التيارات من دون معرفة الفكر السلفي غير ممكنة، و بما أن جميع أفكار السلفية مرتبطة بنحو تامّ بأراء وأفكار ابن تيمية؛ لذلك وجب علينا أولاً معرفة أفكار ابن تيمية، و من ثم الخوض في الحديث عن التيارات التكفيرية.

ابن تيمية قائد التكفيريين على الاطلاق: إن قائد جميع التيارات التكفيرية على الاطلاق هو ابن تيمية بلا منازع، فلولا ابن تيمية لما كان للسلفية و التكفيرية أي وجود.

ولد ابن تيمية في عام ٦٦٤ هـ في أسرة حنبلية - من أصحاب الحديث، فكبر و ترعرع في كنف أسرة كانت منذ القدم تخالف المتكلمين و الفلاسفة و العرفاء و الصوفية، فتاريخ أصحاب الحديث مملوء بالنزاعات و التشاجر مع الأشاعرة و الصوفية^١، و بناءً على هذا، لم تكن مخالفة ابن تيمية لهم أمراً جديداً؛ بل إن الجديد في الأمر هواجتهادات ابن تيمية الجديدة، حيث أسس مدرسة السلف من خلال تضييقه لمفهوم كلمة السلف، و ما جاء به من تفسير لحديث خير القرون.

لقد اعتبر ابن تيمية بواسطة توسيع مفهوم العبادة، الكثير من عقائد المسلمين و اعمالهم مصاديق للشرك؛ خصوصاً قضية احترام القبور^٢، كما استخدم مئات المرات بل آلاف المرات في آثاره و مؤلفاته مفردات تسبب في تداعي التكفير إلى أذهان القارئین، و طبقاً لبحث عن المفردات في قرص مدمج (سي دي) لمجموعة أعمال ابن تيمية، وجدنا أنه استخدم في آثاره ٩١٧ مرة لفظكافر، ٨٩٢ مرة لفظ يقتل، ٨٢٩ مرة لفظ المرتد، و ٢١٩ مرة لفظ يستتاب، ٩٧ مرة لفظ "وجب توبته، و إلا قتل" و من المؤكد أننا كنا سنجد ألفاظ أكثر مما أوردنا أعلاه، لو تمّ البحث و الفحص في آثاره يدويّاً^٣.

١. راجع: يوسف القرضاوى، الصحوّة الإسلاميّة، ص ٢٠١.

٢. راجع: ابن تيمية، كتاب زيارة القبور، جميع الكتاب. نفس المؤلف، قاعدة جلييلة في التوسل و الوسيلة، جميع الكتاب.

٣. راجع: عبدالحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب، ص ١١٣، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩. رسالة دكتوراه جامعة المغرب. حيث حصل المؤلف على هذه الإحصائيات من خلال بحثه في قرص آثار ابن تيمية، و لقد اعتمد في بحثه على مجرد البحث عن مفردة، بناءً على هذا يمكن القول بأنه لو بحث موضوعياً حسب المعاني؛ لوجد إحصاءات هذه المفاهيم أكثر بكثير ممّا ذكرناه. و الجدير بالذكر أن التناقضات في آراء ابن تيمية وصلت حدّاً من الكثرة أن اعتمد على فتاواه كلا الفريقين؛ التكفيريين و المناهضو التكفيريين، فكلّ منهما يعدّه من أعلام مجموعته. راجع: أبو ذر نصر الاصفهاني، بيليوغرافيا التكفير، مجموعة آثار مؤتمراً علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة و التكفيرية. هذا الكتاب يغصّ بالأدلة الداعمة للفكر التكفيرى و المناهضة له، و كلّ من مجموعتى الأدلة مستند إلى فتاوى ابن تيمية.

وأعتقد ابن تيمية بأنه هو المجتهد المطلق، و ذلك من خلال تحريم تقليد أئمة المذاهب الأربعة، بفتحه باب الاجتهاد، بل الأمر من ذلك أنه أفتى بكفر و ارتداد كل من يقلد الأئمة الأربعة^١.

وقد أدى هذا الأمر في وقتنا الحاضر، إلى أن يعتقد أتباعه بحرمة التقليد، و أن يظهر أفراد مثل أسامة بن لادن و الزرقاوي؛ اللذين لا يفقهان و لا يعلمان من الإسلام شيئاً، إلا أنّهما يفتيان بكل بساطة بالكفر و القتل و الاغتيال. و إضافة إلى تحريمه التقليد؛ فقد أفتى بفتاوى شاذة أخرى؛ و التي تسببت في إيجاد التفرقة في عالما اليوم؛ منها مواجهة غازان خان حاكم المغول الذي كان قد أسلم غير أن سياساته كانت تتعارض مع الفكر السياسي لأهل السنة و الجماعة، فأصبحت هذه الفتوى في يومنا هذا؛ حجة بيد التيارات الجهادية المنحرفة لمواجهة حكام البلدان الإسلامية و اغتيال المعارضين^٢، و بعبارة أخرى؛ فإن أول شخص أفتى بجواز الجهاد على حكام المسلمين هو ابن تيمية؛ و الجهاديون التكفيريون اليوم يقتلون المسلمين مستدلين و متمسكين بفتاوى ابن تيمية الجهادية.

تشرح مفهوم السلفية؛ عندما يستخدم لفظ السلفية في أيامنا هذه، ما هو المقصود منه، و إلى أي معنى من المعاني يشير؟

السلف في اللغة بمعنى القدماء و الأسلاف^٣، بعبارة أخرى كلمة السلف تطلق على الأشخاص الذين يشاركوننا في الدين و الفكر، و الآن ليسوا على قيد الحياة بل كانوا يعيشون في الماضي، لكنّها في اصطلاح ابن تيمية و أتباعه تدلّ على معنى الرجوع إلى فهم الصحابة، و التابعين، و العلماء المقبولين عند أصحاب الحديث في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، و القول بأفضلية فهمهم و أفكارهم^٤.

حسب قول واضح و مبدع اصطلاح السلفية؛ أي ابن تيمية؛ فإنّ السلفية بمعنى القرون الماضية الفاضلة في فهم الكتاب و السنة، و أن نعدّ فهم من عاشفي تلك الحقبة الزمنية للكتاب و السنة هو أفضل من فهم الخلف ففهم السلف هو فهم الصحابة و التابعين و تابعي التابعين و العلماء الذين يحظون بمقبولية عند أصحاب الأثر و أصحاب الحديث و فهم الخلف يعني فهم الأشاعرة، و الماتريدية، و الفلاسفة، و العرفاء.

١. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص ١٢٤. أيضاً راجع: حسين توانا، مقالة «الاجتهاد و التقليد من وجهة نظر ابن تيمية»، مؤسسة دارالاعلام لمدرسة اهل البيت (ع).

٢. راجع: محمد عبدالسلام فرج (قائد مجموعة الجهاد المصرية)، الفريضة الغائبة، ص ٢١. في هذا الكتاب يستند على فتاوى ابن تيمية، و يقول بوجود محاربة جميع الحكام المسلمين.

٣. لسان العرب، ج ٦، ص ٣٣٠-٣٣١؛ المعجم الوسيط، ج ١، تحت مادة السلف.

٤. راجع: مهدي فرمانيان، درسنامه فرق و مذاهب كلامي اهل سنت (كتاب الفرق و المذاهب الكلامية عند أهل السنة)، ص ٢٦٩-٢٨٥؛ على الله بداشتي، برسي و نقد آراي سلفيه دربارہ توحيد (دراسة و نقد آراء السلفية حول مسألة التوحيد)، ص ٧٣-٣٥، بحث بسيط في باب المعنى الاصطلاحى لمفهوم السلفية.

لذا من وجهة نظر ابن تيمية أن فهم الأشاعرة، و الماتريدية، و الفلاسفة، و العرفاء، و الصوفية، فهم منحرف، و فيه البدع و الضلال، و بعيد عن الحق و هو باطل^١. فمن وجهة نظر ابن تيمية؛ كل من يعتقد أن فهم أصحاب الحديث في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام في باب صفات الله تعالى، أفضل من فهم القرون التالية (القرن الرابع) فصاعداً فهو سلفي و مذهبه السلفية. و دليل ابن تيمية على ذلك هو اربع روايات عن النبي ﷺ و التي وردت في صحيح البخاري، بمحتوى و دلالة متقاربة، يقول النبي ﷺ: "خير القرون قرني ثم يلوني ثم يلوني"^٢، و جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال ما معناه (لا خير في ما بعد القرون الثلاثة)^٣، فيستند ابن تيمية بمفردة الخير في هذه الرواية - والتي هي عامة و مطلقة - في القول بأن كل ما هو موجود في القرون الثلاثة الأولى هو أفضل من باقي القرون و سمي هذه القرون بالقرون الفاضلة^٤، فالفهم الصحيح للدين بل أن أصح فهم له بحسب وجهة نظر ابن تيمية و أتباعه و على أساس ما اعتمده من الرواية المذكورة؛ هو فهم علماء القرون الأولى، و يجب على كل مسلم الرجوع إلى فهم السلف الصالح، لأن هؤلاء القدماء فهموا و أدركوا الإسلام أفضل من باقي الناس، و بما أن ابن تيمية سالك درب أصحاب الحديث؛ فقد حدّ الفهم و صادره بمطلوبه من هذه الروايات، و من خلال التمسك بما استنتجته منها، فجعل من الفهم الظاهري، و مناهضة التأويل و العقل؛ الذي يقول به أصحاب الحديث هو المشار إليه في هذه المجموعة من الروايات.

ولكن في يومنا هذا، لا يتوافق مفهوم السلفية في العالم الإسلامي مع تعريف ابن تيمية، أي أن السلفية في العالم الإسلامي يعتقدون بالعقائد التكفيرية لابن تيمية أكثر مما يعتقدون بأفضلية فهم السلف الصالح، لذا فمن الأفضل أن نعتبر التيارات السلفية في العالم الإسلامي على أنها تيارات و حركات ابن تيمية بدلاً من أن نظن أنها سلفية بمعنى القول بأفضلية فهم السلف، و ذلك لأن أكثر التيارات السلفية المهمة في عصرنا الحاضر تسمي نفسها سلفية من دون أخذ التعريف الذي قدمه ابن تيمية من مصطلح السلفية بعين الاعتبار و من دون الالتفاتة أساساً، و بناءً على هذا؛ لا يمكن لنا أن نعتبر هؤلاء سلفية بحسب التعريف الدقيق لمعنى السلفية، بل أنهم سموا بالسلفية لأنهم يعتقدون بجميع أوبعض ما جاء به ابن تيمية من معتقدات و آراء، و على هذا وجب أن نسميهم بتيارات ابن تيمية بدلاً من التيارات السلفية.

تاريخ السلفية

لقد كان الاعتناء بآراء السلف و حتى قبل ظهور ابن تيمية في القرن الثامن، موجوداً بعنوان أنه أحد الأساليب الفكرية لأهل الحديث المنتهجة لدى محدثي أهل السنة، فلقد كان جمع من كبار أصحاب الحديث مقبدين بعدم

١. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص ١٢٦؛ ابن تيمية، الفتاوى الحموية الكبرى، ص ٤٣.

٢. صحيح البخاري، حديث ٤٧٣. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٤، ص ٣٤٦.

٣. صحيح البخاري، حديث ٤٣٦٥.

٤. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص ٣٢١.

العدول عن أفكار السلف. و يمكن لنا أن نعدّ الفقهاء المتمسّكين بالأثر من أهل المدينة في القرن الأول و الثاني للهجرة هم طليعة الفكر السلفي في القرون التي سبقت أحمد بن حنبل. و أنّ أحمد بن حنبل كان ملتزماً بأن يبني فكره حسب أيديولوجية و فكر أصحاب الأثر من أهل المدينة و يحاول ألا يعدل عنها قدر المستطاع.

أما في زمن المحدثين من القرن الثالث و حتّى القرن الثامن، لم يكن للسلفية معنيغير المعنى اللغويّ لها؛ أي التمسّك بأفكار الماضين، و هذا التمسّك لم يكن مقيداً بزمن خاصّ، و لم يستدلّ أيّ من المحدثين برواية خير القرون. و على هذا الأساس كان عدد الأشخاص الواقعيين داخل دائرة مفهوم السلفية يزداد يوماً بعد يوم^١.

السلفية بمثابة إحدى الفرق الإسلامية: مع ظهور ابن تيمية و استدلاله بحديث خير القرون، تمّ تقييد الحقبة الزمنية للسلف بالقرون الفاضلة (القرن الأول حتى الثالث) فتغيّر المفهوم الدلالي للسلفية من المعنى اللغويّ إلى المعنى الاصطلاحيّ. و بحسب هذه الرؤية؛ أصبح فهم السلف (الصحابة، و التابعين، و تابعي التابعين، و الأئمة الأربعة) المتمسّك بالظاهر، أفضل من فهم (الأشاعرة و الماتريدية) الملتزم بالتأويل. و لم تكن السلفية في تلك الحقبة الزمنية منهجاً، بل أصبحت بمثابة فرقة في مقابل الأشاعرة و أصحاب الحديث و الماتريدية شيئاً فشيئاً، حيث كانت تؤسّس جميع هذه التغييرات على يد ابن تيمية، و تحدّث ابن تيمية لأول مرة عن فرقة باسم السلفية في كتابه الفتاوى الحموية الكبرى، و هكذا تأسست فرقة باسم السلفية في العالم الإسلاميّ^٢. فمن خلال دراسة و مراجعة كتب الملل و النحل؛ من قبيل: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، و الفرق بين الفرق للبغدادي، و الفصل لابن حزم، و الملل و النحل للشهرستاني و غيرها من الآثار يمكن لنا الوصول إلى هذه النتيجة؛ ألا و هي أنّ جميع الكتاب و الباحثين لم يذكروا فرقة باسم السلفية فيما ذكروه عن الفرق الإسلامية.

و الجدير بالذكر أنّ الدكتور يوسف القرضاوي، و الذي يُعدّ من أوتاد و أركان الفكر السلفيّ يصرح في كتابه (الصحة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد) أنّ كلمة السلفية كلمة جديدة و دخلت حديثاً في كتب العالم الإسلامي، و فيما يلي نص قوله:

«وتعبير السلفيين تعبير حديث لا أدري متى شاع استعماله بالضبط، و قد كان من قبل يطلق عليها أهل الحديث أو أهل الأثر أو علياالحنابلة الذين تبنوا اتجاه أهل الحديث، في مقابلة أهل الكلام في العقائد و أهل الرأي في الفقه،

١. مهدي فرمانيان، آشنائي با فرق تسنن، درس سلفيه (التعرف على فرق أهل السنة، درس السلفية)، المؤلف السابق، مقاله كرايش هاي فكري سلفيه در جهان معاصر، مجله مشكات (مقالة الاتجاهات الفكرية للسلفية في عالمنا المعاصر)، مجلة مشكات، ع ١٠٤

٢. ابن تيمية، الفتاوى الحموية الكبرى، ص ٣٤ - ٤٠.

و كم جرت بين الحنابلة و غيرهم من الأشعرية و الماتريدية من خلافات و معارك نظرية و عملية أحياناً، على مر التاريخ»^١

إنّ رؤية يوسف القرضاوي في هذا الصدد دقيقة و مطابقة للواقع، و ذلك لأنّ أحداً لم يطلّع على فرقة السلفية بعد القرن الثامن أي بعد أن ذهبت أفكار ابن تيمية إلى الهاوية و أطلق هذا اللفظ بعد انمحافه لأول مرة في شمال أفريقيا، عن طريق محب الدين الخطيب و محمد رشيد رضا. و أن الوهابية استغلت هذا الاسم خلال الثمانين السنة المنصرمة و سمّت نفسها و فرقها السلفية. و ربّما لهذا السبب أن كاتب مدخل (سلفية) في موسوعة الإسلام (encyclopedia of Islam) طبعة لندن، قد أطلق اسم السلفية على التيارات السلفية في شمال أفريقيا و لم يطلقها على الوهابية.^٢

التيارات التكفيرية في عصرنا الحاضر

تأسست في الثلاثين عام الماضية تيارات تكفيرية متعدّدة و متنوّعة في البلدان الإسلامية؛ و يذكر السيد دكجميان في كتابه (جنبش های اسلامی در جهان عرب) الحركات الإسلامية في العالم العربي؛ نحو مئة مجموعة من هذه التيارات و التي تنطوي تحت ثلاثة تيارات تكفيرية رئيسة و هي:

. الوهابية.

. جيش الصحابة و طالبان.

. السلفية الجهادية [القاعدة].

أغلب هذه المجموعات و على حسب مقتضيات و ظروف الزمن قد التحقت بالسلفية الجهادية (القاعدة)، و إن كانوا في ما سبق من تيارات أخرى أو أنّهم في بعض الأحيان لم يكونوا من التيارات السلفية؛ إلا أنّهم انضموا إلى هذا التيار.

وبناءً على هذا؛ فإنّ أهمّ حركة في التيارات السلفية هي حركة السلفية الجهادية و التي تعتقد بوجود الجهاد و هناك مئات المجموعات مرتبطة بها.

الوهابية و تكفير المسلمين

ترى الوهابية - متأثرةً في ذلك بما ذهب إليه ابن تيمية - أن المسلمين مشركون بأسرهم بالشرك الجلي و كفار بالكفر الأكبر، و ذلك لأنّهم يتوسّلون بأرواح العظماء و يمجّدون قبور الأولياء، حيث يعتقدون أن الشرك الموجود الآن و المتمثّل في ما ذكرناه هو أكبر و أكثر انتشاراً من الشرك الذي كان موجوداً في زمن

١. الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ص ٢٠١.

٢. راجع: موسوعة الإسلام، ج ٩، ص ٩٧٦-٩٨٧.

الرسول ﷺ، و على هذا يجب على المسلمين اعتناق الإسلام مجدداً من خلال نطق الشهادتين و التبري من آبائهم و أجدادهم، و إلا يحكم بهدر دمائهم و لا حرمة لأرواحهم و أموالهم، و إن امتنعوا عن قبول الإسلام مجدداً، و جب قتلهم و أخذ أموالهم و أولادهم و نساءهم بعنوان سبايا حرب^١. حيث يرى الوهابية أن جميع المليار و خمسمئة مليون مسلم - ما عدا من يشاركونهم بالمذهب و الطريقة - كفار و مهذورو الدم، كما يعتبرون أن السلفيين من الإخوان المسلمين و طالبان من أهل البدعة و يجب عليهم الرجوع عنها^٢.

ومن خلال قراءة تاريخ الوهابية يمكنك أن تستنتج أن هذه الفرقة لم ترحم حتى من شاركهم بمذاهبهم و آرائهم، و إن أغلب ضحاياها و قتلها في الفترة الأولى من تاريخها و الذين سفكت دماؤهم بمفتاوى محمد بن عبد الوهاب، هم الحنابلة من أهل السنة و الذين كان اتجاههم أتجاه أصحاب الحديث^٣ فإن هذه الحالة؛ أي تكفير المسلمين نجدها تتبلور بوضوح تام في آثار و مؤلفات محمد بن عبد الوهاب و كذلك فيما نشاهده الآن في سلوك الوهابية و أتباعها؛ و فيما يلي نشير إلى بعضها:

إن محمد بن عبد الوهاب يذكر في كتابه (رسالة نواقض الإسلام) عشرة أمور ينتقض الإسلام بها و يفتي بكفر من يفعلها؛ و هي:

أولاً: الشرك في عبادة الله، و على سبيل المثال: قضية الذبح لغير الله؛ حيث كان يعتقد بأن هذا النوع من الشرك يشمل أغلب المسلمين؛ لأنهم يذبحون الذبيحة لا لوجه الله! و الواقع هو أن جميع المسلمين يندرون النذور لوجه الله و لكنهم قد يهدون ثواب هذا النذر إلى و لي من أولياء الله.

ثانياً: التوسل؛ أي: أن يجعل المرء شخصاً آخر واسطة بينه و بين الله سبحانه و تعالى، يعتقد محمد بن عبد الوهاب أن من يجعل بينه و بين الله تعالى و اسطة و يتوسل به و يطلب منه الشفاعة، كافر و مشرك بإجماع علماء المسلمين! طبعاً مقصود محمد بن عبد الوهاب من الإجماع المذكور غير واضح، فهل يقصد رأي علماء المسلمين

١. لمزيد من التوسع في هذا المجال، راجع: المؤلفات المتعددة التي كتبت في نقد الوهابية؛ مثل: كشف الارتياح تأليف السيد محسن الأمين؛ آيين وهاييت (الديانة الوهابية) تأليف آية الله السبحاني؛ رويكرد عقلائي به باورهاى وهاييت (المناهج العقلية على معتقدات الوهابية) تأليف الأستاذ نجم الدين الطبسي؛ وهاييت (الوهابية) تأليف فقيهي؛ پاسخ به شبهات وهاييت و سلفى گرى (الرد على شبهات الوهابية و السلفية) تأليف الأستاذ على أصغر رضوانى، و غيرها من الآثار المرتبطة بهذا المجال.

٢. راجع: أضواء السلفية عند جماعة الإخوان، جميع الكتاب و مقدمة ربيع المدخلى له. و في هذا المجال يمكن مراجعة آثار ربيع المدخلى أحد علماء و كبار الوهابية الذى يعتقد بكفر جميع المسلمين أو يعتقد على أقل التقادير بأنهم أصحاب بدع.

٣. راجع: تاريخ ابن غنام، و كتاب المجد فى تاريخ النجد الذين تم تأليفهما بيد شخصين من الوهابيين التابعين و المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب.

أم رأيه هو فقط؟! حيث أننا لا نجد إجماعاً أو اتفاقاً عند الفقهاء بتكفير المسلمين بسبب طلبهم الشفاعة من أولياء الله، بل أن القول بجوازها و عدم تكفير فاعليها أشهر من رأي محمد بن عبد الوهاب بعشرات الأضعاف.

ثالثاً: كفر من لا يكفر المشركين؛ يعتقد محمد بن عبد الوهاب أن الشخص الذي لا يكفر المشركين أو يتردد في الحكم بكفرهم أو يريصحة عقيدتهم هو كافر مثلهم! فمثلاً من يتردد في الحكم بكفر من يتوسل برسول الله ﷺ فهو كافر أيضاً ...

ثامناً: إن مساعدة المشركين و موالاتهم ضد المسلمين، تعدّ كفراً. و الظاهر أن محمد بن عبد الوهاب يقصد بقوله الكافرين، المسلمين غير الوهابيين، و على وجه الخصوص المتصوفة و الشيعة الذين يتوسلون برسول الله ﷺ! فنجد في جميع هذه الحالات كان يقصد المسلمين و حسب^١.

كما كتب ابن بشر - وهو أحد الكتاب الوهابيين - حول تصرفات هذه الفرقة في هجومهم على كربلاء؛ ما يلي:
عندما بدأ العام ١٢١٦ للهجرة، أرسل عبد العزيز جيشاً كبيراً تم حشده من المناطق المحيطة بنجد و جنوب الحجاز، و أراد أن يسيطر به على أرض كربلاء. دخل هذا الجيش على أهل مدينة كربلاء، و قتل أغلبهم في الأسواق و المنازل، و هدم القبة المبنية على قبر الحسين عليه السلام و أغار على ما في الضريح و المناطق القريبة منه. و أخذوا الأشياء المرصعة بالزمرد، و الياقوت، و المجوهرات و غيرها من الأشياء الأخرى التي لم يكن يمكن احصاؤها. و لم يبقوا هناك طويلاً، حيث تركوا المكان ظهراً محمّلين بكلّ تلك الثروات، و قد قتلوا ما يقارب الألفين شخصاً من أهل مدينة كربلاء.^٢

حول موضوع هجوم الوهابيين على الطائف يكتب جميل صدقي الزهاوي ما يلي: من أفلح أفعال الوهابيين أنهم عندما دخلوا مدينة الطائف قاموا بقتل الناس في مجازر جماعية، و لم يرحموا صغيراً و لا كبيراً، و قتلوا الجميع بالسيف و الحراب من دون مبالاة، حتى انهم ذبحوا الأطفال الرضع و هم على صدور أمهاتهم. و كذلك قتلوا مجموعة كانت منكبة على تعلم القرآن، و عندما اقتادوا جميع من في المنازل الى خارجها و الى خانات القوافل و المساجد و من ثم قتلوهم جميعاً. و قتلوا حتى من كانوا راكعين او ساجدين في المساجد، الى درجة أنه لم يتبقّ على قيد الحياة إلا عشرون شخصاً قليلاً ... و قد قتلوهم بالطريقة الآتية، في اليوم الأول قاموا بقتل مجموعة، و في اليومين الثاني و الثالث منحوا الأمان من باب المكر و الخديعة، و من ثم دخلوا عليهم و أخذوا أسلحتهم منهم و قتلوا الجميع، و منحوا مجموعة أخرى الأمان حتى وصلت الى وادي «وج» و من ثم تركوهم في البرد عراة من دون أي ملابس و سطو على أموالهم، نقودهم، ثروتهم و أثاث منازلهم. حتى انهم رموا الكتب على الأرض في الشوارع و في الأسواق، و كانت الرياح تُقلّب صفحاتها؛ مجموعة الكتب هذه تضمنت مصاحف شريفة، و نسخ من كتب البخاري و مسلم و باقي كتب الحديث و الفقه و العلوم الأخرى و التي بلغ عددها آلاف المجلدات.

١. راجع: محمد بن عبد الوهاب، مجموعة الرسائل، رسالة نواقض الإسلام، ج ١، ص ٢٣١-٢٤٣.

٢. راجع: عنوان المجد في تاريخ النجد، ج ١، ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

بقيت هذه الكتب على الأرض لعدة أيام، و كانوا يطؤون الكتب خلال سيرهم، و لم يجرؤ أحد على حمل ورقة من هذه الكتب كي لا تداس بالأقدام. و من ثم قاموا بهدم المنازل و تسويتها بالأرض. هذه التصرفات المفجعة و قعت في عام ١٢١٧ للهجرة. لقد تمّ تطبيق فتاوى محمد بن عبد الوهاب تلك بعينها عن طريق المساعدات السياسية التي حصل عليها من آل سعود في العهد الأول لظهور الوهابية، و أدت الى قتل الكثير من المسلمين. كما ظلت ذات هذه السيرة و الطريقة، هي نهج و أسلوب الوهابية في العصر الحاضر، و هذا ما نراه في مؤلفات ابن باز، و ابن عثيمين، و ابن جبرين؛ و هم من كبار علماء الوهابية في العقدين الأخيرين، غير أن ظروف العصر و المكان لم تعد تسمح لهم بتطبيق نفس تلك الأساليب، فنقلوا الأفكار التكفيرية الى خارج المملكة السعودية، و أصبحوا يصدرون الفكر التكفيري في المجتمعات الأخرى، و يستغلونه عند الحاجة كما هو الحال في القضية السورية.

جيش الصحابة و تكفير الشيعة

ترتبط الخليفة الفكرية لجيش الصحابة بتيار الديوبندية الفكرية.^٢ حيث ظهر شخص يدعى شاه ولي الله الدهلوي يحمل أفكار ابن تيمية، في الهند إبان القرن الثاني عشر الهجري. و قام ولي الله الدهلوي من خلال التوفيق بين التصوف و الماتريديّة و السلفية و موالفتها مع بعضها البعض بإنشاء مدرسة فكرية عرفت لاحقاً باسم المدرسة الديوبندية.

ولا يمكن مطلقاً أن تعتبر الديوبندية ذات نهج سلفي أو أنها إحدى التيارات السلفية؛ و ذلك لأنها لا تؤمن أبداً بأرجحية فهم السلف على فهم الخلف، بيد أنها عدت تياراً سلفياً تسامحاً و نظراً الى اعتقادها ببعض أفكار ابن تيمية التكفيرية.

تم تأسيس تيار جيش الصحابة التكفيري عام ١٩٨٥ م في باكستان، و هو يقوم بتكفير الشيعة و لا يتعرّض لغيرهم. و ذلك لأن علماء الديوبندية لا يؤمنون بتكفير المسلمين، كما أن الشاه ولي الله الدهلوي و على الرغم من اعتباره بعض تصرفات المسلمين كفراً، و لكنّه على خلاف الوهابية لم يعتبر أن مرتكبي هذه التصرفات من المسلمين قد كفروا بسبب ارتكابهم لها، بل يشدّد في التأكيد على كونهم مسلمين، و لكنّ بعض فتاوى علماء الديوبندية و التي تنصّ على تكفير الشيعة؛ قد أصبحت وثيقة لجيش الصحابة من أجل تكفير الشيعة و القيام بقتلهم.^٣ و قد جاء في خطابات جيش الصحابة أن باكستان يجب أن تخلو من الطائفة الشيعية، و أنهم يريدون

١. الزهاوى، جميل صدقي، الفجر الصادق في الرد على الفرقة الوهابية المارقة، ص ١٩ - ٢٠؛ و كذلك راجع: على أصغر رضواني، وهايبان را بهتر بشناسيم (لنتعرّف على الوهابيين أكثر)، ص ٣١؛ سيد محسن الأمين، كشف الإرتياب، ص ٤٧ - ٥٥.

٢. للتعرف على الديوبندية، راجع: مهدي فرمانيان، مقاله ديوبنديه (مقال ديوبندية)، مجلة طلوع، العدد ١٣. على زادة موسى، مكتب ديوبند (مدرسة ديوبند). محمد طاهر رفيعي، نقد و برسي انديشه هاى كلامى ديوبنديه (دراسة و تحليل الآراء الكلامية لمدرسة الديوبندية)، پایان نامه کارشناسی ارشد موسسه امام خميني.

٣. راجع: على رضا ميرزائي، مقال جيش الصحابة ممثل التطرف الديوبندي، مجلة سراج منير، العدد ١١.

باكستان خالية من الشيعة. و من هذا المنطلق كانوا يقومون بمهاجمة مواكب العزاء في أيام عزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام و قتل الشيعة.^١ و خلال العقود الثلاثة الأخيرة ظهرت في باكستان عدد من المجموعات المتطرفة و التكفيرية الى جانب جيش الصحابة. و أهم هذه المجموعات التكفيرية في باكستان هي: جيش جهنغوي العالمي، و عسكر طيبة، و جيش محمد، كما أن جيش جهنغوي هو أشد قسوة على الشيعة من غيره، و أكثرهم تطرفاً في التعامل معهم.^٢

يمكن القول بأن تصرفات بعض الشيعة التي تتضمن إهانة مقدّسات أهل السنة و رموزهم؛ هي من أسباب انتشار المجموعات التكفيرية المعادية للشيعة في باكستان و البلدان الأخرى، من قبيل آراء المدعو «حسن اللهياري» في القناة المسماة بأهل البيت، و آراء المدعو «ياسر الحبيب» في القناة المسماة فدك و التي تبث من لندن، و آراء المدعو «آية الله صادق الشيرازي» في قنوات فضائية عديدة. و قد قال سماحة قائد الثورة في هذا الخصوص: إن التشيع الأمريكي و اللندني ليس بالتشيع الحقيقي. هذا في إشارة من سماحته الى القنوات الفضائية التي تبث برامجها من أمريكا و لندن؛ حيث أن أوضح الأمثلة عليها قناة أهل البيت التابعة للمدعو «اللهياري» و التي أوصلت الإهانات الى أقصى حد، و لم يتبق شيعي أو سني إلا و قد تعرّض للإهانة من هذه القناة. إن أفضل وصف لهذه القنوات هو: «طبول الحرب الطائفية» حيث إنهم يقرعون طبول الحرب، غير أبيهين بعواقبها.

السلفية الجهادية و انتشار العنف و القتل باسم الإسلام

ثالث تيار هو تيار السلفية الجهادية أهم التيارات التكفيرية، و الذي نتج عنه تنظيم القاعدة و داعش. و يعود ظهور السلفية الجهادية إلى كتاب سيد قطب المسمى (معالم في الطريق). حيث أوضح سيد قطب في كتابه هذا عدّة نقاط؛ من قبيل: أننا نعيش الآن عصر الجاهلية في القرن العشرين، و هو أسوأ من جاهلية عهد الرسول صلى الله عليه وآله، و أننا يجب أن نقضي على هذه الجاهلية التي هي عين الثقافة الغربية. و إلى هذه النقطة لا يوجد إشكال في كلام سيد قطب، و لكن الأمر الثاني الذي طرحه في هذا الكتاب و الذي أثار الفوضى في العالم الإسلامي هو قوله بأن كل من يرضى بهذه الجاهلية فهو كافر، و أن جميع المدن الإسلامية مدن جاهلية، و من هذا المنطلق؛ فإن جميع المسلمين يعدّون كافرين، و جميع المدن التي يعيشون فيها تعدّ مدناً كافرة. كما أوصى سيد قطب أتباعه بأن يهاجروا كما هاجر النبي من مكة الجاهلية إلى المدينة المنورة، ليأسسوا مدينة إسلامية، و من ثم يجاهدوا من أجل تشكيل حكومة إسلامية.^٣

١. راجع: محمد طاهر رفيعي، نقد العقائد الكلامية الديوبندية و دراستها، الفصل الأخير.

٢. على جمالي، افراط غرائي در باكستان، فصل لشكر جهنغوي و طيبه (التطرف في باكستان، فصل جيش جهنغوي العالمي و عسكر طيبة).

٣. راجع: محمد مسجد جامعي، البنية السياسية للحكومة الإسلامية في التشيع و التسنن، ص ١٦٠ - ١٦٩.

عندها التحق بتيّار سيد قطب الفكريّ عدد من الشباب المتعصّبين و المتطرّفين في الإخوان المسلمين، و تمّ تأسيس مجموعات تكفيرية كثيرة في مصر و البلدان العربية. و من أهم هذه المجموعات: جماعة المسلمين أو مجموعة التكفير و الهجرة بزعامة شكري مصطفى، و مجموعة الجهاد بزعامة محمد عبد السلام فرج. و محمد عبد السلام فرج هو مؤلّف كتاب يُعد من أكثر الكتب تأثيراً في نشر الفكر الجهادي بين الشباب المصري. فقد اعتبر عبد السلام فرج في كتابه الفريضة الغائبة؛ الجهاد فريضة قد نسيها المسلمون منذ قرون. و لذلك وجب عليهم أن يحيوها مرّة أخرى، كما اعتبر أنّ الجهاد واجب عينيّ على كل مسلم كما هي الصلاة، و يشمل ذلك النساء و الرجال، و قد عدّ جميع الحُكّام المسلمين كافرين؛ و أعلن عن وجوب الجهاد ضدهم استناداً إلى الآية: فمن يحكم بغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. كما أوضح في كتابه هذا بأنّ الحرب و الجهاد ضد الأعداء الداخليين؛ أي الحُكّام المسلمين هو أهم من جهاد الأعداء الخارجيين؛ أي الغرب و الاستكبار العالمي، طالما أنّنا لم نقض بعد على داعمي الفكر الغربي في الداخل؛ فلا معنى للمواجهة مع العدو الخارجي. و على هذا النحو ارتدّ جوّ معاداة الغرب إلى داخل العالم الإسلامي؛ و تحول إلى حرب بين المسلمين.^١ و قد وصف جيل كوبل في كتابه النبيّ و فرعون هذا الجوّ جيداً و جسّمه، كما بيّن عن طريق إعداده تقريراً عن كتاب (معالم الطريق) و توضيح أثره في انتشار السلفية الجهادية و شيوعها.^٢

لقد كانت حرب أفغانستان فرصة جيّدة للسلفية الجهادية. حيث هجم الاتحاد السوفييتي الكافر على بلد إسلامي، و أصبح الدفاع عن الإسلام و المسلمين واجباً وفقاً لفتاوى الجهاد الصادرة عن علماء الوهابية و أهل السنة. حيث إنّ هذه الفتوى أدّت إلى ذهاب الكثير من السلفيين الجهاديين إلى أفغانستان، فانكبوا على الجهاد تحت مسمّى الأفغان العرب أو العرب الأفغان. فلقد ضاعفت فتاوى علماء الوهابية و الديوبندية في هذا المجال، رغبة هؤلاء الأشخاص، و هاجر أسامة بن لادن إلى أفغانستان بعد أن تعرّف على الدكتور عبد الله عزّام قائد الأفغان العرب بالإضافة إلى حكم الجهاد الذي أصدره علماء الوهابية، و هناك أصبح مساعداً لعبد الله عزّام و أثبت وجوده.^٣

بعد انتهاء الحرب أفغانستان و اغتيال عبد الله عزّام على يد وكالة المخابرات الأمريكية، تفرق الأفغان العرب و هاجر أسامة بن لادن إلى السودان. و لكن في عام ١٩٩٤ م اجتمع السلفيون الجهاديون مرّة أخرى و اختاروا أسامة بن لادن قائداً لهم، و بهذا تأسس تنظيم القاعدة التكفيري في مدينة بيشاور الباكستانية؛ غير أنّ البعض اعتبر أنّ تأسيس تنظيم القاعدة يعود إلى عام ١٩٨٨ م؛ أي بعد انتهاء حرب أفغانستان، و لكن لا توجد أدلة كافية لإثبات

١. راجع: محمد عمارة، الفريضة الغائبة عرض و نقد، الكتاب بأكمله.

٢. تمت ترجمة هذا الكتاب من قبل الدكتور حميد أحمدى، و تم طبعه من قبل دار نشر كيهان.

٣. حول الأفغان العرب راجعوا كتاب أبو و ليد المصري الذي يحمل عنوان «على سطح العالم» و مجموعة مقالات و حيد مجده (عشرون مقالة) في وكالة أنباء آواى أفغان.

ذلك^١ و بمجرد تأسيس تنظيم القاعدة و الذي كان أهم أهدافه هو قتال أمريكا؛ تعرضت القواعد و السفارات الأمريكية في أفريقيا لهجمات صاروخية و انتحارية، و قُتل عشرات العسكريين الأمريكيين على يد تنظيم القاعدة. و أعلنت أمريكا تنظيم القاعدة تنظيمياً إرهابياً بسبب هجومه على السفارات الأمريكية في كينيا و تنزانيا والهجوم على السفينة الأميركية في خليج عدن. و في ذلك الحين كانت طالبان قد ظهرت في أفغانستان و دعت أسامة بن لادن إلى المجيء إلى أفغانستان، فرحل أسامة بن لادن من السودان إلى أفغانستان. فطلبت أمريكا من طالبان تسليمها أسامة بن لادن باعتباره زعيم تنظيم إرهابي، و لكنها واجهت رفضاً من طالبان. ثم وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ و تم اتهام تنظيم القاعدة بالهجوم على برج التجارة العالمية، فغزت أمريكا أفغانستان و من ثم قامت بغزو العراق بعد ذلك. و لم تتمكن أمريكا من قتل أسامة بن لادن حتى عام ٢٠١٠ م. و ذلك لأن أسامة بن لادن كان يعيش في منطقة ابوت أباد العسكرية لمدة خمسة أعوام تحت حماية المخابرات العسكرية الباكستانية، و لم يكن أحد يعلم بذلك. و حسب المعلومات المتوفرة فإن أمريكا هاجمت منطقة ابوت أباد ليلياً في عام ٢٠١٠ م، و تم قتل أسامة بن لادن، و من بعده تزعم أيمن الظواهري تنظيم القاعدة و هو طبيب جراح مصري، و قائد مجموعة الجهاد المصرية.^٢

و مع تواجد أمريكا في الخليج الفارسي و غزوها للعراق، ظهرت مجموعة جديدة في العراق تحت قيادة أبي مصعب الزرقاوي. فوجه الزرقاوي أغلب هجماته نحو الشيعة. و علل ذلك خلال خطابه قائلاً: بما أن الشيعة الكفار المشركين قد تعاونوا مع أمريكا الكافرة، و قاموا بقتل المسلمين، و يسعون إلى زرع الثقافة الجاهلية في العراق، فإن أغلب هجماتنا يجب أن تستهدف الحكومة الشيعة في العراق، كي لا تتمكن أمريكا من تحقيق أهدافها و لا يتمكن الشيعة من الحصول على موطئ قدم في العراق.^٣

مع بدء الصحوة الإسلامية في البلدان الإسلامية و وقوع الأحداث في سوريا، أعلنت القاعدة عن تواجدها في سوريا تحت مسمى جبهة النصرة، و طلبت من باقي أتباع القاعدة مساعدتها. فأتجه تنظيم القاعدة العراقي بزعامة أبي بكر البغدادي نحو سوريا و قاتل ضد الحكومة السورية إلى جانب جبهة النصرة. إلا أن الخلافات الداخلية بين المجموعات المختلفة التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا أدت إلى عصيان أبي بكر البغدادي لأوامر محمد الجولاني زعيم القاعدة في سوريا، فأدت هذه الخلافات إلى وقوع المعارك و القتل بين أعضاء جبهة النصرة و

١. تمت كتابة الكثير من الكتب حول تنظيم القاعدة. منها الكتاب المفيد «القاعدة و أخواتها» و الذي تم تأليفه من قبل كميل الطويل، حيث التقى الكاتب مع أكثر من عشرين زعيماً من زعماء القاعدة ثم ألف هذا الكتاب.

٢. في هذا المجال راجع: وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، و وكالات الأنباء الأخرى في زمن قتل أسامة بن لادن عام ٢٠١٠ م.

٣. راجع: كتاب سلفيه حال و آينده، بخش القاعده عراق (كتاب سلفية الحاضر و المستقبل، فصل القاعدة في العراق). لمؤلف هذا المقال، تحت الطبع.

تنظيم القاعدة العراقيّ. تم نقل تقرير بما يجري إلى أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة، فأمر بدوره أن يطيع أبو بكر البغدادي أوامر محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة، و لكنّ أبو بكر البغدادي تراجع عن مبايعته لأيمن الظواهري؛ و قام بتأسيس داعش (الدولة الإسلاميّة في العراق و الشام). فظهرت في تلك المرحلة مجموعة تكفيرية جديدة أهمّ أهدافها تشكيل حكومة في العراق و الشام، و اعتبرت أنّ شيعة العراق و الشام هم أكبر معارض لها، و دخلت الحرب ضد الحكومتين السوريّة و العراقيّة.^١

إن هذه التيارات الثلاثة هي أهمّ التيارات التكفيرية في العالم الإسلاميّ، و كل تيار منها انقسم بدوره إلى مئات المجموعات الأصغر حجماً، و ظهرت هذه المجموعات بأسماء مختلفة في كل بلد. كما أنّ الكثير من أفراد هذه المجموعات انتقلوا من مجموعة و انضموا إلى أخرى؛ ممّا أدى إلى صعوبة التفريق بين هذه المجموعات. فعلى سبيل المثال؛ تقاربت خلال الغزو الأمريكيّ لأفغانستان مجموعات جيش الصحابة و طالبان مع القاعدة، فكانت القاعدة تحصل على الدعم من الشباب المتطرفين في طالبان، بالإضافة إلى الشباب المتشدّدين في تيار الإخوان المسلمين.

أسباب نشأة التيارات السلفية

ربما يكون أهمّ سبب لنمو و انتشار الفكر السلفيّ هو غياب فكر إسلاميّ بديل في العالم الإسلاميّ. فبعد سقوط الإمبراطورية العثمانية أصبح أهل السنة يبحثون عن بديل للإمبراطورية العثمانية، و قد بذلوا الكثير من الجهود في هذا الصدد. من قبيل إقامة جيش الخلافة في الهند، و اقتراح رشيد رضا القائل بأنّ على المسلمين قبول خلافة حاكم قريشيّ زيديّ المذهب من اليمن، و تأسيس جمعية الإخوان المسلمين، و تكون حزب التحرير، فكلّ هذه الأحداث كانت من أجل تجديد الخلافة الإسلاميّة. و قد استعرض المرحوم حميد عنایت في كتابه المشهورين في مجال العقيدة السياسية للمسلمين و مساعي مفكري أهل السنة و مصلحيهم من أجل إحياء الإمبراطورية الإسلاميّة، و بين بصورة شاملة ما قدمه علماء أهل السنة في مجال الفكر السياسي إلى الوضع الحالي في العالم الإسلاميّ؛ و لكنّ مشاكل العالم الإسلاميّ و قضاياها كانت أكثر تعقيداً من أن يتمّ حلها بهذه الأساليب، لذا باءت جميع جهود علماء أهل السنة بالفشل و تحول بصيص الأمل إلى ظلمة اليأس.

ما الذي يجب أن يفعله العالم الإسلاميّ الآن؟ ظهرت تيارات فكرية مختلفة في العالم الإسلاميّ من أجل أن تعوّض تخلف المسلمين و الإهانة التي تعرضوا لها، و لكنّ أيّاً من هذه التيارات لم يحقق شيئاً للعالم الإسلاميّ. و تيار التحرر الذي يقبل بأغلب أفكار الغرب و ثقافته، بدلاً من أن يفكر بحل للعالم الإسلاميّ، انجذب نحو الحداثة و آمن بمبادئ محورية الإنسان و قام بتفسير الإسلام وفقاً لما يصبّ في صالح الغرب. و أمّا التيار الإصلاحية و من

١. راجع: المقال الشيق و الرائع «جبهة النصرة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام»، تأليف حمزة مصطفى مصطفى، مجلة

الدراسات السياسية، مركز العربي للابحاث و دراسات السياسات، العدد ٥، نوفمبر ٢٠١٣.

خلال اعتباره أن قضايا العالم الإسلامي هي القضايا الفقهيّة لا غير؛ عملياً لم يحقّق شيئاً لمصلحة العالم الإسلاميّ، فاستمرّ العالم الإسلاميّ يطوي طريقه غائصاً في التخلف أكثر من السابق.

وهنا استغلت مجموعات مثل الوهابيّة و السيد محمد رشيد رضا شعار العودة إلى السلف الذي أطلقه السيد جمال و محمد عبده و تردّد صداه في العالم، فجعلوه يصبّ في صالح العودة نحو السلف التفسيريّ لابن تيمية، و بدلاً من أن تدور عجلة العالم الإسلاميّ نحو الإصلاح الذي نادى به محمد عبده، دارت نحو ابن تيمية على يد رشيد رضا تلميذ محمد عبده، و حصل ما كان يجب اجتناب حصوله، و وقع العالم الإسلاميّ في فخّ عدّ أفكار ابن تيمية المخرج الوحيد من النفق المظلم.

في هذا الحين أدّت بعض القضايا السياسيّة و الفكرية القائمة في العالم الإسلاميّ إلى مساعدة الوهابية في نشر فكر ابن تيمية. اتجهت خمسة بلدان عربية مهمة أي مصر، سوريا، الأردن، العراق و ليبيا نحو المعسكر الشرقي، و انتشر التيار اليساري في البلدان العربية. قامت السعودية بالتعاون مع شاه إيران و بدعم من أمريكا بتشكيل المؤتمر الإسلاميّ؛ و ذلك من أجل منع انتشار التيار اليساري في بلدان الشرق الأوسط، و منحت أمريكا السعودية الضوء الأخضر من أجل نشر الوهابية و الفكر السلفي في العالم الإسلاميّ، و بهذا صبّت السياسة التي اتخذتها أمريكا من أجل مواجهة الشيوعية في صالح الوهابية و أدّت إلى انتشار الفكر السلفي في العالم الإسلاميّ.^١

و السبب الآخر في انتشار السلفية في العالم الإسلاميّ، هو شعار الرجوع إلى السلف. حيث إن أهل السنة يقدّسون كلمة السلف إلى درجة كبيرة، فهي تذكّرهم بعهد الخلافة و الصحابة و قمة عظمة سلطان خلافتهم. و يرى أهل السنة أن هنالك شيئين مهمين في مجال القدرة السياسيّة، الأول هو الإمبراطورية و سلطة الخلافة، و الثاني هو توسيع الأراضي الإسلاميّة و فتح بلاد الشرك، و تحويلها إلى بلاد التوحيد. فلا يهمهم إن كان الحاكم عادلاً أو لا، بل المهم هو المحافظة على أجيالهم و قدرة الخلافة. و لو كان الخليفة رمز صورياً أو دمية في يد الآخرين، فهذا غير مهم أبداً، و المهم هو قدرة الخلافة التي يجب أن تدوم. فإن كان قريباً فهذا أفضل، و إن لم يكن كذلك فهذا غير مهم أيضاً، و يكفي أن تكون للإمبراطورية قوّة و قدرته سطوة. و قد تجسّدت هذه القوّة بحسب رأي أهل السنة في عهد الخلفاء الأربعة و من ثم في عهد بني أمية، أكثر ممّا تلى ذلك. و لهذا كانت العودة إلى السلف تعني عندهم العودة إلى عزّ و شموخ الماضي.^٢

و السبب الآخر لانتشار الفكر السلفي هو النظرة التوحيدية للسلفيين و التي تنسجم مع فكر أهل السنة. فإنّ جميع أهل السنة يؤمنون فيهم الأشاعرة و الماتريدية و أصحاب الحديث، يؤمنون بنظرية خلق الأفعال و كسبها. أي أن جميع أهل السنة من غير المتصوفة، يؤمنون بأن جميع الأفعال الاختيارية لأولياء الله هي من خلق الله و إن

١. راجع: حسن اسكندري، مقال نقش سازمان كنفرانس اسلامي در گسترش وهابيت «دور منظمة المؤتمر الإسلامي في نشر

الوهابية»، مجلة سراج منير، العدد ٢.

٢. راجع: سلفيه بدعت يا مذهب (السلفية بدعة أم مذهب؟)، ص ٢٤٧.

العبد يكسبها. من هذا المنطلق؛ فإنَّ النبيَّ الذي لا يستطيع حتى خلق أفعاله الاختيارية، لا يستطيع قطعاً أن يحيي ميتاً أو أن يشفي مريضاً. و من هذا المنطلق؛ فإنَّ جميع مدارس أهل السنة يرون أنَّ الآيات التي تنسب الخلق و الشفاء إلى أولياء الله، هي تعبيرات مجازية لا حقيقية و أنَّ آية خلق كل شيء هي الحاكمة على سائر آيات القرآن. لذلك فإنَّ الاستغاثة بأرواح الأموات تعتبر عند أهل السنة الذين يؤمنون بنظرية الخلق و الكسب، أمراً تفوح منه رائحة الشرك، إلا المتصوفين الذين يؤمنون بالولاية التكوينية لأولياء الله^١.

إنَّ التوجُّه القائل برفض جميع أنواع التوسُّل بغير الله، أمر جذاب لا للكثير من متحرري و مثقفي أهل السنة فحسب، بل للمثقفين الشيعة أيضاً، و نحن نرى هذه المقاربة عند أشخاص مثل محمد عبده الذي لم يجزَّ هذا التوسُّل و التضرع؛ لا من باب اعتباره من مصاديق الشرك، بل بسبب اعتباره نوعاً من الخرافات، و يتفق في هذا مع الوهابية و السلفيين. كما أنَّ التفكير المنطقي المستمدَّ من الغرب يشدُّ ساعد الوهابية و السلفية في رفض هذه الأفكار، لا من باب الشرك بل من باب الخرافات. و قد يرفض المتحررون فكراً و المثقفون مبدأ هدم القبور، و لكنهم يرفضون أيضاً هذا النوع من توسُّل عوام الناس بقبور أولياء الله. و بناءً على هذا الاعتقاد التاريخي القائل بخلق أفعال العباد و أيضاً أفكار تيار التحرر أصبح الطريق ممهداً للسلفية و سهلت تقبل أفكارها بين المسلمين؛ إلا من كان متصوفاً، حيث تمنعه أبحاث الإنسان الكامل و الولاية التكوينية من قبول الأفكار السلفية. من هذا المنطلق، فإنَّ عقلية أهل السنة تحمل طاقة كامنة كبيرة تساعد على تقبُّل الفكر السلفي، و لكن بشرط أن يكون بنهج ناعم و تدريجي و رافض للتكفير.

والسبب الآخر لانتشار السلفية و شيوعها و جود الفكر الأموي بين السلفيين، و هو ما ألقى بظلاله على علوم أهل السنة من تاريخ، و رجال، و حديث، و فكر و كلام. و لو فارق تيار التصوف أهل السنة، فمن المؤكد أنَّ المناهج العثمانية هي التي ستسود بين أهل السنة. إنَّ التصرفات الخاطئة التي يقوم بها بعض معارضي التقريب من الشيعة مثل آية الله الشيرازي و المرتبطين بهذا التيار الفكري، من حيث توجيه الإهانات لمقدسات أهل السنة و رموزهم، قد كان لها أثر شديد في توسُّع و انتشار الفكر العثماني الأموي بين أهل السنة. كما إنَّ انتشار الفكر الأموي أدَّى إلى انتشار الفكر الناصبي في العالم الإسلامي، فنحن نرى علامات الناصبية في العالم. كما أنَّ الصراع الشيعي السني يمكن أن يؤثِّر بقوة في انتشار السلفية بين أهل السنة.

كما أنَّ الأمر الآخر الذي ساعد في انتشار السلفية هو تسلُّم الشيعة مقاليد الحكم في إيران و من ثم في البلدان الأخرى. فالخلافة الإسلامية من وجهة نظر السنة قد نالت قسطاً من الأهمية أكثر بكثير منه لدى الشيعة. فقد كان لأهل السنة إمبراطورية و خلافة على مدى التاريخ. و اليوم يرى السني أنَّ الشيعيَّ صاحب البدع قد

١. راجع: مهدي فرمانيان، درسنامه فرق و مذاهب كلامي اهل سنت، درس اشاعره و ماتريديه، نظريه كسب و نقدهاى وارده به محتواى آن (درس الفرق و المذاهب الكلامية لأهل السنة. درس الأشاعرة و الماتريديه، نظرية الكسب و الانتقادات الموجهة إليها).

استلم مقاليد الحكم، في حين أن أهل السنّة الذين هم أهل الحق لم يستطيعوا تسلّم مقاليد الحكم. فالمشكلة بالنسبة للسنّة هي فكرة أن الله سبحانه و تعالى قد توقّف عن مناصرتهم و سلّم السلطة للشيعية الكفرة أهل البدع. فبحسب نظر أهل السنّة؛ يكمن السبب الرئيس في تحلّي الله تعالى عن أهل السنّة و عدم مناصرتهم إياهم، هو ابتعادهم عن الإيمان و العمل بسيرة السلف الصالح. لذلك فإنّ طريق الحلّ الوحيد المطروح أمامهم هو العودة إلى منهج السلف الصالح و الذي لم يذكره سوى السلفيّة و الذين هم بدورهم متأثرون بشدّة بأفكار ابن تيميّة، فقد وقع الإيمان بطريق الحلّ هذا في أفئدة الكثير من الشباب.^١

عبارة أخرى، لقد تهيّأت جميع العوامل السياسيّة، الاجتماعيّة، التاريخيّة و الثقافيّة لتشارك في نشر الفكر السلفيّ في العالم الإسلاميّ، و من المحتمل جدّاً أن يزداد انتشار السلفيّة يوماً بعد يوم، إلا إذا ظهر تيار معتدل من صميم أهل السنّة و استلم زمام الأمور، فينقشع جو التكفير عن سماء العالم الإسلاميّ.

أسباب اشتداد شوكة التيارات التكفيرية في العقد الأخير

يعتبر وجود القوات الأمريكيّة في المنطقة خلال العقد الأخير من أهمّ أسباب اشتداد شوكة التيارات التكفيرية بلا أي شكّ أو تردّد. فوفقاً لأفكار سيد قطب، إنّ جميع مشاكلنا نابعة من جاهليّة القرن العشرين، و إنّ جاهليّة القرن العشرين ليست سوى الثقافة الغربيّة و الديمقراطيّة و محورية البشر.^٢ و الآن و على طول عقد كامل قد جاءت أمريكا إلى المنطقة بكلّ ثقلها - حتى أنّها جلبت قواتها العسكريّة - من أجل أن تزرع هذه الثقافة في المنطقة. في وضع كهذا؛ ما هو واجب المسلم المتديّن الغيور؟ أليس هو خوض الحرب و الجهاد ضدّهم و ضدّ ما كان السبب في ذلك و من يقدّم لهم المساعدة في المنطقة.

يعتبر تنظيم القاعدة أن آل سعود حالهم كحال باقي حُكّام العالم الإسلاميّ كافرون، و لا يفرقون بين آل سعود و غيرهم من الحُكّام^٣؛ أمّا الحكومة الشيعية في العراق فقد تسلّمت مقاليد الحكم بمساعدة أمريكية معلنة، و يجب أن تتمّ معارضتها. ثانياً إنّ مقاليد الحكومة العراقيّة لطالما كانت في يد أهل السنّة و اليوم فتحت أمريكا بغداد بالتعاون مع الشيعة الكفّار المشركين مرة أخرى؛ كما حصل عندما هجم المغول على بغداد مصطحبين معهم الخواجة نصير الدين الطوسي الشيعي، و على كل مسلم أن لا يسمح بأن تحقّق هذه المعاهدة بين الشيعة و أمريكا أهدافها، لذلك على جميع المسلمين أن يقفوا بوجه هذه المعاهدة - وإن كانت بالعمليات الانتحاريّة - و ألا يسمحوا بتكرار التاريخ مرة أخرى.

١. راجع: سالم اليهنساوي، نقد و بررسى انديشه تكفير (نقد و دراسة عقيدة التكفير)، ترجمه إلى الفارسية: سالم افسرى، ص ١٦٥ - ١٩٨.

٢. راجع: معالم في الطريق، ص ١٤٣.

٣. راجع: كتاب السلفيّة الجامية؛ و الذي يقوم بنقد أفكار السلفية الجهادية حول آل سعود. كذلك رسالة أبي و ليد المصري الى الباحث الأسترالي حول القاعدة و جوابه فيما يتعلّق بحكام السعودية و إيران في الإنترنت.

فالتواجد الأمريكيّ في أفغانستان قد أدّى إلى أن يحسّ الكثير من شباب جماعة التبليغ و الذين كانوا منشغليين بالدعوة للمذهب الديوندي فقط و لم يكونوا ممّن يهتمّ بالسياسة، بأنّ الدعوة لم تعد تستطيع أن تنفذ العالم الإسلاميّ من خطر السقوط، فانجذبوا إلى الجماعات التكفيرية مرجّحين بذلك كفة هذه التيارات.

كما أن سقوط حكومة مُرسي في مصر قد أدّى بما مثله من انتكاسة إلى أن تصبح الجماعات الجهادية أكثر إصراراً و عزمًا، و أن تعتقد بأن السبيل الوحيد لإحقاق حقّها هو الجهاد و القتال المسلّح. فمن المؤكّد أن سقوط مُرسي سيساعد في نشر أفكار السلفية الجهادية و المجموعات التكفيرية. خصوصاً إذا ما وقعت هذه الأحداث في بلدان أخرى مثل تونس و ليبيا و تسلّم العلمانيون زمام الأمور؛ فإن هذا سيساعد لا محالة في تعزيز قوّة التيارات السلفية و اشتداد شوكتها.

كما تمثّل القضية السورية إحدى الأمور التي ساعدت على نشر الفكر التكفيري. فإن فتاوى الجهاد التي أصدرها أشخاص من أمثال الدكتور يوسف القرضاوي و الذي يعدّ بمثابة الزعيم الروحي للإخوان المسلمين و يعرف باسم فقيه الإخوان، قد دفعت بالكثير من الشباب المتطرفين من الإخوان المسلمين و من غير الإخوان المسلمين إلى أن يشدوا الرحال إلى سوريا و أن ينضمّوا إلى المجموعات التكفيرية في سوريا، و بعد الخلاف الذي وقع بين داعش و جبهة النصرة، فإنّ مجموعة من هؤلاء الشباب تقاتل اليوم إلى جانب داعش ضد الحكومة العراقية، و لا يعلمون بأنهم قد دخلوا في أتون حرب طائفية و هم من خلالها يخدمون المصالح الأمريكية. و على هذا يمكن القول بضرر قاطع أنّ السبب الرئيس وراء ظهور التيارات التكفيرية في العقد الأخير هو التواجد الأمريكيّ في المنطقة، فكلمّا أصبح هذا التواجد أكثر وضوحاً و كلمّا أزيحت حكومات الإسلاميين عن طريق ثورات عسكرية؛ كما كان في مصر و الجزائر حيث تمّ بمساعدات أمريكية؛ فإن عدد التكفيريين في العالم سوف يزداد.

خلاصة البحث

من مجموعة الموضوعات التي تم استعراضها، نستنتج أنّ دخول الثقافة الغربية إلى البلدان الإسلامية و انهيار الإمبراطورية العثمانية، قد أدّى إلى ظهور تيارات مختلفة من أجل تجديد أو إحياء الفكر السياسي لأهل السنة في العالم الإسلاميّ، و أنّ التيار السلفيّ في مصر هو أحد هذه التيارات. إنّ الفكر السلفيّ الإصلاحية في مصر قد اقترب جداً من الفكر السلفيّ الوهابي و ذلك من خلال الأموال و المساعدات السعودية و السياسات الأمريكية المضادة للاشتراكية، و لكن نتج من التيار السلفيّ الإصلاحية كلّ من الإخوان المسلمين و التيار السلفيّ الجهادي، و الذي اعتبر أنّ المسلمين جميعاً كافرون، و ذلك بسبب قبولهم لجاهلية القرن العشرين أو صمتهم إزاءها. و بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ و الغزو الأمريكيّ لأفغانستان و العراق؛ استطاع هذا التيار أن يحصل على قاعدة شعبية أوسع، و التحق بهذا التيار الفكري الكثير من الشباب من سائر أنحاء العالم و أرجاءه، فالتحقوا بتنظيم القاعدة و من ثم انضموا إلى داعش، كما أنّ التواجد الأمريكيّ و اسقاط حكومات الإسلاميين في الجزائر و مصر هي من أهمّ أسباب انتشار الفكر التكفيري في العقد الأخير. كذلك أدّى التواجد الأمريكيّ في العراق إلى أن

تستغل بعض الدول الخليجية التكفيريين من أجل أن يقودوا الوسط نحو حرب شيعية سنية، وأن يدفعوا داعش نحو الدخول في حرب ضد الشيعة، وهذا أمر يتطلب درجة من الذكاء والانتباه من المسؤولين في التعامل مع هذه القضية و ما يتعلق بها لكيلا يدخلوا في أتون حرب طائفية.

المصادر

١. رمضان البوطي، محمد سعيد: سلفيه بدعت يا مذهب (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) نقد لأسس الوهابية، مع مقدمة من كتابة الأستاذ و اعظ زادة خراساني، ترجمه إلى الفارسية: الدكتور حسين صابري، مركز أبحاث العتبة الرضوية المقدسة، الطبعة الرابعة، مشهد، عام ٢٠١٠/
٢. البهنساوي، سالم: الحكم و قضية تكفير المسلم (الترجمة الفارسية: نقد و بررسى انديشه تكفير) ترجمة سالم افسري، دار نشر احسان، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩/
٣. مصطفى مصطفى، حمزة، مقال «جبهة النصرة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام»، مجلة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسات، العدد ٥، نوفمبر ٢٠١٣/
٤. حسن اسكندري، مقال «نقش سازمان كنفرانس اسلامي در گسترش وهابيت» (دور منظمة المؤتمر الإسلامي في نشر الوهابية)، مجلة سراج منير، العدد ٢، العام الأول، مؤسسة دار الاعلام لمدرسة اهل البيت، ٢٠١٠/
٥. مسجد جامعي، محمد: زمينه های سياسی حکومت اسلامی در تشيع و تسنن (البنية السياسية للحكومة الإسلامية في التشيع و التسنن)، دار نشر جامعة أديان و مذاهب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨/
٦. عمارة، محمد: الفريضة الغائبة عرض و نقد، دار نشر الدار البيضاء، القاهرة، ١٤٣٣ للهجرة.
٧. دكمجيان، هراير، جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب، بررسى پديده بنيادگرایی اسلامی (الحركات الإسلامية المعاصرة في العالم العربي، دراسة ظاهرة التنظيمات الإسلامية)، ترجمه إلى الفارسية: الدكتور حميد أحمدي، دار النشر كيهان، طهران، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٩/
٨. ابو وليد المصري، حامد مصطفى: غوغائي بر بام جهان (ثرثرة فوق سقف العالم) ترجمه إلى الفارسية: مرتضوي.
٩. مجده، وحيد: العرب الأفغان، سلسلة مقالاتها في وكالة أنباء آواي أفغانستان.
١٠. الطويل، كميل: القاعدة و أخواتها، ترجمه إلى الفارسية: محمد علي يوشي و محمد رضا بلوردي، مؤسسة انديشه سازان نور، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠١٢/
١١. الزهاوي، جميل صدقي، الفجر الصادق في الرد على الفرقة الوهابية المارقة، طبع بغداد، ٢٠٠٤ م.

١٢. رضواني، علي أصغر: لتعرّف على الوهابيين أكثر، دليل ما، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨/
١٣. فرمانيان، مهدي: مقاله «شبه قاره هند، ديوبنديه و رابطله آن با وهابيت» (شبه القارة الهندية، الديوبندية و علاقتهم بالوهابية)، مجلة طلوع، العدد ١٣، ٢٠٠٢ م.
١٤. علي زادة موسوي، سيد مهدي: مكتب ديوبند و جنبش جماعه التبليغ (مدرسة ديوبند و حركة جماعة التبليغ)، مكتب الدعاية الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١٣/
١٥. رفيعي، محمد طاهر: نقد و بررسی انديشه های كلامی ديوبنديه (نقد و دراسة الفكر الكلامي الديوبندي)، رسالة تخرج من مرحلة الماجستير، مؤسسة الإمام الخميني، ٢٠١١/
١٦. علي رضا ميرزائي، مقال سپاه صحابه نماينده افراط گرائی ديوبنديه (جيش الصحابة ممثل التطرف الديوبندي)، مجلة سراج منير، العدد ١١/
١٧. جمالي، جواد: التطرف في باكستان المبادئ العملية و الرؤية، مؤسسة انديشه سازان نور، طهران، الطبعة الأولى ٢٠١١/
١٨. فرمانيان، مهدي: آشنائی با فرق تسنن (التعرّف على فرق أهل السنة)، مركز إدارة الحوزة العلمية في قم، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩/
١٩. فرمانيان، مهدي: مقال «التوجهات الفكرية السلفية في العالم المعاصر»، مجلة مشكات، العدد ١٠٤، عام ٢٠٠٩/
٢٠. عبد السلام فرج، محمد: الفريضة الغائبة، بدون تاريخ نشر، بدون ناشر، مصر.
٢١. أبو اللوز، عبد الحكيم: الحركات السلفية في المغرب، مغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩/
٢٢. توانا، حسين: مقال «اجتهاد و تقليد از نگاه ابن تيميه» (الاجتهاد و التقليد حسب رؤية ابن تيمية)، مؤسسة دار الإعلام لمدرسة أهل البيت (عليه السلام).
٢٣. فرمانيان، درسنامه فرق و مذاهب كلامی اهل سنت (درس الفرق و المذاهب الكلامية لأهل السنة)، مؤسسة التعليمية و البحثية للمذاهب الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١١/
٢٤. الله بداشتي، علي: بررسی و نقد آرای سلفيه درباره توحيد از دیدگاه قرآن، سنت و برهان (دراسة آراء السلفية حول التوحيد و نقدها من ناحية القرآن، السنة و البرهان)، دار نشر تحسين، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١٣/.

ذرائع جيش الصحابة حول تكفير وإباحة دماء الشيعة، نقد وتحليل

تأليف: على ملّا موسى الميبدى^١

ترجمة: محمد حسين حكمت

نبذة

من الجماعات التكفيرية التي تأسست في باكستان هي حركة جيش الصحابة. وهذه الحركة تأسست للحد من نفوذ الجمهورية الإسلامية في إيران والوقوف بوجه تنامي قوة الشيعة في تلك البلاد. و يعمل قادة هذه الحركة على الترويج لتكفير الشيعة من خلال الكتب والمجلات التي يصدرونها والخطابات التي يلقونها في تجمعات أنصارهم. وهكذا أشعلوا نار الحرب الطائفية بين الشيعة والسنة.

والذريعة الأساسية التي يتعكز عليها جيش الصحابة لتبرير تكفيره للشيعة وإباحة دمائهم هي اتهامهم بتكفير الصحابة، ونسبة القول إليهم بتحريف القرآن، ومساءلة الخاتمية.

فهم يزعمون أنهم إنما يعتبرون الشيعة كفاراً لأنهم يقولون بكفر الصحابة، وبأن القرآن قد تم تحريفه، وأنهم يغالون في أمتهم بشكل يلزم معه عدم ختم النبوة؛ ولما كان علماء الإسلام قد تسالموا على كفر القائل بمثل هذه المعتقدات، إذن فالشيعة كفار بسبب اعتقادهم بها.

لكن هذا يتناقض مع حقيقة عدم إمكانية وضع عقائد الشيعة تحت أي واحدٍ من العناوين المذكورة؛ حيث إن الشيعة الإمامية بريئة من هذه المعتقدات. ثم إن أي واحدٍ من هذه الأمور التي تشكل نقاط الخلاف بين جيش الصحابة والشيعة ليست من ضروريات الدين التي يوجب إنكارها تكفير المنكر.

الكلمات المفتاحية: جيش الصحابة، تكفير الشيعة، تكفير الصحابة، الخاتمية، تحريف القرآن.

١. خريج مؤسسة دار الاعلام لمدرسة اهل البيت (عليه السلام)

المقدمة

من المشكلات التي ابتلى بها العالم الإسلامي في القرنين الأخيرين، و التي كانت سبباً في سفك دماء الكثير من المسلمين الأبرياء، هي مسألة التكفير بين المذاهب المختلفة. و هذه المسألة تطرح نفسها في شبه القارة الهندية - و في دولة باكستان خصوصاً - بصورة أكثر وضوحاً.

لقد عاش الشيعة و السنة جنباً إلى جنب في الهند لسنوات طويلة رغم ما بينهم من الاختلافات المذهبية، دون أن نشهد تكفير بعضهم للبعض الآخر، و قد خاضوا المعارك المشتركة ضد الاستعمار يساند بعضهم بعضاً، و كان لكل من الطائفتين دورها المتميز و الأساسي في تحقيق استقلال باكستان في العام ١٩٤٧ م.

أما بعد استقلال البلد و تشكيل الدولة الإسلامية، و وقوف المذاهب الإسلامية في مواضع متجاورة، فقد برزت الحاجة أكثر إلحاحاً إلى ضرورة الوحدة و التقريب بين المذاهب، إلّا أنّ الوضع في باكستان آل إلى حالة تجرأ فيها الديوبنديون و البريلويون على التكفير، و لم يسلم الشيعة الباكستانيون من هذه الحرب الطائفية حيث تمّ تكفيرهم من قبل مجموعة من الأشرار باسم (جيش الصحابة).

و يقوم هؤلاء بتأليف الكتب و إصدار المجلّات الشهرية في كافة أنحاء البلاد، إضافة إلى أخذ الاستفتاءات من علماء باكستان، حتّى تمكّنوا من إشعال نار الحرب الطائفية بين الشيعة و السنة، تلك الحرب التي لم تخمد نيرانها حتّى اليوم. و قد حصدت هذه الحرب حتّى الآن أرواح الآلاف من الشيعة منذ تشكيل هذا الجيش حتّى اليوم.

و تبريراً لأعماله الإجرامية يورد جيش الصحابة ما يراه من أدلة و وثائق، في حين يرى الشيعة براءتهم منها. و هذه الرسالة تتكلّم بمناقشة و نقد الأدلة التي يذكرها هذا الجيش تبريراً لموقفه التكفيري ضد الشيعة.

جيش الصحابة

كان لانتصار الثورة الإسلامية و تأسيس الحكومة الإسلامية وفقاً لمبادئ المذهب الشيعي في إيران دور كبير في إيقاظ مسلمي العالم، و خصوصاً الشعب الباكستاني.

فشيعة باكستان الذين لم نكن نسمع شيئاً يذكر عن نشاطاتهم السياسية قبل الثورة الإيرانية، بدأوا بعد الثورة بدخول المعتزك السياسي شيئاً فشيئاً، حيث يمكن الإشارة إلى تأسيس (النهضة الجعفرية) باعتبارها أهم الخطوات التي خطوها في هذا المجال.

و لم تكد تمضي خمسة سنوات على انتصار الثورة الإيرانية حتّى بادر المتطرفون من أتباع المسلك الديوبندي في باكستان بزعامة (حق نواز جهنگوي) إلى تأسيس حركة (جيش الصحابة) في ٢٠ من ذي الحجة ١٤٠٥ هـ الموافق للربيع من أيلول سنة ١٩٨٥ م، مدفوعين بأحلامهم التي ترنو لتأسيس حكومة تشابه نظام الخلفاء الراشدين.

و قد تأسست هذه الحركة باسم الدفاع عن مقام الصحابة، لكنّ الهدف الحقيقي لها كان هو الوقوف بوجه تشييع أهل السنّة في باكستان و عدم تأثرهم بالثورة الإسلاميّة في إيران، فعملت على تشويش الرأي العام ضدّ الشيعة و معتقداتهم، و قدّمت العقيدة الشيعيّة بشكلٍ يظهر معه الشيعة و كأ أنّهم كفّار، كما وجّهوا نقدهم الشديد إلى حزب (الجماعة الإسلاميّة) بسبب دفاعه عن الثورة الإيرانيّة؛ كلّ ذلك كي يحولوا دون تأثرهم بالثورة الإيرانيّة ممّا يمهد الأرضيّة لقيام نظامٍ شيعيٍّ في باكستان.

و قد وجد جيش الصحابة أنّ أفضل السبل أمامه للوقوف بوجه تأثير الثورة الإيرانيّة في باكستان هو ادّعاء كفر الشيعة بأدلّة واهية كي يخلقوا جواً عدائياً ضدّ الشيعة و معتقداتهم و نظامهم الحكوميّ.

جيش الصحابة و تكفير الشيعة

يعتقد ضياء الرحمن الفاروقي أحد زعماء جيش الصحابة أنّ الشيعة طوال أربعة عشر قرناً كانوا يعلنون أنفسهم مسلمين من مبدأ التقيّة، في حين أنّ عقائدهم تناقض العقائد الإسلاميّة.

فالشيعة - حسب زعمه - يحرفون كلمة (لا إله إلاّ الله) الطيّبة، و يقولون بتحريف القرآن، و يعتقدون كفر الصحابة.

كما أنّ جميع علماء الإسلام - سواء منهم البريلويّون، أو الديوبنديّون، أو من أهل الحديث - يقولون بعدم انتساب عقائد الشيعة إلى الإسلام.

و قد صار الشيعة بعد الثورة الإسلاميّة في إيران حملةً رايات الإسلام، مدّعين سعيهم لتشكيل الأمّة الإسلاميّة، بينما واقع الحال أنّهم ليسوا كذلك.^١

لقد أخفى الشيعة لسنوات طويلة هويّتهم الحقيقيّة عن الجميع، حتّى تأسس جيش الصحابة في عقد التسعينيات الميلادي و ظهر بذلك كفر الشيعة واضحاً أمام الجميع.^٢

إنّ الفاروقي في كتابه تاريخيّ دستاويز و أعظم طارق - القائد الآخر من قادة جيش الصحابة - في كتابه فيصله أب كرين و بقيّة كتبه يقدّمان مطالبهما في تلك الكتب بصورة يسوقان فيها الحديث نحو نتيجة توحى للقرارئ بكفر الشيعة، فمنّ ينظر في كتاب تاريخيّ دستاويز للفاروقي يلاحظ أوّل ما يلاحظ في غلافه هذا السؤال: (هل الشيعة مسلمون أم كفّار؟)، بينما يتكرّر السؤال في غلاف كتاب فيصله أب كرين بالشكل التالي: (هل الشيعي مسلم أم كافر؟ الحكم لك).

١. راجع: رب نواز طاھر، نقوش جهنگوی، ص ٢٤.

٢. الفاروقي، ضياء الرحمن، تاريخي دستاويز، ص ١٣.

٣. المصدر نفسه، ص ١٤.

و قد غفل هؤلاء المزورون أن عملهم هذا يتناقض مع روح الإسلام و التعاليم الإسلامية؛ إذ هذا القرآن الكريم، و فيه خاطب الله تبارك و تعالى الصحابة قائلاً لهم: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۗ ﴾، بمعنى أن مجرد إعلان الشخص إسلامه و قوله للشهادتين فهذا كافٍ لكم أن تعتبروه مسلماً و تحفظوا نفسه و ماله، حتى لو كان ذلك الإعلان في ساحة الحرب و الجهاد.

كما ورد في الروايات الصحيحة الواردة عن الرسول الأكرم نفسه أنه كان يمنع الصحابة من تكفير بعضهم، فقد نقلت إحدى الروايات المتفق عليها عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال:

«إذا قال الرجل لآخيه: يا كافر؛ فقد باء به أحدهما»^١.

و نقل البخاري عن الرسول الأكرم ﷺ قوله:

«من رمى مؤمناً بكفرٍ فهو كقتله»^٢.

كما نقل أبو داود عن الرسول الأكرم ﷺ:

«ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفَّ عمن قال لا إله إلا الله، و لا نكفره بذنوبه...»^٣.

و في روايةٍ صحيحةٍ أخرى أوردها البخاري عن الرسول الأكرم ﷺ يقول:

«من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم»^٤.

و من هذا يمكن ملاحظة أن الرسول الأكرم ﷺ قد حذر الصحابة و من يأتي بعدهم من المسلمين في روايات صحيحة و معتبرة من تكفير بعضهم، و دعاهم أن يكتفوا بمجرد إقرار الشهادتين و استقبال القبلة لاعتبار الشخص في زمرة المسلمين. و قد أتبع علماء المسلمين كلام الله و عملوا بوصايا الرسول الأكرم ﷺ فمنعوا المسلمين من تكفير بعضهم للبعض الآخر.

و في هذا الصدد يقول النووي: اتفق جمهور الفقهاء - الشافعي و غيره - على عدم تكفير أحدٍ من أهل القبلة^١. و قد كرر النووي نفس هذا الكلام في شرحه على صحيح مسلم و أضاف عليه قوله: لا يجوز تكفير أحدٍ من أهل الأهواء و البدع، و أن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم برّدته و كفره^٢.

١. سورة النساء، ٤، الآية ٩٤.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٦؛ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٩.

٣. المصدر نفسه.

٤. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث م ٢٧٥؛ سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٨.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٧.

أما القاضي عضد الدين الإيجي فيرى اتفاق عامة المتكلمين و الفقهاء على عدم تكفير أهل القبلة، ثم يضيف: إن رسول الإسلام العظيم لم يفتش قطاً عن عقيدة أحد بعد الحكم بإسلامه، و كذلك كانت سيره الصحابة و التابعين على هذا المنوال، فالخطأ والاشتباه في عقيدة أحد المسلمين لا يضران بحقيقة إسلامه^٢.

و لم يكفر أبو حنيفة - أحد الأئمة الأربعة لدى أهل السنة - أيضاً أي مسلم بسبب ذنب ارتكبه حتى و لو كان من الذنوب الكبيرة^٣. كما أنه - مثل الشافعي - لم يكفر أهل البدع إذا كانوا يستقبلون قبلة المسلمين عند صلاتهم^٤.

و ذكر سعد الدين التفتازاني أن من قواعد أهل السنة و الجماعة عدم تكفير أهل القبلة^٥، و هو يعتقد أن مخالف مذهب الحق من أهل القبلة لا يعدّ كافراً، إلا إذا أنكر ضرورياً من ضروريات الدين كحدوث العالم و الحشر يوم القيامة و حشر الأبدان ... و استدلل على قوله بسيرة الرسول و الصحابة و التابعين قائلاً: فالرسول و الصحابة لم يكونوا يفتشون عن عقائد الناس، و كانوا يقبلون منهم ما كان في ظاهره حقاً^٦.

أما المملأ علي القاري فيرى أن المراد من أهل القبلة هم أولئك الذين يعتقدون بضروريات الدين كحدوث العالم و حشر الأجساد و علم الله بالكليات و الجزئيات^٧.

و يرى المحقق الدواني أن أهل القبلة هم أولئك الذين ينطقون بالشهادتين إذا كان اعتقادهم بالإسلام قليلاً^٨. و يعلل فخر الدين الرازي عدم تكفير أهل القبلة بعدم اعتقادهم بأمر يؤدي إلى إنكار رسالة النبي الأكرم ﷺ^٩.

١. النووي، يحيى بن شرف م ٦٧٦، روضة الطالبين و عمدة المفتين، ج ١١، ص ٢٣٩.

٢. نفسه، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١، ص ١٥٠.

٣. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد م ٧٥٦. المواقف، ج ٣، ص ٢٥٧.

٤. أبو حنيفة، النعمان بن ثابت م ١٥٠، الفقه الأكبر، ص ٤٣.

٥. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم م ٩٧٠، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ١، ص ٣٧١.

٦. التفتازاني، مسعود بن عمر م ٧٩٣، شرح العقائد النسفية، ص ١٠٨.

٧. التفتازاني، مسعود بن عمر م ٧٩٣، شرح المقاصد في علم الكلام، ج ٥، ص ٢٢٧.

٨. المملأ علي القاري، شرح كتاب الفقه الأكبر، ص ٢٥٨.

٩. المحقق الدواني، شرح العقائد العضدية، ص ١٤٢.

١٠. الفخر الرازي، المحصل، ص ٥٧٢.

و يعبر أبو الحسن الأشعري عن عقيدته بقوله: «اختلف الناس بعد نبيهم ﷺ في أشياء كثيرة؛ ضلَّ فيها بعضهم بعضاً، و برئ بعضٌ من بعض، فصاروا فرقاً متباينين وأحزاباً متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم و يشتمل عليهم»^١.

و يصور محمد الغزالي أحد القادة الفكريين لجماعة الإخوان المسلمين وضع المسلمين بعد الرسول الأكرم ﷺ بصورة ينقسم فيها المسلمون إلى مجموعتين كبيرتين هما الشيعة و السنة، كلتاها كانتا تؤمنان بالله و رسالة رسوله الأكرم ﷺ، و لم يكن لإحدهما زيادة على ما عند الأخرى في الاعتقاد بالعناصر الأصلية للعقيدة مما فيه صلاح الدين^٢.

و الجدير بالذكر أن القول بعدم تكفير أهل القبلة ليس من مختصات أهل السنة، بل إن الشيعة أيضاً لا يقولون بكفر أحد من أهل القبلة، بل يقولون بحرمة مال و دم جميع أفراد الفرق الإسلامية و جواز نكاحهم و توارثهم، و قد صرح بذلك السيّد محسن الأمين من أعظم الشيعة^٣.

و هكذا صار مفهوماً من كلمات النصوص و الروايات و كلمات علماء المذاهب الإسلامية أنهم لم يكفروا أيّاً من الفرق الإسلامية و لم يخرجوها من زمرة الإسلام، بل كانوا بنحو من الأنحاء ساعين للاتحاد بين المسلمين و الوقوف بوجه التصرفات المتطرّفة و سفك دماء المسلمين.

و يقول خليل أحمد سهارنبوري أحد كبار رجال دار العلوم الديوبندية أن علماء دار العلوم و أعظمها و مشايخها كان دأبهم هو عدم تكفير المسلمين، و عدم اعتبارهم الرفض و الابتداع في الدين موجباً لكفر المسلم، إلا إذا أنكر ضرورياً من ضروريات الدين، و مع ذلك يجب الاحتياط في هذا الباب أيضاً بما لا يكون سبباً في التساهل في أمر التكفير^٤.

و يقول شيخ الإسلام حسين أحمد المدني - و هو شخصية أخرى من شخصيات ديوبند - بعد أن ينقل عبارات طويلة من كلمات بعض مشايخ ديوبند حول احتياطهم في مسألة تكفير المسلمين، مشيراً إلى شدة احتياط رشيد أحمد گنگوهي و أتباعه في مسألة تكفير المسلمين. ثم يقول إن مسلك علماء ديوبند في هذه المسألة يقوم على أن احتمال إيمان أحد الأشخاص مقابل كفره حتى لو بلغ حدود الواحد بالألف فيجب الحمل على إيمانه، لا أن نعتبر ذلك الشخص كافراً كما يفعل ابن عبد الوهاب و أتباعه^٥.

١. الأشعري، علي بن إسماعيل، م ٣٢٤، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، ص ٢.

٢. الغزالي، محمد، كيف نفهم الإسلام؟ ص ١٢٣.

٣. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٨٢.

٤. سهارنبوري، خليل أحمد م ١٣٤٦، المهند على المفند، ص ٥٨.

٥. المدني، حسين أحمد، الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب، ص ٤٤.

و يذكر محمد أنور شاه الكشميري - من شخصيات ديوبند أيضاً - أن مسألة تكفير المسلمين هي من الأمور الخطيرة التي لا يجوز التصدي لها من قبل أمثال محمد بن عبد الوهاب الذي يتسرع في أحكامه، فالوحيد الذي يمكنه إظهار نظره في هذا المجال هو العالم بوجوه الكفر و أسبابه^١.

لكننا نجد في مقابل ذلك أن جيش الصحابة يعتبر نفسه من أهل السنة و الجماعة و يملأ كتبه من أولها إلى آخرها كلاماً حول تكفير الشيعة، و كان الأجدر به أن يعود إلى كتاب الله و روايات الصحاح و الكتب الكلامية و الفقهية لأكابر أهل السنة، و يدقق النظر في مسلك أسلافه و أجدائه من علماء الأحناف و علماء دار العلوم الديوبندية، و يستذكر كيف أن عظامهم هؤلاء كانوا لا يتسرعون في تكفير المسلمين، بل لو وجدوا احتمالاً ضعيفاً يدل على إيمان الشخص حكموا بإسلامه، و لا يستسهلون إصدار الحكم بتكفيرهم؛ فالحكم بالتكفير - كما يقول الكشميري - لا تتوفر أهلية إصداره لكل من أراد ذلك.

أدلة جيش الصحابة على تكفير الشيعة

يذكر زعماء جيش الصحابة - و على رأسهم ضياء الرحمن الفاروقي و أعظم طارق - أنهم أدلتهم على كفر الشيعة ضمن ثلاث مسائل:

- ١ - إن الشيعة يعتقدون أن جميع الصحابة - إلا قليلاً جداً منهم - قد كفروا بعد الرسول الأكرم ﷺ.
- ٢ - إن الشيعة يصفون أئمتهم بصفات يلزم منها أن يكونوا أنبياء، و هذا يتناقض مع مسألة ختم النبوة.
- ٣ - إن الشيعة يقولون بتحريف القرآن.

و هذه الموارد يعتقد علماء الإسلام أن كل من اعتقد بها خرج من دائرة الإسلام و صار كافراً. و لتوضيح هذا المطلب نبدأ أولاً بتفصيل هذا الإجمال، ثم نتناول هذه الأدلة بالنقد.

١ - تكفير الشيعة بحجة تكفيرهم للصحابة

خصّ ضياء الرحمن الفاروقي الباب السادس من كتابه تاريخي دستاويز للإيحاء باعتقاد الشيعة بارتداد غالبية الصحابة بسبب إنكارهم ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، و ذلك عن طريق الحديث بالتفصيل عن هذا الموضوع و الاستشهاد ببعض الروايات مع مقارنتها ببعض كلمات علماء الشيعة^٢.

و قد أتبع أعظم طارق خطى الفاروقي فلجأ إلى اعتبار تنقيص و تكفير الصحابة من قبل الشيعة دليلاً على كفرهم^١.

١. الكشميري، محمد أنور شاه م ١٣٥٣، فيض الباري على صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٥٢.

٢. الفاروقي، تاريخي دستاويز، ص ٤٨٨.

هذا في الوقت الذي يقول الواقع أنّ اتهام الشيعة بتكفير الصحابة ما هو إلّا مجرد أكاذيب؛ إذ لو قام رجلٌ منصفٌ بالتحقيق عن موقف الشيعة من الصحابة لوجد أنّ رأي الشيعة هو أوسط الآراء؛ فهو لا يشبه موقف الغلاة الذين يكفرونهم جميعاً، و لا مثل الجمهور الذين يؤثّقون الجميع.

أمّا رأي الشيعة فهو أنّ صحبة النبيّ و إن كانت في حدّ ذاتها فضيلة، إلّا أنّ مجرد الصحبة ليست كافية، و الصحابة كغيرهم من الناس يوجد بينهم أفراد عادلون و أفراد ظالمون، و فيهم المنافق و فيهم مجهول الحال. و الشيعة يحتجّون بقول العدول منهم، بينما يرفضون قول الخارجين على الوصيّ و أخ الرسول و مرتكبي الكبائر، دون أن يعطوا لهذه الأحاديث وزناً.

و أمّا عن مجهول الحال فرائهم هو التوقّف إلى أن يتّضح أمره. و الواقع أنّ نقطة الخلاف بيننا و بين أهل السنّة هي حول مسألة هل أنّ جميع الصحابة عدول، أم بعضهم؟ حيث يرى أهل السنّة عدالتهم جميعاً، بينما يرى الشيعة عدالة بعضهم فقط. أمّا ما عدا ذلك من أنّ الشيعة يقولون بسبّ و لعن الصحابة، أو أنّ الشيعة يقولون بارتداد الصحابة بعد النبيّ الأكرم ﷺ، أو عدم حجّية جميع روايات الصحابة على إطلاقها؛ فما كلّ ذلك إلّا تهمة و افتراءات أمويّة ناصبيّة أطلقوها ضدّ الشيعة، و الشيعة منها براء.

إنّ الشيعة يأخذون معالم دينهم من ثقافة الصحابة، و لا يقولون شيئاً في حقّ صحابيٍّ لا يعرفونه، أمّا القسم الآخر الذي يقولون بفسقه و لا يعتقدون بعدالته فحكمهم فيه مأخوذ من الكتاب و السنّة.

و لهذا يؤكّد سيف الدين الأمدي في مسألة تكفير الروافض على مسألة أنّ الروافض لو استندوا إلى التأويل و الدليل من الكتاب و السنّة و قالوا بكفر بعض الصحابة، فلا يجوز لنا أن نكفّرهم بسبب عملهم هذا.

فإذا قيل في ردّ هذا الكلام إنّ القرآن و الأحاديث يحكمان بتزكية و صلاح جميع الأصحاب، و ردّ هذا الكلام بمثابة ردّ للقرآن و السنّة، و ردّهما يعني الكفر.

نقول في الجواب: إنّ التكفير بالأدلة المذكورة ليس تاماً؛ لأنّ مدح و ثناء القرآن لم يكن خاصاً بمجموعة من الصحابة أو أفرادٍ معيّنين كي يكون تكذيبهم تكديماً للقرآن و الرسول، لأنّ الذين يذمّون مجموعة من الصحابة و يضعفونهم إنّما يقولون: هذه الجماعة من الصحابة ليست مشمولةً بذلك الثناء و المدح العام. إذن، فقدح و تضعيف بعض الأفراد من الصحابة لا يعدّ تكديماً للقرآن. أمّا الروايات الواردة في تزكية بعض الصحابة فخبّر واحد، و من ينكرها لا يعدّ كافراً. أضف إلى ذلك أنّ الثناء على الصحابة و مدحهم مشروط بسلامتهم و حسن عواقبهم، و لم

١. أعظم طارق، فيصله آب كرين، ص ١٠.

٢. شرف الدين، عبد الحسين، أجوبة مسائل جار الله، ص ١٤.

٣. السبحاني، جعفر، بحوث في الملل و النحل، ج ٦، ص ٤٢٧.

٤. الأمدي، علي بن محمّد م ٤٣١، أفكار الأفكار في أصول الدين، ج ٥، ص ١٠٢.

يعمل بعض الصحابة بهذا الشرط بسبب ارتكابهم الأعمال القبيحة و ظلمهم أهل بيت الرسول ﷺ. و الدليل على هذه المسألة - أي مسألة عدم تكفير الشيعة - من منظار علماء أهل السنة، هو مسلكهم الذي سلطوه تجاه الخوارج.

فهذا العلامة الشامي بعد أن وصف الخوارج بأنهم أحلوا لأنفسهم دماء المسلمين و أموالهم و كفروا الصحابة، ذكر أن حكمهم لدى جمهور الفقهاء و أهل الحديث هو حكم البغاة؛ و هذا بمقتضى إجماع الفقهاء يعني عدم تكفير الخوارج.^٢

كما أن ابن تيمية الحراني ذكر أن بناء الصحابة و السلف هو عدم تكفير الخوارج القائلين بتكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و عثمان و أتباعهما، و بتحليل دماء المسلمين.^٣

و خلاصة الكلام أن الشيعة لم ينكروا صحة صحابة الرسول الأكرم ﷺ و لا يقولون بتكفير جميع صحابة الرسول الأكرم ﷺ. و كما علمت فإن موضع الاختلاف بين الشيعة و السنة ينحصر في دائرة عدالة الصحابة، حيث يقول أهل السنة بشمول هذه الدائرة لجميع الصحابة، في حين يرى الشيعة أن هذه العدالة خاصة بأولئك الذين يتوفر الدليل على عدالتهم من الكتاب و السنة بما يؤهلهم لأن يأخذ الشيعة معالم دينهم منهم.

إذن، فما يُنسب إلى الشيعة من أنهم يقولون بكفر جميع الصحابة، إن هو إلا تهمة على المذهب الشيعي، و الشيعة بريئون من مثل هذه العقائد.

٢ - ختم النبوة و تكفير الشيعة

من الاتهامات الأخرى التي يوجهها جيش الصحابة إلى الشيعة، و التي يتخذها ذريعة لإخراجهم من الدائرة الإسلامية، هي مسألة ختم النبوة.

فهؤلاء يرون أنه لما كانت خاتمية الرسول الأكرم ﷺ من ضروريات دين الإسلام المبين، فإذا لم يؤمن بها أحد ما، فهو كافر باتفاق جميع المسلمين، و خارج عن دائرة الإسلام.

و من ناحية أخرى يثبت الشيعة جميع الصفات الموجودة للأنبياء إلى أئمتهم الاثني عشر، و يعتقدون أن هؤلاء كالرسول الأكرم ﷺ معصومون و مفترضو الطاعة و و هذه العقيدة تؤول بالنتيجة إلى أن الشيعة صاروا يقولون بوجود اثنا عشر إماماً متشبهاً بالنبوة، و هذا بحد ذاته ينجر إلى إنكار ختم النبوة.^٤

١. المير سيّد شريف م ٨١٦، شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٤٣.

٢. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر م ١٢٥٢؛ رد المحتار على الدر المختار، ج ٤، ص ٢٤٢.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم م ٧٢٨، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج ٥، ص ٩٥.

٤. الفاروقي، ضياء الرحمن، خميني ازم اور اسلام، ص ٦١.

هذا في الوقت الذي يؤمن فيه الشيعة - كبقية المسلمين - بشمولية رسالة النبي الأكرم ﷺ، مثلما يؤمنون بخاتمية رسالته ﷺ.

و فسر الشيخ الطوسي - وهو من هو بين أعظم المذهب الشيعي - اعتقاد الشيعة بخاتمية الرسول الأكرم ﷺ بأنه يعني عدم مجيء أي نبي بعد رحلته حتى يوم القيامة^١.

و الشيعة ينظرون إلى مسألة الخاتمية باعتبارها من المسائل الضرورية في دين الإسلام المبين، و استدلوا عليها بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢ ﴾، و قوله عز من قائل: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٣ ﴾.

كما استدلوا عليها من الروايات الواردة في كتب الشيعة الروائية، كالحديث النبوي الذي خاطب أمير المؤمنين فيه بقوله:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^٤، و حديث أمير المؤمنين و الإمام الأول للشيعة، علي بن أبي طالب حينما حضر لتجهيز الرسول الأكرم ﷺ، فقال:

«بأبي أنت و أمي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة و الانبياء و أخبار السماء»^٥، و غيرها من الأحاديث الأخرى المتظافرة التي تصل إلى حد التواتر، و كلها تثبت اعتقاد الشيعة بالخاتمية.

و يتضح مدى تمسك الشيعة بهذه العقيدة من حكمهم بارتداد بعض الفرق الضالة - كالبايانية و البهائية - بسبب إنكارها خاتمية الرسول ﷺ و عالمية دعوته و رسالته؛ فهذا هو السبب الذي من أجله أصدر فقهاء الشيعة حكمهم بارتداد البايين و البهائيين و القاديانيين و أخرجوهم من زمرة المسلمين^٦.

أما لماذا يقول الشيعة بوجوب إطاعة أئمتهم و أنها كإطاعة نبي الإسلام العظيم ﷺ؟ فذلك لما تقتضي به النصوص الواردة بهذا المعنى، كما في حديث الثقلين الذي يقول النبي الأكرم ﷺ فيه:

١. الشيخ الطوسي م ٤٦٠، العقائد الجعفرية، ص ٢٤٨.

٢. سورة الأحزاب ٣٣، الآية ٤٠.

٣. سورة فصلت ٤١، الآيتان ٤١ و ٤٢.

٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨، ص ١٠٧.

٥. السيد الرضي، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢٨.

٦. السبحاني، جعفر، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، ج ٢، ص ٣٥٤.

«إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله و عترتي أهل بيتي»، و كما هو واضح فإنّ مضمون هذا الحديث هو أنّ التمسك بأحاديثهم و أتباع تعاليمهم هو امتثال لقول الرسول الأكرم ﷺ:

و كما في الحديث الآخر الذي شبه الرسول الأكرم ﷺ فيه أهل بيته الكرام بسفينة نوح، فقال:
«مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»^١.

و غيرها من الروايات الأخرى الدالة على حجّية أقوال أهل البيت عليهم السلام و أفعالهم، مضافاً إلى وصايا رسول الإسلام العظيم ﷺ الأخرى التي بين فيها حقّ عترته^٢.

أما مسألة عصمة الأئمة الاثني عشر لدى الشيعة الإمامية، فالسبب في وقوع جيش الصحابة في أوهام اعتقاد الشيعة نبوة الأئمة الاثنا عشر هو تصوّرهم الخاطيء أنّ (العصمة) تساوي مقام (النبوة)، غافلين أنّ علاقة العصمة بالنبوة هي علاقة الأعم؛ بمعنى إمكانية كون الشخص معصوماً - أي امتلاكه قوة تصون الشخص من الوقوع في الخطأ و المعصية - لكنّه مع ذلك ليس نبياً.

و هذه العقيدة ليست من اختراع الشيعة، بل دلّت عليها آيات القرآن الكريم و الروايات النبوية، فقد قال الله في قرآنه الكريم مبيّناً مكانة أهل بيت نبيه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^٣، و المراد من الرجس في الآية الكريمة هو الرجس المعنوي الذي من أبرز مظاهره هو (الفسق) الذي أذهب الله عن أهل البيت و صانهم منه حسب ما تفيده الآية.

كما أشار حديث الثقلين الذين ذكرناه سابقاً و المنقول في كتب الشيعة و السنة أنّ أهل بيت الرسول هم عدل القرآن، و معنى ذلك أنّه كما كان القرآن معصوماً من كلّ خطأ فكذلك أهل بيت النبوة معصومون من الخطأ، و لا يخالف أحدهما الآخر أو يتناقض معه.

أو ما ورد في رواية أخرى من أنّ الرسول الأكرم ﷺ قد قال عن عليّ عليه السلام:

-
١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٢، ص ٤١٥؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٣.
 ٢. النيسابوري، محمد بن عبد الله م ٤٠٥؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٣٧٣؛ الطبري، محمد بن جرير، المسترشد، ص ٣٦٠.
 ٣. السبحاني، جعفر، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، ج ٢، ص ٣٦٠.
 ٤. سورة الأحزاب ٣٣، الآية ٣٣.

«عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»^١، فالرجل الذي تفيد هذه الرواية دوران الحقّ وفق مداره، كيف يمكن أن يكون مخطئاً أو مذنباً؟

إنّ منهج الشيعة في ما يخصّ صفات أئمّتهم لا يقتصر على مسألة عصمة الأئمة و مرجعيّتهم العلميّة و وجوب طاعتهم، بل هم يثبتون كلّ الصفات الأخرى التي أثبتتها لهم القرآن و النصوص المعتبرة لدى الشيعة، أمّا ما عدا ذلك ممّا لم يتوفّر لهم دليل معتبر عليه، فلا يدّعه لأئمّتهم.

إنّ، فخلاصة الكلام هي أنّ نسبة القول بعدم خاتميّة النبوة إلى الشيعة الإماميّة من قبل جيش الصحابة هي تهمة لا أساس لها و لا سند، فالشيعة الإماميّة مثلهم مثل بقية المذاهب الإسلاميّة يؤكّدون على مسألة الخاتميّة. أمّا اعتقادهم باشتراك الأئمة عليهم السلام مع الرسول الأكرم ﷺ في بعض الصفات، فلا دليل فيه على قولهم بنبوة أئمّتهم، بل إنّ اعتقادهم بهذه الصفات هو من باب تبعيّتهم للكتاب و السنّة النبويّة، لا أكثر من ذلك.

٣ - تحريف القرآن و تكفير الشيعة

و من الذرائع الأخرى التي يتعكّز عليها زعماء جيش الصحابة لتكفير الشيعة هي أكذوبة قول الشيعة بتحريف القرآن. فقد خصّصّ الفاروقي الباب الثاني من كتابه تاريخي دستاويز لهذا الأمر، و ادّعى فيه أنّ تحريف القرآن من عقائد الشيعة الإماميّة. كما أبرز فيه عقيدته أنّ الشيعة لا يقولون فقط بتحريف القرآن بالمعنى، بل هم يعتقدون بتحريف ظاهر القرآن أيضاً؛ و الشيعي الذي يقول بتحريف القرآن لا يجوز له ادّعاء الإسلام؛ لأنّه كافر^٢.

و يقول الفاروقي إنّ مسألة الاعتقاد بتحريف القرآن من الأمور الثابتة في كتب الشيعة مثل أصول الكافي و احتجاج الطبرسي و تفسير القمّي، و تفسير العياشي، و تفسير الصافي، و رجال الكشيّ و فصل الخطاب^٣.

أمّا أعظم طارق فبعد تأييده كلام الفاروقي طلب من زعماء ديوبند أن يصدرُوا فتوى يكفّرون فيها مصنّفي هذه الكتب و أتباعهم، أي الشيعة^٤.

و يستند زعماء جيش الصحابة لتأكيد دعواهم على روايات موجودة في هذه الكتب - و خصوصاً كتاب الكافي المشهور - معتبرين و جود مثل هذه الروايات دليلاً يؤكّد ادّعاءهم قول الشيعة بتحريف القرآن.

هذا في الوقت الذي يرفض فيه أغلب علماء الشيعة - إن لم نقل جميعهم - حصول التحريف في آيات القرآن، و يعلنون براءة الشيعة الإماميّة من هذه العقيدة.

١. الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ م ٤٦٣، تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٤٧٠.

٢. الفاروقي، ضياء الرحمن، تاريخي دستاويز، ص ٢٢.

٣. المؤلّف نفسه، خميني ازم آور اسلام، ص ٥٦.

٤. أعظم طارق، محمّد، فيصله آب كرين، ص ٥؛ لمحة فكريّة، ص ٥١.

يقول الشيخ الصدوق أحد عظماء المذهب الإمامي: «اعتقدنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، و هو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك. و مبلغ سورة عند الناس مائة و أربع عشرة سورة ... و من نسب إلينا أنّا نقول إنه أكثر من ذلك، فهو كاذب»^١.

أمّا الشيخ الطوسي فيقول في هذا المجال:

«وأمّا الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق به أيضاً؛ لأنّ الزيادة فيه مجمعٌ على بطلانها، و النقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا، و هو الذي نصره المرتضى رحمه الله، و هو الظاهر من الروايات. غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة و العامّة بنقصان كثيرٍ من آي القرآن، و نقل شيءٍ منه من موضعٍ إلى موضع، طريقتها الأحاد التي لا توجب علماً و لا عملاً، و الأولى الإعراض عنها و ترك التشاغل بها ...»^٢.

أمّا الإمام الخميني فيؤكد عدم حصول التحريف في القرآن بقوله: «وما وردت فيه من الأخبار بين ضعيفٍ لا يستدلّ به، إلى مجموعٍ يلوح منها أمارات الجعل، إلى غريبٍ يقضى منه العجب، إلى صحيحٍ يدلّ على أنّ مضمونه تأويل الكتاب و تفسيره ...»^٣.

و استغرب رحمة الله الهندي من علماء الأحناف في شبه القارة الهندية اتّهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن، و ذكر أنّ جمهور الشيعة الإمامية يرون أنّ القرآن محفوظ من كلّ أشكال التغيير و التبديل، و أنّهم يرون أيضاً أنّ أحداً منهم إذا قال بحصول النقصان في القرآن فقلوه مردود لا يقبلون به^٤.

و قال محمد الغزالي:

سمعت من بعضهم في مجلس علم يقول إنّ لدى الشيعة قرآناً آخر فيه زيادة و نقيصة عن القرآن المعروف لدينا. فقلت لذلك البعض: أين يوجد هذا القرآن الذي تتحدّث عنه؟ لماذا لم يطلع أحدٌ من الإنس أو الجنّ على هذا الكتاب طوال هذه العصور المتمادية، إنّ هذا افتراء على الشيعة^٥.

و من جانب آخر إنّ مجرد وجود مثل هذه الروايات في كتب الشيعة لا يصلح دليلاً على اعتقادهم بالتحريف؛ لأنّ مثل هذا الإشكال يمكن إيرادها على أهل السنّة أيضاً، فكتبهم - حتّى الصحاح منها - مليئة بالروايات الدالّة على حصول التحريف.

١. الشيخ الصدوق، الاعتقادات، ص ٨٤.

٢. الشيخ الطوسي م ٤٦٠، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣.

٣. الخميني، روح الله م ١٤١٠، تهذيب الأصول، ج ٢، ص ١٦٥.

٤. العثماني، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي م ١٣٠٨، إظهار الحق، ص ٣٥٥.

٥. الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة و الشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، ص ٢١٩.

يقول الألوسي في روح المعاني بعد نقله الأخبار الدالة على التحريف: إن الروايات في هذا الباب كثيرة جداً. كما أن قول عدد قليل من أتباع أحد المذاهب لا يمكن اتخاذه دليلاً على اتفاق جميع أتباع ذلك المذهب على ذلك القول.

ينقل الفخر الرازي في تفسيره الكبير أن ابن مسعود كان يقول بأن سورة الفاتحة و المعوذتين ليست جزءاً من القرآن^٢.

و ينقل السيوطي بطريق صحيح عن ابن عباس أن «ابن مسعود كان يحكّ المعوذتين من المصحف و يقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه، إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما»^٣. و خلاصة الكلام أن أكثر علماء الشيعة و أهل السنة - بل جميعهم تقريباً - يقولون بعدم تحريف القرآن، و أن وجود روايات في كتب الشيعة و السنة - أو وجود بعض الأفراد من الشيعة و السنة يقولون بالتحريف - لا يمكن اتخاذه دليلاً على اعتقاد جميع أفراد ذلك المذهب بتلك الأقوال، و من ثم تكفيرهم.

خلاصة البحث

يتضح من خلال هذا البحث أن الاتهامات التي ينسبها جيش الصحابة إلى الشيعة، و التي يتذرع بها لتكفير الشيعة، لا يستند أي منها إلى أساس علمي، و المذهب الشيعي بريء منها؛ فالشيعة لم يقولوا أبداً بكفر الصحابة، و هم يؤمنون أن القرآن الموجود هو نفس القرآن الذي نزل على رسول الله، و قد وصل إلينا دون زيادة أو نقصان، كما أنهم يعتبرون الرسول الأكرم ﷺ آخر أنبياء الله و خاتم النبيين. أما الصفات التي يصفون بها أئمتهم المعصومين عليهم السلام فجميعها ثابتة لهم عن طريق آيات القرآن الكريم و الروايات الواردة عن النبي ﷺ في حقهم.

المصادر

١. الألوسي، محمود بن عبد الله (م ١٢٧٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢. الأمدي، علي بن محمد (م ٦٣١)، أبقار الأفكار في أصول الدين، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد المهدي، دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ.
٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (م ٧٢٨)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١. الألوسي، محمود بن عبد الله م ١٢٧٠، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ج ١، ص ٢٤.

٢. فخر الدين الرازي، محمد بن عمر م ٦٠٦، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٩٠.

٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر م ٩١١، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٨، ص ٦٨٣.

٤. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (م ١٢٥٢)، ردّ المحتار على الدرّ المختار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ
٥. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم (م ٩٧٠)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، دون تاريخ.
٦. أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (م ١٥٠)، الفقه الأكبر، مكتبة الفرقان، الإمارات العربيّة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ
٧. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (م ٢٧٥)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، دون تاريخ.
٨. الأشعري، عليّ بن إسماعيل (م ٣٢٤)، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تصحيح هيلموت ريتز، دار فرانز شتايز، فسادن، ألمانيا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ
٩. أعظم طارق، محمد، فيصله آپ كرين، حركة جيش الصحابة، كراتشي.
١٠. لمحة فكريّة، حركة جيش الصحابة، كراتشي.
١١. الأمين، محسن، (م ١٣٧١)، أعيان الشيعة، تحقيق و تخريج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، دون تاريخ.
١٢. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد (م ٧٥٦)، المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧ هـ
١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
١٤. التفتازاني، مسعود بن عمر (م ٧٩٣)، شرح العقائد النسفيّة، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ
١٥. شرح المقاصد في علم الكلام، نشر الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ
١٦. الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ (م ٤٦٣)، تاريخ بغداد، تحقيق الدكتور بشّار عوّد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
١٧. الخميني، روح الله (م ١٤١٠)، تهذيب الأصول، تقرير جعفر سبحاني، دار الفكر، قم، دون تاريخ.
١٨. رب نواز طاهر، نقوش جهنگوي، مكتبة الخلافة الراشدة، كراتشي، دون تاريخ.

١٩. السبحاني، جعفر، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، نشر الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ
٢٠. بحوث في الملل والنحل، مؤسّسة النشر الإسلامي و مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، دون تاريخ.
٢١. السهانيوري، خليل أحمد (م ١٣٤٦)، عقائد علماء أهل السنّة الديونديّة (المهند على المفند)، تحقيق السيّد طالب الرحمن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ
٢٢. السيّد الرضي، نهج البلاغة، تحقيق و شرح الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ
٢٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (م ٩١١)، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
٢٤. شرف الدين الموسوي، عبد الحسين (م ١٣٧٧)، أجوبة مسائل جار الله، مطبعة العرفان، صيدا، الطبعة الثانية، ١٣٧٣ هـ
٢٥. الشيخ الصدوق (م ٣٨٦)، الاعتقادات، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ
٢٦. الطبري، محمد بن جرير، المسترشد، تحقيق أحمد المحمودي، مؤسّسة الثقافة الإسلامية لكوشنانيور، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٧. الشيخ الطوسي (م ٤٦٠)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق و تصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ
٢٨. العقائد الجعفريّة، مكتب النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ
٢٩. الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة و الشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
٣٠. كيف نفهم الإسلام، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
٣١. الفاروقي، ضياء الرحمن، تاريخي دستاويز، نشر جيش الصحابة، جهنك، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
٣٢. خ ميني ازم أور إسلام، إشاعة المعارف، فيصل آباد، دون تاريخ.
٣٣. فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (م ٦٠٦)، المحصل، دار الرازي، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ
٣٤. مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ
٣٥. الكشميري، محمد أنور شاه (م ١٣٥٣)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ

٣٦. كيرانوي عثمانى، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي (م ١٣٠٨)، إظهار الحق، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. الكليني، محمد بن يعقوب (م ٣٣٩)، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.
٣٨. المحقق الدواني (م ٧٥٦)، شرح العقائد العزديّة، دون ناشر، دون محلّ، ١٤٢٣ هـ.
٣٩. المدني، حسين أحمد، الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب، المكتبة الإمداديّة، ديوبند، دون تاريخ.
٤٠. المملأ علي القاري (م ١٠١٤)، شرح كتاب الفقه الأكبر، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ.
٤١. المير سيّد شريف (م ٨١٦)، شرح المواقف، نشر الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٤٢. النووي، يحيى بن شرف (م ٦٧٦)، روضة الطالبين و عمدة المفتين، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.
٤٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.
٤٤. النيسابوري، محمد بن عبد الله (م ٤٠٥)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
٤٥. النيسابوري، مسلم بن الحجّاج (م ٢٦١)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

الفرق بين الحركات الثورية و الحركات التكفيرية و الإرهابية

أحمد مصطفى^١

علاء حسن مصطفى^٢

نبذة

شهدت السنوات الأخيرة تطورات و حركات كبيرة في العالم العربي و الإسلامي ردا على نير الحكام و الملوک و العروش و كانت هذه الحركات حركات ثورية أو صحوة إسلامية للمطالبة بحقوق الشعوب المعتصبة من حرية و عدالة إجتماعية و مساواة و هي مطالبات في مجملها تتفق و تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية سواء أكانت مدنية أو إسلامية و ذلك لمتنع فئة قليلة بغالبية خيرات و ثروات الدول مع تهميش الفئات الغالبة في المجتمعات لا نستثنى منهم أحد أو بسبب تغليب جماعة عرقية أو دينية و تمييزها دون الجماعات الأخرى و إستئثارها بكل السلطات و الثروات و القوة و هذه الحركات في حد ذاتها ما تقول عليه (حركات ثورية و صحوات إسلامية) - على الجانب الآخر ظهرت حركات أخرى من فئات تتسم بالمحدودية قامت بالأساس لمصالح دول معينة و لهدف سياسي معين أو بسبب الإحباط و التهميش السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي في نفس المنطقة تمثلت في جماعات تم التحايل عليها باسم الدين أو وجدوا في الدين غير المعتدل ضالتهم للهروب من الواقع المرير لينتقموا من هذه المجتمعات لبيس من حكامهم و لأنهم من غير الواعين بالجوانب العلمية و الحياتية الأخرى فيسهل استقطابهم باسم الدين أيضا لإرتكاب أفعال أو أشياء لا تضر بهم بل تضر بمجتمعاتهم و اديانهم و معتقداتهم على حد سواء و هي مناطق عليه حركات أرهابية أو تكفيرية - و عليه فإننا سنوجز في هذه الورقة الهدف و أهمية دراسة هذه الحركات نشوء هذه الحركات في إيجاز وجودها في الوقت الراهن و مقارنتها بعضها ببعض و ان هذه الحركات غير قاصرة على ثقافة أو دين معين و كيف يمكن أن نعلى من قيمة الحركات الثورية و ندعمها؟ و كيفية التصدي للحركات الإرهابية و التكفيرية من خلال الحوار المجتمعي و الديني البناء؟

١. عضو المجلس الأفريقي لدراسات بحوث التنمية باحث و استشاري إقتصادي إجتماعي و سياسي و مسئول علاقات خارجية للتحكيم الدولي و الوسائل البديلة لحل النزاع.

٢. خبير و استشاري اقتصادي في مجال الخدمات و الترفيه و نشط سياسي.

الهدف من الدراسة و أهميتها

هو التعرف على ماهية هذه الحركات و عقد المقارنة بينها و ملاحظة إختلافها و معرفة من فيها بالفعل يريد الخير العام للمجتمع و نصره الدين و من فيها يضر بالمجتمع و الدين من واقع الأمثلة التي سترد فيما سيلي و ما هي أفضل الأسس و الطرق التي يجب أن يتبعها أى مجتمع مسلم أو حتى غير مسلم للوصول بهذا المجتمع لبر الأمان و العمل على رفعة شأنه و لتحقيق الصحوه المنشودة بشكل علمى سليم، فالحضارة الإنسانية اليوم على موعد مع الإسلام العظيم الذي يحمل الرحمة و الانفتاح و التسامح مع غير المسلمين، و هو من باب أولى يحمل هذه المعاني و القيم مع المسلمين أنفسهم، و هذه القيم هي التي تميز حضارة الإسلام عن غيرها من حضارات حوت مثالب و نقائص؛ من الضيق بالآخر، و عدم الاعتراف به، و اليوم و في ظل المتغيرات الدولية العالمية، و بدافع من إسلامنا العظيم لاستعادة مكانتنا؛ فإننا نحن المسلمين، مطالبون و بإلحاح بالعمل الإيجابي مع المسلمين على اختلاف مذاهبهم و مدارسهم الفقهية و الفكرية، و لما كانت العولمة بسلباتها تريد إغراق العالم بمجموعة من التناقضات القيمة؛ فإن المسلمين مطالبون باستحضار ما لديهم من رصيد حضاري و تقديمه من جديد إلى البشرية التي تتطلع شوقاً إلى تكرار هذا النموذج الحضاري الفريد، إن مثل هذه اللقاءات لهي أفضل السبل في مواجهة تنامي الدعوات الشاذة الداعية إلى الشقاق و النزاع كما هو ملاحظ في الفكرة الخبيثة التي يحاول أعداء الإسلام بثها في سوريا و البحرين و اليمن و العراق على سبيل المثال القريب.

بداية تعريفات مهمة

الصحوه الإسلامية

إن الحديث عن الصحوه الإسلامية، و هي تسمية أطلقها على كل حال الإسلاميون على أنفسهم، يحيلنا مباشرة لا إلى دور نهضوي معين يمكن أن تتضمنه الصحوه، بل إلى تلك الإشارة المتضمنة في الخطاب السياسي اليومي و التي تعابر الدخول للنشط للحركات السياسية الإسلامية ميدان المعترك السياسي الراهن، لقد كان الإسلام الديني و الإسلام الأيديولوجي عبر التاريخ في خدمة النظام السياسي الذي شيده، هكذا كان في عهد الراشدين و في العصر الأموي و في العصر العباسي و في العهد العثماني و في العهد المعاصرة و الراهنة، ربما الاستثناء الوحيد في هذا السياق هو ما حصل في إيران عندما نجح رجال الدين في الوصول إلى السلطة عبر انتفاضة شعبية منذ نحو ثلاثة عقود.

وحتى في المثال الإيراني فإن الدين كان في خدمة بناء الدولة، حيث نجح الإيرانيون في إعادة قراءته من منظور نهضوي معين انعكس ذلك في بناء السلطة الإيرانية على أسس ديمقراطية في إطار الاتجاه الواحد، و في التركيز على الاستجابة لتحديات العصر على الصعيد العلمي و التكنولوجي و الاقتصادي و قد حققوا نجاحات مشهودة على هذه الصعيد. و بالنسبة للإسلام السياسي في العالم العربي فهو في غالبته العظمى يحاول الإجابة عن الأسئلة التي أخفق الآخرون عموماً في الإجابة عنها، و تسببت في خروجهم من دائرة الفعل السياسي، هي ذاتها أسئلة النهضة الأولى أي تلك المتعلقة بالخروج من التخلف و تحقيق الوحدة القومية، و التحرر من الاستعمار

بمختلف أشكاله و تحرير الأراضي العربية المحتلة (ومن أكبر الأمثلة على دول التي حدثت بها صحوات اسلامية كبرى بكل تأكيد الجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال الثورة الإسلامية و قائدها المغفور له السيد/ آية الله الخميني - تركيا بوصول حزب العدالة و التنمية لتصدر الحكم بمشروعه الذى قام على محاربة الفساد - إندونيسيا).

الحركات الثورية

حركات كبيرة شعبية تتداخل فيها كل التيارات من حيث المستوى الفكرى سواء ليبرالية أو علمانية أو قومية أو يسارية أو دينية و من حيث النوع رجال و نساء و من حيث الفئة العمرية من الأطفال و الشباب وصولا لكبار السن للتوحد على أهداف واحدة أساسية للمطالبة بحقوق الشعوب المغتصبة من حرية و عدالة إجتماعية و مساواة و هى مطالبات فى مجملها تتفق و تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية سواء أكانت مطالبات مدنية أو إسلامية و ذلك لتمتع فئة قليلة بغالبية خيرات و ثروات الدول مع تهميش الفئات الغالبة فى المجتمعات لا نستثنى منهم أحد أو بسبب تغليب جماعة عرقية أو دينية و تمييزها دون الجماعات الأخرى و إستئثارها بكل السلطات و الثروات و القوة و يحدث أن تحالف كل القوى الشعبية هذه و تخرج سوياً للمطالبة بهذه الحقوق المسلوقة من الحكام لكى يعتدل مرة أخرى ميزان المجتمع و ذلك لحدوث حالة من الوعى الجمعى أو الصحوه لديهم جميعا فى نفس الوقت و الذى يصعب التراجع عنها من قبل المجتمع و هذه الحركات فى حد ذاتها ما نقول عليه (حركات ثورية و صحوات إسلامية) و تتسم هذه الجماعات بالإنفتاح على كل فصائل و طوائف المجتمع، و تعلق من قيمة الحوار و النقد الذاتى، و تبنى كل ما هو مفيد للمجتمع و أفراده، و تعيش وسط الناس و لا تعزل عنهم و تدافع عن قضاياهم و تنتخب من بينها ما هو أصحح و قد تتفق و تختلف معه دون أن يخل ذلك بالإحترام المتبادل (ومن أهم الأمثلة التى جرت مؤخرا الثورة المصرية" ثورة ٢٥ يناير" - الثورة التونسية" ثورة الياسمين" - الثورة اليمنية و الثورة البحرينية بالرغم من الإخفاقات التى حاقت بهم جميعا إلا أنهم لا زالوا على المسار الثورى حتى تصل كل هذه الثورات لأهدافها المنشودة).

الحركات الإرهابية و التكفيرية

هى تلك الحركات التى تتسم بالمحدودية قامت بالأساس لمصالح دول معينة غالبيتها من دول الإستعمار القديم أو العولمة لإستغلالها فى القضاء على قوى أخرى تحت ستار الدين أو حتى فى الدول الإسلامية التى أنظمتها تريد البقاء على حالها و لهدف سياسى معين أو بسبب الإحباط و التهميش السياسى و الإقتصادى و الإجتماعى فى نفس الدول متمثلة فى جماعات تم التحايل عليها باسم الدين أو و جدوا فى الدين غير المعتدل ضالتهم للهروب من الواقع المرير لينتقموا من هذه المجتمعات ليس من حكاهمهم و لأنهم من غير الواعين بالجوانب العلمية و الحياتية الأخرى فيسهل إستقطابهم باسم الدين أيضا لإرتكاب أفعال أو أشياء لا تضر بهم بل تضر بمجتمعاتهم و أديانهم و معتقداتهم على حد سواء و هى ما نطلق عليه حركات إرهابية أو تكفيرية و هذه الجماعات تتسم دائما بان منهجها إقصائى تكفر كل من خالفها أو فكر فى أعمال عقله و مشورة أهل العلم و لأنها ترى أنها أفضل من باقى أفراد المجتمع و تحاول دائما أن تنشر أفكارها بالقوة لا بالمنطق و الجدل و العقل

و بالرغم أن افراد هذه الجماعات قد عانى من الظلم و القهر و الإستبداد إلا أنها هى بها نظام هيراركى مستبد و لا يمكن أن تخالف أميرها أو رئيسها أو المسئول عنها فتصبح تابعة و كأن هذه الحالة حالة أفضل من وضعها بالمجتمع و تعيش بعزلة عن المجتمع حتى لا تتأثر بقول العقلاء. (وكانت بدايتها مع ظهور الخوارج و قتل سيدنا على بن ابى طالب آخر الخلفاء الراشدين ثم مقتل سيدنا الحسين بن على عليه السلام عند وقوفه مع الحق و مطالبته بعدم التورث للخلافة و إعلاء مبدأ الشورى الذى اعلاه جده سيدنا محمد الرسول الأعظم و الأمثلة كثيرة و منها تنظيم القاعدة فى أفغانستان و الذى اصبح رمزاً دولياً للإرهاب و اصبح تنظيم دولى الذى أنشأه قوى الهيمنة و العولمة أمريكا و بريطانيا و الذى لا زال مدعوما و لو حتى بشكل ضمنى من خلالهم و ذلك للقضاء على الشيوعية حتى يصبح هناك قوة واحدة و وحيدة متمثلة فى الرأسمالية/ اليمينية المتطرفة - و الحركات المتطرفة الأخرى التى ظهرت فى العالم الإسلامى و العربى بدعم امريكى و صهيونى لتنفيذ مخطط كسينجر بتقسيم العالم الإسلامى على أساس مذهبى و طائفى منذ سبعينات القرن الماضى و التى امتد تأثيرها إلى الآن فى غالبية دول العالم الإسلامى كالتكفير و الهجرة و الجهاد و غيرها).

نشوء هذه الحركات فى إيجاز و وجودها فى الوقت الراهن و هل هذه الحركات غير قاصرة على ثقافة أو دين معين؟

أ - بالنسبة للحركات الثورية

تعتبر الأديان و خصوصا الإسلام بداية الثورات البشرية و الإنتقال من الباطل للحق و النور للظلام فلا يمكن ما بذله الرسل منذ سيدنا نوح مروراً بحفيده سيدنا ابراهيم فبداية الأذان بالحج فى حد ذاتها كانت ثورة كونية للبشر و المخلوقات جميعاً بالإنتقال إلى النور و الخير و الحق و المساواة و مروراً برسالة سيدنا موسى و كيف عبر باليهود البحر مما آمنوا معه بالله البحر و إغراق فرعون و اعوانه البحر و سيدنا عيسى و ما عاناه فى محاولة نشره رسالة المسيحية و أنتهت بالوشاية عليه بعد العشاء الأخير من قبل يهوذا الإسخريوطى بالإتفاق مع الرومان حيث رفعه الله للسماء و حماه إلا أن تلاميذه لم يفقدوا الإيمان و نشروا تعاليمه و المسيحية و المحبة التى نادى بها فى كل ارجاء العالم القديم و اخيراً الإسلام و تجلّى فيه اشهر انواع الحركات الثورية السلمية حيث استمرت دعوة الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فى جهاد و دعوة لمدة امتدت ٢٣ عاماً منذ ان نزل عليه الوحي من السماء من عند الله حتى استطاع أن يضع أسس الأمة الإسلامية التى تقوم على العدل و الحرية و المساواة ثم كان إغتيال سيدنا على من اشهر الإغتيالات فى التاريخ القائمة على الفكر الإرهابى و التكفيرى، لأن الخوارج هؤلاء قاموا بهذا الفعل الشنيع باسم الإسلام و يرتبط و يتكرر بما يجرى حالياً، ثم الثورة التى تزعمها ابنه الحسين من الوقوف فى وجه معاوية بن أبى سفيان عندما اراد أن يخالف مبدأ الشورى فى اختيار امير المؤمنين عندما بايع ولده يزيد كأمر للمؤمنين و رفض سيدنا الحسين و كانت النتيجة حرب تطهير جرت ما بين جيش قوامه ٣٥ ألف من الجنود و المحاربين ضد ٧٠ فقط من ضمنهم سيدنا الحسين حيث أوحى لهم يزيد بن معاوية قتل الحسين بزعم أنه يريد شق الصف إلا ان الحسين كان ثابت على المبدأ الذى أرساه جده سيدنا رسول الله و تولية الأئمة و من يصلح عن تولية الأقرباء و أهل الثقة الأمر الذى أدى لإستمرار الإستبداد فى كل العالم الإسلامى و وقوعها تحت الإستعمار و

حتى النصف الثاني من القرن العشرين و لولا وجود المثقفين و أهل الدين و نسل آل البيت و الشخصيات الوطنية فلم يكن لثورات ان تظهر منذ منتصف القرن العشرين و خصوصا ثورة ١٩٥٢ بمصر التي قامت على نفس مبادئ الأجداد و ظهور حركة الضباط الأحرار بزعامة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر و الذى كان له حلم كبير فى تحرير كافة دول الجنوب (إفريقيا و آسيا و أوروبا) التي عانت من مصاصى الدماء المتمثلين فى المستعمرين و كانت هذه فى عالمنا الموجه الثانية للثورات الحديثة و المعاصرة لأنها بالفعل غيرت أنظمة غربية و أتت بأنظمة وطنية لتحكم هذه البلدان - إلا أنه و مع أخذ الإستعمار صور و اشكال أخرى متمثلة فى برامج اقتصادية راسمالية يمينية متطرفة متمثلة فى مؤسسات مالية دولية كصندوق النقد الدولى و البنك الدولى و التي أدت إستشاراتهم و نصائحهم للحكومات الوطنية بزيادة الهوة الكبيرة ما بين الأغنياء و الفقراء و سوء توزيع الموارد و ازمات اقتصادية تفاقمت مشكلة الديمقراطية و ازداد التسلط و غابت العدالة الإجتماعية و المساواة و الشفافية و الكفاءة و عليه ادى ذلك للموجة الثالثة و التي حدثت مؤخرا على نفس الأنظمة التي كانت امتدادا لحركات ثورية و خصوصا ما بعد تورط المنطقة فى حروب و ازمات لا نستثنى منها اى دولة حتى و لو كانت مواردها الريعية كبيرة جدا و بشكل مؤقت مثل دول مجلس التعاون الخليجى و تدعى الإستقرار إلا أنه استقرار مشكوك فيه و تحالف بشكل ضمنى مع قوى المستعمر للحصول على منافع متبادلة للطرفين ما نعلم المعادلة و عليه فقامت الثورات و الصحوات فى كل من مصر و تونس و اليمن و البحرين - إلا أنه بالرغم من أن هذه الثورات كانت كبيرة فهناك من يتصدى لها و يحاول جاهدا افشالها - و هذا ما سنتناوله فى الحركات الإرهابية و التكفيرية.

ب - الحركات الإرهابية و التكفيرية

كانت نشأة الحركات الإرهابية منذ بداية التاريخ بقتل قابيل لأخيه هابيل لحقده عليه و كراهيته و ضيق الأفق له لأنه كان اقرب الى الله منه - فالحقد و الكراهية و ضيق الأفق هى أساس الإرهاب و التكفير - ما أشرنا له فى الفقرة السابقة ما حدث للأنبياء الذين كان يراد الفتك بهم مثل عيسى عليه السلام و يحيى عليه السلام و الذى قتل لنصرة الحق بفتاواه لإمبراطور الشام هيرود عدم الجمع بين زواج الأم و البنت فى آن واحد و كان نتيجة ذلك أن نشر رأسه و يتشابه حادث قتل يحيى و الوشاية بعيسى مع حادث إغتيال حفيديهما سيدنا على و سيدنا الحسين و اللذان تم قتلهما على يد سواء الخوارج أو فصيل من جيش يزيد - و مع بزوغ الإمبراطورية الإسلامية الكبرى فى العصور الوسطى كان الغرب يعيش فى غياب الجهل و كانت الكنيسة تسيطر على الحكم و بالتالى عندما كان احد العلماء يحاول ان يفكر خارج الصندوق او يعلى من اللوم التي اخذها عن المسلمين خصوصا العلوم النبوية و الطبيعية كالفلسفة و الجبر و الطب كان يتهم بالهرطقة و يعرض لمحاكم التفتيش و هذا لأن الدولة العباسية فى بغداد أو إمبراطورية الأندلس كانت تحتضن الإسلام المعتدل فخرج ابن رشد هذا الفيلسوف العربى الأندلسى الكبير و خلفت حضارة و تراث معمارى إلى الآن تعتمد عليه اسبانيا فى السياحة إلى الآن و كذلك كانت الإمبراطورية العباسية تمتد و حتى حدود الصين و الهند فكان داخل حدود الدولة الواحدة تجد اطراف مختلفة و لكن كان هناك قبول لكل التوجهات و الأفكار فكان الأميين و المأمون و الجاحظ و أبونواس و ابو حنيفة النعمان و ابن حنبل أما العلماء فحدث و لا حرج فالبخارى و مسلم و ابن سينا و الخوارزمى و ازدهرت كل الفنون - و مع التطرف الدينى و

التخلف اندثرت قوة المسلمين و بالتالى تعرضوا و كان من اهم الحركات الإرهابية هى استعمار الغرب لدول العالم العربى و الإسلامى لهدف اقتصادى و هو تصدير المنتجات المتكدسة لديهم نتيجة للإنتاج الكبير - ثم ما بعد حركات التحرر فى القرن الماضى كما قلنا ظهور استعمار بشكل جديد و هى التبعية الإقتصادية و السياسية و الثقافية و هذا فى حد ذاته ارهاب جديد لأنه يريد تنميط كل الدول العربية و الإسلامية الخارجة من الإستعمار لإستعمار فكرى جديد و تنميطها بنمط استهلاكى مشابه للنمط الغربى بدعوى الحداثة و المدنية و فى كل شىء و نجحت هذه الحيلة فى دول مجلس التعاون الخليجى مثلا بشكل كبير إلا انها استعصت على الدول ذات الحضارة الطويلة كمصر و ايران و الشام و الجزائر و تركيا إلى حد ما - أما الإرهاب الدينى فمؤسسه هو الغرب و ذلك لغرض سياسى و هو دحر الشيوعية و كسر الإتحاد السوفيتى و انهيار النظام العالمى المتوازن ما بين شرق و غرب و ذلك عن طريق ذريعة اسامة بن لادن الطالب السعودى الذى كان يدرس بلندن هو و مجموعة من الشباب الصغير مع وجود انظمة عميلة لأمريكا فى المنطقة للأسف روجت لهذا الجهاد الفاشل فى أفغانستان لمجموعة من الشباب الجاهل بالدين عن طريق شيوخ مأجورين بدعوى تحرير أفغانستان من المحتل الروسى مع الدعم المادى و اللوجيستى اللازم ثم ايضا اعطاء غالبية هؤلاء لجنسيات غربية و جوازات سفر تسهل لهم التنقل فى الغرب لتسهيل مهمتهم و مع انتهاء مهمتهم اصبح الدور قادم للتخلص منه فاصبحوا هم انفسهم ذريعة للحرب على الإسلام و دول العالم الإسلامى - و مع اندحار الشيوعية و اصبح هناك قوة قطبية واحدة و فراغ قوى فى العالم اتجهت الأنظار الى خلق عدو جديد يسمح لقوى الإستعمار السيطرة على العالم من جديد الا و هو الإسلام و خصوصا مع ظهور شتراوس مؤسس مدرسة اليمينيين الجدد و وصول تلاميزه للحكم سواء بوش الأب و الإبن و مرافقيهم و الذين الفوا كتباً تحريضية مثل نهاية العالم و صراع الحضارات و من أشهر ما كتبوا هذه الكتب فوكوياما و هنتنجتون و كونداليزا رايس تلك الكتابات التى كانت تحرض على الإرهاب الفكرى و النظرة الدنية للعرب و المسلمين و الإسلام بشكل عام و بالرغم من وجود مبادرات للرد على هذا الإرهاب الفكرى مثل مبادرة الرئيس خاتمى حوار الحضارات و التى تبنتها المنظمات الدولية و الفاتيكان - و مع اختلاق أحداث ٩ / ١١ فتمت مؤامرة الإرهاب العسكرى من خلال ضرب أفغانستان مرورا بالعراق مرورا بحرب تموز بلبنان مرورا بأحداث غزة - و مع الفشل الغربى فى النيل من مخططاته و خسارته ١٢ تريليون دولار بحروب على بلادنا - فتوجه الغرب مرة ثانية إلى الإرهاب الفكرى بزرع الفتنة بين افراد المجتمع من خلال من إعلاء الصراعات الطائفية سواء داخل الدين الواحد " سنى * شيعى " أو داخل البلد الواحد " مسلم * مسيحى " فنجد ما يحدث فى مصر و كان اهمها الفيلم المسىء للرسول الأعظم ﷺ و الذى قيل ان مخرجه من اصل قبلى مصرى و ذلك لزرع الفتنة - كما حدث قبل ذلك من احداث مع اقباط من تهجير أو ارهاب و حتى بفترة الإستفتاء الأخير - ثم على مستوى الدين الواحد ما يحدث فى كل من العراق و سوريا و البحرين و السعودية و اليمن و لبنان فيما يتعلق و الصراعات السنوية الشيعية و حتى ما بين السنة انفسهم من ارهاب فكرى و الخلط بين ما هو فكر و دينى و اتهام التيارات القومية و اليسارية و العلمانية و الليبرالية بالكفر و تجلى هذا خصوصا فى الإستفتاء الأخير ايضا و ما حدث لدينا فى الإسكندرية و كل ما سبق يندرج تحت الإرهاب الفكرى و الدينى و التكفير.

و تشابه كل الحالات السابقة فى الخلط بين ما هو دىنى و ما هو فكرى و لو لم تكن الليبرالية أو العلمانية أو القومية جزء من فكر رسولنا الكرىم لما أقر الرسول ﷺ بها فى أحاديث صحيحة له تؤسس لهذا الفكر من خلال أحاديث صحيحة تدعو إلى العلم

" أطلبوا العلم و لو بالصين "

" أهل مكة أدرى بشعابها "

و كذلك

" أنتم أدرى بشئون دنياكم " و فى هذه الأحاديث تصريح صريح من رسولنا الكرىم بالتعاطى مع ما هو دنىوى كما يترأى لنا و كما إتفق الناس عليه و بأفضل وسيلة و كذلك احاديث تحت على المساواة

" لا فضل لأبيض على أسود و لا عربى على أعجمى إلا بالتقوى "

و كذلك بالنص القرآنى

﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

و كذلك

﴿ وادعوا لسبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾

و كذلك

﴿ لو كنت فظا غليظ القلب لأفضنوا من حولك ﴾

و كل هذا يؤسس للحوار حتى مع المخالفين معك ليس فقط فى الرأى بل فى المذهب و الدين و لكن الجهل و عدم إعمال العقل و الكراهية و الحقد و الفتنة تجعل الكثير من الناس لا يدركون ذلك الأمر الذى يؤدى لضالة نجاح محاولات التقريب و الحوار ما بين المذاهب الإسلامية و بالتالى فشل الحوار مع الأديان الأخرى و فشل حوار الثقافات تأسيسا على ذلك و خسائر متتالية أمام الغرب و أمام أنفسنا و هذا ما يعنيننا أكثر.

و كيف يمكن أن نعلى من قيمة الحركات الثورية و ندعمها؟ و كيفية التصدى للحركات الإرهابية و التكفيرية؟

أ) ضرورة تبنى منتديات الصحوه هذه لحضور علماء العلوم الدنىوية أيضا لتقريب وجهات النظر ما بين علماء الدين و الدنيا و حتى تصدر فتاوى لا تبلبل المواطن المسلم فى أى من الدول الإسلامية و يكون عليها تكامل فى الآراء تتفق و معطيات العصر الحالى الكثير التعقيد.

ب) ضرورة وصول منتديات الصحة للفئات المهمشة في مثل منتديات الصفة الدينية هذه كالشباب و المرأة كلاعب أساسى فى هذه المنتديات و تخصيص نسبة لهم معقولة تتناسب و حجمهم و ربطها بمجريات الأمور السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و مشاكل الأمة من جهل فقر و بطالة و مرض.

ج) محاولة الربط ما بين مؤتمرات و مؤسسة الصحة الإسلامية مع الكيانات الأكبر الممثلة للعالم الإسلامي كالأزهر الشريف و منظمة التعاون الإسلامي و الجامعة العربية و المنظمات العربية و الإسلامية المتخصصة و عدم الإنحياز و محاولة توحيد المنابر و القنوات الإعلامية و الإفصاح عن هذه المؤتمرات و اجنداتها و أهدافها و اقتراحاتها لأن المواطن البسيط لا يعلم شىء عن كل ما يدور فى مثل هذه الهيئات الدولية و الإقليمية وإنعكاسات ذلك على العامة كطرف متلق و هذا لا يليق بالشعوب ما بعد الثورات و الصحوات التى حدثت بها و عمل أجندة سنوية لهذه المؤتمرات مع طلب التقدم باحث من كل المهتمين فى العالم الإسلامي سواء من خلفية دينية أو دنيوية.

د) محاولة استخدام المنهج العلمى السليم فى طرح قضايا التقريب و تشخيص الفشل أو عدم النجاح فى محاولات التقريب من خلال إصدار تقارير متابعة دورية لهذه المنتديات و إنشاء مرصد فى دول العالم الإسلامي مهمته رصد تقدم عملية الحوار ما بين المذاهب و الأديان و المفكرين فى دول العالم الإسلامي و مدى تأثيرها على مستوى الصفة و على مستوى العامة و تحديد نسب التقدم أو التراجع و معالجة مواطن الخلل.

هـ) المشاركة فى برامج تبادل شبابى و طلابى و نسائى من طوائف مختلفة و ادخالهم فى برامج تدريبية مشتركة داخل ايران و هذا من اهم النقاط لأنهم سيصبحوا نواة التقريب الحقيقى فى المستقبل و هذا بدوره سيمحو كافة الصور النمطية المتبادلة و ما بين المذاهب و الأديان.

المصادر:

١. الأساليب الفكرية و العملية للتقريب بين المذاهب الإسلامية - الدكتور أنور وردة - باحث و مفكر إسلامي -

سوري

٢. امل نجاح التقريب بين المذاهب الإسلامية - الدكتور الشيخ علاء الدين زعتري - بحث مُقدّم - للمؤتمر الثامن عشر للوحدة الإسلامية برعاية المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية - طهران ٢٤ - ٢٦ إبريل (نيسان) ٢٠٠٥ م

٣. إيران: السيناريو الأمريكي لـ"الصحة" الإسلامية - مقال بموقع السى إن إن - السبت، ١٢ تشرين الثاني /

نوفمبر ٢٠١١

٤. الصحة الإسلامية و هموم الوطن العربي و الإسلامي: (صحة الشباب المثقف) - الشيخ العلامة/ يوسف

القرضاوى - الأربعاء ٠٢ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١/٠٥/٢٣ م

٥. هل هو سوء إستخدام مواقع التواصل الإجتماعى بين و/ أو فى المجتمعات الدينية أم هو إرث ثقافى و فكر إنتقل إليها - سلبيات استخدام مواقع التواصل الإجتماعى - بحث مقدم من قبلى (أحمد مصطفى) فى مؤتمر الدوحة التاسع للأديان فى الفترة ما بين ٢٤ - ٢٦ تشرين أول/ أكتوبر ٢٠١١

٦. الأسباب الكامنة وراء تأخر إنتصار الثورات فى الدول الإسلامية" مصر" كحالة للدراسة الباحث/ أحمد مصطفى، الإسكندرية - مصر - مؤتمر الصحوة الإسلامية و الشباب - طهران من ٢٩ - ٣٠ يناير (كانون ثان) ٢٠١٢/

٧. الصراعات العرقية و استقرار العالم المعاصر - دراسة فى الأقليات و الجماعات و الحركات العرقية - د/ أحمد وهبان قسم العلوم السياسية - كلية التجارة جامعة الإسكندرية - الدار الجامعية ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤

٨. النظرية السياسية الحديثة - دراسة للنماذج و النظريات التى قدمت لفهم و تفسير عالم السياسة - د/ عادل ثابت - قسم العلوم السياسية - كلية التجارة جامعة الإسكندرية - مكتبة خوارزم عام ٢٠٠٢ - رقم الإيداع الدولى: ٨٠٦٦٧ - ٥٦٠٣ - ٦٦ -

9. Ethics of Globalization: an Urgency for Dialogue

- Ahmad Jalali - included in a book with a title "Hegemony and Civilisation de la Peur - "

10. Published by the Academy of the Latinity, Rio De Janeiro, Brazil in April 2004

- ISBN: 58 - 1627 - 130 - 6 01. Ahmed Moustafa

- <http://intellecto.wordpress.com/2010/03/16/ahmed-moustafa-commentary-and-assessment-on-5th-arab-youth-forum-7th-arab-reform-forum-held-at-bibliotheca-alexandrina-fm-72-feb-till-3-mar-2010/>

١١. أحمد مصطفى: حوار الحضارات

<http://intellecto.wordpress.com/>

12. Ahmed Moustafa <http://intellecto.wordpress.com/2011/08/17/the-visit-of-the-egyptian-popular-cultural-and-cinema-delegation-to-iran-fm-26-july-1-august-2011/>

سبر عقائد التيارات التكفيرية

الفصل الثاني

- تقابل رأى الوهابية فى حرمة تكفير أهل القبلة مع الآيات والأحاديث
- أصول منهجية السلفية
- تكفير التكفير العنّف التكفيرى كوظيفة للاستعمار الجديد

تقابل رأى الوهابية فى حرمة تكفير أهل القبلة مع الآيات والأحاديث

تأليف: محمد يزدانى^١

ترجمة: حسين صافى

نبذة

طبقاً لرأى القرآن الكريم، لا يحقّ لأىّ مسلم أن يرمى أخاه المسلم بالكفر والشرك، ويستبيح نفسه وماله بهذه الحجة، لأنّ من يُظهر إسلامه فعلى المسلمين أن يقبلوا منه ذلك بصدور ربح ويعتبروه منهم. يُستفاد من آيات القرآن الكريم أنّ قول الفرد ودلالة حاله هى المعيار، فإذا ظهرت على المرء أىّ علامة تدلّ على إسلامه، ألقى السلام مثلاً، فلا بدّ أن نحكم بإسلامه ويكون دمه وماله حرام. لقد أمر القرآن الكريم صراحةً جميع المسلمين ألاّ ينادوا أخاهم المسلم بكلمة «كافر». وطبقاً للأحاديث الصحيحة الواردة فى مصادر أهل السنّة، فإنّ من خاطب أخاه بكلمة كافر كأنما قتله، ويكون شريكاً فى دمه ويرتدّ كفره عليه. هذا، فى حين نجد الوهابيين يرمون جميع المسلمين بالكفر والشرك ويهدرون دمهم دون أىّ سند أو برهان سوى التوسّل والاستغاثة. واستناداً إلى الأدلة الواردة فى مصادر الوهابيين أنفسهم، فإنّ محمد عبد الوهاب كان يتوقّف على خصلتين هما: تكفير جميع أهل الأرض، والجرأة على سفك دماء الأبرياء. لقد زعموا أيضاً أنّه إذا لم يتبع المرء نهج آل محمد بن عبد الوهاب فإنّ مصيره جهنّم، وهو ما يتناقض مع الآيات والأحاديث.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، الإسلام، التكفير، الوهابية.

عرض الموضوع ونطاق البحث

منذ سنوات والفوضى والاضطرابات الأمنية تعمّ العديد من البلدان الإسلامية، وذلك بسبب إقدام جماعة على تكفير سائر المذاهب الإسلامية وإباحة دماء أتباعها بذريعة الشرك والابتداع، فحملت السلاح وراحت ترتكب المجازر بحقّ المسلمين.

١. خريج المرحلة الرابعة من جامعة المصطفى ﷺ العالمية، عضو فى قسم الردّ على الشبهات فى مؤسسة ولى العصر للأبحاث.

والمثير في الأمر أن هذه الفئة تعتبر نفسها الفرقة الوحيدة على حق وسائر الفرق والمذاهب على باطل، لذلك أوجبت قتل أتباع تلك المذاهب قربةً إلى الله. في هذه الورقة، سوف نحاول إثبات حرمة تكفير أي مسلم فضلاً عن قتله طبقاً لما ورد في القرآن الكريم والأحاديث التي يؤمن بها التكفيريون أنفسهم، وأن نبرهن على أن من نطق بالشهادتين فقد عصم ماله ودمه وعرضه.

ثم نرجع إلى كتب محمد بن عبد الوهاب ومشاهير علماء الوهابية لننقل آراءهم في تكفير جميع أهل الأرض ممن لا يؤمنون بالمذهب الوهابي وإهدار دمهم، ونبرهن على أن هذه الآراء في تقابل مباشر مع رأي القرآن والسنة الصحيحة.

أهمية البحث

من المعلوم أن الأمن والاستقرار هما حجر الزاوية في أي تقدم دنيوي أو أخروي يحققه البلد. وقد أولى الدين الإسلامي أهمية قصوى لموضوعة الأمن واعتبر العائنين به محاربين ومفسدين في الأرض.

من ناحية ثانية، ينتقد الكثير من التكفيريين إلى المعرفة التامة بالمعتقدات الإسلامية الأصيلة، ويعتقدون أن فكرة التكفير فكرة منبثقة عن الإسلام والقرآن. من هنا، نجد لزماً علينا تصحيح هذه الاعتقادات بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث التي يؤمن بها هؤلاء التكفيريون وفاءً لدورنا في المساهمة بحفظ الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم.

مقدمة

يعتبر التكفير والإرهاب من أفظع الظواهر التي ضربت أمن أفراد المجتمع المسلم ودمائهم وأموالهم واستقرارهم على مدى القرون الأخيرة وأكثر من أي وقت مضى. إذ ما انفك التكفيريون وبياعاز من الصهيونية وطبعاً الرأسمالية النفطية في بلدان الخليج الفارسي يهددون أمن البلدان الإسلامية واستقرارها عبر العمليات الإرهابية والانفجارات وسفك الدماء والسلب والنهب، ولم تأخذهم بالنساء والأطفال والشيوخ رافة ولا شفقة. والأنكى من ذلك هو ترديدهم لهتاف «الله أكبر» المقدس عند تنفيذهم للانفجارات أو حزمهم رقاب المسلمين وارتابهم للمذابح الجماعية، ما جعل وقع هذا الهتاف المبارك والمدوي كريباً عند بقية الأديان الأخرى.

ومن البديهي أن مسؤولية إصلاح هذه المعتقدات المنحرفة وتغيير هذه الأفكار الهدامة التي تنذر بعواقب وخيمة وخطيرة للغاية تقع على عاتق جميع العلماء المسلمين، وبناءً على هذا، فقد هبت المرجعيات الدينية لكلا الفريقين للتصدي لهذا الفكر المنحرف وإدانتته ونبذ.

وقد جاء في الرسالة المفتوحة لسماحة مرشد الثورة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه الوارف) بمناسبة انعقاد مؤتمر الحج العظيم بتاريخ الاثنين الثالث عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠١٣ م ما يلي:

«لتعلم العناصر التكفيرية التي هي اليوم ألعوبة السياسة الصهيونية الغادرة وحمايتها الغربيين، والتي ترتكب الجرائم المروعة وتسفك دماء المسلمين والأبرياء، وليعلم بعض أذعياء التدين والمتلبسين بزّي رجال الدين من

الذين ينفخون في نار الخلافات بين الشيعة والسنة وغيرها، ليعلموا أن مناسك الحج بذاتها تبطل ما يدعون. أليس من الغريب أن يرى نفرٌ مراسم البراءة من المشركين التي تمتد جذورها في سيرة النبي ﷺ ضرباً من الجدل الممنوع وهم من أشدّ العاملين على إثارة الصراعات الدموية بين المسلمين! وإنني أعلن مرة أخرى كالكثير من علماء المسلمين والذين يحملون هموم الأمة المسلمة أن كل قول أو عمل يؤدي إلى إثارة نار الاختلاف بين المسلمين، وكل إساءة لمقدسات أيّ واحد من الفصائل الإسلامية أو تكفير أحد المذاهب الإسلامية هو خدمة لمعسكر الكفر والشرك وخيانة للإسلام وحرام شرعاً^١.

كما ينبّه أبو حامد الغزالي العالم الإسلامي الشهير إلى خطر تكفير المسلم للمسلم فيقول:

«والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرّحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم. وقد قال ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها»^٢. أما ابن ناصر الدين الدمشقي تلميذ ابن تيمية فينتقد في كتابه تكفير علماء أهل السنة لابن تيمية ويشرح عواقب تكفير المسلم قائلاً:

«فلعن المسلم المعين حرام وأشد منه رميه بالكفر وخروجه من الإسلام وفي ذلك أمور غير مرضية منها إسمات الأعداء بأهل هذه الملة الزكية وتمكينهم بذلك من القدح في المسلمين واستضعافهم لشرائع هذا الدين»^٣.
ويا ليت أصغى الوهابيون إلى نصائح أئمتهم وعلمائهم، وتركوا تكفير المسلمين واستباحة دمائهم حتى لا يُشتموا أعداء الإسلام فيهم.

فهذا محمد بن علي الشوكاني الذي يقيم الوهابيون لآرائه وزناً وقيمة خاصة، يقول في حرمة التكفير:

«أقول اعلم أنّ الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلّا ببرهان أوضح من شمس النهار فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أنّ من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما هكذا في الصحيح»^٤.

هذا بالإضافة إلى العديد من كبار علماء أهل السنة الذين أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع وطرحوا نقاطاً رائعة ومثيرة ونحن هنا نكتفي بما أوردناه لضيق المجال.

1. <http://www.leader.ir/>

٢. الغزالي، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، ج ١، ص ٢٧٠.

٣. ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر، الرد الوافر، ج ١، ص ١١.

٤. الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار، ج ٤، ص ٥٧٨.

وطبعاً لا بدّ من القول أنّ عصر التكفير والإرهاب قد شارف على نهايته، لأنّ السقوط والفناء هو مصير جميع الظواهر اللاعقلانية والمتطرّفة والجامحة. لم يعد التكفيرون اليوم يقتلون الأغيار ويذبحون الناس من أبناء جلدتهم فحسب، بل أصبحنا نرى تقاتلهم فيما بينهم أيضاً، وبكلمة واحدة، صاروا يقتلون أنفسهم ورفاقهم. وهذه، بالتأكيد، إشارة مشجعة تشي بتلاشي هذه الظاهرة المشوؤمة واللعينة وقرب زوالها.

يتألف البحث من قسمين في إطار فصلين، في الفصل الأول، دراسة تحليلية عن حرمة تكفير المسلم وأهل القبلة من وجهة نظر آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة التي تحظى بقبول الوهابيين.

في الفصل الثاني، ننقل أدلة موثقة من مصادر الوهابيين وكتبهم تبرهن على أنّ جميع المسلمين بل أهل الأرض قاطبة كفار ومشركين عدا الذين يتبعون الفرقة الوهابية.

المقال الأول: رأى القرآن والروايات في تكفير أهل القبلة

من أجل إثبات حرمة تكفير أهل القبلة، سنتحرى في القسم الأول آيات القرآن الكريم التي تقول صراحةً بعدم جواز تكفير الآخرين.

في القسم الثاني، سوف نستند إلى أحاديث وردت في صحاح أهل السنّة وتعتبر موضع احتجاج الوهابيين أيضاً.

الفصل الأول: حرمة التكفير من وجهة نظر القرآن الكريم

في آيات عديدة يتخذ القرآن الكريم موقفاً واضحاً إزاء ظاهرة التكفير والقتل والفساد والنهب يتمثل في رفض هذه الأعمال ونبذها، لدرجة أنه في الآية ٣٢ من سورة المائدة المباركة يعتبر أنّ قتل إنسان واحد بدون سبب بمثابة قتل جميع الناس: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ويقول ﷺ في سورة النساء الآية ٩٣: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

نعم، هذا هو المنطق القرآني الذي يعتبر صراحةً أنّ قتل النفس البشرية جريمة كبرى وخطأ يعادل قتل البشرية جمعاء. بيد أنّ المؤمنين بالتكفير يحلّون، دونما سند أو حجة، قتل أيّ امرئٍ، مسلماً كان أو غير مسلم، امرأة كانت أم طفل، شاباً كان أم شيخ مسنّ. فهم لا يفرقون بين هؤلاء، المهم عندهم هو إشباع غريزتهم الحيوانية البربرية.

١. لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً

لا شكّ في أنّ ظاهرة الإرهاب وقتل المسلمين هي نتيجة مباشرة للفكر التكفيري، وإذا لم نعالج هذا العقيدة ونقتلع جذورها من المجتمع المسلم، فلن يهنا هذا المجتمع في حياته أبداً. يقول القرآن الكريم في حرمة تكفير

أهل القبلة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَاذٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ هَمَّنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١﴾.

تبين هذه الآية الكريمة بشكل صريح وواضح أن على جميع المسلمين الذاهبين إلى ساحات الجهاد، أن يصدقوا كلام من أعلن إسلامه برحابة صدر ولا يحق لهم أن يظنوا به ظنَّ السوء ويردوا إسلامه دون سبب. ثم تقول الآية الكريمة إياكم أن ترموا الآخرين بالكفر وتقتلوهم ابتغاء الحصول على غنائم وأموال دنيوية لا قيمة لها. بعد ذلك تأمر صراحةً إذا لم تتيقنوا إن كان المرء مؤمناً أو كافراً فعليكم أن تتحققوا من هذا الأمر وتتفحصوا، وما لم يثبت لكم كفره وشركه لا يحق لكم محاربتة وقتله بشبهة الكفر والشرك. كما يستفاد من الآية الكريمة أن المعيار من وجهة نظر الإسلام هو كلام الإنسان ودلالة حاله وظاهره، فمن قال إنني موحد، فلا يحق للمسلمين أن يفتشوا عما في باطنه ويستبيحوا دمه بحجة أنه آمن بلسانه لا بقلبه، لأن الله وحده العليم بما في صدور الأفراد وبواطنهم.

لقد وردت أحاديث وروايات مختلفة تفسر شأن نزول هذه الآية، فقد جاء في عدد من مصادر أهل السنة أن هذه الآية نزلت في أسامة بن زيد الذي أقدم على قتل عددٍ من اليهود بعدما نطقوا بالشهادتين^٢. وفي مصادر حديثة أخرى وبعض التفاسير وردت أسماء أخرى غير أسامة، بينما اكتفت بعض الكتب بذكر عبارة أحد صحابة الرسول ﷺ دون ذكر اسم محدد.

فالقرطبي في تفسيره يقول:

«واختلف في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة فالذي عليه الأكثر وهو في سير ابن إسحاق ومصنف أبي داوود والإستيعاب لابن عبد البر أن القاتل محلم بن جثامة والمقتول عامر بن الأضبط فدعا عليه السلام على محلم فما عاش بعد ذلك إلا سبعا ثم دفن فلم تقبله الأرض ثم دفن فلم تقبله ثم دفن ثالثة فلم تقبله فلما رأوا أن الأرض لا تقبله ألقوه في بعض تلك الشعاب وقال عليه السلام: إن الأرض لتقبل من هو شر منه»^٣.

وجاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وهما من أكثر المصادر وثيقة عند أهل السنة بعد القرآن: «قال ابن عباس: كان رجلٌ في غنيمته له فلحجه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله «تبتغون عرض الحياة الدنيا»^٤.

١. النساء. ٩٤.

٢. ابن أثير الجزري، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ١٤٨ و...)

٣. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٣٣٦.

٤. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٦٧٧، ٤٣١٥، كتاب التفسير، باب: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَىٰ إِلَيْكُمُ

السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا؛ النيشابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٣١٩، ح ٣٠٢٥، التفسير، باب ١.

ويقول مسلم النيشابوري في صحيحه:

«حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو خالد الأحمر وحدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش عن أبي طيبان عن أسامة بن زيد وهذا حديث بن أبي شيبة قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ...»^١.

وأورد فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير في شأن نزول الآية ما يلي:

«وأجمع المفسرون على أن هذه الآيات إنما نزلت في حق جماعة من المسلمين لقوا قوماً فأسلموا فقتلواهم وزعموا أنهم إنما أسلموا من الخوف، وعلى هذا التقدير: فهذه الآية وردت في نهى المؤمنين عن قتل الذين يظهرون الإيمان»^٢. والعجيب في الأمر أن ابن عبد البر القرطبي ذكر أن الذي قُتل في هذه القضية على يد الصحابة هو أيضاً أحد صحابة رسول الله ﷺ. فقد جاء في كتاب الاستيعاب للقرطبي:

«مرداس بن نهيك الفزاري فيه نزلت الآية «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» كان يرعى غنماً له فهجمت عليه سرية رسول الله ﷺ وفيها أسامة بن زيد وأميرها سلمة بن الأكوع فلقيه أسامة وألقى إليه السلام وقال السلام عليكم أنا مؤمن فحسب أسامة أنه ألقى إليه السلام متعوداً فقتله فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^٣.

وأعجب من ذلك ما قاله الشوكاني:

«وقد استدل بهذه الآية على أن من قتل كافراً بعد أن قال لا إله إلا الله قُتل به لأنه قد عصم بهذه الكلمة دمه وماله وأهله»^٤.

وحتى ابن تيمية الحراني المنظر الأصلي للفكر التكفيري يقول في شأن نزول هذه الآية:

«وهذه الآية نزلت في الذين وجدوا رجلاً في غنيمته له فقال أنا مسلم فلم يصدقوه وأخذوا غنمه فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالثبوت والتبين ونهاهم عن تكذيب مدعي الإسلام طمعاً في دنياه»^٥.

١. النيشابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٦. ح ٩٦، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

٢. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ١٠، ص ١٩٠.

٣. ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ ص ١٣٨٦.

٤. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج ١، ص ٥٠١.

ويقول في كتاب آخر:

«وَأَلَّا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحَرْبِيَّ إِذَا أَسْلَمَ عِنْدَ رُؤْيَا السَّيْفِ وَهُوَ مُطْلَقٌ أَوْ مُقَيَّدٌ يَصِحُّ إِسْلَامُهُ وَتَقْبَلُ تَوْبَتُهُ مِنَ الْكُفْرِ وَإِنْ كَانَتْ دَلَالَةُ الْحَالِ تَقْضِي أَنَّ بَاطِنَهُ بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عِلَانِيَتِهِمْ وَيَكِلُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ مَعَ إِخْبَارِ اللَّهِ لَهُ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً وَأَنَّهُمْ «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُوَّامِرٌ لِمَا لَمْ يَنَالُوا» فَعَلِمَ أَنَّ مِنْ أَظْهَرِ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْكُفْرِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْهُ»^١.

وفي كتاب الجواب الصحيح يقول في تفسير هذه الآية:

«فَأَمْرُهُم بِالْتَّبَيُّنِ وَالتَّثَبُّتِ فِي الْجِهَادِ وَأَنَّ لَا يَقُولُوا لِلْمَجْهُولِ حَالَهُ لَسْتَ مُؤْمِنًا يَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيَكُونُ إِخْبَارُهُمْ عَنْ كَوْنِهِ لَيْسَ مُؤْمِنًا خَبْرًا بَلَا دَلِيلٍ بَلْ لَهْوَى أَنفُسَهُمْ لِأَخْذُوا مَالَهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي دَارِ الْحَرْبِ إِذَا أَلْفَى السَّلْمَ...»^٢.

ليت الوهابيين قبلوا بكلام ابن تيمية الذي يعتبرونه أسمى من كلام الله، وطردوا أفكار التكفير والإرهاب من عقولهم، ولكن يبدو أن لا تأثير للصايات أو الأحاديث أو الآيات عليهم، ولن تستطيع إيقافهم من سباتهم.

عوداً على فخر الدين الرازي حيث يقول في ذيل الآية الكريمة:

«نقول إشارة إلى أن عمل القلب غير معلوم واجتناب الظن واجب، وإنما يحكم بالظاهر فلا يقال لمن يفعل فعلاً هو مرآئي، ولا لمن أسلم هو منافق، ولكن الله خبير بما في الصدور، إذا قال فلان ليس بمؤمن حصل الجزم»^٣.

أما القرطبي الفقيه المالكي الشهير فيقول في هذا الشأن: «وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع وإطالع السرائر»^٤.

وأخيراً، يُستفاد من هذه الآية الكريمة أن من أبدى أي علامة على إسلامه يجب أن تسري عليه أحكام المسلم بما يعني عصمة دمه وماله، ذلك أن من التقاليد المتعارفة بين المسلمين أنهم عند اللقاء يلقون السلام

١. ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية، ج ٧، ص ٢٣٤.

٢. ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلیم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ٣، ص ٦١٩.

٣. ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح، ج ٦، ص ٤٥٦.

٤. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ٢٨، ص ١٩٠.

٥. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٣٣٩.

بعضهم إلى البعض، وتحيةة السلام إحدى العلائم على إسلام المرء، عنيتُ، إذا أردنا أن نحكم بإسلام أحد، فإنّ علامة ظاهرية واحدة تكفي لإثبات ذلك.

يقول علاء الدين الخازن في تفسيره حول هذا الموضوع ما يلي:

«ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام» يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التحية أنّه إنما قالها توعداً فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه وأقبلوا منه ما أظهره لكم^١.

وللبغوي، مفسر أهل السنّة الشهير، كلام أورده في ذيل هذه الآية يقول فيه:

«قلت إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفّوا عنهم فإنّ النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً فإن سمع أذانا كفّ عنهم. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عصام عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا بعث سرية قال: إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم أذاناً فلا تقتلوا أحداً^٢. والحال، إنّ التكفيريون يقتلون من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله في كل يوم وفي كل لحظة، ويصلّي خمس مرات في اليوم وينفق الزكاة ... إلخ.

٢. عدم جواز مناداة المسلم بكلمة «يا كافر»

إضافة إلى ما قيل، ثمّة في القرآن الكريم آيات أخرى تحرّم إطلاق كلمة «الكافر» على المسلم.

فالله يقول في سورة الحجرات الآية ١١: ﴿وَلَا تَأْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

يقول ابن عبد البر القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة:

«وقد قال جماعة من أهل العلم في قول الله ولا تنابروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، هو قول الرجل لأخيه يا كافر يا فاسق وهذا موافق لهذا الحديث فالقرآن والسنّة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه ...»^٣.

وفي كتاب الاستذكار، بعد أن ينقل حديثاً في حرمة التكفير، يقول:

١. الخازن، علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣٣٩.

٢. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ج ١، ص ٤٦٧.

٣. ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله، التمهيد، ج ١٧، ص ٢١.

«وفائدة هذا الحديث النهي عن تكفير المؤمن وتفسيره قال الله «ولا تنابزوا بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان». فقال جماعة من المفسرين في هذه الآية هو قول الرجل لأخيه يا كافر يا فاسق. وممن قال بذلك عكرمة والحسن وقتادة. وهو معنى قول مجاهد لأنه قال هو الرجل يدعى بالكفر وهو مسلم^١. كما نقل الطبري في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان و عدد من علماء أهل السنة بعض الأحاديث نقلًا عن عكرمة تفيد أن هذه الآية تتحدث عن تكفير المسلمين^٢.

٣. إذا نطق بالشهادتين وأقام الصلاة وأدى الزكاة فقد عصم دمه

يأمر الله في الآية الخامسة من سورة التوبة المسلمين أولاً أن يقتلوا المشركين أينما وجدوهم بعد انقضاء الأشهر الحرم وأن يترصبوا بهم في كل مرصد، لكنه بعد ذلك يقول: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

وفي الآية ١١ من نفس السورة يقول عز من قائل: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

وينقل محمد بن إسماعيل البخاري عن رسول الله ﷺ حديثاً شريفاً جاء فيه:

«عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^٣.

وعن ابن جرير الطبري، مفسر أهل السنة الشهير، في تفسيره لهذه الآية الشريفة: «يقول جل ثناؤه فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله إلى الإيمان به وبرسوله وأنبأوا إلى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فإخوانكم في الدين يقول فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به وهو الإسلام. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ... عن قتادة قوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين يقول إن تركوا اللات والعزى وشهدوا أن لا إله إلا الله

١. همو: الاستذكار، ج ٨، ص ٥٤٩.

٢. حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن حصين قال سألت عكرمة عن قول الله ولا تنابزوا بالألقاب قال هو قول الرجل للرجل يا منافق يا كافر (الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٦، ص ١٣٢؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ج ٥، ص ٣٠٨؛ البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ج ٤، ص ٢١٥).

٣. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧، ح ٢٥، كتاب الإيمان، باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»

وأن محمداً رسول الله فأخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ... عن ابن عباس فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة»^١.

أما المفسر القرطبي فيقول أنه إذا تاب المشرك فإن دمه وماله حرام، حتى قبل أن يصلي ويؤتي الزكاة:

«قوله تعالى: ﴿فإن تابوا﴾ أي من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ هذه الآية فيها تأمل وذلك أن الله تعالى علق القتل على الشرك ثم قال: فإن تابوا والأصل أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة وهذا بين في هذا المعنى غير أن الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين فلا سبيل إلى إلغائهما نظيره قوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^٢.

ولابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية رأي أيضاً هو: «وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام»^٣.

ولا بد لنا هنا أن نذكر بهذه النقطة وهي إن الإيمان والتوبة من الشرك مسألة قلبية وباطنية، ولا يطلع عليها أحد إلا الله، لذا، طبقاً لهاتين الآيتين، كل من تاب ظاهرياً من الشرك وصلى ظاهرياً ودفع الزكاة، جرى عليه حكم الإسلام وكان من أهل القبلة.

واستناداً إلى النص الصريح في القرآن الكريم فإن مثل هذا الشخص يعتبر أخ للمسلمين في الإيمان وأن دمه وماله حرام. يقول جمال الدين الغزنوي الحنفي في هذا الصدد:

«واعتقد أن الإيمان في التحقيق وهو التصديق بالقلب وهو الإيمان المفروض على العبد الإقرار باللسان ليظهر عند الناس ما في الجنان فتجري عليه أحكام الإسلام فمن أتى بالتصديق بالقلب يكون مؤمناً بينه وبين الله تعالى ومن أتى بهما يكون مؤمناً عند الله وعند الناس»^٤.

وحتى لو أيقن الإنسان أن هذا الشخص يتظاهر بالإيمان ومنافق وأن الإيمان لمَّا يدخل إلى قلبه، فإن واجبه هو أن يحكم بإسلامه كما فعل رسول الله ﷺ مع المشركين الذين استسلموا بعد فتح مكة ولم يؤمنوا حقاً وصدقاً.

١. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٠، ص ٨٧.

٢. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٧٤.

٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج ٣، ص ٤٥٢.

٤. الغزنوي، أحمد بن محمد، كتاب أصول الدين، ج ١، ص ٢٥٠.

ويشرح ابن تيمية الحراني هذه النقطة فيقول:

«والمناقفون تجري عليهم في الظاهر أحكام الإسلام ولم يكن أحد من الطلقاء بعد الفتح يظهر المحادة لله ورسوله بل يرث ويورث ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وتجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على غيره»^١. ولابن كثير الدمشقي السلفي تلميذ ابن تيمية رأي أيضاً في هذا الموضوع نعرض له كما يلي:

«قال الشافعي إنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظاهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم لأن ما يظاهرونه يجب ما قبله ويؤيد هذا قوله ﷺ في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهراً فإن كان يعتقدونها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة وإن لم يعتقدوها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليطاً أهل الإيمان»^٢.

والآن، سألنا إلى الوهابيين: إذا ولد المرء مسلماً وصلى دهنراً ودفع الزكاة ونادى جهاراً وبأعلى صوته أنني مسلم، فهل يمكن تكفيره وإهدار دمه؟

تلك كانت أمثلة من آيات القرآن الكريم تؤكد على أن ما من مسلم يملك الحق في تكفير أخيه المسلم.

الفصل الثاني: حرمة التكفير من وجهة نظر أحاديث أهل السنة

مضافاً إلى الأحاديث التي مرّت في تفسير الآيات والمقتبسة عن مصادر أهل السنة، ثمة أحاديث أخرى وردت في صحاحهم تفيد أنه لا يحق للمسلم تكفير أخاه المسلم.

١. من كفر أخاه المسلم فكأنما قتله

جاء في صحيح البخاري: «عن النبي ﷺ قال من حلف بيملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ولعن المؤمن قتلته ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»^٣.

وطبقاً لهذا الحديث الشريف فإن وزر تكفير المؤمن يعادل قتله، وكما سبق أن ذكرنا، فإن جزءاً من قتل مؤمناً، طبقاً للنصوص الصريحة في القرآن الكريم، أن يخلد في جهنم ويوء بغضب من الله وأن ينال العذاب العظيم^٤.

١. ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية، ج ٦، ص ٢٦٩.

٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٠.

٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٦٤، ح ٥٧٥٤، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال.

٤. النساء / ٩٣.

٢. من كفر مسلماً فقد ابتلى بالكفر

ينقل البخاري في نفس هذا الباب أحاديث أخرى وكما يلي:

«عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

ونفس الحديث نقله عبد الله بن عمر أيضاً^١.

ومعنى الحديث أنه إذا قال المرء لأخيه أنت كافر، فإذا كان فيه لم يَأْثَم، وإذا لم يكن فيه، فسوف يُحْشَرُ القائل في يوم القيامة كافراً؛ كما نقل البخاري حديثاً آخر هو:

«عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول لَأَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ»^٢.

كما نقل مسلم النيشابوري في صحيحه حديثاً آخر عن الصحابي الجليل أبي ذر رحمه الله جاء فيه: «عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ... مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^٣.

أحد مشاهير علماء أهل السنة وهو ابن دقيق العيد يشرح هذا الحديث قائلاً:

«وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسويين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك»^٤.

ولابن عبد البر شرح على هذا الحديث جاء في كتاب التمهيد هو:

«المعنى في قوله فقد باء بها أحدهما يريد أن المقول له يا كافر إن كان كذلك فقد احتمل ذنبه ولا شيء على القائل له ذلك لصدقه في قوله فإن لم يكن كذلك فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم واحتمله بقوله ذلك وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر»^٥.

ويقول ابن حجر العسقلاني في هذه الأحاديث:

١. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٢٤٣، ح ٥٧٥٢ و ٥٧٥٣.

٢. المصدر نفسه: ج ٥، ص ٢٢٤٧، ح ٥٦٩٨، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى مِنَ السَّبَابِ وَاللُّعْنِ.

٣. النيشابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٩، ح ٦١، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ حَالِ إِيْمَانٍ مِنْ رَغَبٍ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يُعَلِّمُ.

٤. ابن دقيق العيد، محمد بن علي، إحكام الأحكام، ج ٤، ص ٧٦.

٥. ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله، التمهيد، ج ١٧، ص ٢٢.

«والتحقيق أن الحديث سيق لزرع المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم ... فمعنى الحديث فقد رجع عليه تكفيره فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفر نفسه لكونه كفر من هو مثله ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام»^١.

٣. من يكفر أهل التوحيد فهو أقرب إلى الكفر

ينقل الطبراني في المعجم حديثاً شريفاً لرسول الله ﷺ يفيد أن من كفر أحد من أهل التوحيد فهو أقرب إلى الكفر، ويقول نص الحديث:

«عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُكْفَرُوهُمْ بِذَنْبٍ فَمَنْ أَكْفَرَ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبُ»^٢.

وبناءً على هذا الحديث، فلا يحق لأحد أن يكفر مسلماً نطق بكلمة التوحيد، وإذا فعل ذلك فهو كافر. لكننا، مع الأسف، نجد الوهابيين يكفرون المسلمين ويهدرون دمههم بحجج واهية مثل شد الرحال لزيارة القبور، والتوسل بالأنبياء ... إلخ، ويتعارض هذا السلوك مع سنة رسول الله ﷺ.

٤. لم يكفر الصحابة مسلماً قط

روي عن صحابة رسول الله ﷺ أنهم لم يكفروا أحداً من أهل القبلة أبداً، ولم يقولوا له «يا كافر» أو «يا مشرك».

فقد جاء في المعجم الأوسط للطبراني:

«حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي سَفْيَانَ، قَالَ: قُلْتُ لِحَبِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: هَلْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِأَحَدٍ مِّنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ: كَافِرٌ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: وَكُنْتُمْ تَقُولُونَ: مُشْرِكٌ؟ قَالَ: مُعَادُ اللَّهِ»^٣. وكذلك هو الحال مع سيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بحسب مصادر أهل السنة لم يكفر حتى الذين قاتلوه، إذ ينقل ابن أبي شيبه في كتاب المصنّف والبيهقي في السنن الكبرى:

١. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٤٦٦.

٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج ١٢، ص ٢٧٢، ح ١٣٠٨٩.

٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٢٣٠، ح ٧٣٥٤.

«حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ شَرِيكَ عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ عَنْ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ قَالَ سُئِلَ عَلِيُّ عَنْ أَهْلِ الْجَمَلِ قَالَ قِيلَ أَمْشُرُكُونَ هُمْ قَالَ مِنَ الشَّرْكِ فَرَأَوْا قِيلَ أَمْنُافِقُونَ هُمْ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا قِيلَ: (فَمَا هُمْ؟ قَالَ) إِخْوَانَنَا بَعَوْا عَلَيْنَا».

وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وهو أحد الخلفاء الراشدين في نظر الوهابيين لا يكفر أعداءه ومحاربيه، فلماذا يقوم الوهابيون، الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين وأتباع الخلفاء الراشدين، بتكفير المسلمين دون أي ذنب ويستبيحون دماءهم ويعرضون أمن المجتمع الإسلامي واستقراره للتهديد والخراب والفساد؟

٥. أمة الإسلام لن تبتلى بالكفر أبداً

ينقل البخاري في صحيحه ما يلي:

«مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ يَرُدُّ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^٢.

ويشرح سليمان بن عبد الوهاب أخو محمد بن عبد الوهاب وجه دلالة هذه الآية على حرمة تكفير أهل القبلة بقوله: «وجه الدليل منه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أمر هذه الأمة لا يزال مستقيماً إلى آخر الدهر، ومعلوم أن هذه الأمور التي تكفرون بها ما زالت قديماً ظاهرة ملأت البلاد كما تقدم، فلو كانت هذه الأصنام الكبرى ومن فعل شيئاً من تلك الأفاعيل عابداً للأوثان لم يكن أمر هذه الأمة مستقيماً بل منعكساً بلدهم بلد كفر تعبد فيه الأصنام ظاهراً، وتجري على عبدة الأصنام فيها أحكام الإسلام...»^٣.

ويحسب هذا الحديث فإن المسلمين دائماً على صراط مستقيم، بمعنى، أنهم لن يدخلوا في الشرك أو الكفر. على الأقل لن يدخل جميع المسلمين قاطبة في الشرك والكفر، بيد أننا سنبرهن في الفصل الثاني على أن الوهابيين زعموا أن المسلمين جميعاً في عصر محمد بن عبد الوهاب كانوا كفاراً، حتى محمد بن عبد الوهاب نفسه كان مشركاً وكافراً قبل أن يبحث ويتفحص في أمر دينه.

يتابع الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كلامه فيقول:

١. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ج ٧، ص ٥٣٥، ح ٣٧٧٤٣؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي الكبرى، ج ٨، ص ١٧٣، ح ١٦٤٩٠.
٢. صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٤٤٧، ح ٦٨٨٢.
٣. سليمان بن عبد الوهاب، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، ص ١٢٩.

«وهذا خلاف مذهبكم. فإن أمته على قولكم عبدوا الأصنام كلهم، ومالأت الأوثان بلادهم ... كل هذا ممتلئ مما زعمتم أنه الأصنام، وقتلتم من لم يكفر من فعل هذا الأمور والأفعال فهو كافر».

إذن، فعقيدة الوهابية تتعارض تماماً مع هذا الحديث.

إن الأحاديث في حرمة التكفير كثيرة لدرجة يتعذر أن تحيط بها هذه المقالة، ولما كانت هذه الأحاديث منقولة عن صحاح أهل السنة، فهي تفي بالغرض ولا داعي لإطالة الكلام، إذن، ثبت لنا مما تقدم أن تكفير المسلم طبقاً لما ورد في صحاح أهل السنة حرام ومعصية كبرى تعادل في بعض الروايات القتل، وأن التكفير يرتد على صاحبه.

المقال الثاني: الوهابيون يعتبرون المسلمين جميعاً كفاراً

ثبت لنا في الفصل السابق طبقاً للأحاديث الصحيحة أنه لا يجوز تكفير المسلم وهو محرّم.

في الفصل الثاني، سنبرهن على أن الوهابيين يعتبرون المسلمين جميعاً كفاراً ومشركين، وإثبات هذا الأمر سنلجأ إلى أدلة مستلّة من مصادر الوهابيين أنفسهم.

لقد شهد التاريخ الإسلامي ظهور فرق ومذاهب كثيرة كفر بعضها بعضاً وأهدر بعضها دماء البعض الآخر، واعتبرت أنها وحدها الفرقة المسلمة، من هذه الفرق الخوارج الذين ظهروا في مرحلة صدر الإسلام، وارتكبوا في فترة قصيرة فظائع كبيرة ضد المسلمين حتى أنهم لم يرحموا المرأة الحامل فيقروا بطنها وأخرجوا الجنين من جوفها وقتلوه.

الوهابية دين جديد ظهر في عام ١١٥٧ هـ على أثر حلف أبرم بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود في أرض نجد، وهي، على غرار الخوارج، تكفر المسلمين وتستبيح دمهم ومالههم وعرضهم.

وانطلاقاً من هذا الفكر، فإنهم على مدى مراحلهم الثلاث في الحكم أغاروا على حواضر المسلمين ومعظمهم من أبناء المذاهب الأربعة لأهل السنة، وأعملوا فيهم قتلاً وتنكيلاً، وسلبوا أموالهم وسبوا نساءهم.

وما من ضرورة تستدعي الاستناد إلى مصادر الوهابيين أنفسهم لإثبات هذه الفرضية، إذ إن الناس يشاهدون بأم أعينهم يوماً جرائم الوهابيين في مختلف البلاد الإسلامية، ولكن مع ذلك، سنعرض لأدلة ووثائق مستلّة من مصادرهم الخاصة لكيلا يبقى أي مجال للشك والإنكار. وطبعاً بسبب من ضيق المقام، سنكتفي هنا بعرض إثني عشر دليلاً فقط.

١. محمد بن عبد الوهاب: أنا ومشايخي لم نكن نعرف معنى التوحيد حتى اليوم

في رسالة بعث بها محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض صرح فيها أنه هو ومشايخه وجميع المسلمين ومشايخهم لم يكونوا يعرفوا معنى التوحيد وكل ما صدر منهم حتى الآن لم يكن يمت للإسلامي بصلة.

١. المصدر نفسه: ص ١٤٣.

«وأنا أخبركم عن نفسي والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي من الله به. وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدا عرف ذلك فقد كذب وافتري ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه»^١.

وعليه، فمن لم يعرف معنى التوحيد والإسلام، من الطبيعي أن لا تنطبق عليه تسمية المسلم، لذا، طبقاً لرأي محمد بن عبد الوهاب فإنه وجميع مشايخه بل والمسلمين قاطبة مع مشايخهم لم يعرفوا معنى التوحيد والإسلام حتى اليوم الذي عرف فيه معناه الحقيقي، أي إنهم لم يكونوا مسلمين بالمعنى الحقيقي.

٢. محمد بن عبد الوهاب: معظم المسلمين لا يميّزون الفرق بين الكفر والإسلام

في كتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ يصرّح محمد بن عبد الوهاب أن معظم الناس اليوم لا يفرّقون بين الإسلام والكفر:

«وأعرف ما قصّ العلماء عن أصحابه، وأحوالهم، وأعمالهم. لعلك أن تعرف الإسلام والكفر. فإن الإسلام اليوم غريب، وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر. وذلك هو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح»^٢.

بحسب اعتقاد محمد بن عبد الوهاب لمّا كان معظم الناس لا يفرّقون بين الإسلام والكفر فقد ابتلوا بالهلاك الذي لا يرجى معه فلاح، وأن معظم الناس اختاروا الكفر بدل الإسلام، ولم يبق لهم سوى طريق الهلاك.

٣. يعتقد محمد بن عبد الوهاب أن كل من على الأرض كافر ودمه مباح

يقول صديق خان القنوجي أحد مشاهير علماء الوهابية في سيرة محمد بن عبد الوهاب نقلاً عن محمد ناصر الحازمي تلميذ الشوكاني: أن محمد بن عبد الوهاب تميّز بخصلتين هما: تكفير أهل الأرض جميعاً، والثانية جرأته على إراقة دماء الناس الأبرياء:

«وانتشرت دعوته في نجد وشرق بلاد العرب إلى عمان ولم يخرج عنها إلى الحجاز واليمن إلا في حدود المائتين والألف وتوفي سنة ١٢٠٩ ... قال الشيخ الامام العلامة محمد بن ناصر الحازمي الآخذ عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني: هو رجل عالم متبع الغالب عليه في نفسه الاتباع ورسائله معروفة وفيها المقبول والمردود وأشهر ما ينكر عليه خصلتان كبيرتان: الأولى تكفير أهل الأرض بمجرد تلفيقات لا دليل عليها وقد انصف السيد الفاضل العلامة داوود بن سليمان في الرد عليه في ذلك. الثانية التجاري على سفك الدم المعصوم بلا حجة ولا

١. محمد بن عبد الوهاب، مجموع مؤلفات، كتاب الرسائل الشخصية، ص ١٠٤، النجدي، عبد الرحمن بن محمد، الدرر السنية في أجوبة النجديّة، ج ١٠، ص ٧.

٢. محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول، ص ٨.

إقامة برهان. وتتبع هذه جزئيات ذكر السيد المذكور بعضها وترك كثيراً منها وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الأصل وصحته انتهى^١. نعم، كان محمد بن عبد الوهاب يعتبر أهل الأرض جميعاً مشركين وكفاراً، وكانت له جرأة شديدة على سفك دمائهم دونما دليل أو حجة. بيد أن هاتين الخصلتين المشكلتين لم تكن تعني بالنسبة لهم شيئاً ما دام الهدف إقامة الحكم الوهابي واستلام القتلة والطغاة لمقاليد السلطة!!

والمثير للجدل هو أنه لا محمد ناصر الحازمي أنكر هذه المسألة ولا صديق حسن خان كتب تعليقاً عليها، وفي هذا دلالة على إقرار هذين الوهابيين على المسألة المذكورة، وكانا يعتبران محمد بن عبد الوهاب شخص تكفيري وسفاح.

٤. سعود بن عبد العزيز: يجب قتل أهل مكة إذا لم يُسلموا (أى يعتنقوا الوهابية)

تحظى مكة والمدينة بقضية خاصة في نظر جميع المسلمين، وكانت على مدى التاريخ موضع احترام وتبجيل؛ ولكن في بعض لحظات التاريخ انتهكت حرمتها وحريم الأمن الإلهي على يد بعض الطغاة والسفاحين من أمثال يزيد والحجاج عندما هجموا على بيت الله وسفكوا دماء الناس في أرض الحرم.

إن التاريخ لشاهد على ارتكاب الوهابيين لأفطع الممارسات وأشنعها خلال المراحل الثلاث من حكمهم من أجل احتلال الحرمين الشريفين، حيث يشهد علماء أهل السنة أن الناس وبعد اشتداد القحط والجوع أثناء الحصار اضطروا إلى أكل لحوم الكلاب للنجاة من الموت^٢.

وفي رده على رسالة لأحد الأشخاص المعارضين على محاصرة الناس يقول سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود إذا لم يُسلم الناس ويخرجوا من شركهم وضلالهم وفسادهم فلا مفر من جهادهم وتطهير الحرمين من دنسهم.

«وما ذكرت: من جهة الحرمين الشريفين، الحمد لله على فضله وكرمه، حمداً كثيراً كما ينبغي أن يحمده، وعز جلاله، لما كان أهل الحرمين أبين عن الإسلام، و ممتنعين عن الإنقياد لأمر الله ورسوله و مقيمين على مثل ما أنت عليه اليوم، من الشرك والضلال والفساد وجب علينا الجهاد بحمد الله فيما يزيل ذلك عن حرم الله وحرم رسوله، من غير استحلال لحرمتها»^٣.

٥. من انحرف عن نهج آل الشيخ فقد سلك سبيل أهل النار

١. القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم، ج ٣، ص ١٩٥.

٢. وحاصروا مكة حتى اشتد البلاء وعم الغلاء وأكل الناس الكلاب والجيف، ثم عقد الشريف غالب معهم الصلح فدخلوا مكة.

(زيني دحلان، السيد احمد، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ١١٨)

٣. النجدي، عبد الرحمن بن محمد، الدرر السنية في أجوبة التجديية، ج ٩، ص ٢٦٤ - ٢٨٥.

يذكر عبد الرحمن بن محمد النجدي في كتابه «الدرر السنية» رسالة بعث بها عدد من أحفاد محمد بن عبد الوهاب إلى علماء نجد وأهلها، يقولون فيها صراحة أن من ينحرف عن نهج آل الشيخ (أسرة محمد بن عبد الوهاب) سوف يسلك سبيل أصحاب النار.

«من حسن بن حسين، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف، وعبد الله بن حسن، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، وكافة آل الشيخ: إلى كافة إخواننا من علماء نجد، وإخوانهم المنتسبين، سلمهم الله تعالى وهداهم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، تفهمون ما من الله به على أهل نجد في آخر هذا الزمان، مما بين الله على يد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، من معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ من دين الإسلام، والعمل به، وإقامة الأدلة على ذلك، والرد على أهل البدع والضلالات، ممن خرج عن دين الإسلام، واستبدل به سواه من الأعمال الردية، والاعتقادات الباطلة الوبية.

ثم ذريته من بعده، سلكوا على منواله، وأيدهم الله تعالى بولاة الأمر من آل سعود، رحم الله أمواتهم، وأعز بإقامة دينه أحياءهم، قاموا بهذا الدين أتم القيام، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، ومحا الله بهم آثار الشرك والبدع والضلالات من نجد، والله الحمد والمنة ... ولا ينبغي لأحد من الناس العدول عن طريقة آل الشيخ رحمة الله عليهم، ومخالفة ما استمروا عليه في أصول الدين، فإنه الصراط المستقيم، الذي من حاد عنه فقد سلك طريق أصحاب الجحيم ...».

إذن، طبقاً لهذه الوثيقة، يعتقد أحفاد محمد بن عبد الوهاب أن الناس قبل ظهور جدّهم كانوا خارج دائرة الإسلام ومبتلين بالمعتقدات الباطلة، أما اليوم فمن كان يريد أن يكون مسلماً وآلاً يسلك طريق أهل الجحيم، عليه أن لا يحيد عن نهج أحفاد محمد بن عبد الوهاب الذين هم على الصراط الإلهي المستقيم، ما يعني أن جميع المسلمين من غير الوهابيين ليسوا مسلمين حقيقيين ومصيرهم إلى جهنم.

٦. عبد الله بن محمد الغنيمان: إذا لم يتبع الأشاعرة الوهابيين فسوف يقتلون

يصرّح عبد الله بن محمد الغنيمان أحد علماء الوهابية المشهورين ورئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، أن الأشاعرة الذين يمثلون غالبية مسلمي العالم، إذا لم يؤمنوا بعقائد الوهابية، فسوف نضطر إلى إشهار السلاح بوجههم. ففي شرحه على كتاب التوحيد لصحيح البخاري يقول:

«وقد إنتسب إلى الأشعري أكثر العالم الاسلامي اليوم من أتباع المذاهب الأربعة، وهم يعتمدون على تأويل نصوص الصفات تأويلاً يصل أحياناً إلى التحريف، وأحياناً يكون تأويلاً بعيداً جداً، وقد امتلأت الدنيا بكتب هذا

١. همان، ج ١٤، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

المذهب وادعى أصحابه أنهم أهل السنة، ونسبوا من آمن بالنصوص على ظاهرها إلى التشبيه والتجسيم. هذا ولا بدّ لعلماء الاسلام - ورثة رسول الله - من مقاومة هذه التيارات الجارفة على حسب ما تقتضيه الحال، من المناظرات، أو بالتأليف و بيان الحق بالبراهين العقلية و الثقلية و قد يصل الأمر أحياناً إلى شهر السلاح^١.

إذن، على الرغم من أن الأشاعرة يشكّلون الأغلبية في مذهب أهل السنّة، فإنّ فئة صغيرة هي الفرقة الوهابية تقول إذا لم تستطع من إقناعها في ميدان المناظرة والحوار للانضواء تحت لوائها، فإنّها ستضطرّ إلى إشهار السلاح بوجهها وتبيدها، كما تفعل اليوم في بلدان مثل أفغانستان والباكستان والعراق وسورية والبحرين ... إلخ.

٧. محمد بن أحمد باشميل: جميع المسلمين مشركون وخارجون عن ملة الإسلام

محمد بن أحمد باشميل مفكر وداعية وشاعر وكاتب وصحفي وخبير إعلامي عمل في الإذاعة والتلفزيون السعودية، وتوفي في عام ١٤٢٦ هـ، يذكر في العديد من كتبه أن بقية المسلمين غير موحدّين وكفار. ففي كتاب له تحت عنوان «كيف نفهم التوحيد؟» يقول في الفقرة الأولى منه بعد حمد الله والثناء عليه:

«ومن المؤسف المبكي أن عامة المسلمين من الجهال لا يعرفون المعنى الحقيقي للعبادة فيتوجهون بها إلى غير الله تعالى (جهلاً) فيقعون في الشرك المخرج من الملة»^٢.

من النادر أن يسمع المرء عبارة أوضح من هذه في تكفير جميع المسلمين، لكنّ الكاتب يذكر صراحةً في كل فقرة من فقرات هذا الكتاب أن المسلمين اليوم هم أكثر شركاً من مشركي عصر الجاهلية، وسنكتفي هنا بالفقرة التي أوردناه لدواعي الإيجاز.

٨. بن باز: معظم المسلمين مبتلون بالشرك

هاهو بن باز المفتي الأعلى السابق في العربية السعودية بعد أن يفصل الكلام في التوحيد ومعرفة الله يقول: «فتأمل ذلك جيداً وتدبره كثيراً ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل حتى عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه، فالله المستعان»^٣.

واستناداً إلى هذا الدليل فإنّ الشيخ بن باز يعلنها صراحةً أنّ غالبية المسلمين مشركون ويعبدون غير الله، وهو نفس الفكر الذي يتسبّب في بثّ الاختلاف والفرقة في صفوف المسلمين ويتعارض تماماً مع النصوص الصريحة للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

١. الغنيمان، عبد الله بن محمد، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى، ج ١، ص ١٩.

٢. باشميل، محمد بن احمد، كيف نفهم التوحيد؟، ص ٥.

٣. بن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى و مقالات متنوعة، ج ١، ص ١٦.

الخلاصة

طبقاً لرأي القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة المذكورة في صحاح أهل السنة لا يجوز تكفير أي مسلم، فإذا أظهر شخص إسلامه على أي نحو كان، كان من الواجب على المسلمين حينذاك أن يجروا عليه حكم الإسلام وأن يعصموا دمه وماله. وإذا خاطب أحدهم أخاه المسلم بكلمة «كافر» كان كمن قتله وقد ارتكب خطأ كبيراً. لكن الوهابيين يعتبرون المسلمين غير الوهابيين كفاراً ومهدوري الدم، وهذا الرأي يتناقض مع آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

لذا، وصيتنا إلى علماء الوهابية أن يكفوا عن تكفير أخوتهم وأن يعصموا دماءهم وألا يوغلوا في إشعال الفتنة والفساد أكثر من هذا.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد (متوفى ٢٣٥ هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ

٣. ابن الأثير الجزري، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد (متوفى ٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الجزء الرابع، ص ٩٩، ٩٨، جمع وترتيب: الدكتور محمد سعد الشويعر، ناشر: موقع بن باز

٥. ابن تيمية الحراني، عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (متوفى ٦٥٢ هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي سيد صبح المدني، ناشر: مطبعة المدني - مصر.

٦. ابن تيمية الحراني الحنبلي، ابو العباس أحمد عبد الحلیم (متوفى ٧٢٨ هـ)، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ

٧. ابن تيمية الحراني الحنبلي، ابو العباس أحمد عبد الحلیم (متوفى ٧٢٨ هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني/ محمد كبير أحمد شودري، ناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ٨. ابن تيمية الحراني الحنبلي، ابو العباس أحمد عبد الحلیم (متوفى ٧٢٨ هـ)، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٩. ابن دقيق العيد، تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مُطيع القُشَيْرِي المنفلوطي (متوفى ٧٠٢ هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠. ابن عبد البر النمري القرطبي المالكي، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (متوفى ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ
١١. ابن عبد البر النمري القرطبي المالكي، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (متوفى ٤٦٣ هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧ هـ
١٢. الأفرقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (متوفى ٧١١ هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
١٣. الأنصاري القرطبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (متوفى ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار الشعب - القاهرة.
١٤. باشميل، محمد بن احمد، كيف نفهم التوحيد، الطبعة: ١٤٠٦ هـ بلا عنوان، بلا مكان للنشر.
١٥. البخاري الجعفي، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل (متوفى ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧
١٦. البغوي، الحسين بن مسعود (متوفى ٥١٦ هـ)، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، الناشر: دار المعرفة - بيروت. ١٧. حنانه، يوسف كمال، المسألة الحجازية، مطبعة العراق - بغداد، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ هـ
١٨. الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين (متوفى ٨٤٢ هـ)، الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيميه شيخ الإسلام كافر، تحقيق: زهير الشاويش، ناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ
١٩. الرازي الشافعي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (متوفى ٦٠٤ هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (متوفى ٧٢١ هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة: طبعة جديدة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢١. الزرعي الدمشقي الحنبلي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب (الشهير بابن القيم الجوزية) (متوفى ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٢٢. الزيني دحلان، السيد احمد، الدرر السنية في الرد على الوهابية، تحقيق: جبرئيل حداد، الناشر: مكتبة الأحباب - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٣. سليمان بن عبد الوهاب (متوفى ١٢١٠ هـ)، الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية، تحقيق: السراوي، ناشر: دار ذو الفقار - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
٢٤. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (متوفى ١٢٥٥ هـ)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٢٥. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (متوفى ٣٦٠ هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ناشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥ هـ - ٢٦. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (متوفى ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (متوفى ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤٠٥ هـ.
٢٨. العاصمي القحطاني النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (متوفى ١٣٩٢ هـ)، الدرر السنية في أجوبة النجديّة، الطبعة السادسة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٩. العسقلاني الشافعي، أحمد بن علي بن حجر ابو الفضل (متوفى ٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
٣٠. الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (متوفى ٥٠٥ هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، ناشر: دار ومكتبة الهلال - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣ م.
٣١. الغزنوي الحنفي، جمال الدين أحمد بن محمد (متوفى ٥٩٣ هـ)، كتاب أصول الدين، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٢. الغنيمان، عبد الله بن محمد، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٣. القنوجي البخاري، أبو الطيب السيد محمد صديق خان بن السيد حسن خان (متوفى ١٣٠٧ هـ)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨ م.

٣٤. القنوجي البخاري، أبو الطيب السيد محمد صديق خان بن السيد حسن خان (متوفى ١٣٠٧ هـ)، الدين الخالص، تحقيق: محمد سالم هاشم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. ٣٥. محمد بن عبد الوهاب (متوفى ١٢٠٦ هـ)، مجموع مؤلفات/ الرسائل الشخصية، تحقيق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة الثانية، بلا عنوان، بلا تاريخ، بلا مكان للنشر.

٣٦. محمد بن عبد الوهاب (متوفى ١٢٠٦ هـ)، مختصر السيرة، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد البلتاجي، د. سيد حجاب، الناشر: مطابع الرياض - الرياض، الطبعة: الأولى.

٣٧. النجدي الحنبلي، عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الناشر: مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز، - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٣٨. النمري القرطبي المالكي، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (متوفى ٤٦٣ هـ)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار في شرح الموطأ، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م.

٣٩. النهباني، الشيخ يوسف بن إسماعيل (متوفى ١٣٥٠ هـ)، شواهد الحق في الإستغاثة بسيد الخلق، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٤٠. النيسابوري القشيري، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (متوفى ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

أصول منهجية السلفية

تأليف: أبو الفضل الغفاري^١

ترجمة: جعفر الحكيم

نبذة

إنَّ خصائص منهجية السلفية المعاصرة جعلت هذا التيار في وضع معرفيٍّ و عمليٍّ خاصٍّ يختلف عن أهل السنة كما تختلف تداعيات هذا الوضع على الصعيد النظريِّ و العمليِّ. يتبيَّن من خلال مراجعة أهمِّ العقائد السلفية - و هي الرجوع المباشر إلى القرآن دون واسطة - بأنَّه هي بذاتها ما أوجدت الراديكاليَّة و التطرّف في داخل العالم الإسلاميِّ و خارجه. فقد همّشت منهجية السلفية - و خصوصاً السلفية الجهادية - العقل من خلال تأكيدها على الالتزام بفهم منهج السلف الصالح و الأخذ المتطرّف بالظواهر، و قد تأتي من ذلك عدة نتائج مهمّة؛ من قبيل إيجاد تغيّرات سياسيّة و اجتماعيّة و ثقافيّة؛ أهمّها هي إعادة الحتميّة لإنتاج العنف على يد هذا التيار تحت شعار الجهاد. و يتعرّض هذا المقال إلى سوابق منهجية السلفية، و أصول منهجية الفكر السلفيِّ و كذلك يتناول تصانيف التيارات السلفية المعاصرة، هذا إضافة إلى مناقشة النتائج التي أدت بشكل تلقائيٍّ - و على أساس أصول منهجية السلفية - إلى إعادة الحتميّة لإنتاج العنف تحت مسمى أصل الجهاد العمليِّ.

الكلمات المفتاحية: المنهجية، السلفية، الراديكاليّة، التطرّف، العنف، الجهاد.

المقدمة

لقد اختار السلفيون منهجية خاصة لبحث و فهم الدين و التي تنصّ - بحسب ما يرى هؤلاء - على ضرورة و وجوب الرجوع إلى القرآن و السنّة و سيرة المسلمين الأوائل لمعرفة الشريعة بشكل صحيح و هذه الرؤية تولّد نتائج مختلفة على الصعيد النظريِّ و العمليِّ نظراً إلى منهجيتها الخاصة. فالسلفية متزمتة و متشدّدة في أنّ مصادر التشريع الإسلاميّ هي: الكتاب و السنّة و منهج السلف الصالح، بينما يعتبر أهل السنة مصادر الشريعة من حيث المنهجية عبارة عن الكتاب و السنّة و الإجماع و القياس و المصالح المرسلة و سدّ الذرائع و فهذه المنهجية و نظراً إلى تضمّنها القول بضرورة الرجوع المباشر و من دون واسطة إلى القرآن؛ تمهّد في حدّ ذاتها الأرضية لورود

١. الكاتب المسؤول: طالب دكتوراه العلوم السياسيّة في جامعة باقر العلوم ع.ج.ع.

الأشخاص غير ذوي الخبرة إلى هذا المجال؛ بحيث تؤدي إلى تنامي وجود فهم واستنتاجات من قد تأثر بالظروف و القضايا و المشاكل السياسية و الاجتماعية التي تحيط به، و هذا قد يؤدي إلى انفتاح الأبواب أمام الاستنباطات الطائشة و الطلبات غير الشاملة و الأساليب الحرفية الضيقة و الفهم غير المنهجي و الهواجس المنبعثة عن العقد الاجتماعية المكتوبة؛ و التي تفسح المجال للعنف و الراديكالية و التطرف. تجلب هذه الأمور معها تداعيات مهمة على صعيد التحولات السياسية و الاجتماعية و الثقافية؛ أهمها هو تعطيل الفقه أو تقليص دوره - كحد أدنى - إلى دور جمع و تبويب الأحاديث لا غير. و على هذا النحو تزول إمكانية الاجتهاد و الفهم الاجتهادي و تتلاشى الوساطة من أولي الخبرة في فهم النصوص، فينتهي الأمر إلى إنتاج العنف تحت شعار الجهاد.

المنهجية هي الجزء المقوم لكل فكر؛ بما فيه الفكر السياسي. فإن انعدام المنهجية أو اصطناع منهج لا يستند على قوانين و قواعد العلم و الفكر محل البحث؛ سيجلب معه نوعاً من الفوضى في الفهم و سيمهد لظهور مناهج خطيرة في فهم النصوص. و نظراً إلى أهمية مسألة المنهجية و تأثيرها المباشر في معرفة الأسس الفكرية للتيارات التكفيرية، فإن هذا المقال يعمل على تبين العلاقة بين منهجية السلفية و بين إنتاج العنف، و بعبارة أخرى يدرس هذا المقال تداعيات الالتزام أو عدم الالتزام بالمنهجية المطلوبة في التيارات التكفيرية.

١. تصنيف التيارات السلفية

السلف في اللغة بمعنى السابق و كما قال ابن فارس؛ إن السلف هو أصل يدل على التقدم و السبق. فالسلف هم من كانوا في الماضي^١. و لكن المعنى المصطلح للسلف قد بينه المنظرّون السلفيون بعدة صور؛ نشير إلى بعضها: يقول ابن تيمية بأن السلف هم خير من عاش في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، و هم أصحاب جميع الفضائل، و هم أولى من غيرهم بالبيان لكل مشكلة و هم الصحابة و التابعين و تابعي التابعين^٢. كما لابن قيم الجوزية بحث في كتابه أعلام الموقعين تحت عنوان «في جواز الفتوى بالآثار السلفية و الفتاوى الصحابية» يدعو فيه المسلمين إلى اتباع الأوائل ممن اعتنق الإسلام من المهاجرين و الأنصار و ذلك استناداً إلى الآية ١٠٠ من سورة التوبة^٣. و أمّا الدليل الأهم عند السلفية في إقرار مشروعية السلف هو حديث «الخيرة» المروي عندهم عن نبي الإسلام ﷺ بأنه قال:

«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه و يمينه شهادة»^٤.

١. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٩٥.

٢. أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٩٦.

٣. ابن قيم، أعلام الموقعين، ج ٥، ص ٥٤٣-٥٥٦.

٤. صحيح البخاري، ص ٦٤٥ و مسند أحمد بن حنبل، ج ٧، ص ١٩٩-٢٠٠.

حيث اعتبر السلفيون من خلال الاستناد على هذا الحديث، أن القرون الثلاثة الأولى من الإسلام هي خير القرون، و لذلك قالوا بثبوت المرجعية في مختلف الأبعاد لمن عاش في هذه الثلاثة^١. و السلفية ظاهرة طارئة غير مرغوب فيها، تدعي انحصار الإسلام بها، و تعتبر جميع ما عداها كفاراً، و الحال أن ابتداء مذهب باسم السلفية و تكفير سائر المذاهب هو في نفسه بدعة لا تتلاءم و دعوى أتباع السلف^٢.

بالرغم من اشتراك التيارات السلفية المختلفة في المنشأ و الماضي إلا أن العوامل الثلاثة؛ و هي: «العقيدة» و «السياسة» و «أسلوب تحقيق الهدف» قد أدت إلى تمايز التيارات السلفية بعضها عن البعض؛ حيث يوجد اختلاف في العقائد حول تعيين المصدر المعرفي؛ فهل هو الحديث، أو ينبغي مراجعة النص مباشرة، و كذلك ففي مدرسة «ديوبند» هناك اختلاف حول اعتبارهم لأصلي الطريقة و الشريعة.

وكذلك هناك اختلاف حول الأمور السياسية؛ مثل حدود المشاركة السياسية و طريقة التعامل مع الحكومة و طريقة التعامل مع المسلمين و غير المسلمين. كما يدور هذا الاختلاف أيضاً حول طريقة تحقيق الأهداف، مثل الاغتيال و العنف و الجهاد بافتراض أنه هل ينبغي للمسلمين أن يصرفوا همهم إلى الجهاد أم إلى الدعوة و الأسلوب الدعوي، أي؛ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و المعروف الأهم هو التوحيد و الخروج من الشرك و تختلف و جهات النظر بين أصناف الفكر السلفي في كل من هذه الموضوعات.

على أساس هذه المعايير؛ يمكن تقسيم التيارات السلفية إلى عدة تيارات:

١ - ١. السلفية التكفيرية

تعود سابقة التكفير إلى القرن الأول من الهجرة تزامناً مع ظهور الخوارج، فقد كانت قضية الكفر و الإيمان محور اهتمامهم الرئيس، حيث تتمتع هذه القضية بأثار سياسية مهمة من جهة تمتع الأفراد بالحقوق المنبثقة من انتمائهم إلى المجتمع الإسلامي؛ كحرمة الدم و المال و حق الحياة في المجتمع الإسلامي، و العقيدة الأخرى لدى الخوارج هي نفي الحكومة على أساس الفهم الخاطئ للآية ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾^٣ حيث ينبغي - بحسب رأي الخوارج - أن يحكم الله هذا العالم مباشرة. كما كان الخوارج - بناءً على قضية الإيمان و الكفر - يعدون مرتكب الكبيرة كافراً، فكانوا يخرجون الفرد من المجتمع الإسلامي بمجرد ارتكابه للكبيرة. و كان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجباً في جميع مراتبه، و شمل هذا تشديد الرقابة على السلوك الفردي و الاجتماعي بين أفراد المجتمع، كما اعتبروا أن وجوب الخروج على الحاكم الجائر و قتاله أحد مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

١. مهدي عليزاده موسوي، تبار شناسي سلفي گري و وهابيت، ص ٣٢.

٢. راجع: محمد سعيد رمضان البوطي، سلفيه بدعت يا مذهب (السلفية مرحلة زمنية مباركة لامذهب إسلام)، ترجمه إلى

الفارسية: حسين صابري، ص ١٦.

٣. سورة يوسف، ٤٠.

فبناءً على هذه التعاليم يمكن أن نعدّد خصائص منهجيّة الخوارج على النحو التالي: الالتزام بالتعاليم الدينيّة المنقولة و تجنّب الرجوع إلى العقل، الأخذ بالظواهر الدينيّة و رفض أيّ نوع من التفسير و التأويل، العمليّة الشديدة في الفكر و تقدّم العمل على النظرية، خاتمة تقديس السلطة السياسيّة بعد وفاة النبيّ و انتقاله إلى كلّ المجتمع المسلم، و ممّا لفت أنظار الباحثين المسلمين و كذلك المستشرقين: اعتقاد الخوارج بالديموقراطية الشاملة و المتطرّفة التي تعتقد بمساواة جميع المسلمين في أمر الحكم و كذلك الفوضويّة.

أمّا في عصرنا الحاضر نجد أنّ السلفيّة التكفيرية و اعتماداً على تعاليم الخوارج تعتبر مرتكب الكبيرة كافراً، كما يعدّون كلّ من خالفهم في ذمّة الكفّار، حيث يعتقدون بوجود نوع من التلازم بين الإيمان و العمل. فلا يميّز هذا التيّار بين الكفّار و بين المسلمين شيعة كانوا أو سنّة؛ بل يعتبرهم جميعاً مستحقّين للموت^١.

وطبعاً يجب أن نشير إلى أنّ الغرب قد وجد ضالته فاستفاد من الفرصة المتمثّلة في هذه التيارات لمجاهاة تزايد المدّ الإسلاميّ في الغرب؛ فواصل العمل في مشروعه المعادي للإسلام من خلال استغلال هذه التيارات.

٢ - ١. السلفيّة الجهاديّة

استقت السلفيّة الجهاديّة جذورها أوّلًا من أفكار أبي الأعلى المودوديّ، فإنّ حميد عنایت يرى أنّ حصيلة نظرية التمهيد للثورة الإسلاميّة للمودوديّ، هي أنّ الحكومة الإسلاميّة سوف تحجم و تنهار لا محالة إذا ما لم تستند إلى ثورة إسلاميّة^٢. ثمّ يستقي هذا التيّار من أفكار سيّد قطب الذي سمّى جميع المجتمعات مجتمعات جاهليّة. كما تأثرت السلفيّة الجهاديّة بمحمد عبد السلام الذي طرح قضية (الفريضة الغائبة)، و هكذا أضحي مفهوم الجهاد يُذكر على أنّه أحد شروط العودة إلى عصر العظمة الإسلاميّة، و للجهاد في نظرهم جانبان؛ أحدهما الجهاد الداخليّ، و الآخر جهاد العدو الخارجيّ، كما روجوا لعقيدة توجب على كلّ مسلم أن يجاهد في كلّ سنّة أو أن يتكفّل بمؤونة جنديّ لمدّة اثني عشر شهراً.

كما يصف عبد اللطيف الهرماسي السلفيّة الجهاديّة بقوله:

«لم تعطِ السلفيّة الجهاديّة في نشاطها قيمةً للتعريف الدارج بين العلماء المسلمين من حيث تقسيم العالم إلى إسلام و كفر و إنّما قامت بإخراج نسبة كبيرة من المسلمين من دائرة الإسلام بتوسعتها لمفهوم الشرك و الكفر، و من جهة أخرى أعطت نشاطاتها لوناً سياسياً و صار منهجها في الكفاح هو الجهاد و لتبرير هذا المنهج اضطرت إلى إصدار أحكام الكفر و الارتداد على من خالفها^٣.

١. سيد مهدي عليزاده موسوي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

٢. حميد عنایت، اندیشه سياسي در اسلام معاصر، ترجمه إلى الفارسيّة: بهاء الدين خرمشاهی، ص ١٧٨ - ١٩٦.

٣. راجع: عبد اللطيف الهرماسي، حوار مع سويس اينفو.

وتنتهي كل من تيارات بن لادن و طالبان و جبهة النصرة و التيارات التي تعمل ضد سوريا و العراق إلى السلفية الجهادية.

حيث ترى هذه الفرق وجوب الجهاد، كما أن أحد أصولها العقائدية ينص على لزوم إقامة حكومة إسلامية بواسطة الجهاد، لذا نجد أن هذا التيار تميل إلى التطرف و الراديكالية كما لعبت الدور الأول في تنفيذ جرائم متطرفة و ارتكاب مجازر عنيفة على مستوى العالم.

٣ - ١. السلفية الدعوية

السلفية الدعوية هي أحد أنواع الفكر السلفي، و قد اتخذت من الدعوة إلى أفكارها و أسس السلفية محورا لنشاطها، و يسعى هذا التيار إلى عولمة الفكر السلفي من خلال استخدام تقنيات الاتصال المتطورة، و تعمل على تحقيق أهدافها من خلال الترويج لأسس السلفية من قبيل الحديثية، و السلفية، و التوحيد و الشرك و الإيمان و الكفر من جهة، و من جهة أخرى عبر إلغاء عقيدة سائر المسلمين بإلقاء الشبهات^١.

وقد أحدث هذا التيار نوعاً من الإسلام السلفي المتصل بالإنترنت من خلال افتتاح ميادين المجال الافتراضي و استخدامها، حيث أوجدوا صلة وثيقة بين فكرة الإسلام السلفي و العولمة من خلال استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الافتراضية و المواقع على الأنترنت. كما أن أحد نماذج هذا التيار السلفي الدعوي؛ هي جماعة الدعوة التي تعتمد على أسلوب الدعوة وجهاً لوجه، حيث إن لهذا التيار نشاط في إيران أيضاً. كما اتخذت جماعة أهل القرآن في باكستان من منهج السلفية الدعوية مسلكاً لها.

٢. السيرة التاريخية لمنهجية التيارات السلفية

ينبغي تتبع جذور المنهجية السلفية في التيار الظاهري. و قد بدأ هذا التيار على يد أحمد بن حنبل (م ٢٤١)، حيث جعلوا الحديث ملاكاً لفهم الوحي بدلاً من كون الوحي هو المعيار لمعرفة الحق، و فرضوا على القرآن ما جنوه من الحديث، و بذلك قد فرضوا آراءهم الشخصية على القرآن^٢. و يظهر الأشاعرة فقد هذا التيار رونقه شيئاً فشيئاً غير أنه لم يتلاش تماماً. ثم ازدهر هذا التيار الذي يرى أن لغة الدين جافة لا مرونة فيها مرة أخرى في القرن الثامن الهجري على ابن تيمية (المتوفى عام ٧٢٨ هـ) و أسس ابن تيمية على أساس رؤيته للروايات و الآيات خطأ انحرافياً سلكه تلامذته لاحقاً، و من جملة عقائد ابن تيمية التي تركت بصمات لا يمكن التغاضي عنها على المنهجية السلفية؛ النقاط الآتية:

١. سيد مهدي عليزاده موسى، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

٢. راجع: جعفر السبحاني، بحوث في الملل و النحل، ص ٢٤٨ - ٢٧٨.

رفض البرهان العقليّ: أحد الأسس الفكرية لابن تيمية هي رفض البرهان العقليّ و من هذا المنطلق نشأ اعتقاده بجسمانية الله. فكان يرى أنّ الموجود القائم بنفسه غير القابل للإشارة الحسية و غير المرئي لا وجود له في الخارج و ليس إلّا مخلوقاً للذهن:

«وأما إثبات موجود قائم بنفسه لا يشار إليه و لا يكون داخل العالم و لا خارجه، فهذا ممّا يعلم العقل استحالته ... و بطلانه»^١.

فقد خلط ابن تيمية بسبب منهجه الحسيّ بين معايير الموجود المادّي و غير المادّي، لأنّ الرؤية إن فسرت بمعنى الإدراك الحسيّ، إنّما تستلزم الجسمانية. و لذلك فقد قال بأنّ الله (عز و جل) جسماء و بما أنّه كان ذا منهج حسيّ، نجده قد اقتصر على الظواهر و لم يتعدّ هذه المرحلة. و يؤكّد ابن تيمية في كتابه «نقض المنطق» على انحصار الاعتبار بالحسّ المشهود. و برفضه لقيمة القياس البرهاني لم يدع للعقل مجالاً في تطوير العلوم و أصبح الحسّ و الاستقراء اللاعب الرئيس في هذا المجال^٢.

فكانت حصيلة هذه الرؤية الحسية، أنّ يقوم ابن تيمية بتشبيهه الله (عز و جل) بالأجسام و المخلوقات التي لها يد و عين و أذن و أنّه جالس على العرش.

الاعتماد المفرط على النقل: في امتداد الخصلة السابق ذكرها؛ نجد أنّ ابن تيمية يعاني و تلامذته و أتباعه من اعتماد مفرط على النقل، و هذا ما جعل ابن تيمية يؤسّس منهجه على ثلاث أسس؛ هي: محاربة الفلسفة و المنطق، و محاربة علم الكلام، و الاعتماد على النقل السلفي^٣. فقد هاجم ابن تيمية الفلسفة و المنطق بشدّة في كتابه «الردّ على المنطقيين» و نهى المسلمين عن تعلّمهما و اعتبر اليونان هي منشأ المنطق. و كذا نجده يناهض علم الكلام بشدّة في كتابه «الفتوى الحموية الكبرى» و يتّهم المتكلّمين بترجيح قول الخلف على السلف، و يرى أنّ فعلهم هذا قد أدّى بهم إلى جهل مضاعف، كما اعتبر ابن تيمية أصحاب علم الكلام أكثر الناس حيرة حين الموت. لذا، و كنتيجة لتوجّهه المعارض للعقل؛ نجده يعتمد النقل في جميع مجالات الإلهيات و الأحكام و الأخلاق و أصول الدين، و لا يعتبر الرجوع مشروعاً إلّا إلى الكتاب و السنة، و هذا ما أدّى به إلى السلفية و الماوية التي أعادت تمهيد الطريق أمام الجمود على الظواهر بدلاً من الالتفات إلى عناصر الزمان و المكان و الاجتهاد في فهم الدين.

١. أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، منهاج السنّة النبوية، ج ٢، ص ٣٣٤.

٢. تراجع: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، نقض المنطق، ص ٢٠٠-٢٠٥.

٣. مهدي عزيزاده موسى، المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

٤. تراجع: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الردّ على المنطقيين، ص ١٢٤-١٥٩.

٥. تراجع: ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، ص ١٩١-١٩٥.

التعصّب غير اللائق: إنّ التعصّب المذهبيّ الشديد هو إحدى العقائد التي تركت أثراً عميقاً على منهجية ابن تيمية و التيارات التكفيرية، بحيث يبيح لأصحابه رمي الآخرين بتهمة الكفر و الشرك بكلّ يسر. و في هذا الصدد نرى أنّ ابن تيمية كان يعادي التشيع معاداة بالغة، و قد بين آراءه عن الشيعة في كتابي «منهاج السنّة النبوية في النقض على الرافضة و القدرية» و «رأس الحسين». حيث ألف كتاب منهاج السنّة في مقابل كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلّي، و قد تهجم فيه على الشيعة و نسب إليهم كذباً و بهتاناً أموراً لا تصحّ^١. كما أضاف ابن تيمية إلى مدرسته القول بأنّ زيارة القبور و التوسّل بأهل البيت عليهم السلام شرك و غير ذلك، بل و نفي فضائلهم، فقد استعرض ابن تيمية رؤية مختلفة في الأمور الدينية. و بالرغم من عدم اكتساب أفكاره و آرائه اهتماماً واسعاً؛ إلّا أنّها صارت أساساً لأفكار محمد بن عبد الوهاب النجديّ في القرن الثاني عشر الهجريّ.

و كنتيجة لهذه التعصّبات و العقائد غير السليمة و المضلّة، تسببت السلفية في نجد و بزعامة محمد بن عبد الوهاب (المتوفى عام ١٢٠٧ هـ) في تصاعد موجة التطرّف و التشدّد إلى أنّ وصلت شيئاً فشيئاً إلى تكفير جميع المسلمين و وسم المذاهب الأخرى بأهل البدعة، كما ادّعت أنّ الإسلام الأصيل كان لدى السلف، و أنّ فهمهم للكتاب و السنّة حجّة على الجميع، و أنّ كلّ من يعدل عن هذا المنهج فهو مبتدع و خارج عن دين الإسلام. بل نجد أنّ محمد بن عبد الوهاب قد حكم في كتابه «كشف الشبهات» بارتداد جميع المسلمين عن الإسلام؛ و بالتبعية، أصدر فتوى بجواز قتلهم، و اعتبر جميع مسلمي عصره كفّاراً. فكان هذا الكتاب أساساً لإباحة دماء و أموال و أعراض المسلمين و تسبّب في وقوع الكثير من المجازر. فخلافلاً لابن تيمية الذي كان نشطاً في المجال النظريّ؛ فإنّ محمد بن عبد الوهاب أدخل السلفية في ميدان العمل و اعتبر المسلمين كفّاراً يستحقّون الموت، و أنّ أموالهم و أعراضهم مباحة.

و بعد الإشارة إلى السيرة التاريخية للمنهجية السلفية؛ نطالع أصول المنهجية السلفية:

٣. أصول منهجية السلفية

١ - ٣. الفهم المباشر للنص

تعتمد السلفية على مبدأ المراجعة المباشرة للنص، و ترك زعماء المذهب. و على أساس هذه التعاليم يتمّ إزالة الوسائط ليحلّ محلّها الرجوع إلى النصّ. علماً بأنّ الرجوع إلى النصّ دون وجود نظرية تحكّمه؛ يعني وجوب العمل بكلّ حكم من النصّ كما هو، و لا يحتاج إلى التأويل أو التفسير أو التوضيح. يرى القرظاوي أنّ الظاهريين الجدد هم ورثة الظاهرية القديمة التي كانت تكتفي بالفهم الحرفيّ لأدلة الشرع، و تغفل عن مقاصد الشارع وراء هذه الألفاظ، و يسمّي هذا التيار بفقه النصوص بمعزل عن المقاصد^٢. ثمّ يعدّد ستّ خصائص لهذا التيار؛ و هي: ١ - الفهم و التفسير الحرفيّ للنصوص الدينية؛ ٢ - الميل إلى التشدّد و التزمّت في الأحكام؛ ٣ - الاعتماد المتعجرف

١. راجع: ابن تيمية، منهاج السنّة النبوية، ج ١، ص ٢٨ - ٥٧.

٢. راجع: يوسف مصطفى القرظاوي، دراسة في فقه مقاصد الشريعة، بين المقاصد الكلية و النصوص الجزئية، ص ٢٨٨.

على الرأي و الرؤية الشخصية؛ ٤ - الرفض الشديد للمخالفين و طردهم؛ ٥ - تكفير المخالفين؛ ٦ - عدم الاكتراث بالتسبب في إيجاد الفتن^١.

إن أسلوب فهم القرآن من خلال الظاهر تعني فهم القرآن من خلال ظواهر الألفاظ و المفردات فحسب حتى لو استلزم ذلك معنى مخالفاً للعقل، و قد اعتمد السلفيون هذه الطريقة التي ينتج عنها الجمود الفكري و الفهم السطحي للآيات و المعارف القرآنية. حيث إن تحديد دائرة فهم القرآن بالمفردات هو في واقع الأمر سدّ طريق الفهم؛ و ذلك لأن مثل هذا الفهم الظاهري يؤدي إلى تحديد القرآن من جهة الزمان و المكان، كما أنه يؤدي إلى تجاهل مصلحة المجتمعات، و المسائل و الأحكام الفقهية المستحدثة.

وهذا الأسلوب يقابل الأسلوب الذي يرى أن لغة القرآن ليست هي مجرد ألفاظه و حسب؛ إنما هي ثقافة القرآن التي تحمل رسالته المتعلقة بالفطرة البشرية، و التي تعم جميع الثقافات و لا تختص بلغة خاصة دون أخرى^٢.

٢ - ٣. التزكية، توحيد في مقابل الشرك

تقسّم السلفية الجديدة العالم إلى توحيد و شرك؛ أي أن هناك جزء مؤمن و آخر غير مؤمن، و تعرف العلاقة بين هذين الجزئين على أنها علاقة العدا و الحرب. و على أساس ما لدى السلفية الجديدة من تعاليم؛ تطلق على الفئات و الفرق التي تهدد المجتمع بحسب رأيها اسم العدو القريب، و أما الاستعمار أو العدو الخارجي فتسميه العدو البعيد في أن معظم الصراع يدور بينها و بين العدو القريب و من أخطر نتائج هذا النهج هو بروز الجهاد كأصل عملي يؤدي إلى التطرف و الراديكالية و استخدام العنف تحت شعارالجهاد. و لنا أن ندعي بأن رؤى أبو الأعلى المودودي و سيد قطب إضافة إلى عبد السلام فرج هي التي رسمت الإطار الفكري للكثير من الإسلاميين السلفيين في الثمانينات و التسعينات من القرن العشرين الميلادي. و فيما يلي سنشير باختصار إلى أهم تعاليم سيد قطب:

لقد عاش سيد قطب أربع مراحل فكرية: ١ - مرحلة الميول الإلحادية؛ ٢ - مرحلة الميول العلمانية؛ ٣ - مرحلة الميل نحو الحكومة الإسلامية و التوفيق بين الدين و السياسة و قد ألف كتابه «في الضلال» في هذه المرحلة؛ ٤ - الميول التطرفية الراديكالية و التي ظهرت في أفكاره بعد رحلته إلى أمريكا و قد كتب كتابه «معالم في الطريق» في هذه المرحلة و التي تبدلت إلى وثيقة المتطرفين في العالم الإسلامي.

تشارك ثلاث مفاهيم في فكر سيد قطب هي:

١. راجع: داوود فيرحي، فقه و سياست در ايران معاصر، ص ٦٨.

٢. راجع: عبدالله جوادى آملی، دين شناسی، ص ٧٩.

١ - الجاهلية: يعتقد سيّد قطب بأنّ كافّة المجتمعات في عصره مسلمة كانت أم غير مسلمة كلّها جاهليّة و تمتدّ جذور الجاهليّة في الطبقات الإنسانيّة التي تمنع الإنسان من اجتياز الميل إلى التكبر، أو الكامنة في بعض مصالح بعض الناس أو بعض الطبقات الاجتماعيّة أو الشعوب أو الأعراق و الذين تتغلب مصالحهم تلك على السعي إلى العدالة و الخير.

٢ - الحكم: يعتبر سيّد قطب أنّ الحكم أمر يختصّ بالله فحسب و لو أصبح غير إلهيّ لصار جاهليّاً. و إن أراد المجتمع ألا يكون جاهليّاً؛ فينبغي أن تستقرّ فيه الحاكميّة الإلهيّة. و لكن كيف تبدأ عمليّة إحياء المجتمع الإسلاميّ؟ و كيف نستبدل الإسلام بالجاهليّة؟ إجابة سيّد قطب هي، أنّ إحياء المجتمع يستلزم ظهور مجموعة إسلاميّة رائدة و ما لم تتشكّل هذه المجموعة؛ لم يتحقّق هذا المجتمع الإلهيّ، تلك المجموعة هي ما أطلق عليه اسم الجماعة.

٣ - الجماعة: لن يتحقّق المجتمع الإلهيّ ما لم تتحقّق تلك العصبّة الرائدة، و يتوجّب على هذه العصبّة أن تقابل الجاهليّة على مستويين؛ الأوّل مستوى نظري حيث تردّ آراء و استدلالات الجاهليّة و تبين فسادها، و المستوى الآخر من خلال حركة منظّمة مجهّزة بكافّة القدرات التي تمكّنها من محاربة قوّة الجاهليّة. المرحلة الأولى تتمّ من خلال تكوين و تقوّل العقيدة، و المرحلة الثانية هي قيام أو استقرار العقيدة التي يكون الجهاد أصلاً رئيساً فيها. إنّ الدين دعوة و هذه الدعوة يجب أن يكون الجهاد دائماً مواكباً، فالجهاد هو حركة هجوميّة و ليس دفاعياً محضاً. يرى سيّد قطب بأننا مسؤولون عن تبديل المجتمع الجاهليّ إلى مجتمع إلهيّ كما كانت الحركة التي قادها الرسول ﷺ. و إنّ الماهيّة الشبكيّة للجهاد تعتمد على شبكة من العلاقات، فالجهاد ليس بمحتاج إلى أمر من الفقيه أو المفتي.

ثمّ طرح محمّد بن عبد السلام فرج من بعد سيّد قطب مفهوم «الفریضة الغائبة» و التي أصبح الجهاد من خلالها أحد مستلزمات استعادة عظمة الإسلام، و لهذه الفریضة وجهان؛ أحدها الجهاد مع العدو الداخليّ، و الآخر الجهاد مع العدو الخارجيّ. و بناء على هذا، فإنّ تأثير سيّد قطب في بن لادنو أيمن الظواهريّ واضح للبيان، و قد أحدثت أفكار سيّد قطب تغييراً أساسياً في العالم الإسلاميّ و كانت من ثمراته تكوّن التطرف و الراديكاليّة^١.

يمكن تلقّي بعض عبارات كتاب «معالم في الطريق» بأنّها دعوة واضحة إلى استخدام العنف ضدّ المجتمع الإسلاميّ الموجود. فكلّ دولة تعادي المسلمين بسبب عقيدتهم و تمنع ممارستهم للشؤون الدينيّة و تتعطلّ فيها الشريعة فهي دار حرب حتّى لو كان يعيش فيها أهله أو أقرباؤه أو شعبه^٢.

واستناداً إلى تعاليم سيّد قطب هذه، يرى عبدالله عزّام - في ما يختصّ بقضيّة إعلان الجهاد - أنّ «الجهاد عبادة جماعيّة لا يقوم إلّا بوجود جماعة تواجه المجتمع الجاهل أو الكافر»^٣.

١. راجع: السيّد قطب، معالم في الطريق.

٢. راجع: لو آى. م. صفى، جالش مدرنيته، ترجمه سيد احمد موثقى، ص ١٧٦.

إذن ما تراه السلفية من العنف أمراً سائغاً و لا تتوانى في ارتكابه و الذي نطلق عليه اسم التطرف؛ هو مستند إلى مثالياتها و العنف هو آلية تحقيق تلك المثاليات. فهم يرتكبون ما نسميه تطرفاً بناءً على المنطق الذي يحكم أداؤهم. و لا يحتاج التطرف إلى العلوم الإسلامية التقليدية فبمجرد إمام الشخص باللغة العربية و فهم القرآن يتمكن من تطبيقه. و أنه هل هناك شروط للجهاد أم لا فهذه مسألة سخيصة و هامشية. و على أساس هذه التعاليم تعتقد منظمة الجهاد بأن الإسلام يمكن تحقيقه من خلال الجهاد المستمر، و أن تقصير المسلمين و قياداتهم في أداء الوظائف يجعلهم كفاراً، حيث قتلوا أنور السادات بسبب كونه من أئمة الكفر لا غير. هذا في حين أن الجهاد حسب آراء علماء أهل السنة التقليديين يحتاج لإصدار أمر من الفقيه.

لقد كانت النظريات التقليدية تعمل على أساس المدارس الاجتهادية، و لكن السلفيون الجدد لا يؤيدون الاجتهاد إلا إذا ما قام بتبرير أعمالهم، و لولا ذلك لما تخطوا علماء المذهب و حسب؛ بل لتوقعوا الحصول على دعمهم و تأييدهم أيضاً. كما أن هذا التيار و من خلال توسيعه لدائرة البدع، يقوم بعدد الكثير من المسائل العلمية المذهبية الخرافية - و التي يجعلها أهل السنة في نطاق الخلافات الاجتهادية - بدعة، فيطردون و يكفرون من خالفهم فيها على أنهم أهل بدعة^٢.

تعتبر السلفية و نظراً إلى المنهجية التي اتخذتها، واقعة في وضعية معرفة و علم خاصة بها، حيث إنهم لا يهاجمون غير المسلمين بسبب عدم توحيدهم فحسب؛ بل تحكم بتكفير المجتمعات الإسلامية أيضاً و تسعى إلى جرحها إلى مجازر العنف خاصتها. و ذلك لأنهم يقابلون التوحيد بكل من مفهومي البدعة و الشرك، و هذا يؤدي إليباحتهم أعمال العنف داخل المجتمعات الإسلامية و خارجها. فهي نوع من الحالات الإيمانية الإسلامية التي لا هم لها سوى البحث عن الدين الأصيل و العمل حسب تعاليم الوحي من دون أي تفسير؛ بل كما أنزل على الرسول ﷺ و نتيجة ذلك نوع من الظاهرية المتطرفة التي لا تنجب إلا العنف.

٣ - ٣. تقديم النقل على العقل

تمثل العلاقة بين العقل و النقل و نسبة كل منهما للآخر أحد القضايا المهمة بالنسبة إلى المنهجية، و يمكن دراسة هذه المسألة من منظار المتشرعين و العقليين، لم يعتن الفقه السياسي لأهل السنة و بالعقل و لا بالاستنباط العقلي. فعلى أساس الفقه السياسي لأهل السنة؛ لم يكن لإجماع و عمل و رأي الصحابة حجية بسبب اجتهادهم، و إنما هي بسبب إمامهم بالسنة.

١. راجع: عبدالله عزام، إعلان الجهاد.

٢. راجع: داوود فيرحي، المصدر نفسه، ص ٨٤

كما أن اعتبار القياس في نظر أهل السنّة ليس نابغاً من الاعتناء بالعقل والمنهج العقلي؛ بل أن جوهره القياس هي إلحاق الأحكام غير الصريحة بالأحكام الصريحة، وبالتالي تكون حجيتها متخذة من الأحكام الصريحة والناطقة^١.

على أساس هذه المعايير؛ نجد أن الفقه السياسي لأهل السنّة من منظار المنهجية، هو نصّي أساساً ولا مكانة مهمة فيه للعقل والمنهج العقلي. فترجيح النقل على العقل وأولوية النصّ المنزل من قرآن و سنّة وعمل الصحابة يمثل أهم أصل معرفي لدى أهل السنّة؛ وهو ما تطرّق إليه الأشعري في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة». حيث يقول في الفصل الأول من كتابه:

قولنا الذي نقول به، و ديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله، و بسنة نبينا محمد ﷺ و ما روى عن السادة الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن بذلك معتمدون، و بما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون، أبان الله به الحق، و دفع به الضلال، و أوضح به المنهاج^٢.

وقد أشار ابن تيمية إلى أصل يمثل أهمية بالغة لأهل الحديث؛ و ذلك لتجنّب نفوذ العقل في الحياة السياسيّة للمسلمين إلى الأبد؛ حيث يقول:

لا يكون الإنسان مؤمناً حقيقةً إلّا عندما يتحلّى بإيمان جازم بالنسبة إلى النبي ﷺ و ليس الإيمان الجازم أن يخلو من أي قيد أو شرط، فمن كانت فيه هذه فليس مؤمناً في الحقيقة. إن النصوص النابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، و إنما الذي يعارضها شبه و خيالات، منهاها على معانٍ متشابهة و ألفاظ مجعلة، فمتى وقع الاستفسار و البيان ظهر أن ما عارضها شبه سفسطائية، لا براهين عقلية^٣.

بالرغم من أن فقه أهل السنّة نصّي؛ و لكنهم يؤيدون استخدام الآليات العقلية لتوضيح النصّ عندما يكون بعض النصّ مجعلاً، بينما نجد أن السلفية ليست كذلك. فالسلفية تعتبر أن التفسير و التبرير أمراً واحداً، و تقول:

بأنّ كلّ تفسير هو نوع من التبرير، و هذا يسلب الشجاعة من العالم الإسلامي. و هذه هي نقطة خلافهم مع فقه أهل السنّة، فإنّ هذ النهج أدّى إلى أن يكون الملاك هو فهم و إدراك السلف، و نتج عنه في مقام النظرية، تعطيل العقل و الإدراك و الإصغاء إلى كلام السلف؛ و في مقام العمل، مواجهة المسلمين بسلاح التكفير و التفجير.

إذن التوجّه الحديثي لأحمد بن حنبل في عقائده و فقهه و تقبله للأخبار الواردة و فهمه للسلف قد أدّى إلى أن تنفي السلفية أيّ توجّه عقلي، و أن تعارض كلّ أنواع التحليل أو التعليل في الأحاديث. و الأمر الوحيد المهمّ بنظرهم هو تطبيق النصوص على أيّ نحو كان ممكناً و نتيجته العملية كانت هي ظهور العنف المستند إلى

١. باهتمام داوود فيرحي، روش شناسی دانش سیاسی در تمدن اسلامی، ص ٨٨.

٢. أبوالحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ج ٢، ص ٢٠.

٣. ابن تيمية، درء تعارض العقل و النقل، ص ١٥٦.

الجهاد. و الذي قد تمّ التنظير له في فكر سيّد قطب و عبد السلام فرج و عبدالله عزّام. أدّى استخدام مفهوم الجهاد و توسعة مفهومه و عدم الحاجة إلى المفسّر و المجتهد في توضيح النصّ، إلى إدراج العنف و إطلاق أحكام القتل و الاغتتيال تحت عناوين مثل الجهاد و الكفر و النفاق في منهجية السلفية.

ولكنّ السؤال هنا هو أنّه، لو كان المصدر الفكريّ هو الكتاب و السنّة فإنّهما قد أكّدا كثيراً على العقل فقد تكرّرت مفردة العقل ٤٩ مرة في القرآن، فكيف يعطّل السلفية العقل استناداً إلى مفهوم الجهاد و يخلقون أمثال هذه المجازر؟

٤ - ٣. الاتّباع في مقابل التقليد

تطرح المنهجية السلفية قضية الاتّباع في مقابل القول بالتقليد. و الاتّباع يعني قراءة النصّ مباشرة و لهذه المسألة تداعيات كثيرة. يعتبر أهل السنّة أنّ زعماء المدارس الفقهية الأربعة هم مراجع الإفتاء و اتّخاذ القرار. و لكن حسب منهجية السلفية يراجع الشباب المسلمون إلى النصّ مباشرة و نتيجة ذلك عدم الاعتراف بمرجعية العلماء التقليديين فتفقد مسألة الاجتهاد و التقليد و المفتي و المقلّد معناها و تتهمّش المدارس الأربعة بذلك.

فتتكوّن بهذه النظرة و المنهجية نوع من الظاهرية المتطرّفة التي تعتقد بأنّه لا مصلحة و لا قصد وراء المعاني الحرفية للنصوص الدينية؛ و بالنتيجة لا حاجة إلى موازنة الأدلّة الشرعية مع بعضها و لا للاجتهاد في النصوص، و الأمر المهمّ الوحيد إنّما هو تطبيق النصوص كيف كان. فهذه المنهجية و نسبةً لاعتقادها بضرورة الرجوع المباشر إلى القرآن؛ تولّد في ذاتها التطرف في داخل العالم الإسلاميّ و خارجه.

والحال أنّه - بناءً على المنهجية الاجتهادية - يتمّ استنباط الأحكام الشرعية من المصادر المعرفية على يد الفقيه و يقلّد عامّة الناس فتواه الشرعية باعتباره متخصصاً في فهم الشريعة. مصادر الفقه السياسيّ لأهل السنّة هي القرآن و السنّة و الإجماع و القياس و العلاقة بينها علاقة الأصل و الفرع؛ فالقرآن هو الأهمّ ثمّ تأتي السنّة و الإجماع و القياس في المرتبة التالية، كما أنّ السنّة مقدّمة على المصدرين الآخرين؛ ثمّ يأتي الإجماع في المرتبة التالية، ثمّ القياس. علماً بأنّ ضرورة إرجاع المصادر الأخرى إلى النصّ هو ملحوظ في منهجية أهل السنّة أيضاً. يعتمد منهج أهل السنّة و استناداً إلى هذه المصادر، على نظرية التصويب التي تنصّ على أنّ حكم الله في المسألة محلّ الاجتهاد هي ما يتوصّل إليها المجتهد بعد الجهد. بينما يعتقد الشيعة بنظرية التخطئة التي تحتمل الخطأ في كلّ عملية اجتهاد، فلو أصاب المجتهد و طابق اجتهاده الواقع فله أجران و إن لم يصب فله أجر واحد.

يتحلّى أهل السنّة بناءً على نظرية التصويب و الشيعة على أساس التخطئة بنوع من التساهل و التسامح المعرفيّ و العمليّ بالنسبة إلى المجتهدين و في المجال النظريّ بالحلم و التحمّل في مقابل المخالف و يمكن

١. راجع: داوود فيرحي، فقه و سياست، ص ٨٣.

٢. راجع: منصور مير أحمدی، درس گفتارهای در فقه سیاسی، ص ١٣٢.

ملاحظة تكثّر الأقوال في المسألة الواحدة و مشاهدته بينهم. بينما نجد منهجية السلفية في الجهة الأخرى، تعتبر بأن الأحكام العملية للدين ينبغي البحث عنها بين المصادر و النصوص الرئيسة للدين و النصوص المقدسة و ليس بين كتب الفقهاء. فحسب ما يرى السلفية؛ تُعدّ الأشعرية مدرسة كلامية تفرض نفسها على النص، و الاعتزال أيضاً هو مدرسة كلامية تفرض نفسها على النص، و كذا المدارس الفقهية الأربعة كلّها تفرض نفسها على النص. و من هنا أدّى مبدأ الاتباع و الذي يعني القراءة المباشرة للنص؛ إلى ظهور مفكرين لم يكونوا من صنف خريجيّ المدارس التقليدية، و قد انحصرت دراساتهم للشريعة في مطالعات فردية أي أنّهم علماء و إسلاميون من دون أن يكون لهم معلّم، و قد اتخذوا المنحى الجهاديّ بمراجعة النصّ مباشرة. فهذه آية موجودة و ما عليك إلا أن تأخذها و تعمل بها، و بذلك يبرز أصلاً الدعوة و الجهاد، و فهم بسيط من النصّ الذي لا يفهم المجتهد و المفتي منه الحرمة أو الوجوب. فلا يعتمد هؤلاء على كبار المجتهدين بل يرجعون فهمهم من النصّ، أمّا التساؤل عن وجود نصّ آخر مقدّم على هذا النصّ، أو وجود شروط للعمل بذات هذا النصّ أو لا؛ فهذا النوع من التساؤلات لا محلّ لها في منهجية السلفية. إذن نتيجة هذه المنهجية هي العنف و التطرف.

لقد كان محمد عبده يعتقد بأن المجموعات الوهابية و الحديثية تتصوّر بأنّها أزالت غبار التقليد و الحجب و الحواجز بينها و بين التأمّل في آيات القرآن و نصوص الروايات ... و لكنّها في الواقع أصيب أقفاً و أكثر تعصباً من المجموعات المقلّدة للعلماء. حيث تعتقد هذه المجموعات بوجوب الأخذ بظاهر الألفاظ و العمل به دون الالتفات إلى الأصول التي يقوم عليها الدين. فهذه المجموعات في الحقيقة؛ ليست طالبة للعلم و لا راغبة في المدنية و الحضارة السليمة^١.

٥ - ٣. رفض تأويل الكتاب و السنة

أمّا العقيدة السلفية الأخرى التي نتجت عن المنهجية الظاهرية؛ هي رفض التأويل و التفسير. لأنّهم يعتقدون بمقولة: «لو فتحنا باب التأويل لانهدم الدين» و هذا جعلهم يفسّرون الكثير من الآيات القرآنية تفسيراً ناظراً إلى معانيها الظاهرية، و قد أدّت هذه العقيدة بهم إلى القول بالتشبيه و التجسيم في موضوع الصفات الإلهية، فقد قالوا بأنّ لله جسم و أنّ ذات الله متحيّزة و تشغل مكاناً مثل سائر الأجسام و شبهوا الله بالأجسام و المخلوقات.

إنّ الجمود على الظواهر و عدم التدبّر في الآيات يتسبّب لا محالة إلى حمل معاني معرفة الوجود الدينية العميقة على الظواهر المحسوسة و المادية؛ فمثلاً نجد السلفية تقول في شرح الآيات التي تتحدّث عن الله (عز و جل)، مثل: ﴿ وجاء ربك و الملك صفصفاً ﴾^٢ أو ﴿ يدالله فوق أيديهم ﴾^١ بأنّ لله يداً كبيرةً فوق جميع الأيدي، و أنّ لله قدماً يمشي بها حيث يمرّ بالملائكة و هم واقفون أمامه^٢.

١. راجع: محمد عبده، الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية، القاهرة، منشورات الهلال، ١٩٦٠ م.

٢. سورة الفجر، ٢٢.

فلقد أدّى هذا المنهج - أعني: الأخذ بظواهر النصوص - إلى إنكار تعليل الأحكام و تأويلها من خلال العقل؛ و هو نوع من إساءة الظنّ بالرأي و العقل، و نتيجة لذلك كانت أن تسبّب هذا المنهج في رواج العقائد الباطلة بين المسلمين؛ مثل عقيدة التجسيم و التشبيه، و أمّا نتيجته في نطاق العمل فقد كانت ممارسة أتباع السلفية للعنف و تشدّدهم في الأحكام. كما جعلت هذه العقيدة المنهج السلفي يعاني من الجمود الفكري في المسائل العقديّة و السياسيّة و العباديّة و الاجتماعيّة. كما أدّى أيضاً رفضهم للتأويل و التفسير، إلى مخالفتهم لأيّ نوع من تفسير القرآن. «لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، و إن كان عالماً أديباً متّسعاً في معرفة الأدلّة، و الفقه، و النحو، و الأخبار، و الآثار، و إنّما له أن ينتهي إلى روايات النبي، و الصحابة، و التابعين». كما أنّ هذه العقيدة قد نالت عندهم أهميّة كبرى بالنسبة إلى موضوع الحقيقة و المجاز في الآيات القرآنيّة. حيث يعتقد السلفية بعدم وجود المجاز في القرآن، و أنّ كلّ كلمة جاءت في القرآن فالمراد منها هو المعنى الحقيقيّ لها. حيث صرّح بهذا المعتقد بعض من علمائهم؛ أمثال ابن تيميّة في مجموعة الفتاوى، و ابن قيّم الجوزيّة في مختصر الصواعق المرسلّة، و من المعاصرين نجد الشنقيطي في منع جواز المجاز في منزل التعبّد و المجاز.

إنّ أدّى مخالفة السلفية للتأويل و التفسير إلى إنكار المعنى المؤوّل و المجازي في الآيات القرآنيّة و إبداع عقائد باطلة و منحرفة في الفكر السلفي على صعيد النظرية و التطبيق ممّا أنتج التشبيه و التجسيم لله في مسألة الصفات الإلهيّة و نسبة مفاهيم مثل الاستواء و اليد بمعنى الجلوس و اليد الماديّة و هذا يوجب تشبيه الله إلى الإنسان و كلّ ذلك إنّما هو حصيلة المنهجية السلفية.

والتاريخ في الأمر أنّ أوّل ما يرفضه ناصر الدين الألباني (١٩١٤ - ١٩٩٩ م) و ينكره من الأحاديث في كتابه «سلسلة الأحاديث الضعيفة» هو حديث «الدين هو العقل، و من لا دين له لا عقل له» و يؤكّد بعد ذلك على أنّ: «وممّا يحسن التنبيه عليه أنّ كلّ ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصحّ منها شيء، و هي تدور بين الضعف و الوضع».

١. سورة الفتح، ١٠.

٢. راجع: حميد پارسانيا، حديث پيمانه، ص ٤٥.

٣. راجع: محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسّرون، ج ١، ص ١٨٣.

٤. راجع: سيد مهدي عليزاده موسوي، المصدر نفسه، ص ٦٢.

٥. ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعّة و أثرها السيء في الأمة، ص ٥٢.

كما أكد «عبد الله بن باز» (١٩١٠ - ١٩٩٩ م) المفتي الوهابي السابق، مخالفاً جميع الأدلة العقلية، و التجريبية القطعية على القول بالأراء الرجعية التي انتشرت في القرون الوسطى، من الاعتقاد بحركة الشمس و سكون الأرض، حيث قال: «وأنّ القول بثبوت الشمس و عدم جريانها كفر و ضلال»^١.

خلاصة البحث

تطرّقنا في المقال الحاضر إلى خصائص المنهجية السلفية و علاقتها بإباحة العنف. لقد اختار السلفيون منهجية خاصة لفهم الدين و البحث فيه، فبحسب رأيهم؛ من أجل معرفة الدين بشكل صحيح، يجب ابتناء هذا التفسير على القرآن و السنة و سيرة المسلمين الأوائل؛ و هم من عاش في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام حيث يتسدد السلفيون في الاستناد على السلف الصالح.

تستقي السلفية جذورها من التيار الظاهريّ الذي بدأ بتعاليم أحمد بن حنبل، ثمّ جاء من بعده أحد أتباعه باسم ابن تيمية في القرن الثامن، و عرض رؤية مختلفة في أمر الدين من خلال تعاليم أحمد بن حنبل. و رغم أنّ أفكار ابن تيمية لم تنل إقبالا في أيامه إلا أنها صارت أساساً لأفكار محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر. لقد أحدثت السلفية في نجد موجة من التطرف و التشدد، و قامت بتكفير كافة المسلمين، فزعمت بأنّها هي الداعية الوحيدة للإسلام الأصيل، و اعتبرت سائر المذاهب الإسلامية أهل بدعة خارجين عن الإسلام. هذه التعاليم و بالإضافة إلى بعض التغييرات في بعض المفاهيم و التوسّع في مفاهيم أخرى؛ كالبدعة و الجهاد جعلت السلفية المعاصرة في ظروف معرفية و عملية تختلف عن مسلكها القديم. فقد كان المسلك القديم يجري على شيء من التساهل و التسامح المعرفي و العملي؛ اعتماداً على نظرية تصويب آراء المجتهدين، كما كان تحمّل المخالفين في النظرية كحدّ أدنى قسراً، و أمّا في مجال العمل نرى وجود تذبذب بعض الشيء في ميولهم للتوسّع؛ بخلاف السلفية المعاصرة التي ليست تعادي غير المسلمين بسبب عدم التوحيد فحسب و إنّما تشهر سلاح التكفير على ما عداها من مسلمين و تجيز كذلك استخدام العنف في المجتمعات الإسلامية.

كما أنّ المنهجية السلفية المعاصرة تنسف مسألة الاجتهاد و التقليد و المفتي و المقلّد من أساسها بواسطة طرحها فكرة الرجوع إلى النصّ، و ترك أئمة الدين، و ترى أنّ الأمر الوحيد الحائز على الأهمية هو تطبيق النصّ كيف ما أمكن خصوصاً بالاستناد إلى الجهاد. فبناءً على هذه المنهجية ينبغي البحث عن الأحكام العملية للدين في المصادر و النصوص الرئيسة و المقدّسة من الدين، لا أن تستقى من كتب الفقهاء، فكانت نتيجة هذا المنهج أن ظهر التطرف. لأنّهم ركّزوا على الفهم الحرفي للنصوص و تجاهلوا مقاصد الشريعة، كما قاموا بنفي شروط تطبيق النصّ سواء كان من المحتمل أو المبيّن أو الحقيقة أو المجاز؛ ففندوا شروط الجهاد و قالوا بعدم حاجة الجهاد إلى

١. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الأدلة النقلية و الحسية على جريان الشمس و سكون الأرض و إمكان الصعود إلى الكواكب.

رأي الحاكم، و ذلك لأنهم لا يستقون الوجوب و الحرمة من المفتي؛ و إنما يعمل أتباع هذا المنهج على أساس استنتاجاتهم الفردية، و قد أدى ذلك إلى ظهور تطرف و راديكالية قائمة على أساس المنهجية السلفية.

النقطة الرئيسة التي ينبغي الالتفات إليها ههنا؛ هي أن التيارات التكفيرية السلفية قد فقدت النظرية بنفيها للاجتهاد و الذي يعني مراجعة النصّ دون نظرية. و بالأحرى يعني ذلك فقدان المنهج و الفوضوية، و عليه فإنّ كلّ حكم من النصّ ينبغي تطبيقه كما هو و لا حاجة إلى تأويله أو تفسيره أو توضيحه. فلو كان في السلفية القديمة «اتباع اجتهادي» بمعنى وجود مجتهد متخصص في أمور الشريعة يطبق منهج الاستنباط من النصوص، و يقلّد عامّة المسلمين فتواه، ففي السلفية الجديدة لم يجعل الاتباع في قبال التفسير المتحرّر من النصوص الدينية، و إنما جعل في قبال التقليد من المجتهد. فينبغي البحث عن الحقيقة و الأحكام العملية الصحيحة للدين من المصادر و النصوص الرئيسة من الدين مباشرة و ليس في كتب الفقهاء.

لقد أوجد هذا الأمر تغييراً أساسياً في نوع الفهم و خلق الفوضى في فهم النصوص، فعلى أساسها تكون العبرة بالأراء الفردية للأشخاص دون توسّط الفقهاء؛ فالفرد يجاهد حسب فهمه و لا يحتاج إلى حكم العالم أو المفتي، و في هذه الحالة ينسب الشخص فهمه إلى القرآن فيرى في نفسه، إضافة إلى الشعور بأداء التكليف نوعاً من التحفيز الروحي و النفسي.

إنّ أحد أصول المنهجية السلفية هي تقسيم العالم إلى توحيد و شرك، و كذلك تكفير جميع المذاهب التي لا تتبّع فكرها بواسطة استخدام مفهوم البدعة و إضفاء العدا على العلاقة بين المذاهب. لقد اعتبر السلفيون و بناءً على تعاليم سيّد قطب حول المجتمع الجاهلي؛ جميع المجتمعات جاهلية، و بدأ يدخلون في دائرة الصراع مع مجموعتين؛ إحداها تهدّد المجتمع و هي العدوّ القريب، و الأخرى هي الاستعمار و العدوّ الخارجي المسمّى بالعدوّ البعيد. و معظم الصراع يدور مع العدوّ القريب من خلال أصل الجهاد العملي. و الأصل الآخر من منهجية السلفية، هو تقديم النقل على العقل و الظاهرية المتطرّفة التي أدت إلى تعطيل العقل، و اللجوء بشكل تلقائيّ إلى العنف و الاغتيال بهدف تحقيق الأهداف.

الأصل الآخر هو رفض كلّ أنواع التأويل و التفسير، و قد تسببت هذه العقيدة في ظهور عقيدة السلفية التي تقول، بأنّه لو فتح باب التأويل لانهدم الدين. على هذا الأساس؛ اعتقد السلفيون في موضوع الصفات الإلهية، بالتشبيه و التجسيم لله و تشبيهه الله بالأجسام و المخلوقات. و عقيدة رفض التأويل و التفسير تسببت بظهور نوع من سوء الظنّ حول الرأي و العقل، هذا علاوة على رواج العقائد الباطلة التي صعّدت من وتيرة ممارسة العنف و تشديد الأحكام من قبل المؤمنين بالسلفية.

هذه الأصول المنهجية جعلت السلفية تعاني من الجمود الفكريّ في المسائل العقائدية و السياسية و العبادية و الاجتماعية. فلنوعيّة المنهجية السلفية أثر مباشر على قولهم بجواز العنف القائم على أصل الجهاد العملي، فكانت

١. راجع: داوود فيرحي، فقه و سياست در ايران معاصر، ص ٨٢.

لها آثار و تداعيات سياسية و اجتماعية و ثقافية في العالم. فاستغلت الدول الغربية هذا التيار في سبيل تحقيق أهدافها السياسية و زرع الرهاب الإسلامي (إسلاموفوبيا) نظراً إلى ما تقوم به هذه المجموعات من أعمال إرهابية، ليعكسوا صورة المسلمين على أنهم أشخاص قساة و قتلة و مدمرين. و الحال أن رؤية و أسلوب هذا التيار مرفوض من قبل علماء السنة و الشيعة، و فهم هذه المجموعات بعيد جداً عن دين الرسول الأكرم ﷺ الداعي إلى السلام و الأخلاق.

يوجد في الفقه و الفكر السياسي لأهل السنة نوع من الحديثية و الروح الأشعرية التي لا تتحمل الفهم العقلاني بعض الشيء، الأشعرية التي لم تستسج المنهج المعتزلي فحسب؛ بل أنها تخلصت من كل عملية تخاطب عقلانية كلامية - فقهية^١. لقد بدأت الحركة الإصلاحية بالسيد جمال الدين الأفغاني؛ و لكنها أخذت تضائل وصولاً إلى محمد عبده، و لكنها عندما وصلت إلى رشيد رضا أفلتت و غابت عن الساحة لماً تلوثت ذهنيتها بالأفكار المتعصبة و السلفية. فهو و إن كان صاحب أفكار إصلاحية في بادئ الأمر و لكنه وقع في شرك المبول السلفية لابن تيمية و الوهابية في آخره. فإن منهج السلفية غالباً ما ينتج تجويز ممارسة العنف و التطرف الرفض للاجتهد و الذي ينتهج الجهاد و التكفير؛ و ذلك لما تميّز به من منهج النصوية و التقليدية و الحديثية.

المصادر

١. أنطوني بلك؛ تاريخ اندیشه سياسي اسلام؛ ترجمه: محمد حسين و قار، طهران: اطلاعات، ١٣٨٥، ص

١٣١/

٢. ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، ١٣٨٦، مختصر منهاج السنة، ترجمه اسحاق دبیر، انتشارات حقیقت.

٣. ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، الرد على المنطقيين، باكستان، دار ترجمان السنة.

٤. ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، ١٤٢٥، الفتاوى الحموية الكبرى، تحقيق: حمد بن عبد الحسين التويجري، الرياض، دار الصميدعي.

٥. ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، ١٤٢٦، مجموعه الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار و انوار الباز، دار الوفاء

٦. ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، ١٤٠٦، نقض المنطق، تحقيق: محمد عبد الرازق حمزه و سليمان بن عبد الرحمن، القاهرة، مكتبة السنة المحمدية

٧. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ١٤٢٣، أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي

٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ١٤١٢، مختصر الصواعق المرسله، دار الحديث

١. أنتوني بلك، تاريخ اندیشه سياسي اسلام، ترجمه محمد حسين و قار، ص ١٣١.

٩. أحمد بن محمد بن حنبل، أبي عبد الله؛ ١٤٢١ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة
١٠. الأشعري، أبو الحسن، ١٣٩٧، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقيت حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار
١١. البوطي، سعيد رمضان، ١٣٨٧، سلفيه؛ بدعت يا مذهب، ترجمه حسين صابري، مشهد، مركز بحوث العتبة الرضوية المقدسة
١٢. پارسانيا، حميد، ١٣٨٩، حديث پيمانہ پژوهشي در انقلاب اسلامي، قم، دفتر نشر معارف
١٣. جوادى آملی، عبد الله، دين شناسي، قم، نشر اسراء
١٤. الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، مكتبة و هبة
١٥. السبحاني، جعفر، ١٤١٤، البحوث في الملل و النحل، قم، مؤسسة النشر الإسلامي
١٦. الشنقيطي، محمد الأمين، منع الجواز المجاز في المنزل التعبد و الاعجاز، القاهرة، مكتبة ابن تيمية
١٧. عبدالعزيز بن عبد الله بن باز؛ الطبعة الثانية؛ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، الأدلة النقلية و الحسية علي جريان الشمس و سكون الأرض و إمكان الصعود إلى الكواكب؛ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة
١٨. عزيزاده موسوي، سيد مهدي، ١٣٩٣، تبار شناسي سلفي گري و وهابيت، قم، دفتر تبليغات اسلامي
١٩. عنایت، حميد، ١٣٧٢، اندیشه سياسي در اسلام معاصر، ترجمه بهاء الدين خرمشاهي، طهران، خوارزمي
٢٠. عزام، عبدالله، ١٤١٣، اعلان الجهاد، باكستان، مركز الشهيد عزام الإعلامي
٢١. فيرحي، داود، ١٣٩١، فقه و سياست در ايران معاصر، طهران، نشر ني
٢٢. فيرحي، داود، ١٣٨٧، روش شناسي دانش سياسي در تمدن اسلامي، قم، أكاديمية العلوم و الثقافة الإسلامية
٢٣. قطب، سيد، ١٣٤١، معالم في الطريق، ترجمه محمود محمودي، طهران، نشر احسان
٢٤. القرضاوي، يوسف مصطفى، ١٤٢٧ ق، دراسة في فقه مقاصد الشريعة؛ بين المقاصد الكلية و النصوص الجزئية، القاهرة، دارالشروق
٢٥. مير احمدی، منصور، ١٣٨٩، درس گفتارهايي در فقه سياسي، قم، أكاديمية العلوم و الثقافة الإسلامية

٢٦. ناصر الدين الألباني؛ الطبعة الأولى؛ ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعية و أثرها
السيئ في الأمة؛ الرياض: الناشر: مكتبة المعارف المجلد الأول

٢٧. لوأي. م. صفی، ١٣٨٠، چالش مدرنیته جهان عرب در جستجوی اصالت، ترجمه سید احمد موثقی،
طهران، نشر دادگستر

تكفير التكفير العنفي التكفيري كوظيفة للاستعمار الجديد

ادريس هاني^١

المقدمة

إذا كان العنف ظاهرة تسم سلوك البشر تحت ظروف و شروط تاريخية و اجتماعية و نفسية خاصة، فما هي هذه الظروف و الشروط التي تؤدي إلى اختيار فئة من التيار الإسلامي العنف وسيلة و الإرهاب طريقا لتحقيق مآربها؟ ما هو علم نفس الأعماق لهذه الجماعات حينما تجعل التنكيل و الفتك طريقها الأوحد لتحقيق مشروعها؟ وإذا كانت هذه العينة المحدودة من التيار الإسلامي التي تبنت العنف كاستراتيجية في نشاطها مقتنعة هي الأخرى بجاذبية الإسلام التي لا تحتاج إلى أعمال السيّف على رقاب المسلمين، فهل يا ترى يعتبر اعتمادها العنف دليلا على عدم اقتناعها بجاذبية مشروعها الخاص في محيط أغلبي من المسلمين تعتبرهم هذه الجماعات أهل ردة و جاهلية؟

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت قيادات القاعدة تتحدّث عن أهمية البأس و التنكيل بمن سمتهم الكفار و المرتدين و بأنّ منسوب الاهتمام بالإسلام ازداد و عدد الداخلين في الإسلام تكاثر أكثر من أي وقت مضى؟ لم تكن قيادة القاعدة المعزولة في شعاب و أودية تورا بورا تدرّك أنّ منسوب الاهتمام بالإسلام إنما ازداد برسم الإسلاموفوبيا التي شكّلت جائزة الغرب كما كان ينظر لها برنارد لويس، حيث اختاروا أن يدعّموا أكثر النماذج تطرفا في الجغرافيا الإسلامية قصد تعزيز الكراهية للإسلام، و ذلك للقضاء على ما سبق و تحدّث عنه غربيون آخرون عن: جاذبية الإسلام. لقد كانت جاذبية الإسلام هي واحدة من مشاكل كثيرة لدى الغرب، حيث أعداد المسلمين في أوروبا تتزايد بشكل سيثير الكثير من المخاوف لدى الأوروبيين. و كان هننغتون قد نبّه بدوره إلى مخاطر الهجرة و تهديد الهوية الأمريكية ذات الجوهر الأنغلو ساكسوني، و في النهاية تصبح أمريكا هي أولى الدول الغربية التي لن تكون غريبة^٢. و ليس هناك من مخطط لإيقاف جاذبية الإسلام إلّا بتعزيز الاسلاموفوبيا. و كانت

١. كاتب و باحث من المغرب عضو الرابطة الدولية للخبراء و المحللين السياسيين عضو اللجنة التنفيذية للتجمع العربي و الإسلامي لدعم خيار المقاومة.

٢. ادريس هاني: المفارقة و المعانقة (رؤية نقدية في مسارات العولمة و حوار الحضارات)، ص ١٨١، ط ١، ٢٠٠١، المركز الثقافي العربي، بيروت.

جماعات العنف قد شكلت المثال الذي كان الغرب يحتاجه لمواجهة هذا التحدي. فلقد قدمت جماعات الإرهاب المتأسلم للغرب الكثير من الخدمات المباشرة و غير المباشرة لعل أهمها أنها أعطت دليلا موثقاً على دموية الإسلام من خلال نشاط هذه الجماعات. ولقد وجه الإعلام الغربي لخدمة هذا الغرب مركزاً و مختزلاً للإسلام في هذه الجماعات و هو ما شكّل حاجزاً نفسياً بين الشعوب الغربية و الإسلام. فالرأي العام الغربي هو في نهاية المطاف صناعة إعلامية بامتياز. أما الخدمة الثانية التي قدمتها هذه الجماعات فهي الفتنة و الهلع و الانقسام الذي أحدثته هذه الجماعات داخل النسيج الاجتماعي في العالم العربي و الإسلامي، و هو عنصر أساسي في ما سيعرف بالفوضى الخلاقة التي كشفت عنها" كوندوليزا رايس" أثناء توليها حقيبة الخارجية في إدارة جورج بوش الابن. و كانت الخدمة الثالثة التي قدمتها جماعات العنف للغرب هو منحها قدرة المناورة لانتزاع قرار أممي و أحيانا من دون الحاجة إليه لغزو مناطق عديدة من العالمين العربي و الإسلامي. لقد تكاملت الأدوار ضمن اتفاق معلن أو غير معلن بين الغرب و هذه الجماعات التي أصبحت أقرب إن لم نقل إلى جماعات وظيفية ترفد الغرب بكل مبررات الهيمنة و التدخل في البلاد العربية و الإسلامية. و كان الغرب الإمبريالي دائما يجتهد في توفير جماعات وظيفية لتمرير مخططاته إلى منطقة الشرق الأوسط. و كانت الجماعات الدينية المتطرقة و التكفيرية هي أهم تلك الأدوات التي سهلت المأمورية أمام سياسات التدخل. تستند الولايات المتحدة الأمريكية على حقائق علمية في فهم الظاهرة المتطرقة داخل الإسلام. و على أساسها تدير مخططاتها حول الشرق الأوسط. ورثت الإدارة الأمريكية مخزوناً من تلك الأفكار التي يرفدها بها كبير المستشرقين الذين يمثلون جيل الثورة على الاستشراق الكلاسيكي المرتبط بالاستعمار التقليدي و أعني بهم برنار لويس. الأهمية الأساسية لبرنار لويس هنا تكمن في أنه ينتمي معرفياً إلى جيل الاستشراق الجديد الذي يبني أحكامه خارج أنماط الأرتذكسيات الكبرى في الإسلام نزولاً إلى دراسة الأقليات المنبوذة، كما هو كتابه العمدة: "الحشاشون". الفارق بين الاستشراق القديم و الجديد يتحدد بالتحوّل في أنماط الاستعمار ما بين قديمه و حديثه. و هكذا فإن الاستشراق الجديد الذي يمثله برنار لويس يتكامل مع المنعطف التاريخي في تطور أساليب الاستعمار، و الذي يقوم على جملة من الثوابت الجديدة مثل الموقف الإيجابي للمستشرق، و علاقة المعرفة بالسلطة، و تركيز البحث حول الأقليات المنبوذة و هلم جرا. يتمثل الموقف الإيجابي للمستشرق هنا في أنه ليس دوراً سلبياً كما كانت تفرضه المؤسسة الاستعمارية التقليدية على المستشرق الذي يدرس التاريخ و الخرائط و الذهنيات و البنيات الاجتماعية للكيانات الشرقية، بل دوره يتجلى في تأطير القرار السياسي بمعطيات معرفية دقيقة عن الشرق و وضع معالم طريق أمام السياسات. فبرنار لويس مثلاً سيتحوّل من مؤرخ و عالم استشراق إلى مستشار في البيت الأبيض و هو واضع الخريطة الجديدة للشرق الأوسط التي تستهدف تغيير معالم خريطة الشرق الأوسط القديم على أسس دينية و طائفية، لمنح الاستعمار الجديد مساحة لتدبير مختلف، حيث مكتسبات الاستعمار القديم التي فقدت قدرتها على الاستجابة لتحديات المنطقة أصبحت عائقاً أمام وظائف الاستعمار الجديد. أما علاقة المعرفة بالسلطة فلا شك أن منحى استشراق ادوارد سعيد هو الانتصار لفكرة أن المعرفة سلطة، و بالتالي فإن تغيير ملامح الشرق الأوسط أمر ممكن انطلاقاً من جملة الأفكار التي تضعنا أمام حقيقة ما حدث و ما يحدث داخل هذه المجتمعات. إن مشكلات العالم الإسلامي في نظر برنار

لويس تتعلق بالاستبداد و اضطهاد المرأة و الإدارة الاقتصادية الفاشلة. و يبقى الحلّ في نظر برنار لويس كالتالي: إذا واصلت شعوب الشرق الأوسط دربهما الحالي، فيمكن أن يصبح الانتحاريون رمزا في المنطقة بأكملها، و لن يكون هناك مفر من دوامة الكراهية و الضغائن، الحقد و رثاء الذات، الفقر و القمع، تصل ذروتها عاجلا أو آجلا، بل و حتى من هيمنة أجنبية لاحقا؛ ربما من أوروبا جديدة تترد إلى طرقها القديمة و ربما من روسيا منبعثة من جديد أو ربما من قوة عظمى جديدة في الشرق. وإذا استطاعت هذه الشعوب التخلي عن التشكي و عقدة الضحية و تسوية خلافاتها و دمج مواهبها و طاقاتها و مواردها في مسعى خلاق مشترك، فسوف تتمكن ثانية من أن تجعل من الشرق الأوسط في العصور الحديثة كما كان في العصور القديمة و الوسطى، مركزا أساسيا للحضارة. و في الوقت الراهن، فالخيار خيارها^١.

هذا النص يضعنا أمام خبير حقيقي بتاريخ العالم الإسلامي. و كلامه صحيح إلا عبارته الأخيرة^٢ في الوقت الراهن، فالخيار خيارها. ذلك لأنّ خيارات شعوب الشرق الأوسط في تحقيق هذا الخيار يتطلّب قرارا سياسيا. و القرار السياسي هنا يمثّل تحديًا جيوسياسيا ممتنعا يتوقّف على موقف ممانع. و من هنا بات واضحا كما سيظهر من خريطة برنار لويس التقسيمية أنّ المطلوب جيوسراتيجيا هو الإبقاء على هذه الشعوب بعيدا عن أي فرصة لتسوية خلافاتها و التحكم بمواردها. و هنا ستصرّف حقائق برنار لويس تصريفا يراعي الأبعاد الجيوسراتيجية للاقتصاد السياسي للاستعمار الجديد القائم على تعزيز الخلافات و تشجيع الأنماط التي تكرّس الإسلاموفوبيا بوصفها العنوان الوظيفي الذي يمنح شرعية لسياسات التدخّل. لقد توضّح من خلال الدّعم اللامحدود و تجاهل الإسناد اللوجيستيكي لجماعات التكفير و التطرف على خلفية الحرب في سوريا، أنّنا كُنّا أمام سيناريوهات واضحة الملامح. فتغصّ أمريكا الطرف عما يجري هناك مع الإبقاء على تصريحات لفظية بوجود القاعدة في سوريا. و كان بإمكانها أن توقف عمليات الإسناد لهذه الجماعات قبل ثلاث سنوات. مما يعني أنّ التصريحات و إظهار الحياد تكتيك لتمكين الجماعات التكفيرية و الإرهابية بالتمكّن. و هو ما يحقق الحاجة إلى التدخّل. ثم يبدأ التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب يستثني قوى الممانعة المعني الأوّل بهذا الشلّ من الإرهاب التكفيرية. و يبرر أوباما سبب هذا الحراك المتأخّر بأنّ أمريكا لم تقدّر جيّدًا قوة هذه الجماعات، ثم يطرح أنّ القضاء عليها يستوجب قرنا من الزمان، فيعود و يربطه بعبارة مغرية لكنها غاية في المفارقة ألا و هي محاولة حلّ الخلاف بين الشيعة و السنة. إنّ جماع هذه المخططات و ربطه بمفارقات الخطاب السياسي الأمريكي عن الشرق الأوسط يؤكّد أنّ هذه الجماعات المتطرفة هي حصيلة جهد من العمل و التحكم بالمزاج. فما دام التدخّل قدر الدّولة العظمى لأسباب تتعلّق بحتمية مواجهة الاختلالات التي تفرضها الأزمة الرأسمالية على الاقتصاد الأمريكي فلا بدّ من التفكير دائما في بدائل تشرعن هذا التدخّل حتى من دون اللجوء إلى الأمم المتحدة، و حتى الآن لا زال الإرهاب، و الجماعات التكفيرية هي العنوان الأكثر حيوية لتأمين هذا التدخّل.

١. برنار لويس: أين يكمن الخطأ؟ ص ١٤٠ - ١٤١، ت-: عماد شبيحة، ط ١، دار الرأى للنشر، ٢٠٠٦، دمشق.

مقابل هذا الوضع كانت الجماعات القتالية تؤمن بعدد من الأفكار التي ليس لها من مخرج سوى أن تتحوّل في النهاية و عند أي منعطف من المنعطفات إلى رافد معنوي للعنف. فالأفكار المتبنّاة من قبل السلفية العلمية أو التقليدية هي نفسها الأفكار المتبنّاة من قبل السلفية الجهادية. إن المرجعية الدينية هي نفسها، و الجميع يستند في نهاية المطاف على آراء ابن تيمية و تلميذه ابن القيم و شروح محمد ابن عبد الوهاب و شرح العقيدة الواسطية و هلمّ جرّاً. لكن ما الذي يجعل السلفي التقليدي مرشّحاً لكي يصبح سلفياً جهادياً؟ هناك إذن ثلاث أمور يثيرها هذا السؤال:

الأمر الأول: أن هناك واقع يعزز شكلا من التحوّل شبه الحتمي من السلفيات التقليدية إلى السلفية الجهادية.

الأمر الثاني: ما هي الأسباب التي تفسر هذا التحول و تجعله شبه حتمي؟

الأمر الثالث: ما هي أدوات السلفية العلمية أو التقليدية لتأمين نفسها من اختراق السلفية الجهادية التي تتربّص بها و تمارس أشكالا من الاستقطاب من داخلها؟

لعلّه من المفارقة أن جماعة السلفية الجهادية التي تتبنّى اليوم مشروع الخلافة الإسلامية و تتباكي على سقوط الخلافة العثمانية تتناسى أن واحدة من عوامل تخريب هذه الخلافة هي الحركة الوهابية التي شكلت غطاء دينيا في مشروع مواجهة الأتراك. حتى الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان أكثر مديحا للحركة الوهابية تراجع عن فكرة الجامعة الإسلامية لصالح قضايا خلافية جزئية فجرّتها الحركة الوهابية حينها. و بالفعل لقد تزامن صعود الموجة التكفيرية الوهابية مع تراجع خطاب الجامعة الإسلامية. و الذي تزعم هذه الحركة الارتدادية هو آخر عنقود فكر النهضة و الإصلاح: الشيخ محمد رشيد رضا. و في زمن مبكّر و حتى قبل ظهور النّفط كان هذا الأخير قد أعجب بدعوى محمد بن عبد الوهاب و كتب عنها و لا زالت الوهابية تستند في شرعيتها على شهادة الشيخ محمد رشيد رضا. و لم أجد رجلا شجاعا يعبر بوضوح عن هذه الحقيقة الجلية أكثر من سمير أمين حين قال: "و هو (يعني الشيخ محمد رشيد رضا) الذي أدخل الوهابية مصر قبل حتى ما يمتلك الخليج الأموال الطائلة لينفقها على الترويج لهذا الفكر".^١ و تكمن المفارقة هنا في أن محمد رشيد رضا الذي دافع عن الخلافة العثمانية يدافع عن دعوة وجهّت في البداية لمواجهة العثمانيين و تعزيز نفوذ البريطانيين، كما حاربت عقائد المسلمين و في مقدّمهم المصريين. لقد كانت الحركة الوهابية في نشأتها الأولى شكلا من الحرب أو لنقل كما تسميه هذه الجماعات الإرهابية بإدارة التّوحش في المناطق التي خرجت من سيطرة العثمانيين. كانت الحركة الوهابية في أصلها سلفية جهادية (/ و ليست إلّا جهادية). و لكنها منضبطة و موجهة لتفجير عنفها في الخارج، و ذلك حينما انخرط ابن عبد الوهاب نفسه في تعزيز الحرب على من اعتبروا بالمرتدين و البدعيين برسم التعاقد التاريخي مع الدولة الناشئة يومها. و حين توقفت حركة توحيد الجزيرة العربية و تراجعت غزوات السلفية الجهادية في مراحلها الأولى، تحوّلت إلى نشاط الحسبة و إلى هيئة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. كان هذا الاستقرار موهوما لأنّ عملية مأسسة

١. سمير أمين: ثورة مصر، ص ٢٨، ط ٢، دار العين للنشر، ٢٠١٢، القاهرة.

نشاط الوهابية و التمكين له لم يكن نهائياً، فبين الفينة و الأخرى كانت تقوم انشقاقات من داخل المؤسسة نفسها لتعلن الحرب على الدولة نفسها. و قد اتضح ذلك في أمثلة كثيرة كحركة الإخوان (الإخوان السلفيين و ليس إخوان حسن البناء)، و أيضا حركة جهيمان العتيبي. كانت هذه الحركة التي لا زال يحوم حولها الالتباس و الذي استطاع الإعلام العربي يومها و حتى العربي يومها أن يجعل منها حدثا له علاقة بإيران قبل أن يتهم الإعلام الإيراني بأن أمريكا وراء أحداث مكة، كان الأمر يتعلّق بمجموعة من الجماعة السلفية المحتسبة كما اقترح عليهم ذلك بن باز الذي باركها، قبل أن تتطوّر في مشروع انشقاق و سلفية جهادية. أفكار جهيمان هي أفكار السلفية التقليدية حينما تصبح جهادية. و لذا كان الكثير من السلفيين متأثرين بها. المقدسي نفسه يمتدح حركة جهيمان، و كثيرون لهم ذات الملاحظات. و القاعدة وصولا إلى داعش تتبنّى فكر جهيمان و لكنها تختلف معه في الأسلوب. أي إنّ جهيمان في نظر هذه الجماعات مجرد رجل درويش مغلوب على أمره يجهل وسائل ممارسة الغلب و التنكيل. إنّ السلفية التقليدية محكومة اليوم بالولاءات و الانتهازية و المال. و لكن حينما تتوقّف كل هذه الوسائل من الاستمالة فإنّ نهاية السلفية التقليدية أن تكون سلفيات جهادية. و سيكون الوضع في تزايد بعد أن أصبح المنشقون خارج البلاد التي انطلقوا منها و شكّلوا لهم دولة و أصبحت لهم موارد مالية و بشرية من مصادر عديدة. و إذا ما اعتبرنا أن السعودية في نظر هذه الجماعات هي العدو الأوّل لمن يسمون أنفسهم بالمجاهدين، و أيضا إذا اعتبرنا أكبر بيئة حاضنة تاريخية لهذا الفكر توجد هناك، و إذا أدركنا ثلثة بأنّ التقسيم لهذا البلد وارد في مخططات الغرب نفسه، اعتبرنا حينئذ بأنّ استهداف السعودية سيكون هو الهدف الأسمى لهذه الجماعات نفسها.

هل من الممكن أن تهدم داعش الكعبة؟

تظهر داعش ما تخفيه القاعدة. بل إنّ الخلاف الذي تفجر بين الإثنين أدّى إلى فضح ما هو مؤجّل في أجندة القاعدة. و كان الإعلام عشية بروز داعش كرقم في معادلة الإرهاب الممنهج في المنطقة قد سرب عددا من الإشاعات للفت الرأي العام و جس نبضه مثل قولهم: إنّ داعش تخطط لهدم الكعبة. هذا يذكّرنا تماما بإشاعة من المصدر نفسه أيام الحرب العراقية - الإيرانية يقول أنّ الخميني يسعى لتحويل الكعبة إلى إيران. و هذه الإشاعات على ما يحيط بها من التبسيط هي محاولة لجس نبض الجمهور و تهيئته لمواجهة أي خطر يستهدف منطقة الخليج. هنا امتزج النفط بالمقدّس. و الحقيقة هي أنّ داعش لا تفكّر في هدم الكعبة، و لكن هذه الإشاعة هي تلويح استباقي لما يمكن أن ينتج في حال ما إذا اقتحمت داعش منطقة الحرمين الشريفين. لا شيء يحول دون العصبية الأيديولوجية التي قد تعافر أشكالا من تجاوز المقدّس نفسه. هذا التّجاوز يقوم على الرغم المستمرة في إعادة بناء المتشظّي. لا شيء يمكن أن يصلح عنصر اختباء من اللّعة حينما تحلّ. و المقدّس هنا يستمد معناه من سلطة الله. و ليس ممثلا عن الله غير هذه الجماعة. فيجوز لها التترس بالبريء، فلم لا يا ترى لا يجوز لها هدم المقدّسات؟

حقيق بنا التذكير بأنّ العدوان على الكعبة له سابقة في التاريخ الإسلامي. فحروب التّطرف ذات الجوهر السياسي استباحة الإنسان و المقدّس بشكل يعيدنا حادثة قصف ابن الزبير للكعبة بالمنجنيق، و استباحة جيش يزيد للمدينة و المسجد النبوي ناهيك عن صنوف قطع الرؤوس التي طالت حتى أحفاد نبيّ الإسلام و عائلته. و إذا

عدنا إلى حادثة مكة، و لكن هذه المرة تسليح الحرم المكي مع جماعة لا تؤمن بالمحرمات إذا ما ارتبط الأمر بتحقيق هدفها الأسمى ألا وهو التمكن من الخصم بوصفه عدو الله. و لا حرمة بعد ذلك لمن تنزل لدى الجماعة منزلة عدو الله. حينئذ أي مواجهة مع داعش من داخل الحرم - الذي سبق لعائلة بن لادن أن رمته كما رمت القدس بما يستتبع ذلك من إجراءات وضع أجهزة التصوير و التنتصت - ستكون مدمرة، فلا نستغرب تهديم الكعبة أثناء تبادل إطلاق النار داخل الحرم المكي. إن معركة بين داعش و السلطات السعودية حتما ستكون حول الحرم، إذا ما اتخذت داعش قرار الحرب على السعودية من الداخل. فداعش تدرك أي قيمة للحرمين الشريفين إذا ما استطاعت أن تسيطر عليهما عسكريا. هنا نستحضر تجربة جهيمان العتيبي، الذي يبدو في نظر داعش مجرد درويش سلفي لا يحسن ممارسة الإرهاب المقدس. هذا مع أن كثيرا ممن هجا طريقة داعش من أبناء ملتها ربطوا بين مشروع البغدادي و بين حركة جهيمان العتيبي، مثلما فعل أبو قتيبة في رسالته الموسومة ب - " ثياب الخليفة". من الممكن إن لم نقل أن نهاية المسار الذي تسلكه داعش سيؤدي بها حتما إلى الثأر لجهيمان العتيبي. لقد أخذت داعش فكرة مسيقة عن قدرات الجيش السعودي للصمود في مواجهة أي حركة مسلحة غير نظامية، انطلاقا من تجربة الحرب على الحوثيين. و يبقى احتمال نقل داعش، أو أي جسم سيتولد من رحمها، للمعركة إلى السعودية أمرا واردا جدا لأسباب كثيرة منها: أن الحاجة إلى الرأسمال الرمزي سيجعل حالة الهذيان الداعشي تدفع باتجاه التفكير في احتلال مكة اليوم أو غدا. فداخل المملكة العربية السعودية توجد أكبر حاضنة شعبية لفكر القاعدة عموما. و لا تتطلب عملية الاستقطاب سوى الإقناع بعدم شرعية الولاء للسلطة. و هذا ما حدث في حركة جهيمان. فبعد أن عملت في إطار الجماعة السلفية المحتسبة تحت رعاية بن باز منذ بداية الستينيات سرعان ما حصلت انشقاقات و تغيير الموقف ليس في طبيعة التفكير بل في طبيعة الموقف من شرعية السلطة. و مهما حصل من تطور في النسيج الاجتماعي فهو لا يزال ضعيفا أمام أمواج الثقافة الدينية الوهابية التي تعيد إنتاج نفسها بأشكال متعدّدة.

تصدير السلفية الجهادية ليس حلا

لقد كان هناك سبب رئيسي أجل الثورة السلفية من داخل السعودية هو الجهاد الأفغاني. كان المطلوب أن يتم احتواء هذا الجهاد أمريكا و وهابيا خوفا من أن يتكامل مع الثورة الإيرانية. منحت الوهابية هوية السلفية الجهادية للجهاد الأفغاني غير أن هذا الأمر لم يتحقق بشكل كبير، و ظهرت ملامحه إبان حكومة المجاهدين المتعددة المشارب، مما أدى إلى خطة اجتياح طالبان لحكومة المجاهدين لتعزيز الهوية الوهابية لأفغانستان منعا لأي تقارب مع إيران تفرضه استحقاقات الجوار الجغرافي. و هناك بدأت حركة تصفية رموز الجهاد الأفغاني المعتدلين و غير الوهابيين. و هناك أيضا كان لحادث قتل الديبلوماسيين الإيرانيين التسعة الأثر البالغ لإحداث شرخ بين أفغانستان و إيران. كانت القاعدة هي حكومة الظل في دولة طالبان. لكن تعين القول بأن سنوات من الجهاد الأفغاني التي شكلت قبلة لكل الجهاديين من داخل السعودية و الذين كانوا خلايا سلفية جهادية نائمة خفف الوطأ عن السعودية. و نستطيع معاينة ذلك من خلال أن سنوات الجهاد الأفغاني لم يشهد أي تمرد سلفي من داخل المملكة. في حين بداية التمرد بدأت عمليا بعد نهاية الجهاد الأفغاني و بداية الحديث عن القاعدة و مع تفجيرات الخبر التي سعى الإعلام إلى تحويل الأنظار عن مسؤوليها الحقيقيين و اتهام إيران بذلك قبل أن تظهر للرأي العام أن القاعدة هي

من كان وراء هذه العملية. و لأجل تحقيق هذا الغرض أصبحنا أمام حاجة لخلق أفغانستان أخرى لامتناس السلفيات الجهادية و تشكيل محاج أخرى للجهاديين، فكانت الشيشان ثم العراق ثم سوريا و هكذا. و دائما كانت ارتدادات الفشل في هذه الدول تشكل بداية تهديد للسعودية و البلاد العربية الأخرى. لم يكن الحل جذريا بل كان مجرد عملية ربح الوقت حتى إشعار آخر. و كان الحل السهل هو البحث عن بؤر صراع جديدة لتصدير أزمة إرهاب السلفية الجهادية إليها. و هذا يعني أننا لن نعم باستقرار حقيقي في المنطقة، و بأن الإرهاب أصبح عنصرا وظيفيا تتوقّف عليه الحاجة لاستقرار الجبهة الداخلية للسلفية التقليدية نفسها. إن تصدير السلفية الجهادية إلى مناطق الهند الصينية و البلقان و غيرها من شأنه تفجير التخوم الإسلامية نفسها. و إذا كان البعض يعتبر أن سبب جاذبية و استقرار الإسلام في هذه المناطق ناتج عن حركة التجارو الدعوة فإن ما لم تلتفت إليه هذه المقاربات هو أنه تمّ و لأسباب جيوسراتيجية وعاها المسلمون في تلك الأثناء أن أطلقوا على تخوم الهند حركة صوفية كبرى كادت تتماهى مع التيارات الروحية في هذه الأقاليم و هو ما شكل عنصر تسامح باعتبار أن الأمر كان يدور بين أمرين: إما وضع حركات تكفيرية متشددة تنتهي بتصفية الأقليات مما يؤدي إلى حرب ساخنة مع الهند و إما وضع حركة متسامحة ذات زخم روحي و معنوي يوقف عملية الاستقطاب المعنوي من جهة و من جهة أخرى يرسي ثقافة للتسامح مع التنوع. هذا يفسّر سبب جلب تيارات فكرية صوفية من أقصى الغرب الإسلامي إلى أقصى الشرق الإسلامي (/ ابن عربي مثلا). غير أن خريطة داعش اليوم تسعى لتغيير هذا الوضع الجيوسراتيجي التقليدي للعالم الإسلامي لتضع على تلك التخوم حركات استئصالية و هو ما سيثير حروبا عظمت على العالم الإسلامي، هذه المرة من جهة الهند و الصين. و هذا الوضع هو نفسه ما يقتضيه الموقف الجيوسراتيجي الغربي. حيث أصبحت هذه الجماعات الإرهابية تشكل جماعات وظيفية للغرب أكثر مما فعلت الأقليات المسيحية التي أصبحت مستهدفة بهذا العنف المزكى غربيا، كما حصل في العراق و سوريا و لبنان اليوم. يسعى الغرب في مخطّطه الجديد لاستنزاف منطقة أوراسيا عن طريق هؤلاء الجهاديين. و لكن الأمر الأهم هو لبناء حاجز نفسي بين المسلمين و كل من الصين و روسيا تحديدا. و مثل هذا حصل إبان الجهاد الأفغاني ضدّ الاتحاد السوفياتي و أيضا ضدّ الصين و على تخوم الهند. هذا الحاجز النفسي هو حاجة جيوسراتيجية للغرب لمزيد من الهيمنة على الشرق الأوسط و الحؤول دون وصول الصين و روسيا إلى المنطقة. المواجهة القادمة ضدّ دول "بريكس" سيلعب فيها التطرف التكفيري دورا كبيرا من شأنه إذكاء الكراهية العربية ضدّ الصين و روسيا و الهند تماما كما نجحوا في إذكائها ضدّ إيران. و ستتجلّى آثار هذه الكراهية في جملة المذابح التي سنشهددها على خلفية الصدام بين الأقليات المسلمة هناك و تلك الدول، ستستببعه قطيعة بين العرب و تلك الشعوب بما يؤدي إلى طرد الهنود من الخليج و منع الاستثمارات و التعاون مع الصين. في أفريقيا ستتكلّف جماعات الإرهاب التكفيري مثل بوكو حرام و القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي و باقي التشكيلات المتعاونة معها على طرد اليد العاملة أو الاستثمارات الآتية من بلدان الممانعة أو "بريكس". و سيكون المتضرر الأول كما لمّحنا مرارا هو الجالية اللبنانية في أفريقيا المعرضة لمخاطر العنف في هذه البيئات التي تتصاعد فيها موجات التطرف التكفيري، و أيضا بالدرجة الثانية سيواجه المستثمرون و الجالية الصينية الأخذة في التكاثر هناك المصير نفسه على المدى المتوسط و البعيد.

لقد بات العنف الإسلامي إذن حاجة للغرب أكثر من كونه حاجة إسلامية. لا سيما حينما نجد أنّ هذا الفائض من العنف لا يتّجه نحو إسرائيل، بقدر ما يتّجه نحو إضعاف المقاومة و بؤر المقاومة للاحتلال الإسرائيلي. و من هنا بات من الصعوبة بمكان الحديث عن تحسين السلفية التقليدية من اجتياح السلفية الجهادية. فأكثر السلفيات التقليدية التي تهاجم السلفية الجهادية هي سلفيات متملّقة و فاقدة لمصداقيتها و مستهله. يتذكّر المهتمون بقضية جهيمان العتيبي حين بدأ حركته منشقا عن ابن باز نفسه أنه نعته بأعمى البصر و البصيرة. و أما شيوخ السلفية التقليدية اليوم في نظر أمراء القاعدة فهم شيوخ سوء منحرفين و وعاظ سلاطين. و نلاحظ أن وتيرة السلفية الجهادية في تزايد و مواردهم في تكاثر و قدرتهم على الاستقطاب لا تتوقّف و أنّ خطاب السلفية التقليدية بات غير قادر على تأمين نفسه من السلفية الجهادية. و كلّما زاد التهميش و عمّ الفقر إلّا و تكاثرت حظوظ السلفية الجهادية في المنطقة العربية. فلقد كانت تلك المنشورات و الكتب السلفية التي وزعت خلال الثمانينات في كل المنطقة العربية هي مصدر انبثاق جيل كامل من السلفية الجهادية التي أصبحت تهدد حتى البلدان العربية الأخرى التي تعتبر الوهابية دخيلة عليها. و لكنه و بسبب التغلغل الوهابي لجسم المؤسسات و الحركات الإسلامية في هذه البلدان، أصبحت السلفيات الجهادية قضية داخلية لكل هذه البلدان و لم يعد يجدي بعد ذلك أن يقال أنّ مصدر هذا البلاء هو دول مشرقية.

السلفية الجهادية على هامش أحداث 11 سبتمبر

ثمة خطأ شاع يومئذ يرى في أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو ما حدث تباعا، هو تحقق للنبوءة الهنتنغتونية، بينما الواقع يثبت أن هنتنغتون لم يفعل أكثر من وصف حالات ظاهرة بمفاهيم ملتبسة، فهي أشبه ما تكون بقراءات و أحكام بأثر رجعي حول ما حصل خلال نصف قرن، أي تحديدا منذ أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية لاعبا أساسيا و وارثا "شرعيا" لملف الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية، و ما أنتجه هذا الوضع الجديد من إفرزات و تداعيات شملت معظم العالم العربي و الإسلامي. و قد بنا هنتنغتون على هذه الحقائق رؤية تتسم بالعمومية من جهة و من جهة أخرى بالتشاؤمية، على أن التشاؤمية، هي ما يسم، حقا، جزءا من الإرث الشعوري التقليدي للأمريكي الذي جرب في مرحلة من المراحل الغزلة السياسية. و قد جاء هنتنغتون أخيرا - و ربما اختار التوقيت المناسب - لإعادة هذا الإحساس التقليدي إلى الذهن الأمريكي. هذا علاوة على أنها رؤية مسكونة بذهان الرهاب من الآخر، و الاستهتار بثقافته. و هذه موضوعة متشعبة في حد ذاتها. إنما الحديث عن الوجه الثاني الذي يتعلق بهذه الرؤية من حيث نعتناها بالعمومية. لاسيما حينما نعتبر ما سيقع غدا، صراعا من جنس حضاري. في الواقع لا نحمل هنتنغتون القول بأن حرب الإرهاب أو محاربة الإرهاب هما مظهران للصراع الحضاري. لأن هنتنغتون اعتبر كل أشكال النزاع و الصراع المستقبلي بين الحضارات سوف تكون فيه الدول بمثابة اللأعب الأساسي و الرئيسي. في حين ما يحدث الآن لا علاقة له بما قرره هنتنغتون بل إننا نجد خلافا لذلك رأيا يتبناه توفلر حين كتب عن تحوّل السلطة قبل أن يتحدث هنتنغتون عن صدام الحضارات. إن الدول لن تكون هي اللأعب الأساسي و الوحيد في المسرح الدولي و لا هي من سيحتكر العنف. بل قد نجد قوى جديدة قد تمثلها حركات "فوق وطنية" كالخضر أو المافيا أو المنظمات الإرهابية الدولية. و إذن، و إن كان و لابد أن نتحدث عن

نبوءة في هذا المجال فهي في صالح ما طرحه توفلر و ليس هنتنغتون. لعل نقطة القوة و نقطة الضعف في الوقت نفسه في مقولة هنتنغتون هي ردّ الصدام الحضاري إلى الدين و الثقافة. ذلك لأنه من جهة كونها نقطة الضعف، نلاحظ حصول نوع من الالتباس في منشأ الصراع بين الدول و الجماعات. فهو يختزلها في المنشأ الحضاري و الثقافي مع أن حروبا خطيرة كانت و لا زالت تقوم بين إخوة أعداء ينتمون للمنطقة نفسها أو الحضارة نفسها أو الثقافة نفسها، بل ربما بين الحزب الواحد نفسه. في حين أن تعايشا سلميا واضحا بين المختلفين على اختلاف ثقافتهم أمر له أمثلة و نماذج حتى في راهنا الموسوم بالصراع الثقافي. إن أطروحة هنتنغتون تخفي مناشئ الصراع الحقيقي، و التي كانت و لا زالت و ستبقى تتمثل في العامل الاقتصادي و النزعات السياسية على الحدود و الحروب التحريرية من أجل تقرير المصير و من أجل سيادة الأمم و كرامتها. أما من جهة كونها نقطة قوة، فذلك لأننا من جهة نقول: نعم، إن الحروب التي تحصل الآن قد تحصل غدا و إن كانت مناشئها (اقتصاد - سياسية)، تتصل بالمصالح القومية و السيادية فهي تأخذ لونا ثقافيا. فالثقافة هنا ليست هي المنشأ بل هي الوظيفة. و لذا لا عجب أن يرفع صدام حسين شعار الإسلام و العروبة في مواجهة الأمريكيان كما حمل الأمريكيون يافطة النسر النبيل، محرر الشعوب، و غيرها من العناوين، إما ذات منشأ ديني إنجيلي أو ذات صفة تتعلق بالقيم الديمقراطية. و لكن المستبعد ما بين اليافطتين هو أن ثمة قوة غاشمة تسعى لوضع يديها على النفط، في حين تترك للشعوب و الدهماء أن ترعى و تقتات على شعارات الحدائة و البولميك السياسي، و كأنه حطام من العلف الذهني اليومي. إذن سوف تكون فكرة هنتنغتون صحيحة في حالة واحدة فقط، هي حينما نعتبر الثقافة عاملا وظيفيا و ليس منشأ موضوعيا للحروب. إذا كان فوكوياما يؤكد بأن لا وجود للوحوش على الأبواب، فالأولى أن نقول بأن لا وجود لحروب حضارية أو تهديد حضاري وراء الحدود. فالصراع هو موضوع الحضارة نفسها و يتحدد بأنماطها و يتغذى على تداعياتها. ليس ثمة حروب حضارية، بل ثمة فقط حروب الإنسان داخل حضارته و تمازجه داخلها. و لهذا السبب تحديدا يقدم هنتنغتون نصيحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بأن تكفّ عن حشر أنفها في واقع هو أيل إلى الصراع لحتمية هذا الواقع الثقافي المختلف. نعم كل دولة بهذا المعنى لها حدود دموية مع الناشرين عنها ثقافيا. هذه من جهة فيها خطورة على التعايش السلمي. لكنها من جهة أخرى تطرح نقطة استفهام حول وجود كيان صهيوني يحمل ثقافة عنصرية في قلب عالم يختلف معه ثقافيا و حضاريا. ألا يعني هذا أن الذين يساندون إسرائيل اليوم هم بشكل أو بآخر يرسمون حولها حدودا دموية؟

الخوف على الهوية و العنف المسلح

قيل إن السؤال الذي كان يطرح خلال الحرب الباردة هو: مع من نحن. و لكن بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أصبح السؤال من نحن. أي تفجّر سؤال الهويات. و لا شيء نهائيّ هنا. لقد كان هنتنغتون كما وضّحنا مرارا بصدد إرساء نموذج لتفسير الأحداث الدولية عشية سقوط الاتحاد السوفياتي، أي بعد أن استنفذ نموذج الحرب الباردة أي قدرة على تفسير الأحداث. و لكنه لم يمنح الصفة الأبدية للنموذج الحضارتي. غير أننا ندرك أن الحرب الباردة رجعت بقوة بعد أن استعادت الأطراف المتضررة قدراتها على استئناف هذه الحرب بعيدة المدى. و بالتالي نحن اليوم في سياق عودة السؤال: مع من نحن. ففي الظروف التي كان العالم فيها يعيش في ظل توازن دولي سياسي

و إيديولوجي، كان الأمر أخف نوعا ما على الهويات. لا سيما الهويات المهددة في وجودها. و هذا ما يفسر أن الانتماء حتى هذه الفترة كان أحيانا يأخذ معنى الابتزاز. هذا لا يعني أن الهويات لم تكن تواجه تحديات في هذه الفترة، و لكن التوازن الدولي كان يتيح - على الأقل - لهذه الدول و لهذه الهويات هامشا للمناورة. و من هنا نفهم كيف استطاعت أن تثبت نفسها إلى حد ما منظمات و هيئات شتى، كمنظمة دول عدم الانحياز في صلب هذا التوازن مثلا. و بالفعل، كان السؤال المطروح هو: إلى أين تنتمي؟ و هو سؤال عام. إذ لا يعني الانتماء إلى المعسكر الشرقي مثلا، انتماء مطلقا لمنظومته الإيديولوجية السياسية و الاقتصادية بالضرورة. أما بعد نهاية الحرب الباردة و بعد افتقاد العالم للتوازن، أصبح سؤال الهوية يواجه تحديا خطيرا، لا سيما في ظل العولمة التي لم تجد أمامها سوى قطبا واحدا يمتلك كل أسباب احتكارها. أصبح سؤال من نحن مؤشرا حقيقيا لوجود هذه الكيانات في دائرة الخطر. فقد يكون هذا التساؤل هو بداية لنشوء وعي جديد بمسؤولية النهضة، و بداية الرجوع إلى الذات. ليس للتقوقع حول سؤال الهوية، بل لتأهيل الذات كي تكون في مستوى التحديات التي تواجهها اليوم. لكن حينما يتراجع هذا الوعي و يصبح سؤال الهوية يعالج بصورته النكوصية المبسطة، هنا تحصل الكارثة. يبقى السؤال الأساسي هنا: هل إن الهويات الضعيفة التي تعاني الهشاشة مرشحة دائما لتبني خيار العنف إبان وجودها أم أن اللجوء إلى العنف هو رد فعل على الإقصاء؟ و الحقيقة هي أن كليهما متغير في معادلة صعبة. فإحساس الهويات بالهشاشة و الضعف بالتحديات التي تفرضها القوى الكبرى كما يحصل اليوم في العالم، يؤدي إلى محاصرة هذه الهويات في الزاوية الضيقة بحيث لا تجد مجالاً آخر للتفاوض حول حقها إلا باللجوء إلى خيار العنف. فالقوى الكبرى تتحمل النسبة الأكبر في السلوك العنفي الذي يصدر عن بعض هذه الهويات. سواء أكانت كيانات سياسية قائمة أو حركات أو منظمات داخل هذه الكيانات. فالعنف صناعة مشتركة تنمو بشكل طبيعي في مناخ التوتر بين كيانات ضعيفة أو جماعات مضطهدة و قوى عظمى لا تعترف لهذه الأخيرة بحقوقها. هذا ناهيك عن أن العنف في ظل هذا الانزياح في التلبيل و التوحش الرأسمالي و مجتمع الاستهلاك ليست ظاهرة خارج نطاق الاستثمار. فكل شيء هنا، قابل للاستثمار في هذا المجتمع. حتى و لو كان الأمر يتعلق بالعنف. فعلى الأقل، إن المجتمع الرأسمالي يحتوي على منشآت لصناعة السلاح؛ لا أعني التقليدي الذي يصلح للحروب بل ذلك الجيل من الأسلحة التي تصلح للإرهاب. كما أن ثمة هوليود التي تجد نفسها تستثمر في العنف. فحينما نقول الاستثمار، فإننا نقول التسويق. و بلا شك في زمن العولمة سنجد اجتياحا لهذه السلعة ذات النكهة الهوليوودية المتاحة في يد الجميع. إذن الإرهاب تصنع مبرراته و فلسفته و أدواته و تقنياته في هذه الدول العظمى، و هي التي تقدم دروسا لهؤلاء المحبطين إن أرادوا أن يمارسوا العنف بأن يمارسوه على هذه الطريقة. أي على الطريقة الأمريكية. و هذا الذي حصل في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، حيث ظهر للعالم و كأنها بالفعل أمام مقطع من مشهد هوليوودي.

و تظلّ هذه العلاقة التي كادت أن تصبح علاقة نمطية بين التنظيمات الإسلامية و العنف، فيها ما هو حقيقي و فيها ما هو مغالط. إذا أردنا أن نتحدث عن الوجه المغالط لهذه العلاقة، قلنا لا يخفى أن ثمة أكثر من مبرر لحشر الحركات الإسلامية في هذه الصورة النمطية التي تجاوزت كونها تهمة موجهة للحركات الإسلامية ذات برنامج

سياسي و اجتماعي إلى أن تصبح تهمة للإسلام نفسه كما لاحظنا ذلك في تقارير استشراقية في فترات ما. لا ننسى أننا في عالم يوجد فيه من يحمل كراهية للإسلام من منطلق عقائدي أو إيديولوجي أو ثقافي سياسي. و الذي بلغ أوجه مع الإسلاموفوبيا التي أصبحت لعنة تتربص بجميع المسلمين سواء أكانوا ينتمون إلى الحركات الإسلامية أو لا ينتمون. و لقد غدت الحركات العنيفة كما تمثلها القاعدة و بلغت أوجها مع داعش الإسلاموفوبيا مما يطرح سؤال التبادل الوظيفي بين سلوك هذه الجماعات و تعزيز خطاب الاسلاموفوبيا في الغرب. أصبحت للمسألة علاقة مباشرة بالهوية. و بالإمكان تقويض هذه المغالطة، و ذلك، بمزيد من العمل و الاشتغال في سبيل تقديم رؤية أكثر نضوجا عن حقيقة الإسلام بوصفه دين تسامح و حوار و إنماء للمهارات الإنسانية. مثل هذه المهمة هي مسؤولية لقاءة على العلماء و المثقفين و المفكرين و مراكز البحوث و الدراسات و الإعلام، دون أن نستثني دور الدولة في مجال تمكين أهل الرأي و الخبرة و الاختصاص من النهوض بهذا المشروع. أما الجانب الحقيقي لهذه العلاقة بين الحركات الإسلامية و العنف، فيتداخل فيها الموضوعي بالذاتي. فلا يخفى كذلك أن هذه الحركات في نشأتها الأولى داخل دول موصوفة بالشمولية و الاستبداد كانت قد تلقت ضربات قاتلة، ساهمت بشكل من الأشكال في انشداد هذه الحركات في خيارات العنف المضاد. مما أهل المناخ لتبلور خطاب محنوي تكفيري انعزالي بلغ مدهاء مع التيارات التي جعلت من العنف وسيلتها الوحيدة في تصفية حساباتها. فهذه الخطابات كانت تقتات على هذه الأدبيات المحنوية التي يمكن تكوين صورة عنها من خلال عناوين مثل " الإخوان المسلمين في السجن الحربي و ليمان طرى" أو كتاب: "لماذا أعدموني" و غيرها من هذه المنشورات التي حولت المشروع الإسلامي من دعوة إلى التربية و التخليق و الإصلاح إلى دعوة للانتقام و التكفير. يمكننا أن نتحدث عن ظاهرة نكوص هذه الحركات في هذا المفصل التاريخي المحنوي حيث تراجع خطاب حركات الإصلاح الإسلامي التي كان قد دشنها جيل من الإصلاحيين أمثال جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و الكواكبي ... إلخ، إلى خطاب نقیض، انتقل من فكرة الجامعة الإسلامية كما نادى بها الأفغاني و تلامذته إلى فكرة الجماعة الإسلامية. لقد شكلت أفكار سيد قطب ثورة ضد كل الأفكار التي بدت له ملتبسة و لا تقف على جوهر مشكلات العالم الإسلامي، منذ محمد عبده حتى مالك بن نبي. لقد حاول محمد قطب أن يقدم رؤية غير تاريخية عن التاريخ. لقد نقل عن غيره و من دون إحالة عن ازدواجية المعايير لدى المسلمين القدامى في أخذهم عن البنزنيين و الفرس. و اعتبر أنهم أخذوا العلوم و لم يأخذوا الأفكار و أنماط السلوك و الاعتقادات باعتبارها في نظرهم من أنماط الجاهلية. و الحقيقة أنها قراءة سطحية جداً لأن الذي تجنبته حركة النقل و الترجمة هو الديمقراطية اليونانية الأولى و ذلك لأنها لم تكن ناضجة بالقدر الذي كانت عليه الآداب السلطانية و أخلاق الملك عند أهل فارس. ثم إن اليونان لم يكن لهم من يدافع عن ثقافتهم من داخل العالم الإسلامي كما هو الأمر بالنسبة للثقافة الفارسية. نشطت حركة الترجمة في زمن التأسيس للاستبداد العربي و الإسلامي. و قد دعا محمد قطب إلى إعادة النظر في تلك الأسماء اللامعة التي اعتبرها من الأسماء التي لمعها الاستعمار. و من يا ترى يكون هؤلاء العملاء الذين أدوا خدمة للاستعمار الصليبي الصهيوني في نظر محمد قطب؟ يجيب بالقول: "بهذا الميزان نزن رفاة الطهطاوي و محمد عبده و جمال الدين الأفغاني و سعد زغلول و قاسم أمين و لطفي السيد و طه حسين و عشرات غيرهم و

عشرات .. فنجد فيهم عاملا مشتركا على اختلاف مواقفهم ما بين الغفلة و العمالة المأجورة، أن شخصياتهم ضئيلة. أضال بكثير مما صورت لنا بواسطة أجهزة التكبير - أو أجهزة التضليل -^١. هذه العبارة تؤكد على أن سؤال محمد قطب كما هو سؤال سيد قطب - كما يتضح في نقده لموقف مالك بن نبي بخصوص أهمية قيد المتحضر بالنسبة للمجتمع الإسلامي - لم يكن يعنى بالسؤال النهضوي أو الحضاري. و هذا هو المظهر البارز للنكوص الذي يؤدي إلى حالة التوحد و العزلة الشعورية التي مآلها الحتمي العزلة المادية التي تمنح العنف شرعيته و تبريراته. لقد انتقل الفكر القطبي من فكرة الحوار و محاربة الجهل إلى فكرة تدعوا إلى ممارسة العزلة الشعورية في المجتمع المسلم بوصفه مجتمعا جاهليا، لا شيء إلا لأن الشريعة لا تحكمه. ما هو شكل هذه الحكومة و ما هي تفاصيلها؟ هذا أمر لا وجود له. بل لا جدوى من طرحه الآن؟! و إذن كل هذه المعركة قامت للمطالبة بشيء لا نملك حوله تصورا حقيقيا. بل إن سيد قطب الذي أطنب كثيرا في حديثه عن الحاكمية، لم يكن يحمل تصورا عن الحاكم الشرعي و مشروعية السلطة. و لهذا السبب تحديدا نجد في نصوص داعش و القاعدة التي دارت حول مفهوم الحكم و الإمارة و الدولة جنوحا خارج سيد قطب، حيث لا نكاد نجد سيد قطب في مجال أجرأة بناء الدولة أو من يحكم أو تنصيب الأمير. إنهم لن يجدوا عند سيد قطب سوى أفكارا عامة حول الحاكمية لا تنفع في مجال التأسيس و التأصيل الإجرائي لقيامها. فيكون الرجوع إلى نصوص ما قبل سيد قطب في قلب التراث حول فقه البيعة و السياسة الشرعية. و قد جاءت بعد ذلك الطامة الكبرى التي زادت الطينة بلة حيث حصل الزواج التاريخي بين الخطاب الإسلامي العنفي و بين الفكر الوهابي، خاصة ما يتعلق بذلك التراث التكفيري لابن تيمية. أفرز بعد ذلك أشكالا من الحركات أكثر تشددا و استعدادا لممارسة العنف. فبتنا نسمع بالهجرة و التكفير أو بالسلفيات المقاتلة. و مع ذلك نقول: إن تفويض هذا الوجه من العلاقة بين الحركات الإسلامية و العنف هو أيضا مهمة ملقاة على أهل الفكر و العلم، لممارسة التنوير و فك العزلة الشعورية عن هذا الجيل من الشباب الذي يقع فريسة لخطاب متمازق يحمل مركب مرض الأمة العضال، و ضحية للجهل و الاستبداد و التهميش و انسداد باب الاجتهاد. ليس بالضرورة أن يكون التصحيح بالعنف الذي كان سببا في نشوء هذه الأصناف من الحركات المتشددة، فهذا من شأنه أن يشكل المناخ الذي يتيح لهؤلاء مزيدا من النمو و الإصرار. بل المطلوب، مزيد من الانفتاح و التعليم و التسامح، لاجتثاث جذور مناشئ هذا الفكر الانعزالي. هناك اختلاف في المرجعيات و في طبيعة الخطاب و في الأهداف و الوسائل، فهناك من الحركات الإسلامية من تجد نفسها في حرج شديد مما يحدث هنا أو هناك من أعمال عنف تصدر عن بعض الحركات العنيفة المتطرفة. ليس بالضرورة أن يرجع ذلك إلى المنابع الفكرية لهذه الحركات، فقد تجد وحدة في المرجعية بين حركة عنيفة هنا و حركة مسالمة هناك. ففي مثل هذه الحالة يعود السبب إلى المناخ السياسي الذي تعيش فيه هذه الحركات. في البلدان القمعية أو في الظروف الاجتماعية الصعبة أو في مناخات الجهل و الانسداد العلمي تنمو ظاهرة الحركات العنيفة. في حين نجد مثل هذه الحركات تنحو أكثر إلى التهذئة في مجتمعات أكثر تسامحا و ديمقراطية. و تبقى مناهج التعليم الديني معنية بالأنسنة و التكيف مع مقتضى

١. محمد قطب: كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٠، ط ١٩٩٥، دار الشروق، القاهرة.

التعايش و التسامح و احترام الآخر. و لا زالت هذه البرامج في كثير من البلدان تكرر ثقافة العنف الرمزي الذي يتجه في الغالب إلى العنف المادي. هنا يكون التكفير اكتسب له صفة قانونية و رسمية. و هنا منبع الخطر.

العنف التكفيري؛ مهمة جديدة للإستعمار

ثمة تحدّي أمام الحركات الإسلامية التي تدعي التسامح و الانفتاح في حين تراها عاجزة عن تحديد منطلقات فكرية مؤصلة تحدد هويتها الفكرية و خطابها. إن ما يميز الخطاب الفكري لبعض الحركات الإسلامية في العالم العربي التي تدعي التسامح و الانفتاح و غيرها عن الحركات العنيفة، لا يتجاوز مسألة الشعار، في حين تظل البنية قائمة كأنها بنية عنف نائمة و محتملة. إذن نحن بصدد بنية فكرية مشتركة يلعب فيها الشرط الموضوعي دورا أساسيا في ظهور أو غياب ظاهرة العنف لدى الحركات الإسلامية. و هذه البنية للأسف التي أصبحت كالسرطان داخل الجسم العقائدي لهذه الحركات لم تستطع القطع مع الخطاب الخوارجي الذي عاد إلى الواجهة في خطاب بعض الحركات الإسلامية الذي يصرف بأشكال مختلفة، تارة دفعة واحدة و بالجملة و تارة بصورة مختاللة و بالتقسيم. لا نتحدّث هنا عن الخوارج كفرقة كلامية أو طائفة دينية، و إنما نتحدّث عن بنية خطاب يمكن أن تجده في صلب مختلف أديبات بعض الحركات الإسلامية التي لم تقم حتى الآن بنقد ذاتي جذري لخطابها الحركي. هذا الفكر في أولى تمظهراته التاريخية و الراهنة يقوم على أساس الاستهانة بمشروعية السلطة. إذ لا يخفى أن الفكر الخوارجي هو الفكر الوحيد الذي لا يرى ضرورة لقيام الدولة. و ذلك بناء على الشعار التاريخي المغلوط "إن الحكم إلا لله" و هو للأسف الموقف الذي ترجم بشكل صريح في فكر المودودي و بلغ مداه مع الفكر القطبي مما جعل فكرة الخوارج اللادولتية تستعيد الحنين إلى شكل آخر من الدولة. و هنا أصبحنا مع دولة اللادولة في مفارقة يصعب هضمها في علم السياسة. هذا رغم أن الجواب التاريخي كما صدر عن الإمام علي تقويضا لهذه المغالطة الخوارجية "كلمة حق يراد بها باطل. و قد علموا أنه لا بد من أمير بر أو فاجرا". و كانت هذه بمثابة المسوغ الشرعي المغلوط الذي برر به الخوارج كل الأعمال التخريبية عبر التاريخ.

يصعب الحديث عن خوارج العصر بعد أن عرف هذا المفهوم تمييعا ممنهجا نتيجة تداوله المفرط التّديس. فالخوارج الجدد يتبادلون هذه الصفة بينما تنطبق شروطها عليهم. هذا ما ستكشف عنه حروب الخوارج - الخوارج (الجدد) كما ظهر في حرب داعش على تنظيم القاعدة الأم. يا لها من مفارقة حينما يأتي أبو قتادة الذي سبق و أفتى الجماعات المقاتلة بجواز قتل الأطفال في الجزائر، يتهم داعش بأنّها من الخوارج. نلاحظ أن فكرة الجهاد حينما تبناها الخوارج حولها إلى فوضى تهدد الكيان الداخلي أكثر مما توجه نحو الدفاع عن حمى الأوطان. إنه جهاد أعمى لا فقه يحدده و لا أخلاق تهذبه و لا فكرينوره. و إذا أردت أن تعرف كيف يسري هذا الفكر في صميم الخطاب الخوارجي عبر التاريخ، يمكننا الحديث عن مثال واحد فقط؛ لقد مرت علينا إحدى الوقائع مرور الكرام. أذكر يوم بثت قناة الجزيرة تسجيلا عن بن لادن حيث كان في زيارة بقندهار لأحد الشيوخ الوافدين من دولة خليجية. و كانوا بصدد الحديث عن أحداث الحادي عشر و يتبادلون الأشعار و القصائد. حينما أراد الشيخ الزائر أن يصف الضربة الموجهة للبرجين أنشد يقول:

ويُتضح أنّ هذين البيتين هما لعمران بن حطان رأس الخوارج. إن هذين البيتين كان قد مدح بهما هذا الأخير ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب. إذن الخوارجي المعاصر يشبه الاعتداءات على برجى التجارة بطعنة الإمام علي!؛ انظر كيف أنهم يحفظون قصائد الخوارج عن ظهر قلب. هذا ما أسميه بسريان الفكر الخوارجي في خطاب الجماعات المتشددة. لكن إلى أي حدّ كانت هذه الجماعات ردّ فعل عن فشل تطبيق برامج في الإنماء و الإصلاح السياسي و الاقتصادي كما يقولون، أو ردّ فعل على سياسات التحديث؟ مرة أخرى نقول، أن هذه الأحكام لم تتحرر من أفة الاختزال. و هي تكشف عن تصور مغلوط للحدثة نفسها؛ هذه الأخيرة التي لا تزال محور جدل لا من حيث كيفية تعريف دلالاتها و تطبيق مضامينها في مجتمعات، و إن كان ثمة مشترك بين تاريخها الخاص و التاريخ العربي الخاص الذي يتلخص في وحدة المسار التاريخي العام؛ لأن التاريخ العام في تصورنا هو ذلك الحيز المشترك بين كل أشكال التواريخ الخاصة. فلا تاريخنا هو العام و لا التاريخ العربي هو العام، بل التاريخ العام هو حصيلة ما هو مشترك و ما يشكل جملة القوانين التاريخية التي تجري على كل أشكال التاريخ الخاص. فالجدل الجاري الآن حول الحدثة هل سنقبلها كما هي، ما دامت هناك شريحة ترفض التعاوي مع الإسلام كما هو، فهناك من يرى أن المجتمع الحديث و الديمقراطي يخلو من وجود مثل أعلى، لأن في النهاية لابد من أن يطرح كل شيء للنقاش و الاستشكال، و هذه نقطة هي قابلة للنقاش. لنقول، عودا إلى بدء، بأن الحدثة التي طرحت منذ البداية على أساس هذا النفي لحضور الإسلام ضمن مناخ التوتر بين التيارين الإسلامي و العلماني في العالم العربي من شأنه أن يعزز من صعود نجم التيار الإسلامي في أفق هذا الفشل الذي منيت به التيارات الحدثية التي أنتجت و لأول مرة في التاريخ العربي نظما شمولية، و قمعية لا تنموية، و لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نعتبر أن هذا هو العامل الوحيد الذي يفسر صعود نجم ما يسمى حركات العنف الأصولية. فلا ننسى أن الرجوع إلى الإسلام هو مطلب روحي و ربما أيضا براغماتي. فالشعوب بطبعها ترفض الفراغ و ترفض أن تتخلى عن إرثها الثقافي و الديني لصالح شعارات أثبتت بأنها أعجز من أن تضعنا في مسارات الدول المتقدمة صناعيا و تنمويا و ديمقراطيا، لا سيما أن الذين أجهزوا على الحدثة و الحريات المدنية و الديمقراطية و التنمية هي الدول القمعية التي جاءت إلى السلطة تحت شعارات الدول الحديثة و التقدمية. إذن علينا أن نكون موضوعيين أكثر و هو أن الكرة هي في مرمى الفشل الذريع لهذه الخيارات ثم لا ننسى أنه ليس من الموضوعية أن نتحدث عن ظاهرة تنامي الحركات الإسلامية، لأن هذه الظاهرة إن صح هذا الوصف هي في مجال إسلامي، فالإسلام ليس حدثا طارئا في هذا المجال حتى نتحدث عن ظاهرة بل هو راسخ متجذر في بنية المجتمع العربي، نعم يمكننا أن نتحدث عن ظواهر لا تتمتع بالرسوخ في هذا المجال كالحركات المتطرفة التي لا تحمل مشروعا و لا بديلا حضاريا سوى العنف. و قد تندرج في هذا الإطار حتى الحركات الإسلامية المسالمة التي تدخل المعترك السياسي من دون برنامج تنموي و حضاري. إن مفهوم الخصوصية أصبح من أكثر المفاهيم التي تسلط عليها الجهل، و خضعت لضروب من الاستثمار المغلوط. و مع ذلك نقول، بأنه ليس مفهوم الخصوصية وحده الذي تعرض لهذا النوع من التمييز، بل حتى مفهوم الكونية تعرض للتعسف نفسه. لا أنكر بأنني قد تورطت في مقاربات أنثربولوجية

لمفهوم الخصوصية العربية والإسلامية في فترة سابقة، وذلك نتيجة استفحال مفهوم الكونية نفسه، الجارف لكل ما هو خاص. و لكن هذه المقاربة الأنثروبولوجية التي غلب عليها المنظور البنيوي للثقافة، كانت هي الأخرى رد فعل على المقاربة الأنثروبولوجية الكلاسيكية، التي مالت كل الميل إلى المنظور التاريخي بكثير من التمامية. إذن كان الأمر يتعلق بمنظورين أو بالأحرى بين ليفي بروهل من جهة و ليفي ستراوس من جهة ثانية. لكن الدعوة في تقديري قائمة، من أجل إنشاء أنثروبولوجية جديدة، كما دعا إلى ذلك امبرتو إيكو، و هي التي من شأنها إخراجنا من هذا المنغلق الباراديغمي، لمدرستين انثروبولوجيتين على تمام التناقض. إذن كان الهدف من الإصرار على الخصوصية، ليس انتصارا لسكونية الجهل، بل محاولة لفتح البنيتين على الخلاف. ففي تقديري، أنه إن كان و لابد من قيام هذه الأنثروبولوجيا الجديدة، فلا بد من قيامها على أساس تجادل الخصوصي و الكوني. فتقدم الخصوصي لا يتم إلا بالانفتاح على الكوني، لأنه هو من يملك قوانين التطور. إن اختراق الكوني للخصوصي هو الطريق الأوضح للتطور. من هنا الدعوة إلى أن نتعاطف مع الإسلام بوصفه تعاليم مجردة قابلة للتشخيص في كافة البيئات. ليس الإسلام ثقافة، بل هو تعاليم قد تتفاعل مع مختلف الثقافات. و من هنا كان فالمطلوب هو التعاطي مع هذه التعاليم و ليس مع خبرات جماعية أو نماذج سوسيوثقافية. ففي تقديري أن الكوني هو الجامع بين كافة التقاطعات الثقافية. ففي كل ثقافة هناك هامش لما هو كوني، و ما به تستطيع أي ثقافة أن تتواصل مع غيرها و أن تتجاوز سكونيتها. إذا أحسنا فهم هذا التجادل، استطعنا الخروج من دائرة السوء لكل أشكال التمامية، سواء أكانت كونية تاريخية أو بنوية. فالعرب عرب و الغرب غرب، و يمكن أن يلتقيا في نقطة التقاطع الكوني و يمكن أن يختلفا في طبيعة التفاعل مع هذا الكوني نفسه. إن جوهر التقدم واحد و إن تعددت مساراته. قد تكون البومة طائرا عند جميع الثقافات، لكن ما ترمز إليه قد يختلف من ثقافة إلى أخرى. فهي نذير شؤم عند البعض و رمز للحكمة عند البعض الآخر و ربما طائر عادي عند الجميع. هذا ما أعني به جدل الكوني و الخصوصي! و مع ذلك لا بد من القول بأنّ المواقف الرفضية للقيم الكونية العقلانية تصدر عن فئات محدودة جدا و لا تمثل عموم الفعاليات الإسلامية. ثمة شرائح واسعة من داخل الحركات الإسلامية لا يرون هذا التناقض بالشكل الذي يطرح الآن و إن كان لديهم بعض التحفظات على بعض المفاهيم أو المبادئ أو المواثيق الدولية. و هذه الشرائح تقبل بالحوار و بالنقاش. مع ذكر التفاوتات على مستوى الانفتاح من جهة لأخرى، لا أدل على ذلك أن كثيرا من هذه الحركات قبلت بالعمل ضمن مؤسسات الدولة و ضمن سيستيم الدولة الحديثة. و لا أهمية بعد اليوم لتلك الدعوات المتطرفة التي تكفر بالدستور، و لا تستحق أن تعار أي اهتمام إذ لا مستقبل لها، لأنها تعيد المجال إلى الموقف الخوارجي الأعمى " لا حكم إلا لله". و الجواب القديم المتجدد لهذه المقولة الخوارجية هو من الإمام علي ابن أبي طالب: "إنها كلمة حق يراد بها باطل، و قد علموا أنه لابد من أمير بر أو فاجر". إذن القول هنا بأنه لا شرعية للدستور أو القول بأن القرآن هو دستورنا هو ضرب من المجاز الذي قد يتحول إلى مغالطة. لأن القرآن حمال وجوه و أن الدساتير هي التصريف الزمني للتعاليم و هي قابلة للنظر بحسب تجدد الأحوال و تطور الأزمان. هؤلاء لا يحملون تصورا سياسيا و لا رؤية حقيقية للنظام السياسي في الإسلام و لا يحملون في جعبتهم أي بديل سوى هذا الحطام من التعاليم التي قصارها أن تجعل المسلم مسلما، و لكن هي أعجز عن أن تبني كيانا سياسيا متقدما للجماعة المسلمة. و هذا يعود

بنا إلى الموقف القطبي من البديل السياسي حيث رأى عدم جدوى تفصيل الحديث عن شكل الدولة و عن فقهاء معللا ذلك بأن إقامة الدولة الإسلامية أمر سابق لبحث تفاصيلها. وبذلك يكون قد وضع العربة أمام الحصان. لقد أجل سيد قطب التفصيل في إجراءات تحقق الحاكمية إلى الجيل الذي يتمكّن من إقامة حكم الله في الأرض بالغلّب. و هو بذلك منح داعش بعد عقود حقّ التصرف في تفاصيل إقامة هذا المشروع. لقد غاب عنه أن الشيطان يكمن في التفاصيل.

ويظلّ نموذج الخلافة يشدّ حنين هذه الجماعات إلى القديم في ضرب من المغالطة التاريخية إلى نموذج حكومة طالبان. هو النموذج المثل بالنسبة للفئة التي ترى هذا الرأي، لكن هذه الإمارة لم تحض برضى الأغلبية الساحقة من المسلمين. بل كان أحرى بها أن لا تكون. لأنها وضعت سمعة الإسلام و المسلمين في حرج شديد. إن النظام السياسي الذي سعى صاحب الدعوة لتثبيته هو أكبر من مشروع دولة يكون همها الأكبر أن تضع مقاييس لقياس اللّحي و استحضر تفصيل قيم البداوة و فرضها على النسيج الاجتماعي للشعب الأفغاني - الذي كان مسلما قبل طالبان و بعدها، بل و الذي كان له الفضل في دعم الطالبان في أن يتفرغوا للدرس و التبليغ من مساعداته و من دعمه و من محنته أيضا - بوصفها قيما إسلامية فيما اقتصادها قائم على ريع المخدرات و صناعة الموت. و فيما يتعلق بالدولة السياسية في الإسلام حتى لا أقول " الدولة الإسلامية" لا وجود لتصميم جاهز و نهائي. فحتى صاحب الدعوة في تصوري لم يحكم القوم بالمستوى القيمي الذي كان يطمح إليه. بل حكمهم بالمستوى الذي فرضه النسق الاجتماعي لذلك العصر مع الحد الأدنى من القيم الممكنة من حيث التنفيذ الواقعي. و من هنا فالرهان ليس على تصميم ما جرى بل الرهان على تصميم مستقبلي انطلاقا من هذه التعاليم الخالدة للإسلام. و لذلك نجد مثل هذه الدعوات و إن اختلفت في أسلوبها فهي تؤكد على هذه النزعة الاستحضارية الماضية. فالإخوان المسلمون على لسان زينب الغزالي يؤكدون على أنه لا بد من مراعاة ١٣ سنة من الدعوة قبل إقامة الدولة، آخرون يتحدثون عن إقامة الدولة على غرار نموذج الخلافة في حين أن تاريخنا السياسي ليس نظيفا بالقدر الذي يعطينا الحق في أن نعيد استنابته بلا شرط، في عصرنا الذي شهد تطورا كبيرا في النظم السياسية و في علم الاجتماع السياسي. من هنا أرى أنه إن كان و لا بد من الحديث عن دولة إسلامية حديثة، فهي دولة يتعين عليها أن تأخذ بإكراهات عصرها و تنطلق من تعاليم الإسلام المجردة لإبداع شكل حديث لهذه الدولة. الذي ربما هو الشكل الذي فشل في تحقيقه أسلافنا. و لا يمكن إنجاز تصور معقول و واقعي للدولة في مخيال تتحكم به الطوبا أو في ذهن مبتلى بالوعي الشقي. لا بد من مراعاة الواقع في كل رؤية أو موقف. الدولة كمؤسسة هي معطى تاريخي، و بالتالي فهي خاضعة لقانون التطور. إن مفهوم الدولة في الأزمنة القديمة ليس هو نفسه مفهومها الآن. ثمة تحول كبير في شكلها و وظيفتها. و هذا يسري على مفهوم السلطة ذاتها، هل السلطة بالمعنى التقليدي هي نفس السلطة بمعناها المعاصر. و إذن، لا بد من مراعاة الواقع الموضوعي، لأن الدولة و شكلها و وظيفتها ليس نحن من يصنعها، بل إن ذلك خاضع لمعطيات تطور الاجتماع السياسي. فملاح الدولة كما أتصورها، هي الدولة التي يمكن أن يتحقق فيها المقصد الإسلامي الكبير، ألا و هو ما ينفع الناس؛ أي، عدالة اجتماعية، تنمية، حريات عامة و كل ما يحقق هذا الغرض في إطار قيم العدالة المعنوية و المادية. ليس هناك ما يميز الدولة الإسلامية سوى أنها

مشروع لتحقيق دولة مجتمع الإنسان الكريم و الحر و المسؤول و المستمتع بكافة حقوقه في إطار قيمه الدينية و الأخلاقية الجماعية. إذ ما قيمة الدعوة الإسلامية السمحة إذا وجدت في مجتمع لا يتحمل مسؤوليته أمام الله؟! وهذه المسؤولية هي مشروطة بحرية الإنسان. فإذا كانت هناك في هذا العالم دول يستمتع مواطنوها بحقوق أكثر مما عليه في الدولة الإسلامية، فعلينا إذآك طرح سؤال على مدى حقيقة ما ندعوا إليه. هذه هي ملامح الدولة الإسلامية؛ أن تنظر في كل المكتسبات السياسية و الاجتماعية لتكون مثلها أو أفضل منها. هذا منطوق كوني و إلهي. الله سبحانه و تعالى يقول في كتابه الكريم: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو بمثلها. فالذين يريدون تجاوز الدولة الحديثة و عدم الإفادة من التراث الإنساني عليهم أولاً أن يضمنوا تفوق بديلهم على مستوى الحقوق و العدالة الاجتماعية، أي بتعبير أوضح أن يكونوا قدوة نموذجية تقدم ما هو مدهش للأخر و ليس قدوة سوء تنفر العالم. فالقرآن الكريم يقول: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. ليس صحيحاً أنك على حق لمجرد أنك تتحدث باسم الإسلام و تعاليمه. هذه هي ملامح الدولة الإسلامية، لا بوصفها تتميز بشعارات و فظاعات، بل بوصفها دولة الإنسان و دولة الحقوق قبل الواجبات التي تستطيع أن تستلفت انتباه العالم إليها، بمقدار ما تحققه من عدالة اجتماعية و كرامة لمواطنيها و تنمية لمجتمعها. هذه هي المعايير. أما ما السبيل إلى ذلك، ففي اعتقادي أن الاجتهاد في هذا الموضوع أمر لا غنى عنه. هذا الاجتهاد في اعتقادي له آلية واضحة و ليس مجرد تلفيق و التفاف على الواقع. أعني أننا مطالبون بأن نستفيد من كل منجزات نضالات الشعوب الحرة و ما حصل من تطور في الاجتماع السياسي المعاصر، ثم إن كان و لا بد من الاطمئنان، بأن نعرضه على قيمنا و تعاليمنا، لنرى ما يوافق مقاصدها فنتبناه بلا شرط. لأن ما تم إقراره بهذا العرض هو من الإسلام و إليه. و هذا منظور ينهض على فعالية التأويل. أمام المسلمين مهمة طويلة لكنها ممكنة التحقيق. ليس المطلوب منهم أن يجتروا المعجزات، بل أمامهم فرصة لكي يعرضوا تراث البشرية و مكتسباتها على تعاليمهم، ليحكموها، و تصبح جزءاً من تعاليمهم أيضاً. و هنا، الدعوة الملحة للتأويل، المخرج الوحيد لهذه الأمة.

في النصوص المؤسسة لدولة الخلافة الحديثة القائمة على فكرة التمكين بممارسة العنف نقف على ما يوحي بمفارقاتها التاريخية. تعتمد القاعدة و مشتقاتها على كتب السياسة الشرعية و تأصيلات أخرى لابن تيمية و نظرائه تتناقض في تحقيق أمر الدولة. فبينما تعتبرها من الفروع المتروكة للشورى تجدها ترقى بها في التطبيق إلى أصول الدين. هذا النوع من الخطاب المتهافت يسعى للإقناع بأن تاريخنا السياسي هو تاريخ نظيف و نموذجي و عنده انتهى التاريخ. لكن هذا للأسف قراءة أيديولوجية طوباوية للتاريخ، لأن تاريخنا السياسي هو تاريخ له منسوب عالي من المظالم و المقاتل. و أرى أننا فشلنا في أن نحقق خروجنا التاريخي المعافي من زمن التنزيل إلى زمن التأويل. هذا الفشل في التأويل هو سبب مأزقنا السياسي منذ غياب صاحب الدعوة. لا زلت أسأله: إذا كان التأويل جارياً حتى في زمن الوحي فكيف نقصيه من وعينا و فكرنا في زمن الانسداد الكبير. فحينما قلت قبل قليل، أنه بإمكاننا النجاح فيما فشل فيه أسلافنا على صعيد النظام السياسي، فأنا أعني التجارب السياسية التاريخية غير تلك التي قامت على يد صاحب الدعوة ﷺ. فالخلط الذي يقع فيه هؤلاء جميعاً، هو اعتبارهم كل ما مضى هو مشرق. في حين أن تاريخنا السياسي فيه الكثير من الإحراج. إن "المنهج النبوي" يحتاج إلى ضامن سياسي، بمعنى آخر،

المنهاج النبوي يطبقه النبي أو من قيل في حقه لا ينطق عن الهوى و في تقديري أن غير من عصمه الله لا يمكن أن يتحدث عن بديل تام و مطلق أو بأنه يمثل الوحي على النحو التام. و هذا ما يؤسس للمافيا الروحية لجماعات القتال الأصولية. إذن، نتحدث عن نوع من التجريب السياسي و بأن تكون الحركات الإسلامية أكثر تواضعا و حياء في حديثها عن النموذج السياسي التاريخي، لأنها لا تملك كامل الوصفة. و لا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس صحيحا أن الدولة من المسائل العقائدية، بل هي مسألة مرتبطة بالاجتماع السياسي. و بما أن الاجتماع السياسي متطور و متجدد فالدولة كذلك. من هنا و بما أن الدولة منتج من منتجات الأمة فلا حديث عن صفة عقائدية للدولة. الخلط الكلامي بين مفهوم الإمامة و مفهوم الدولة أدى إلى إقحام فنّ التدبير و الإدارة لجهاز الدولة ككيان تعيش عليه جماعة ضمن تعاقد طبيعي و اجتماعي في صميم أصول الدين. حتى بالمعنى الذي يذهب إليه الشيعة في علم كلام الإمامة يمكن القول أن الإمام بالمعنى العقدي هو إمام على المعتقدين داخل دولة متنوعة في الوقت الذي هو حاكم أو إمام بالمعنى السياسي على غير المعتقدين. فالإمامة هنا تتعدى الحدود السياسية لجغرافيا الدولة عقدياً لكنها قد لا تستوعب عقدياً دولتها إلّا بالبيعة السياسية، حيث توجد أقليات تتعاقد اجتماعيا لا عقدياً على أساس المواطنة. إن اختزال الدولة ككيان متطور في مفهوم عقائدي هو واحدة من مناشئ العنف نفسه. يمكننا أن نتحدث عن تكييف الدولة مع المقاصد العليا للعقيدة باعتبار أن العقيدة نفسها هي عنصر داخل في متكون الاجتماع السياسي. أما إذا أردنا الحديث عن مفهوم الحاكمية فإن لها أكثر من مفهوم و دلالة. فهي تارة تعني قضاء الله بما نعينه بالتحتمية التاريخية و الاجتماعية و هذا النوع من الحاكمية أو حكم الله لا يحتاج إلى ممثل أو من ينهض به. لأن الحتمية تفرض نفسها بنفسها. أما لو كان الأمر يتعلق بالحاكمية من حيث أنها هي السلطة، فثمة مغالطة سبق و أن أشرنا إليها، أي القول السابق (و قد علموا أنه لا بد من إمرة). أي لا بد من دولة و من مؤسسات لتصرف حكم الله باعتباره يتلخص في العدالة و الكرامة و الحقوق ... و كذلك هو الأمر بالنسبة للشورى فهي من حيث ماهيتها الملزمة و المعلمة بطبيعة الحال تتصل بمبنى العقلاء. ولذا، فالحكم الشرعي فيها هو من باب الإرشاد إلى ما حسنه العقل و ليس أن اعتبارها قائما على مركز الجعلية. و هي أيضا في شكلها و ميكانيزماتها خاضعة للاجتهاد. إذا كانت الشورى ثابتة مضمونا بحسب مبنى العقلاء فهي متطورة شكلا بحسب منطلق الاجتماع السياسي و بحسب العرف الذي يعتبر جزءا داخلا في التشريع الإسلامي حسب قوله تعالى ﴿ وأمر بالعرف ﴾ .. على أن العرف هنا ليس مسألة جعلية ثابتة بل هو معطى متطور. بمعنى أوضح: العرف هو المتكون السوسيوثقافي و السوسيوسياسي لأمة من الأمم.

مفهوم الجهاد

قد يكون من مآسي المسلمين اليوم أن أنبل فريضة في الإسلام تتحول بفعل الاختزال و الجهل إلى وبال على الأمة و حرج شديد على سمعة الإسلام. في تقديري أن الجهاد هو ضلع في ثلوث يقوم على الجذر الاشتقاقي للجهاد نفسه و الذي يتلخص في ثلاثة أحرف "جهد". هذه الأضلاع المتفرعة عن الحروف الثلاثة المذكورة لها مجالات ثلاثة: المعرفة و النفس و الجسد. باعتبار الجهاد المادي هو جهاد جسدي و إن تطلب قدرا من الجهاد المعرفي و النفسي أيضا. فحضور الجهاد في المعرفة هو اجتهاد. و في النفس هو مجاهدة. و في الحرب

هو جهاد. و إذن لا يمكننا أن نتحدث عن واحدة من هذه الثلاث إلا في إطار التفاعل بين أضلاع هذا الثالوث الذي هو بمثابة معيار للمصادقية و الشرعية. فحيثما رأينا جهادا لا يحضر فيه اجتهاد و مجاهدة كان ذلك كافيا للخدش في مصداقيته. و الحال أن ما يحدث اليوم من فظاعات باسم الجهاد يغلب عليه التوتر النفسي و الجهل. و هو بخلاف فريضة المجاهدة و الاجتهاد و هما أهم ضلعين في الثالوث إذ لا يشغل الضلع الأول "الجهاد" إلا ذلك الجانب الاستثنائي، من هنا سمي بالجهاد الأصغر، نظرا لاستثنائيته باعتباره حماية للأمة و دفاعا عن حدودها. فهو جهاد دفاعي يرتفع بارتفاع مبرراته. و بطبيعة الحال هذا النوع من الجهاد هو قرار الأمة بكاملها و بإمضاء من أولي الأمر، و ليس مسألة أهواء فردية أو فتاوى تصدر عن وعاظ و خطباء و تفتقد إلى المسوغات الاجتهادية. أما الفريضة الغائبة في نظري، فهي جهاد النفس و جهاد المعرفة، و هو جهاد اكتساحي و هجومي على النفس بالتدبير و التهذيب، و على المعرفة بالتنوير و الاجتهاد و النقد. إنه الجهاد الوحيد الذي لا حدود له: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ.

قد يكون الذين نفذوا تلك العمليات العنيفة واقعين في شبهة كونهم ينفذون حكم الله. و لذلك تراهم يقتلون أنفسهم تعبيرا عن قناعتهم بما يقومون به. أنا لا أتحدث عن شباب لا يتجاوز العشرين من العمر وقعوا في فخ خطابات يصنعها الكبار. فالنقد هو موجه لهذا الخطاب الذي يصنعه رجال قد يكونون فوق الأربعين، و قد خبروا الحياة و منحت لهم فرصة ليتعرفوا على أشياء كثيرة، ثم يتعامون فينتجون خطابا لصناعة الموت و الدمار، و يذهب ضحيته شباب متوثب مستهين بالحياة أو ربما يستغلون طراوة وعي الشباب و ظروفهم الاجتماعية، ليحولهم إلى فرسان يجسدون الأحلام الجهنمية لمشايخ، قطعاهم ليسوا فقهاء، بل هم محترفوا خطابة و وعظ. إن الأصل في الإسلام هو حفظ الحياة. و إذا كان الموت في سبيل الله مشروعاً في الجهاد الشرعي، فذلك لجهة خروجه بالدليل. ثمة فرق إذن بين أن أموت دفاعاً عن الوطن مثلا و بين أن أموت في سبيل فكرة جهنمية ليس لها من الفقه إلا الديكور المشيخي و الثثرة باسم الإسلام. و الغريب أن هذه الفتاوى الجهنمية الصادرة عن هؤلاء الكهول، يتبناها شباب دون العشرينات، و يزيدونها حماسة، فتحصل الكارثة.

ما مغزى شعار العدو الصليبي – الصهيوني؟

رفعت القاعدة شعار مواجهة العدو الصليبي الصهيوني، و هي العبارة التي تكررت كثيرا في كتب محمد قطب. لكن في الواقع رأينا كيف تحالف هؤلاء الجهاديون في بداية الأمر مع الصليبيين في مواجهة الاتحاد السوفياتي، كما رأينا كيف تعاونوا مع الصهيونية في مواجهتهم للنظام السوري. فلقد أصدرت داعش بيانا في ذروة الحرب على غزة تؤكد فيه بأن المعركة ضد إسرائيل ليست أهم من محاربة المرتدين. و هذا يعني أن القاسم المشترك في سياسات التمكين هو استثناء فلسطين من معارك السلطة أو معارك الجهاد. فلقد صرح الغنوشي نفسه كسائر الجماعات التي انصهرت في لعبة التمكين في إطار ما عرف بحكومات الربيع العربي، بأن فلسطين ليست أولوية. إن المواجهة ضد العدو الصليبي الصهيوني جاءت في الوقت بدل الضائع، و في الغالب تأتي بمزيد من إضعاف الموقف الإسلامي أو لنقل هي شكل من النضالية الممسوحة، لسبب بسيط و هو أن الجهد المالي و الرمزي الذي قدمه هؤلاء لأفغانستان لم يقدموا أقل منه بكثير للقضية الفلسطينية مثلا. فحينما كان أحرار العالم مجندين

لمواجهة الإمبريالية الأمريكية كان هؤلاء جزءاً من معادلة الحرب الباردة التي ساهمت في إضعاف الاتحاد السوفياتي، أي، ساهموا في تعول القطب الأمريكي. بل ساهموا حتى في الإطاحة بحكومة المجاهدين لما أصبحت هذه الحكومة تهتم بالدولة و تحيد عن شروط أن تصبح دولة محورية وظيفية لصناعة الإرهاب. فهل يا ترى، أمريكا أصبحت صليبية فقط بعد أن تخلى عملاء C. I. A عن ملف الجهاد في أفغانستان، وبدأ التفكير في بناء الدولة. وإذا كان في نظرهم التحالف مع الولايات الأمريكية كفر، فهل نحكم بأثر رجعي على تحالفهم مع الأمريكان سابقاً؟ إن للجهاد فقه يحدده و مقاصد تبرره. و ما نراه اليوم من جنون لا نشتم منه رائحة فقه. أما من ناحية المقاصد، فلنا أن نتساءل: ما الذي تحقق حتى الآن من هذا الانتحار الذي استعدى القوى الكبرى و منحها مسوغات لبناء أحلاف دوليين ضدّ العرب و المسلمين؟ فمنذ بدء هذه العمليات أعني منذ أحداث ١١ سبتمبر ماذا ربحتنا و ماذا خسرتنا؟ أجل لقد كان ثمن انهيار البرجين احتلال أفغانستان و احتلال العراق و إرباك لمنطقة الشرق الأوسط و خرائط الطريق وصولاً إلى الفوضى الخلاقية.

عرس دم داعشي

يبدو أن العنصر الدّموي طاغي على نهج داعش بشكل يؤكّد على أنّ الأمر له علاقة بفكرة قتالية خاصّة. إنّ طلب التمكين بالمتاح من أدوات العنف لا يعوّض نقائصه سوى الاستعداد الكامل لتجاوز كلّ الحدود الممكنة في التنكيل. و في مثل هذه الحالة ليس في مصلحة الجماعات الضعيفة أن تتبنّى الموقف الأخلاقي في الحرب. و الحقيقة هنا بل المفارقة التي لا زالت ترخي بظلالها على هذه المسألة هو النزاع حول الأصل الأخلاقي أو اللأخلاقي للحرب. يميّز بناء على ذلك ديفيد فيشر في "الأخلاقيات و الحرب" بين الواقعية المطلقة من خلال مثال الحرب البلوبونيزية كما قدمها ثيوسيديس في كتابه حول هذه الحرب، و بين الواقعية الجزئية في جواب الجنرال شيرمان قائد أنصار الوحدة خلال الحرب الأهلية الأمريكية. يكمن الفرق بين الواقعتين في أنّ الواقعية المطلقة كما يصفها ديفيد فيشر لا تدخل الاعتبارات الأخلاقية بالحرب قبل اندلاعها و أثناء خوضها و بعد أن تضع الحرب أوزارها^١. هذا في الوقت الذي يرى فيشر في جواب شيرمان مثالا عن الواقعية الجزئية من خلال قول هذا الأخير بأنّ الحرب هي الوحشية و لا يمكن تنقيتها^٢. فشيرمان يجب على من استشكل على الفضاعات الحربية التي ارتكبتها بهذا القول الذي يفهم منه فيشر أنها تعكس الواقعية الجزئية لأنها تجعل الموقف الأخلاقي ليس أثناء الحرب بل في اتخاذ قرار الحرب ابتداءً. و هذا يفيدنا في معرفة الفكرة المهيمنة على سلوك داعش الحربي. إنهم يؤمنون بالواقعية المطلقة، أي عدم إدخال الاعتبارات الأخلاقية بدء من قرار الحرب و أثناء الحرب و بعدها. جزء من النزاع بين داعش و تنظيم القاعدة الأم هو في اعتقادي نزاع حول الواقعية المطلقة (/ داعش) و الواقعية الجزئية (/ القاعدة). و كلاهما يعبران عن الواقعية في الحرب و التي تستبيح كلّ شيء، و من هناك مسألة التترس في الحرب بالمدينين و من لا عهد لهم و لا دخل لهم بالحرب. و لقد وجدت هذه الواقعية طريقها إلى العقيدة الحربية

١. ديفيد فيشر: الأخلاقيات و الحرب، ص ٣٠، ت -: د. عماد عواد، عالم المعرفة يوليو ٢٠١٤، الكويت.

٢. م، ن، ٥٠.

لهذه الجماعات فيما أعتبره يمثّل نموذج فنّ الحرب لسان تزو عند الجماعة. أقصد بذلك كتاب "إدارة التّوحّش" الذي ألفه المدعو "أبو بكر النّاجي"، و الذي يعتبر الثمرة الخالصة لتجارب القتال و جاء لكي يملأ هذا النقص في التنظير الحربي للجماعات المذكورة. إدارة التّوحّش " هو إذن بمنزلة " فنّ الحرب" عند داعش و نظيراتها. هذا الكتاب يضع مراحل إدارة التّوحّش كما يسمّيها، و هي الإدارة التي ستمكّن و تسبق قيام الخلافة المنشودة. و هو يرى أنّ الفشل في إدارة التّوحّش لا يعني نهاية الأمر بل إنه سيؤدي إلى مزيد من التّوحّش. على أنّ هذا التّوحّش مهما بلغ أمره هو في نظر صاحب "إدارة التّوحّش" أهون و أخف من الاستقرار تحت نظام الكفر^١. إدارة التّوحّش لها أمثلة حتى عند من يعتبرهم الجماعة كفّاراً. و لذا أعطى صاحبه أمثلة من طرق المسلمين حسب رأيه في هذا النوع من الإدارة و أيضاً أمثلة ممن سماهم الكفّار. لذا يقول: " هذا بالنسبة للمسلمين أما الكفار فهناك عشرات بل مئات الأمثلة لإدارات توحش أقامها الكفار في أوروبا و أفريقيا و باقي القارات في العصور السابقة"^٢. نفهم من هذا أنّ دخول الجماعات القتالية إلى هذه البؤر يقع في إطار تطبيق بنود و مراحل إدارة التّوحش. إدارة التّوحش هي مرحلة في مسلسل بحث في باب "طريق التمكين" و هي مراحل أربعة:

المرحلة الأولى: شوكة النكاية و الإنهاك

المرحلة الثانية: إدارة التّوحش

المرحلة الثالثة: شوكة التمكين

المرحلة الرابعة: قيام الدّولة

وأما الجانب الغائب من معالجة سبب نقمة إخوان داعش من السلفية الجهادية على بيان البغدادي بإنشاء الدّولة و إعلان الخلافة فهو ليس خلافاً جوهرياً بل هو خلاف في أصله حول التّوقيت. و هذا التّوقيت يراعي المراحل الأربعة التي تقررت في "إدارة التّوحش" ل - " سن تزو" السلفية الجهادية. و أمّا المناطق المرشحة لخطة إدارة التّوحش فهي تشمل دولاً مثل السعودية و نيجيريا. و كان قيادة القاعدة تعتبر الضرب داخل السعودية أمراً موجّلاً لاعتبارات كثيرة، لكنّها غيرت خطتها للقبول بهذه الضربات باعتبارها السعودية هي أكثر عدو للمجاهدين ضعفاً. و هذا ما يعني أنّ جماعة بوكو حرام و القاعدة في المغرب الإسلامي هي جزء من مخطّط التمكين في إطار إدارة التّوحش. و حسب الكتاب نفسه فإنّ بعض الدّول من بعد أحداث ١١ سبتمبر قد رشّحت مبدئياً ضمن مخطّط إدارة التّوحش: و هي كالتالي الأردن و بلاد المغرب و نيجيريا و باكستان و بلاد الحرمين و اليمن.^٣ إنّ مرحلة ما يسمى

١. أبو بكر الناجي: إدارة التّوحش، ص ٤، مركز الدراسات و البحوث الإسلامية، من منشورات الجماعة (لا تاريخ و لا مكان الطبع).

٢. م، ن، ص ١٣.

٣. م، ن، ص ١٥.

الإنهك تقضي بتسديد ضربات موجعة إلى الجيوش النظامية و تشتيتها و عدم السماح لها بالتقاط الأنفاس. و الكتاب هنا يميّز بين الضربات الصغرى مثل ما كان يحصل في العراق أو أحداث جربة بتونس و الضربات الكبرى كما هي حادثة ١١ سبتمبر. فهذه الأخيرة تحتاج إلى قرار من القيادة العليا للقاعدة لتوفير الغطاء لها و كذا إمكانيات استيعاب تداعياتها. فالضربات الصغرى مسموح بها لفروع القاعدة من دون الرجوع إلى القيادة. و هذه العمليات الغرض منها بين الفينة و الأخرى هو لفت أنظار الناس. و هذا أيضا ما يفيد في جلب شباب جدد للانخراط في هذا العمل. في مثل هذه الحالة يبلغ المخطط مرحلة انتزاع مناطق من سيطرة النظام و من ثم إخضاعها لإدارة التوحش. و لا شك أن إدارة التوحش غير معنية بالنسيج الاجتماعي و لا بمفاهيم الأوطان التي تعتبر من المفاهيم الكافرة في التنظيم. يستشهد المدعو أبي بكر الناجي بما قاله عمر محمود لتثبيت شرعية اقتطاع المناطق لصالح إدارة التوحش: " هنا لا بد التنبيه على شبهة هامة يقول الشيخ العلامة عمر محمود أبو عمر فك الله أسره: (وهنا لا بد من التنبيه على ضلال دعوة بعض قادة الحركات المهترئة بوجود الحفاظ على النسيج الوطني أو للحمّة الوطنية أو الوحدة الوطنية، فبالوة على أن هذا القول فيه شبهة الوطنية الكافرة، إلا أنه يدل على أنهم لم يفهموا قط الطريقة السننية لسقوط الحضارات و بنائها).^١ إن مسألة الوطنية و الدولة الوطنية من الأمور المتفق عليها بين هذه الجماعات. يقول في هذا منشور للجماعة تحت عنوان " واقع الجهاد في العراق": " إن المواطنة و الوطن و الوطنية و ما يلحق بها من حدود قطرية ليست أواصر معتبرة شرعياً".^٢ و تتطلب هذه الخطة إعداد عناصر قادرة للاضطلاع بمهمة شوكة النكاية و الإنهك و إدارة مرحلة التوحش. إحدى أهم القواعد المستعملة في مرحلة الإنهك هي قاعدة " اضرب بقوتك الضاربة و أقصى قوة لديك في أكثر نقاط العدو ضعفاً. اعتماد الشدة و البأس هو عنوان الفصل الرابع من إدارة التوحش. و فيه يؤكد أبو بكر الناجي أن هذا الأمر يتطلب الخروج من حال الرخاوة إلى حال البأس، و يقول: " الذين يتعلمون الجهاد النظري أي يتعلمون الجهاد على الورق فقط لن يستوعبوا هذه النقطة جيداً. فالمرهنة على البطش و الشدة هي سبب النجاح في نظر مقاتلي السلفية الجهادية. و لهذا سنجد هناك رؤية تاريخية لتاريخ القتال في التاريخ الإسلامي حيث اختار أصحاب نظرية التوحش الموقف غير المتسامح في الحرب. يضرب منظر إدارة التوحش مثالا بتلك الحركات التي فشلت أن تحقق النصر. و يختزلون هذا الفشل في غياب القسوة و الشدة. مثالهم على ذلك هو أن الحركات الجهادية الإصلاحية التي قادها الطالبيون كالفلس الزكية فشلت أمام العباسيين، نظرا لشدة العباسيين و رخاوة الطالبيين و انقائهم الدماء" حتى إن النفس الزكية كان يطلب من قادة جيشه - و قد كان يمكن أن ينتصر - أن يتقوا الدماء ما أمكن". و يرى منظرو إدارة التوحش أن هذا الموقف غير ملزمين به لأنهم يقاتلون صليبيين و مرتدين فلا مجال لاتقاء الدماء. فلا شيء يمنعهم من ذلك بل هو من أوجب الواجبات. و يبدو أن منظري إدارة التوحش لم يقفوا على تفسير تاريخي كالذي ذكره ابن خلدون تعليلا لفشل الطالبيين، و هو تراجع الشوكة و صعود عصبيات أخرى، بما يرمز إليه اليوم بالنفوذ العشائري و البيئية

١. م، ن، ١٧.

٢. واقع الجهاد في العراق، ص ٥١، لجنة الإعلام في جماعة أنصار الإسلام، لا تاريخ و لا مؤلف.

الحاضنة. الشوكة أيضا في نظرهم هي قوة البطش. إنّ تظافر الشوكات في مراحل النكاية داخل مناطق التوحش و توفر موالاة إيمانية بمشروع الجماعة في نوع من العقد بأهم بنوده التي يسميها منظر إدارة التوحش ب - : "الدم، الهدم الهدم"، كل هذا من شأنه في نظر الجماعة القتالية يحقق الشوكة الكبرى. إنّ إدارة التوحش ليس عسكريّة خالصة، بل يهّمها أن تكون ملمّة بخريطة المصالح للعدوّ مثل إمامها بالخريطة العسكرية. و من هنا كان واضحا في ضوء فكرة إدارة التوحش أن لا نتعاطى ببساطة مع خريطة البغدادي للخلافة. فهي تعكس فهما لخريطة المصالح و أيضا شكلا من القراءة السياسية للعدوّ. و هناك جانب آخر من إدارة التوحش هو استعمال المال لشراء المواقف، لإدارة التوحش تجلب للجماعة مزيدا من المال. و يجب أن يصرف بعض منه في تأليف القلوب لصالح جماعتهم، و من التحديات التي تواجهها إدارة التوحش هي الجانب الأمني في صراعها مع العدو، و يبدو هذا من أخطر ما في إدارة التوحش. و هو يؤكّد على فكرة سبق و تحدّثنا عنها مرارا و اعتبرت من المبالغة. إنّ الفصل التاسع من إدارة التوحش تعطينا فكرة واضحة عن هذه الحقيقة حيث جاء فيه: (إتقان الجانب الأمني و بث العيون و اختراق الخصوم و المخالفين بجميع أصنافهم). و الخطورة هنا لا تكمن فقط في ذكرهم أن تجاربهم الطويلة أتاحت لهم قدرة اختراق خصومهم من جهة الأجهزة الأمنية و الجيش و الأحزاب السياسية و الصحف و الدول و شركات البترول كعامل أو مهندس و شركات الحراسة الخاصة و العامة و المؤسسات المدنية الحساسة، بل يؤكّد منظر إدارة التوحش على أن هذا الأمر تمّ منذ عقود و لكنهم يريدون المزيد. الخطورة هنا تكمن أيضا في أن مقتضى إدارة التوحش هو اختراق الجماعات الإسلامية الأخرى الموصوفة بالاعتدال و التدرج في سلك قيادتها، و في عملية الاختراق تلك يتحدث منظر إدارة التوحش عن الحاجة إلى اختراق المكان الواحد بأكثر من عضو كلّ منهم لا يعرف الآخر. على أن يكون هذا العضو غير معروف و ليس ورقة محروقة. و لمواجهة مشكلة الاختراق العكسي فهم يتبنون القسوة في التنكيل و أيضا إغراق مجال إدارة التوحش بالمال و تأليف القلوب بحيث لا يخرج منه جاسوس مفترض ضدّ القتالين ناهيك عن تشخيص القيادة لا سيما أمام تدفق الشباب الذي يأتي لأجل الاستشهاد، فيمكن توجيههم للاختراق بدعوى أن هذا شبيه بعملية استشهادية. إنّ اختراق الجماعات الإسلامية الأخرى و التدرج في سلم قيادتها أمر مقرر في إدارة التوحش. و هم يفرقون بين قسمين منها: الجماعات التي تتعامل مع الطواغيت فذلك لأجل جمع المعلومات عنهم و أما التي لا تتعامل مع الطواغيت فبقصد استمالتهم إلى موقف الجماعة و تحويلهم إلى مجاهدين. من هنا كان من أهم مقتضيات إدارة التوحش إنشاء جهاز استخبارات للجماعة ينتشر في مواقع كثيرة و يتغلغل في صفوف الجماعات الإسلامية و في الصحف قصد الدعاية و في هيئات المجتمع المدني. و هذا ما جعل الكثير من أعمال القاعدة و داعش تنجح بشكل ملحوظ. فاختراق المؤسسات هو من صميم اهتمامهم.

الإرهاب المدّنى و الإرهاب المقدّس

تدرج الجماعة هذا العنف المفرط و الذي يحمل سمات الذّهان في إطار مفهوم الإرهاب الشرعي. بينما الإرهاب الشرعي كما تدلّ عليه الآية الكريمة وأعدوا لهم استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم، هو الإعداد العسكري لجيش نظامي لمنع العدوان. فالإرهاب في الآية هنا لا يعني الإرهاب بمعناه

السياسي اليوم بل هو يقابل معنى الردع. و الردع هنا مهم لأنه يجعل الحرب مستحيلة في نهاية المطاف. بينما الإرهاب بمعناه الجرمي يتوقّف على أن يقع، و هو إرهاب يقوم على التخريب أولاً و ليس الردع من بعد. و هذا ما فهم يومها حيث الأخبار دالة على تحريم قتل المدنيين من الأطفال و النساء و الشيوخ و غير المحاربين في المعارك، تكريسا لأخلاقيات الحرب. و حينما تضيء داعش على سلوكها العنفي غطاء دينيا نصيح أمام العنف كطقس يمارس ببرودة و اطمئنان. هنا و كما يؤكّد روجيه كايو في "الإنسان المقدّس" أن "فرحة التدمير المكبوت طويلا تتفجّر في كلّ مكان، و كذا لذة ترك الأشياء فاقدة الأشكال و مشوشة المعالم بل لذة الانتقاض التي يعرفها الأطباء على شيء مسكين و تعاوره حتى لا يبقى منه إلا حطام لا صفة له و لا إسم". لا يشكّل الموت في حدّ ذاته رادعا أمام الجماعات الإرهابية التي تستمتع بحزّ الرؤوس في مشهد فرجوي لا يستثنى مختلف الأعمار. تتراجع مشاعر المهابة، و تصيح الألفة مع الجثث من شأنها رفع كل أنواع الاحترام. بل "يجعل المارة لا يتورعون عن مازحتها و توجيه الكلام إليها و مداعبتها باليد (...). يرفسونها بأقدامهم .. و يهينونها بالإشارة أو الكلام". باختصار لقد "و لى زمن الانحناء أمام الموت و تقديم الإجلال له بحجب حقيقته المنكرة عن الفكر و الأنظار".^١ لقد ساهمت القاعدة و داعش من خلال حمام الدّم العراقي في إرساء معالم جديدة للتطبيع مع القتل. هناك تحولات لم تدرس بعد في مشاعر الإنسان العربي و المسلم حتى اليوم إزاء جلال الموت و حرمة الحياة.

إنّ التمكين هو الشرط الأساسي في نشاط القاعدة. و خلافا للإخوان، فإنّ هذا التمكين لا يتحقّق بالتدرج السلمي بل يتحقّق بالقتال بأقل ما يتاح. في العراق تضخّم تنظيم داعش لأسباب كثيرة أهمّها الاحتضان الإقليمي لتيارات العنف في العراق. فمصادر تمويل داعش هي الأموال المسروقة من الأبنك و ريع مصافي النفط التي استولوا عليها. عمليات انتقال الأرتال إلى داعش أمر لا يمكن أن يتم في وضح النهار. هناك إذن من يساهم في نقل المعدّات من داخل العراق لهذا التنظيم. و كما سنرى في منشورات التنظيم نفسه حديثا عن الدعم الذي يلقونه من البيئة الحاضنة لهم و التسهيلات الكبيرة. نساءل كيف ستسوّق داعش نفطا غير جاهز للاستعمال بالتهريب؟ يفترض إذن أن من يستقبل منها هذه البضاعة و بشكل منظمّ هي دولّ قادرة على تكريره و جعله صالحا للاستعمال. تناقضات المشهد العراقي كان لها دور كبير في تمكين هذا التنظيم الذي عرف كيف يستغلّ الخلافات السياسية الداخلية في العراق. لا يخفى أنّ جماعة عزة الدوري كانت بعد سقوط النظام العراقي قد تقاسمت اللوجستيك العراقي مع تنظيم الزرقاوي. و لكن وجب و في ضوء إدارة التوحّش أن ندرك بأنّ القاعدة و داعش تنطلق من حسابات سياسية لا تقلّ عن حساباتها العسكرية. و هي تدرك تماما نقاط ضعف الخصم و تستغلها بضربات فوريّة.

البيت الداخلي للسلفية الجهادية

كما هو وضع السلفية عموما في الداخل موسوم بالتناقضات و الهشاشات فإنّ السلفية الجهادية هي الأخرى تعاني من ذلك. و ما صراع داعش و النصره سوى فصل من فصول النزاع الذي تفجّر بالتطور الطبيعي لتنامي

١. روجيه كايو: الإنسان و المقدّس، ص ٢٤٠، ت-: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، ط ١- ٢٠١٠، بيروت.

فائض القوة لدى داعش مقارنةً بنظيراتها من فروع القاعدة. كان للجبهة السورية فضل في البلوغ بهذا النزاع إلى نهايته. ففي محاولة النصر أن تستقل بعملها في سوريا بعيداً عن تنظيم داعش كان السبب خطة خاصة لا يستبعد أنها من فكر الظواهري و هو التدليس. أي تبني لغة مختلفة توحى بالثورة و لا تستعمل عنوان الجهاد. و كانت النصر على وشك النجاح في هذا التدليس. فلقد كان يراد من مؤتمر أصدقاء سوريا نزع اعتراف بشرعية النصر في سوريا. و بعد سنتين تقريباً ستتداول وسائل الإعلام كلاماً منسوباً لهيلاري كلينتون التي تجنبت حضور مؤتمر أصدقاء سوريا تعترف فيه بدور أمريكا في صناعة داعش و تهيب دول كثيرة للاعتراف بها، كان المشروع سيبدأ من سيناء مصر لولا اكتشاف الجيش المصري لتحركات الأمريكيين في البحر الأبيض المتوسط و كانت ثورة ٣٠ يونيو قد غيرت مجرى المخطط بل أفشلته، حيث كان من المنتظر أن يساهم الإخوان في مساعدة واشنطن للسيطرة على المنافذ المائية و على الطاقة في المنطقة. تبدو حسابات الدول و حسابات الجماعة على اختلاف و تفصيل. بالمنظور الجيوستراتيجي فإن تجربة إن صح البناء على فكرة إدارة التوحش هي من تجارب الجماعات القتالية في المجال الهندي. يتزامن الحديث عن حرب داعش بإعلان الظواهري تأسيس فرع القاعدة في الهند. هنا يبدو الأمر بمثابة بضاعتنا ردت إلينا. و لكن هنا الهند هي البداية لأن الأمر سيتوزع عبر الأقاليم التي تتواجد فيها أقليات إسلامية في الهند و الصين و روسيا - أي ال - (بريكس) - سنشهد موجة أخرى من الإرهاب في المجال الحيوي الأوراسي. فيما تستمر حركات بنفس الوتيرة و النمط في شمال أفريقيا و منطقة الساحل حيث القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي و بوكو حرام في نيجيريا و حركة الشباب بالصومال و غيرها. و من هنا فإن داعش عجزت عن تغيير الخريطة البشرية و الدينية في هذه المناطق. فالحلم الذي كان يعتمل لدى أولئك الذين منحوا فرصة لهذه الجماعات أن تعمل في المنطقة هو حلم غير قابل للتحقق. لم يكن مستبعداً فيما لو سقط النظام في سوريا و تحولت هذه الأخرى إلى مسرح لحرب أهلية طويلة الأمد، أن تكون هجمة داعش على الموصل هدفها طرد مسيحيي العراق إلى لبنان لأسباب سيكشف عنها التاريخ. و بالمقابل من المنتظر أن تقوم هناك محاولة قاسية لفرض الهجرة على شعبة لبنان باتجاه العراق تحت أي هجمة إسرائيلية موازية أصبحت اليوم صعبة التحقق. و بالموازاة اكتساح البقاع عبر عرسال و توطين سنة سوريا فيها قبل ضمها. فيكون التوزيع المذهبي الذي هو في قاعدة إعادة تقسيم سايكس بيكو، هو إفراغ الجنوب من الشيعة و إحلال مسيحيي لبنان و سوريا و العراق على شمال الكيان الإسرائيلي، و إلحاق البقاع بسوريا. من جهة أخرى إن السعودية عملت ضمن الهامش المتاح لها في لعبة المحاور الإقليمية إلى انتزاع المبادرة من قطر و تركيا. فأفشلت مخططا أميركياً يقوم على تحالف بديل بين واشنطن و الإخوان على حساب التحالف التقليدي مع السعودية. حاولت السعودية في حركتها الأخيرة أن تؤكد قدرتها على التأثير في المنطقة و بأن تبلغ رسالة لواشنطن بأن لا بديل لهذه الأخيرة عن السعودية في رسم مصير المنطقة. أكبر قدر من المال صرفته الرياض للحفاظ على موقعها كحليف عربي أول لواشنطن في المنطقة. بينما ثمة الكثير من الاعتراضات في الداخل الأمريكي على هذا الحليف و هو موضوع فقط كبديل في مرحلة غياب حليف جيوستراتيجي حقيقي في المنطقة. كان من الممكن أن تقوم دولة داعش بمباركة أميركية و يضمنون لها اعترافاً دولياً. و هذا ليس مستبعداً إذا أدركنا أن هذا الاعتراف الدولي كانت قد حظيت به دولة الملا عمر (طالبان)

من قبل، و الملا عمر هو الملهم و القدوة الأولى لعمر البغدادي. لا نستبعد أن أمريكا أوعزت لداعش عبر وسائل تأثيرها على هذا التنظيم إلى عدم التحرش بإسرائيل بل بتوقيف نشاطاته مع محاولة إسرائيل الفتك بغزة أو لبنان. كما لا نستبعد أن تكون أوعزت لتنظيم البغدادي بأن لا يتحرش بإيران في هذه المرحلة حتى لا يكرر خطأ في موضوع الديبلوماسية لأن من شأن ذلك تبرير تدخل إيراني كاسح في الموصل بخلاف الوضع يومئذ في مزار الشريف. داعش ليست لاعبا مارقا خارج لعبة الأمم في المنطقة، بل هو إحدى أبرز أدواتها اليوم. الخلاف مع داعش دوليا و إقليميا يكمن في كونها تجاوزت لحدودها. فحينما دخلت داعش إلى الموصل مستعملة كل تقنيات الإنهاك في إدارة التوحش بضم الشوكات المختلفة كجماعة عزة الدوري و النقشبندية و ممارسة القتل و الفتك الذي ذهب ضحيته آلاف الضحايا العراقيين في جو من الاختلاف و الاضطراب و التناقض داخل الحكومة العراقية، لم تواجه موقفا حاسما دوليا و إقليميا. بينما بدأت الماكنة الإعلامية للجزيرة و غيرها تتحدث عن ثورة شعبية و عودة البعثيين. و سيحصل هذا التحول في الموقف حين بدأت دولة البغدادي تفكر في غزو أربيل. تريد داعش أن تستقل بأهدافها فيما يراد لها أن تكون جماعة لعبية بالمعنى الجيوسراتيجي للعبارة.

التيارات المتطرفة التكفيرية و السياسية

الفصل الثالث

- الهوية الجديدة للإرهابيين التكفيريين في الشرق الأوسط
دراسة وتحليل (مع التركيز على بعض مؤشرات التنمية)
- التيار التكفيرى وسياسة العنف
- داعش والعنف الصّارخ مزيج من تفسير غير عقلانى للدين وتقنيات حديثة
- دور القوى الدولية في نموّ التيارات التكفيرية و انتشارها و انعكاسات ذلك على العالم الإسلامى
- بائولوجيا التيارات التكفيرية وسبل مواجهتها من منظار سماحة قائد الثورة
- التيارات التكفيرية الناشطة في باكستان وسبل التصدى لها

الهوية الجديدة للإرهابيين التكفيريين في الشرق الأوسط دراسة وتحليل (مع التركيز على بعض مؤشرات التنمية)

تأليف: عبد الوهاب فراتي^١

تأليف: ولي محمد أحمدوند^٢

تأليف: مهدي بخشي^٣

ترجمة: رعد الحجاج

نبذة

أثبتت الدراسات الحالية للمستجدات الطارئة على ساحة الشرق الأوسط خلال الأعوام الأخيرة أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بحسب الظاهر بين غياب مؤشرات التنمية وخاصة الديمقراطية وبين انتشار المد الإسلامي المتطرف، وأنّ المجاميع المتطرفة والحروب الجهادية وجدت لها بيئة مناسبة للتمدد في ظل فقدان تلك المؤشرات. وهذا يدل على أنّ من شأن انتشار الديمقراطية وترسيخ عدد من مؤشرات التقدم التنموي إبعاد عامة الناس عن الفصائل الجهادية وإقناعهم بأنّ التساهل والتسامح السياسي من أهم أساليب الحياة. وما التطورات الديمقراطية في أفغانستان والعراق إلا دليل على صواب ما ذهبت إليه هذه الدراسات؛ ومن هنا أكد بعض الباحثين في الشؤون السياسية على أنّ اتساع رقعة الحروب الجهادية في الدول العربية في الشرق الأوسط مردها إلى الأزمات الناجمة عن التخلف في هذه البلدان، وتأتي الدوافع الدينية والطائفية في المرتبة التالية من التأثير. هذه المقالة محاولة لدراسة مدى تأثير مؤشرات التنمية في ظهور التنظيمات الإرهابية والمجاميع التكفيرية وانتشارها على نطاق واسع، وبحث بعض المؤشرات والعوامل الموجودة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، الإرهاب الديني، مؤشرات التنمية، الديمقراطية، التنظيمات التكفيرية في الشرق الأوسط.

١. أستاذ مساعد في أكاديمية الثقافة والفكر الإسلامي.

٢. باحث في أكاديمية الثقافة والفكر الإسلامي.

٣. مدرس في الجامعة الإسلامية الحرة في أربيل.

أ - خصائص الإرهابيين التكفيريين

تعدّ منطقة الشرق الأوسط من المناطق المليئة بالاضطرابات والأحداث المتتالية في العالم، وهي اليوم تشهد موجة جديدة من العنف والإرهاب المتصاعد، فهذه التجربة المريرة التي تمارس باسم الإسلام ظاهرة حديثة أطلق عليها بعض الباحثين في العلوم السياسية اسم «الإرهاب الجديد». كما أنّ قيام وسائل الإعلام الغربية بالخلط بين مفاهيم «المدّ الإسلامي» و «العنف» و «العمليات الانتحارية» و «مناهضة الحداثة» جعل أولئك الذين لا يمتلكون معلومات كافية عن الإسلام يتصورون أنّ الإسلام يعني العنف.

على أنّ هذا الترادف بين المفاهيم المذكورة الذي أفرزته أعمال التنظيمات التكفيرية في الشرق الأوسط دفع بعض الأخصائيين في العلوم السياسية إلى تحليل هذه الظاهرة من زاوية أخرى، فشدد على أنّ التكفيريين الناشطين في الشرق الأوسط يرتكبون أعمالاً لا يمكن تصديقها، إذ يقومون باغتيالات وأعمال إرهابية مروعة قلماً استُخدمت في العمليات الإرهابية السابقة. هذا، وقد عمد عدد من الخبراء عند دراسة الإرهاب الجديد إلى إطلاق مصطلح «الإرهاب الأكبر (Super Terrorism)» بسبب لجوء الإرهابيين إلى أساليب جديدة ومبتكرة، لا سيما تفجير أنفسهم بالعمليات الانتحارية. فالتعصب الجديد الذي أطلقته بعض المنظمات الإرهابية، خاصة الزمر التكفيرية، أدخلنا في عصر جديد من الإرهاب يجري الاهتمام فيه بأساليب وفنون قتل الأشخاص من جهة وتوسيع دائرة الخسائر من جهة ثانية.

ويقطع النظر عن تعريف الإرهاب تعريفاً دقيقاً، أو دراسة الفوارق الفقهية بينه وبين مفردات من قبيل العمليات الاستشهادية، نوّكد على أنّه من العسير جداً التمييز بين الإرهاب والأصولية وحرب العصابات والجريمة وعمليات القتل المترابطة. وعلى هذا الأساس، كثيراً ما يكون الانتحاري الذي يعدّ إرهابياً من وجهة نظر هذه المقالة مقاتلاً وفدائياً لا يفصله عن الجنة سوى الضغط على زرّ الحزام الناسف بنظره ونظر من شجعه على ارتكاب هذا العمل أو علمه ودربه عليه.

ولا ريب في أنّه لا يمكن وضع تعريف للإرهاب بحيث يشمل جميع الأنواع المختلفة لهذه الظاهرة على مرّ التاريخ. وعلى أيّ حال، فالمراد من التكفيريين الإرهابيين في هذا البحث هو المجاميع أو المنظمات التي يكون سلاحها الرئيسي هو العنف المنظم تحت ذرائع دينية.

1. Freedman ,Lawrence , "The Third World War" Survival, Vol. 43, No. 4, winter 2001, pp. 61- 88

٢. لدراسة معنى الإرهاب وتعريفه، يرجى مراجعة المصادر التالية:

- بدي، توماس جي، «تعريف تروريسم بين المللي: نكرش علمي»، ترجمة: سيد رضا مير طاهري، مجلة: مطالعات راهبردى، العددان ٥ و ٦، خريف وشتاء ١٩٩٩ م، ص ٢٤٨-٢٥١.
- سليمانى، رضا، «أشفتگى معنائى تروريسم»، مجلة: علوم سياسى، السنة التاسعة، العدد ٣٦، شتاء ٢٠٠٦ م، ص ١٨١-١٩٧.

وعليه، فالإرهاب لدى هذه الزمر والمنظمات عبارة عن تكتيك مدروس ناشئ من دوافع دينية، تمارس بموجبه العنف ضد الحكومات والشعب أو الأفراد، ويهدف بشكل رئيس إلى التأثير على الرأي العام وإجبار الخصوم والمعارضين في الساحة السياسية على التراجع والتقهقر. ومن الواضح أن القانون يُنتهك في هذا العمل الرامي إلى بثّ الرعب والذعر بين أكبر عدد من الناس. أما الإرهاب الديني الذي أطلقته التنظيمات التكفيرية فيختلف عن سابقه بأنّ ضحاياه غالباً من المواطنين الأبرياء الذين وقع عليهم الاختيار بصورة عشوائية أو صادف تواجدهم في مواقع تنفيذ الأعمال الإرهابية.

ومن هنا، يمكن اعتبار الإرهاب أداة مكوّنة من ثمانية أجزاء:

عمل متعمد.

ذو منطوق خاص بالمرتكبين.

يتّسم بالعنف. ذو هدف ديني وسياسي.

مثير للخوف والرعب.

لا يخضع للأساليب المتعارفة في الحروب.

يحدد أهدافه من بين أفراد المجتمع.

يدعو إلى تغيير سلوك معيّن في المجتمع.¹

وما يميّز السلوك العنيف للجماعات الإرهابية عن سائر الإرهابيين هو أنّها ترى الدوافع الدينية والمذهبية أهم الأسباب لارتكاب العمليات الإرهابية، ما حدا بالتكفيريين إلى اعتبار العنف تكليفاً إلهياً في أعناقهم، وبالتالي الإيحاء بوجود مشروعية دينية لما يقومون به من أعمال. فهم من جهة يعمّمون مفهوم الشرك على معارضيتهم من الشيعة والسنة والمسيحيين، ومن جهة ثانية يستدلون بصورة مغلوطة بسيرة الصحابة الأبرار لارتكاب أشنع أنواع القتل مثل حزّ الرقاب، وطبعاً، تصفيتهم بصورة جماعية عبر العمليات الانتحارية يكون أسهل وأسرع، مدّعين أنّهم مثابون على اقتراف هذه الأعمال، وأنّها تفتح لهم أبواب الجنّة.

وفي أغلب الأحيان، تكون التنظيمات التكفيرية ذات ميول دينية ورؤية إيديولوجية شمولية، بحيث يرى أتباعها الدنيا ساحةً للصراع بين الخير والشر،² وفي هذا السياق، يستعملون ألفاظاً كونية³ وجدلية من قبيل المؤمنين

1. Garrison ,Arthur H ., "Terrorism :the Nature of Its History"

.Criminal Justice Studies, Vol. 16) 1 (, 2003, p 41, and: Shughart, William F.,

"An Analytical History of Terrorism ,1954 -2000"

.Public Choice, Vol. 128, No. 1, spring 2006, p 9.

مقابل الكافرين، والنظام مقابل الفوضى، والعدالة مقابل الظلم؛ وفي المحصلة، غالباً ما تستغل هذه التنظيمات الرموز الدينية لجمع الناس حولها، بل يصورون أنفسهم كمستضعفين ثاروا ضدّ الطغاة للحصول على حقوقهم وتخليص شعوبهم من الحكام الظالمين أو الأعداء الأجانب. لكن بالرغم من ذلك، ولمّا كان أغلبهم يرغب باستهداف المواطنين الأبرياء والمدنيين العزل من دون التفات إلى جنس الهدف وسنّه، فإنّهم لا يحظون بتأييد جلّ من بشاطرهم الدين والعقيدة أيضاً.

إنّ نوع القتال وطبيعة الحرب التي يزاولها الإرهابيون باسم الدين ذات طابع خاص وفريد من نوعه، فهي حروب غير اعتيادية وغير متعارفة وغير مركزية؛ إذ يستهدفون الحكومة والشعب على حدّ سواء خلافاً للمعهود في الحروب السابقة، ولا يرتدون أي زيّ رسمي، ويختارون أهدافهم من بين الناس الاعتياديين^٣.

ولأجلّ توظيف العنف الديني ودعمه، لا بد من وجود «عدوّ محدّد»، ومن المسلّم به أنّ تشخيص العدوّ والعزم على استعمال العنف ضدّه يتوقف على عمق الأزمة التي تواجه إيمان التنظيمات الإرهابية ومدى الخطر على اجتماع أفرادها. فعلى الصعيد الداخلي، يمكن اختزال الاعتراضات في الفساد والظلم من النظام السياسي أو سائر المجتمعات الدينية. وعلى الصعيد الخارجي، يمكن أن تدور الاحتجاجات حول القوات الأجنبية المتواجدة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً والتي تشكل تهديداً على المجتمع الديني لتلك التنظيمات.

وتعمد الجماعات التكفيرية إلى الاستفادة من الوسائل والأساليب والأوقات ذات التأثير الأكبر، فتلجأ إلى تنفيذ عمليات انتحارية أمام أعدائها الأقوياء، وهو ما يدفع الآخرين إلى اتباع نهجها وسلوكها. كما أنّ الأهداف التي يقع عليها اختيارها رمزيةٌ لسببين: الأول أنّها تترك تأثيراً نفسياً كبيراً على العدو، والثاني أنّها ترفع من شأن التنظيمات

1. Good and Evil.

2. Cosmic.

3. Tucker ,David",

What's New about the New Terrorism and How Dangerous Is It?

,Terrorism and Political Violence, No. 31, Autumn 2001, p. 6; and: Crenshaw, Marta,

"Political Explan ations"

,in: The Club de Madrid, Addressing the Causes of Terrorism, Madrid, Scholz Friends,

2005, p. 51. Brinkley, David, Radical Theology as a Destabilizing aspect of the 21 st

Century Strategic Security Continuum, U. S. War College, Carlisle Barracks, Pennsylvania,

6002, p. 7, available at: www.dtic.mil/cgibin/GetTRDoc?AD/ADA448500

Location U 2 doc/ GetTRDoc. pdf. Ranstorp, Magnus,

"Terrorism in the Name of Religion"

,Journal of International Affairs, Vol. 05, No. 1, summer 1996, p. 24.

4. Ranstorp ,Magnus , "Terrorism in the Name of Religion"

الإرهابية بنظر أنصارها وأتباعها. على أن مهاجمة الرموز المهمة من ضمن الأهداف التي تندرج في سياسة هذه التنظيمات؛ وذلك كي تستلزم الردّ من الأعداء، نظير هجوم التكفيريين في العراق على مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء حيث يعدّ أحد رموز الشيعة في العالم.

ومن الناحية التنظيمية، تمتلك المجاميع التكفيرية هيكلية رسمية بصورة هرمية،¹ بمعنى أن أعضاءها في قاعدة الهرم بينما يكون المسؤولون أو الرئيس في قمة الهرم، وهو ما يشاهد في التنظيمات السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية. وتحلّ الشبكات محلّ التنظيم الهرمي، وهو خالٍ من كل أشكال السيطرة المركزية على الأعضاء أو الخلايا، بل تعمل جميع الخلايا بصورة مستقلة، فلا ترفع تقريراً إلى غرفة القيادة مطلقاً، ويطلق على هذا الشكل أيضاً «مقاومة من دون قيادة»²، وتكثر الاستفادة منه بين الزمر التكفيرية عادةً. وفي الحقيقة، تتيح هذه الصيغة لجميع الفصائل المنظوية تحت راية المنظمة القيام بالعمل بصورة فردية. فصيغة «المقاومة من دون قيادة» نظام تمارس فيه المنظمة نشاطها على أساس الأعضاء والخلايا الموجودة فيها، ولا توجد فيها أي نواة للقيادة أو السيطرة. وفي الواقع، ينتمي المقاتلون إلى الشبكة ويحصلون على العضوية فيها بمحض إرادتهم، ويعملون بمنتهى الحرية على تشكيل خلايا في الأماكن المتواجدين فيها. وبالتالي، فإنّ توجيه ضربة إلى المنظمة أو الأعضاء فيها لا يسفر عن زوال الشبكات والقضاء عليها.

وبعبارة أخرى: تنتظم المجاميع التكفيرية بشكل يجعل من الصعب اكتشافها والتعرف عليها، وحيث إنّها تقوم بالعلاقات الشخصية بدلاً من التراتبية والدرجات الوظيفية المتسلسلة توصف بالشبكات بدلاً من اعتبارها منظمات. كما يعبر عن تلك المجاميع بالدولة الافتراضية لأنّها بُنيت على أسس إيديولوجية مشتركة لا عوامل مادية أخرى. والدولة الافتراضية هي «مشروع شامل يغطي شبكة من المنظمات، وبشكل طبيعي له امتدادات غير مرئية تحافظ على هذا المشروع. كما أنّ شبكة الاغتيالات مفتقرة إلى قيادة العمليات، وإنّما هي مكونة من وحدات سرعان ما تنشأ في الأجزاء المختلفة من العالم». مضافاً إلى أنّ المرونة في تركيبة المنظمة تمكّن الأقسام البعيدة من القيام بعمليات إرهابية دون الاطلاع على الأوامر المركزية والتصرف كدولة افتراضية، ومما لا شك فيه أنّ هذه التركيبة المرنة تيسر عمل الشبكة وتجعلها أكثر فاعلية من الناحية الاقتصادية ومن حيث عدد أعضائها.³

Journal of International Affairs, Vol. 05, No. 1, summer 6991, p. 94.

1. Pyramid.

2. Leaderless Resistance.

3. Lesser, Ian O".

Countering The New Terrorism: Implications for Strategy

in: Countering the New Terrorism, eds. Ian O. Lesser et al, Santa Monica, Calif: RAND,

1991, p. 68; and see: Beam, Louis,

عموماً هناك ثلاثة أنواع من الشبكات: الأولى ما يطلق عليه الشبكة المترابطة أو المتسلسلة^١ التي يتحرك فيها الناس والبضائع والمعلومات على خط ارتباط واحد ولها نقاط اتصال متعددة، وهذا النوع من الشبكات مناسب لمنظمات التهريب. والثانية الشبكة المركزية^٢ التي غالباً ما تلاحظ في الشركات التجارية ويحاول كل لاعب فيها أن يكون لاعباً أساسياً أو محورياً رئيسياً في الشبكة، وغالباً ما يستفيد من هذا النحو من الشبكات التنظيمات الإرهابية القديمة وكذلك العصابات الإجرامية. الثالثة هي الشبكة المعقدة أو الخلية^٣ التي تشاهد في المجاميع العسكرية الصغيرة، حيث تتصل كل مجموعة بمجموعة أخرى، وتسود حالة من اللامركزية الشديدة في الشبكة، وتستفيد الزمر التكفيرية من هذا النوع من الشبكات عادةً.

الشبكة الخلوية (المعقدة)

الشبكة المركزية

الشبكة المتسلسلة

والنقطة الأكثر أهمية في هذا المجال أن الإرهابيين التكفيريين تحولوا اليوم من تهديد قومي إلى تهديد دولي، فلم تعد أعمالهم الإرهابية في عصر العولمة والتقنية الحديثة محصورة داخل الحدود القومية أو الإقليمية فقط. فعلى الرغم من أن المجاميع التي تمارس الإرهاب التكفيري تنشط في مناطق هامشية أو شبه هامشية مثل الأردن واليمن وأفغانستان والعراق، أو أن أفرادها من المهمشين في الدول الحديثة، نحو السلفيين الشيشانيين والألمان، لكنهم يستهدفون أهدافاً واقعة في أماكن حساسة أو أهدافاً متعلقة بها في شتى أرجاء العالم، فيتوافدون على أي مكان في العالم تتوافر فيه الأرضية المناسبة لأداء فريضة الجهاد برأيهم.

"Leaderless Resistance," The Sediti onist, Issue 21, February 2991, also available at: www.

louisbeam. com/ leaderless. html .divaD, rekuT. 26"What's New about the New Terrorism and How Dangerous Is It"?

Terrorism and Political Violence, No. 13, Autumn 2001, p. 1.

1. Chain network.

2. Hub network.

3. All -channel network.

4. Arquilla, John Ranfeldt, David Zanini, Michele", Networks ,Net wars ,and Inform ation - Age Terrorism ," in: Countering the New Terrorism, eds. Ian O. Lesser et al, Santa Monica, Calif: RAND, 1999, pp. 49-50.

وبعبارة أخرى: إنَّ هذا النوع من الإرهاب دولي^١ وعابر للحدود^٢. وعلى الرغم من وجود داعمين دوليين للجماعات التكفيرية كالسعودية ما زالوا يلعبون دوراً مهماً في بروز التكفيريين الجدد، إلا أنَّ العولمة وبالنتيجة سهولة حركة الناس وانسيابية تحرك الأموال شكَّلت فرصةً للتكفيريين للحصول على مصادر تمويل بطرق غير قانونية وعن طريق ارتكاب الجرائم القذرة. فعلى سبيل المثال، تتلقى المجاميع التكفيرية أموالاً من منظمات التجسس العالمية، أو تقوم بحل مشاكلها بواسطة نهب أموال الدولة والشعب في دول مثل سوريا والعراق.

وحيث إنَّ هذه العصابات لا تحظى بدعم من الحكومات، يكون أعضاء الزمر التكفيرية من الهواة (غير المحترفين)، ولا ينفصلون عن مجتمعاتهم بصورة كاملة، وغالباً ما يتلقى هؤلاء الأفراد تدريباتهم بالطرق غير الرسمية (ومنها الانترنت). وكون أعضاء هذه المنظمات من الهواة يغنيهم عن الحاجة إلى التدريبات الزائدة والدعم اللوجستي الكبير^٣، فضلاً عن أنَّ الشبكات نفسها توفر لهم الدعم والحماية اللازمة، فلا حاجة عندئذٍ إلى الدعم الدولي، كما أنَّ كون التكفيريين من غير المحترفين وممارستهم لنشاطاتهم في الحياة اليومية جعل من الصعب التعرف عليهم واكتشاف أمرهم؛ فمن جهة لا أحد يعرفهم قبل ارتكاب أعمالهم الإرهابية، ومن جهة ثانية يقومون بعد تلك العمليات بالانفصال عن التنظيم والعودة إلى مزاولة الحياة الطبيعية.

ب - أسباب ظهور السلفيين التكفيريين

١. الجهل والمستوى الدراسي المتدني

ثمة عوامل وأسباب متعددة أدت إلى ظهور الجيل الجديد من الإرهابيين التكفيريين الذين شوهاوا الصورة الرحمانية للإسلام في العالم، ومن الأهمية بمكان بحثها ودراستها. ونحن لسنا بصدد دراسة جميع الأسباب والعوامل الموجودة في هذا المجال، وإنما نروم دراسة بعض أبعاد هذه الظاهرة من زاوية مؤشرات التقدم التنموي.

فمن هذه الناحية، وبسبب ارتفاع المستوى العلمي للأشخاص وتمكنهم المالي، يندمج أغلب الأفراد في الحياة الفنية بحيث لا يبقى لديهم مجال للتفكير بالأيديولوجيات الكاذبة مثل الفكر السلفي ولا يرون الانضمام إلى هذه الفصائل أمراً عقلياً، فيعيشون إلى جانب بعضهم دون الالتفات إلى طبيعة تفكير الآخرين والعقيدة التي يعتنقونها، ويضعون التساهل والتسامح السياسي والفكري في صدر سلم أولوياتهم، إنَّ التجربة الميدانية التي خضتها في تركيا وماليزيا، باعتبارهما أبرز نموذجين للتقدم التنموي في العالم الإسلامي، تبين أنَّ سكان هاتين الدولتين قلماً يبدون اهتماماً بمثل هذه الأفكار بفعل النمو العقلائي الناتج عن التطور الكبير في مسيرة التنمية والنهوض بمؤشرات التقدم التنموي؛ ولذا يتعابش أهل السنَّة إلى جانب العلويين والشيعة في المدن النامية مثل إسطنبول، ويسارعون

1. Transnational.

٢. زين العابدين، يوسف، «تروريسم: جالش زئوبوليتيكي نوين در جهان» فصلية: سياست خارجي، السنة الحادية والعشرون، العدد ٣، خريف ٢٠٠٧م، ص ٧١٢.

3. Hoffman, "Terrorism Trends and Prospects", op. cit., pp. 62-02.

إلى المشاركة في صلاة الجماعة لبعضهم البعض حينما يُرفع صوت الأذان عند إقامة الصلاة، ويصافحون بعضهم أيضاً.

وفي المقابل، تشير المشاهد الأخرى المنقولة من الدول غير النامية مثل العراق وسوريا وأفغانستان إلى أنّ انخفاض معدلات التنمية رفعت تكاليف الحياة السياسية لسكانها وحسبتهم في مستوى محدود جداً من النمو، بل إنّ الأنباء الواردة من أفغانستان وباكستان تكشف عن أنّ التنظيمات التكفيرية تحولت إلى مكان لتمشية أمور العاطلين عن العمل والمحتاجين، وأنّ الجاذبية الدينية تبدلت إلى دوافع كبرى تتجسد في سلوكها.

وما يشوش تحليلنا وفهمنا لارتباط السلفية بمؤشرات التنمية ويجعله في دائرة من الغموض هو أنّ أفراد الطبقة المتوسطة من سكان المدن ممن لديهم مستوى دراسي عالي ويتمتعون بوضع مالي ميسور هم من يشكلون الهيكلية الأساسية لهذه التنظيمات والمجاميع، فغالب قادة تنظيمات داعش والقاعدة وجبهة النصرة من هذا القبيل، كما أنّ عدداً آخر من أعضاء التنظيمات المذكورة توجهوا إلى المعارك الدائرة في سوريا من دول متقدمة مثل فرنسا وألمانيا وانجلترا وهم محسوبون على الطبقات العليا والعصرية. وعليه فقد أُجيب بأجوبة مختلفة عن السؤال القائل: إلى أيّ حدّ أسهم الجهل وتدنيّ المستوى التعليمي في توسيع دائرة الفكر التكفيري؟ وعلى الرغم من كل ذلك، يبدو أنّ المجاميع الجهادية تشكلت من الفريقين الأنفين، بمعنى أنّ المؤسسين لها من الطبقات الوسطى من سكان المدن ومن ذوي التدين العاطفي، وأتباعهم والمروجين لأفكارهم من الطبقات الاجتماعية السفلى المفتقرة إلى المستوى المطلوب من التعلم.

ومن هذا المنطلق، أشار بعض الباحثين في الشؤون السياسية عند الإجابة عن السؤال المذكور إلى وجود عوامل خارجية وداخلية، نظير الفقر والمستوى الفكري والثقافي والمستوى العلمي والأنظمة السياسية والاجتماعية، أسهمت في ظهور التنظيمات السلفية^١. على أنّ الفقر في الأدبيات الشائعة يتصدر عوامل الإرهاب ويتقدم على

١. وخلافاً لهذه الرؤية، ذهب المستشرقون الجدد إلى أنّ السلفية وليدة الخصائص الذاتية للإسلام أكثر من أي عامل آخر، وأنها ليست نتيجة للتحويلات السياسية والاقتصادية؛ فالسلفية من هذا المنطلق حصيلة خصائص الإسلام وعدم انطباقها على الحدّات والتغريب. والإسلام بحسب هذه الرؤية لا يقبل التغيير، وهو متعارض ذاتاً مع هذه الأفكار والظواهر الجديدة، وفي ظل هذا التعارض ولأجله نشأت الحركات الإسلامية والأصولية، وحظيت إلى حدّ ما بدعم المسلمين. وعلى هذا الأساس، فالتيارات والحركات السلفية قبل أن تكون ردة فعل معينة هي ظاهرة فاعلة منبثقة من صلب الدين والقيم الدينية، وتأتي في إطار الأهداف العالمية للإسلام؛ فالأصولية الإسلامية في الحقيقة مؤيدة ومثبتة لنظرية صدام الحضارات. ويمكن إدراج النظرة الذاتية إلى التيار السلفي ضمن فرعين: الأول التيار المتمسك بالنص والنابع من الفقه والشريعة الإسلامية نحو الحركة الوهابية في السعودية، والثاني التيار الراديكالي المستمد من الوهابية والذي قلّمَا يهتم بنص القرآن الكريم ويدعو إلى مساحة واسعة من الحرية نوعاً ما بسبب عدم الاطلاع على الرؤية التقليدية للإسلام، ويندرج تحتها تنظيم القاعدة وحركة طالبان في أفغانستان وباكستان والتنظيمات التي ظهرت حديثاً من قبيل داعش وجبهة النصرة.

العوامل الأخرى؛ ولهذا السبب اعتُبر الفقر الاقتصادي والمستوى المتدني لمعايير الحياة من أهم عوامل إيجاد الأفكار السلفية وانتشارها.

وقد تمّ تعريف الفقر على أساس أنه ينبغي توفير الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية والضرورية للحياة لكل فرد، وأنّ عدم توفيرها يسبب له مشكلة. وبعبارة أخرى: الفقر حرمان عميق من الثروات المادية يحول دون النمو المتعارف للفرد إلى درجة أنه يهدم شخصيته؛ فالفقر من هذه الزاوية يعني عجز الشخص عن تأمين الاحتياجات البيولوجية له ولأسرته من خلال عمله^١. ويرى المنظرون في هذا المجال أنّ هناك ارتباطاً متبادلاً بين انتشار السلفية في الشرق الأوسط والفقر المادي، ويؤكدون على أنّ الأعمال الإرهابية تفضي إلى ازدياد الفقر من جهة، والفقر يؤدي بدوره إلى تنامي الإرهاب من جهة أخرى. ومن هنا، فإنّ الدول التي يغلب الفقر على عدد كبير من سكانها كأفغانستان والباكستان تكون أكثر عرضة من غيرها لانتشار الزمر السلفية والمجموعات الإرهابية. وتكون الدول الفقيرة والضعيفة ضحية للأعمال التي تقترفها التنظيمات الإرهابية تحت ذريعة توفير الحماية والملاذ الآمن، وهي تعتمد في استقطاب الأعضاء إليها في هذه الدول على السخط المتصاعد من الفقر. وعلى العكس من هاتين الدولتين، فإنّ تركيا التي تشهد نمواً بلغ مستوى ٨٪ وتزايداً في ثروة السكان قلماً يبدي السكان تعاطفاً تجاه التنظيمات السلفية، فلا يمكن للقلق المادي أن يدفعهم إلى كسب المال من هذا الطريق.

صحيح أنّ الفقر والظلم في حدّ ذاتهما لا يؤولان إلى العنف والإرهاب، لكنهما قد يؤديان في ظروف زمانية ومكانية خاصة وبتأثير عدد من العوامل إلى انهيار القواعد والمبادئ السائدة التي تمنع الانزلاق إلى العنف عادةً، وبالتالي خلق بعض الإشكاليات الاجتماعية، وعندئذ لا يتسنى الوقوف بوجه ممارسة العنف.

وفي هذا السياق، ذهب عالم الاجتماع اميل دوركهايم إلى أنّ المشاكل الاجتماعية تؤدي في نهاية المطاف إلى الشعور بالألم واللوم المؤذي، وتظهر نتيجة ذلك إما بالانتحار وإما بقتل الآخرين^٢. لكنّ موقف الرئيس السابق لمنظمة التجارة العالمية ووزير المالية الحالي في بريطانيا وكثير من الباحثين القائل بوجود صلة بين الفقر والإرهاب قابل بمزيد من الانتقادات الواسعة، فهل الإرهاب حقاً ناجم عن الفقر وفقدان المستوى الدراسي أم لا؟

من الناحية العقلية، يمكن أن نقبل بأنّ نسبة مشاركة من لا يمتلكون شيئاً يخشون فقده بصورة عملية في الأعمال التي تؤدي إلى هلاكهم تفوق نسبة مشاركة سواهم. ويمكن اعتبار هذا الشعور المتعارف نتيجة للقياس المباشر بين التحليلات السابقة لنشاطات الإرهابيين؛ فعلى سبيل المثال، يمكن الاستعانة بالنظرية الاقتصادية

١. هنري باترلي، «بيشرفت و فقر، مفاهيم و دياكتيك أنها در تمدنها و فرهنگها»، در مارک هنری باولی، «فقر، بيشرفت و

توسعه»، ترجمة: مسعود محمدی، مكتب الدراسات السياسية والدولية، ص ٣٠ - ٣١.

٢. نقلًا عن: جيلبر آشكار، «جدال دو توحش، يازده سبتمبر و ايجاد بی نظمی نوین جهانی»، ترجمة: حسن مرتضوی، طهران:

اختران، ٢٠٠٥ م.

والتقليدية للجريمة^١ لتحليل أعمال الإرهابيين، والاستفادة من النظرية الاقتصادية للانتحار^٢ في تحليل العمليات الانتحارية، والاستناد على الوضع الاقتصادي لفصائل «بيرمان» الدينية^٣ لبيان المشاركة في التنظيمات الإرهابية بمعزل عن الآخرين.

إنّ الاستفادة من هذه النظريات بهدف الكشف عن أنواع الإرهاب ربما يُفهم خطأً بأنّ المقصود هو نزوع هؤلاء الأشخاص إلى مزيد من الأعمال الإرهابية بأسلوب خاص بسبب انعدام الفرص الكافية للتغلب على الظلم الاجتماعي والاقتصادي، والحقيقة أنّ من يفتقر إلى فرص كبيرة للعب دور مؤثر في العالم المنفتح يكون أكثر استعداداً من غيره لارتكاب جرائم بحقّ الآخرين أو الانتحار أو الالتحاق بصوف التنظيمات الدينية المتطرفة والجماعات المتشددة.

ويمكن بحث العقلية الإرهابية من خلال الدراسة النقدية للتأليفات الكثيرة في مجال «التبري من الجريمة»، وهو ما عدّه كثير من العلماء مرتبطاً بالإرهاب، وقد بدأ ذلك هام وكرس.^٤ وعلى هذا الأساس، قال غليسروايتش (١٩٩٨ م)^٥ وفقاً للشواهد المستندة إلى التجربة: «إنّ هناك ارتباطاً إيجابياً بين إعدام السود من دون محاكمة وبين نموّ إجمالي الناتج المحلي نموّاً حقيقياً بين أعوام ١٩٣٨ - ١٩٨٢ م». على أنّ العلماء توصلوا من خلال المعلومات الأولية للفصائل المبغضة للجرائم في الولايات المتحدة عام ١٩٩٧ م إلى احتمال أنّ هناك ارتباطاً بين وجود فرقٍ وفصائل من قبيل «كوكلاكس كولن» التي يمتلك أعضاؤها شهادة دبلوم على أقلّ التقادير في منطقة ما وبين معدل سكان تلك المنطقة. وعلى العكس من ذلك، تشير المعلومات التي جرى الحصول عليها بين عامي ١٩٨٧ - ١٩٩٥ م في مدينة نيويورك إلى أنّه لا صلة للجرائم التي ارتكبت ضد السود واليهود والآسيويين والشاذين جنسياً بمعدل البطالة في تلك المدينة.

1. Becker ,Gary S. (8691) ."Crime andPunishment :An Economic Approach".

The Journal of Political Economy 67 (2), pp. 167-217.

2. Hamermesh ,Daniel S .and NealM .Soss. (1974) ."An Economic Theory of Suicide".

The Journal of Political Economy 28) 1 (: pp. 83-98.

3. Berman ,Eli. (2000)

Sect, Subsidy and Sacrifice: AnEconomic View of Ultra
-Orthodox Jews".

Quarterly Journal of Economics 511: (3) pp. 509-953.

4. Hamm ,Mark S. (1998)"

Terrorism, HateCrime, and Antigovernment Violence: A Review of the Research.

In The Future ofTerrorism: Violence in the New Millennium. London: SAGE: pp. 95-96.

5. Kressel, Neil J.) 6991 (. Mass Hate: TheGlobal Rise of Genocide and Terror, New York:
Plenum Press.

ومن هنا، يمكن الاستدلال على أن الشواهد المستفادة من البحوث الكبيرة نسبياً تنفي وجود ارتباط مباشر بين فقدان المستوى الدراسي والإرهاب في الولايات المتحدة. ومع هذا، لا ينحصر غياب كل أشكال الارتباط العكسي بين مقت الجرائم والفقر أو فقدان التحصيلات الدراسية في خصوص الولايات المتحدة، ولم يستطع أحد سوى كروغر وبيشكه (١٩٩٧ م)^١ أن يثبت بالدليل أنه لا صلة بين حجم العنف المرتكب ضد الأجانب في ألمانيا وبين مستوى التحصيلات ومعدل الأجور المتحصلة من الإنتاج الصناعي في تلك الدولة.

وعلى هذا المنوال، ذكرت دائرة البحث العلمي الفيدرالية في دراسة لها عام ١٩٩٩ م بشأن الخصائص الاجتماعية للإرهابيين في الدول المختلفة بأن المستوى الدراسي للإرهابيين عموماً يفوق الحد المتوسط، وأن هناك عدداً قليلاً جداً من الإرهابيين الغربيين الذين لم يدرسوا وظلوا أميين، وأن الأعضاء الأكبر سناً والزعماء أفراد مختصون غالباً، فمنهم الدكتور والموظف في المصرف والمحامي والمهندس والصحفي والأستاذ الجامعي والمدير في الدوائر الحكومية. كما أن فكرة أو حقيقة أن الإرهابيين لا يتقيدون بأي حدود جغرافية تحظى بتأييد راسل وميلر (١٩٨٣ م)^٢ أيضاً؛ حيث حاولا رسم صورة اجتماعية للإرهابيين الجدد في المدن، وذلك من خلال التحليل الاجتماعي الاقتصادي لخصائص أكثر من ٣٥٠ إرهابياً من التنظيمات والمجاميع الإرهابية الناشطة بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٧٦ م في كل من الأرجنتين والبرازيل وألمانيا وإيران وإيرلندا وإيطاليا واليابان وفلسطين وإسبانيا وتركيا، واستدلا بتحليلاتهما الدقيقة والشاملة بأن زهاء ثلثي من وصفوا بالإرهابيين الذين شملتهم الدراسة هم من حملة الشهادات العليا، فإما أكملوا دراسة مرحلة الماجستير أو كانوا يدرسون في تلك المرحلة.

كما أن السيدة نصره حسن (Nasra Hassan) كشفت في كتابها المثير للجدل والذي سعى إلى البحث عن الحقيقة (٢٠٠١ م)^٣ أنه لم تجر الاستفادة في قضية الإرهاب من النماذج التقليدية لجريمة الانتحار والدين، فكتبت في مقالة اشتملت على مقابلات أجرتها مع حدود ٢٥٠ إرهابياً ومساعد إرهابي ممن فشل في تفجير نفسه في العمليات الانتحارية، وكذلك عوائل من قضاوا في تلك التفجيرات ومن قاموا بتدريب الانتحاريين أو أرسلوهم في مهمات خاصة:

«لم يكن أيّ منهم أمياً أو فقيراً بشدة أو قصير النظر أو مكتئباً؛ بل كان أغلبهم من الطبقات الاجتماعية الوسطى، ومع قطع النظر عن المتوارين كان للباقيين عمل وراتب شهري، وكان اثنان منهم من أبناء الأثرياء».

1. Krueger, Alan and J. Steffen Pischke. (1991). "A Statistical Analysis of Crime Against Foreigners in Unified Germany." *Journal of Human Resources* 23(1): pp. 182-209.
2. Russell, Charles and Bowman Miller. (1983). "Profile of a Terrorist".
Reprinted in *Perspectives on Terrorism*, Wilmington, Delaware: Scholarly Resources Inc.: p. 54-60.
3. Hassan, Nasra. (2001). "An Arsenal of Believers." *The New Yorker*, November 9: pp. 63-14.

هذا، وقد بدأ في الآونة الأخيرة التشكيك في تصور أن الفقر والجهل هما العاملان الأساسيان للإرهاب؛ ولذا قال ولغورن في مقال نُشر في صحيفة نيويورك تايمز بشأن مواصفات الإرهابيين الذين قاموا باختطاف الطائرة التي نفذت حادثة الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ م:

«كان من بين أولئك أشخاص بالغون ومتعلمون ومختصون، قضوا سنوات من الدراسة والتعليم في الولايات المتحدة»^١.

ثم إن دانييل بايس، مؤلف كتاب «مقاتلو الإسلام يصلون أمريكا»، أكد على أن الإرهابيين السلفيين - وخلافاً لتصور العامة - ليسوا من الطبقات الفقيرة وغير المتعلمة والمهمشة، بل هم غالباً من الشباب الدارسين من الطبقات الاجتماعية المتوسطة فصاعداً، ولا يدفعهم إلى ذلك الضيق المادي أو المعيشي وإنما إيديولوجية الإسلام الجهادي^٢.

ومن هنا، فإذا اعتبرنا التيار السلفي الإرهابي أحد أشكال التطرف في العمل السياسي، فلا ينبغي أن يثير ارتباطه الشديد بالفقر والجهل والدهشة والاستغراب لدى أحد؛ ففي عام ١٩٥٨ م - أي قبل عدة أعوام من توافد الإرهابيين الدارسين في المعاهد والجامعات العربية زرافاتٍ وأفواجاً على سوريا والعراق وأفغانستان - طرح لرنر هذا الارتباط المتناقض بحسب الظاهر وهذه الإشكالية في دراسة بشأن العمل السياسي في الشرق الأوسط، وخلاصة ما توصل إليه الباحث المذكور في هذا المقال هو أنه ليس من المنطقي الاعتماد على الافتراض المتعارف بأن الإرهابيين ينطلقون من بين الفقراء والمحتاجين، بل يظهرون من بين المتطرفين.

وبالرغم مما أثبتته الدراسات الميدانية في هذه المقالة، وكذلك الشواهد الإعلامية، من وجود نسبة كبيرة من المتعلمين والمثقفين والمرفهين في صفوف التنظيمات السلفية، تؤكد على أنه لا يمكن تجاهل عامل الفقر تماماً في هذا المجال، فأقل ما يمكن أن يقال عنه إنه يمهد بيئة خصبة لانتشار فيروس الإرهاب، وإن كان هذا الفيروس ناتجاً عن الإرادة المتطرفة. وأياً كان، فالفقر عامل معدّ، لكنّه ليس على نحو القضية الموجبة، وثمة حاجة للبحث عن عوامل رئيسة أخرى بغية الخروج من هذه الأزمة.

٢- التعصب والجمود الفكري

فضلاً عن الفقر وأفة التحصيلات الدارسية التي تمهد الطريق للتيار السلفي التكفيري، هناك عامل مهم آخر هو التعصب الديني الذي لا أساس له، وهو بمعنى التشدد والإفراط في الشيء، وكلمة التعصب مرادفة لكلمة الحمية، والشخص المتعصب هو الذي لا يكون عمله في إطار الموازين العقلية والمنطقية، بل يكون تابعاً للعواطف

1. Wilgoren, J.(2001). The Hijackers. A Terrorist profile emerges that confounds the Experts. New York Times.

2. daniel pipes (2003) : "militant Islam reach America "published by Norton compannt.

والأحاسيس، ويمكن تفسير التعصب بالحماية من غير سبب والغضب الخارج عن نطاق السيطرة والتصلب تجاه بعض القيم. وليست الأحاسيس وحدها دخيلة في معنى التعصب، بل إنه ينطوي على الغرور والتكبر أيضاً.

وقد ذكر ابن خلدون أن التعصب أساس السلطة السياسية، وزعم أنه يمكن الاستفادة من التعصب القبلي في هذا المجال، وضرب مثلاً على ذلك بالحكومات التي اعتمدت على العنصر الغريزي فاستطاعت التغلب على الجماعات والأقوام التي لا تربطها علاقات عاطفية قوية طيلة التاريخ.

والحمية على هذا المنوال أيضاً، فهي مفردة مستقاة من أدبيات القرآن الكريم؛ فعبّر بالحمية الجاهلية عمّن يبتعد عن موازين العدل الإلهي نتيجة التعصب غير المنطقي^١، والحال أن رسالة القرآن الكريم قائمة على تجاوز ذلك الوضع واعتماد التوازن المنشود.

فهذه المقالة بصدد إثبات أن التعصب الديني أساس عمل السلفيين التكفيريين الذين لا يتوانون في ارتكاب أشنع أنواع الجرائم في سبيل الحصول على أهدافهم. ولا يمكن اعتبار هذا التعصب محصوراً بالإسلام وحسب، بل إنه موجود في جميع الأديان الأخرى من المسيحية واليهودية والبوذية وغيرها، حيث تفسح المجال للمتشرعين الجاهلة بفعل ما يحلو لهم، سواء كان عملاً إنسانياً أم غير إنساني. لكن المهم عند تحليل التعصب هو الركائز والأسس التي يبنتي عليها، وهما عبارة عن الجهل والاستفزاز أو التحريض؛ لأنها تدفع التكفيريين إلى شكل جديد من أشكال العنف.

وليس المراد من الجهل هو الأمية، فكما مرّ سابقاً هناك دراسات كثيرة وواسعة حول ارتباط الفقر والجهل بالعنف، وأشرنا إلى أن العنف والأعمال الإرهابية لا تنتج عن الجهل وفقدان الدراسات الأكاديمية. فوفقاً للدراسات والأبحاث المختلفة، يحمل أغلب كبار أعضاء التنظيمات السلفية ومتوسطيهم وكثير من الأعضاء الذين لا يتسمنون منصباً معيناً أيضاً شهادات أكاديمية من المعاهد الدراسية الغربية؛ ولذا لا يمكن اعتبار الجهل مساوفاً ومرادفاً للأمية. ومن بين أفضل الدراسات وأروعها في هذا المجال، بحث الفيلسوف الياباني ايزوتسو الذي حمل عنوان «المفاهيم الدينية والأخلاقية في القرآن»، فذهب إلى أن ما يميز الحياة الجاهلية عن حياة الإسلام هو الجهل مقابل «الحلم» لا مقابل الكتابة والتعلم.^٢ والحلم يعني الصبر والتأني وعدم الانسياق وراء العواطف والدوافع الخارجية بعيداً عن المنطق، فهو يشتمل على نحو من الاعتدال والصبر. وبمقتضى ما ورد في القرآن الكريم حول

١. قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ (سورة الفتح، الآية ٢٤).

٢. توشيهيكو ايزوتسو، مفاهيم أخلاقية دينية در قرآن مجيد، ترجمة: فريدون بدرهئي، الطبعة الثانية، نشر فروزان، ٢٠٠٩ م.

الحياة الجاهلية، كان الناس آنذاك يغضبون لأمر واهية ويثورون بسبب قضايا تافهة، فلربما تقابلت قبيلتان بفعل كلمة سيئة أو هجاء من أحد أفرادها لشخص في قبيلة أخرى، فأريقت دماء كثيرة دون التفكير بالعواقب الوخيمة^١.

وتشير دراسات المستشرقين إلى أن الحياة الجاهلية قبل الإسلام كانت تحتوي على جميع مقومات الحياة العصرية المتقدمة، فأكدوا على أن العناصر الرئيسية الثلاث: الكتابة، والأبنية والآثار المدنية، والتجارة، التي تشكل أبرز مقومات الحياة المتقدمة كانت متوافرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام أيضاً، فكان العرب بارعين في الكتابة، وكان تجار قريش يتبادلون البضائع التجارية مع الشرق والغرب، كما كان في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أبنية وآثار مدنية متعددة؛ لكن القرآن وصف تلك الحياة بالحياة الجاهلية على الرغم من امتلاك معايير التمدن، فأطلق عليها صفة الجهل وأوصى بلزوم تجاوزها.

يبدو أن الكتابة كانت موجودة في تلك الحياة لكن الفهم كان غائباً، والتجارة موجودة غير أنه لا أثر للتسامح الناتج عن تلاقي الأفكار وتبادل الآراء والتعامل بين الحضارات حيث يكون تجار الشعوب المختلفة مندوبين لشعوبهم هناك. كما كانت تتوافر فيه المدنية والحضارة واجتماع الناس، ولكن غابت عنه ثقافة التعامل الحضاري، فكفى أن ينظم أحد الشعراء بيتاً من الشعر الذي يهجو فيه غيره ليحترق إثره الأخضر واليابس وتُقتل أمة كاملة. ففي مثل هذه الأجواء الثقافية المفتقرة إلى الحلم الذي يجمع خصال الصبر والعفو والتسامح والمراعاة تكون الغريزة هي الحاكمة بدل العقل؛ ولذا حينما أراد القرآن ذم المؤمنين غير العلماء تحدث عن صفة الحمية الجاهلية والتعصب الجاهلي^٢.

الركيزة الأخرى للتعصب هي التحريض من الخارج، ففي حين أن الجهل يعتبر حقيقة داخلية في التعصب يعد التحريض عاملاً خارجياً فيه. الجهل عنصر منبوذ وغير مرغوب فيه لكن التحريض يهدف إلى أبعد من ذلك، وغالباً ما يعود التحريض إلى مشاريع سياسية ناظرة إلى السلطة. ولا يمكن اعتبار تحركات الإرهابيين وممارستهم للعنف حوادث عفوية، فالعقل المتأمل والمتمعن يرى الأيادي المحركة التي تقف خلف الكواليس وتداعب أحاسيس الجهلة وتلامس عواطف المتعصبين من أجل تحقيق الأهداف عن طريق الأعمال الإرهابية.

ومن هنا، فإن المؤرخين الذين أماطوا اللثام عن الإساءة إلى المسيحيين الجدد في امبراطورية الروم لم يلتفتوا إلى جهل بعض المتعصبين فقط، وإنما لفتوا الأنظار إلى علماء الكنائس الذين وجدوا أنفسهم أمام خطر داهم بظهور هذا الدين الجديد. وعلى هذا الأساس، هناك أسباب مادية وراء العنف السياسي الذي ترتكبه بعض الفرق الدينية تجاه الفرق الأخرى غالباً، ولا يعدو الأمر الأحاسيس فقط.

١. محمد سعيد حنائي كاشاني، «تسامح و تساهل»، مجلة: نامه فرهنگ، العدد ٢٨، ص ٤٦؛ وانظر كذلك: حسن بن عبد الله العسكري، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من كتاب السيد نوري الدين الجزائري، قم، ١٤١٢ هـ.
٢. انظر: سورة الفتح، الآية ٢٦.

وفي هذا السياق، لما أَلَّفَ ماكيافيلي كتاب «الأمير» واتهم فيه علماء الكنيسة في روما بتوسيع نطاق العنف وزيادة دائرة الحرب بين الولايات الإيطالية المختلفة، ما أدى إلى قلة ولاء الشعب للدولة، كان ينظر إلى مطامعهم المادية أكثر من توجسه من الحقيقة. ففي كثير من الأحيان لا تتجلى الإشكالات على السلطة بقدر ما ترتدي لباس الدين وتتخفى وراءه، وأي شخص ينفذ هنا أكثر من الجهال والمتعصبين الفاقدين للعقل والمنطق!

ومن الطريف أن أغلب الفاتحين سيئي الصيت في الفترات التاريخية المختلفة دخلوا حلبة الصراع على السلطة بحسن ظاهر يوحي بالتشرع؛ فمثلاً تيمور لنك الذي شنَّ حروب دموية عديدة تحت عنوان الجهاد وفتح بلاد الكفر كان من حفاظ القرآن، وقيل: إنه كان يحفظ القرآن من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله. نعم كان تيمور لنك متشرعاً جداً، لكنّه كان يخلف وراءه تلاً من رؤوس الناس الأبرياء في كل مدينة يدخلها. واليوم يسلك الإرهابيون التكفيريون الطريق نفسه الذي سلكه أسلافهم الذين يلعنهم التاريخ، ولم تعتمد السلفية من هذه الناحية على الجهل فقط، ففي كل جريمة تقع هذه الأيام في الشرق الأوسط تلاحظ فيها الأيدي الخبيثة لتجار السلطة. فبدلاً من أن توظف بعض الدول العربية دولارات النفط والثروات القومية والقوى الاجتماعية خدمةً لمصالح المسلمين، أخذت تتفقه على قتل الرجال والنساء والأطفال في التفجيرات التي تتناقلها وكالات الأنباء كل يوم من بغداد ودمشق وبيروت وبيشاور وكابل. والنتيجة أن ما يعرف اليوم باسم الإرهاب وليد الاتحاد بين الجهل والخبث، وهذا الخبث هو «الفوضى الخلاقة» لأمريكا في الشرق الأوسط؛ لأنّها قادرة على تأمين أهداف الدول الغربية في الشرق الأوسط أفضل من غيرها.

الخلاصة

ذكرنا أن التكفيريين أوجدوا أسلوباً جديداً في العالم الإسلامي لحل المشاكل السياسية لم يسبق له مثيل في تاريخ الإرهاب، حيث فتحوا صفحة جديدة من القتل والإبادة ضمن ظاهرة «الإرهاب الجديد» الذي يتميز بماهية معينة وتنظيم خاص، ويمكن إرجاع أسباب هذه الظاهرة إلى الجهل والتعصب اللذين يعتبران من أهم مؤشرات التخلف التنموي. وفي الحقيقة، مهّد غياب الديمقراطية إلى ظهور الفرق والتنظيمات التكفيرية التي لجأت إلى استعمال السلاح لتحقيق أهدافها السياسية، ما فاقم من أزمة التخلف في البلدان التي تنشط فيها. ومن هنا، قد يكون الحل الوحيد لهذه الإشكالية هو نشر روح التساهل الديني في أنموذج من التنمية الدينية. فالتسامح الذي يعني التعامل بمرونة ورأفة مع الآخرين حينما يمتزج مع التساهل بمعنى الصفح يخلق أمة رحمانية من المسلمين، فتعود الأمة الإسلامية إلى الشريعة التي وصفت بالسهلة السمحة.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. نهج البلاغة.
٣. احمد عبداللهي (١٩٩٢ م)، «توسعه نيافتگی و توسعه يافتگی»، مجلة: ادبيات و زبانها، الخريف، العدد ٣/

۴. بدی، توماس جی، «تعریف تروریسم بین المللی: نگرش علمی»، ترجمه: سید رضا میر طاهر، مجله: مطالعات راهبردی، العددان ۵ و ۶ خریف وشتاء ۱۹۹۹ م.
۵. برنارد چریس (۲۰۰۳ م)، «چهار اسلام»، ترجمه: علی گل محمدی، دوریه: زمانه، العدد ۲۲/
۶. تد رابرت گر (۱۹۹۸ م)، چرا انسانها شورش می کنند، طهران: آکادمیه الدراسات الاستراتیجیه.
۷. توشیهیکو ایزوتسو، مفاهیم اخلاقی و دینی در قرآن مجید، ترجمه: فریدون بدره‌ی، الطبعة الثانية، نشر فرزان، ۲۰۰۹ م.
۸. جواد علی، المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام، بغداد، ۱۹۳۳ م.
۹. حسن بن عبد الله العسكري، معجم الفروق اللغویة، الحاوی لکتاب أبي هلال العسكري وجزءاً من کتاب السيد نور الدين الجزائري، قم: ۱۴۱۲ هـ
۱۰. حسن درى نورگورانی (۲۰۱۲ م)، «اقتصاد تروریسم»، فصلیه: آفاق امنیت، السنة الخامسة، العدد ۱۶/
۱۱. الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، طباعة محمد سيد كيلاني، طهران، ۱۹۵۳ م. ۱۲. الخليل بن أحمد، كتاب العين، طباعة مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، قم: ۱۴۰۹ هـ
۱۳. رمضان البوطی (۱۹۹۴ م)، سلفیه بدعت یا مذهب، ترجمه: حسن صابری، مشهد: الروضة الرضویة المقدسة، الطبعة الأولى.
۱۴. زين العابدين، يوسف، «تروریسم: چالش ژئوپلیتیکی نوین در جهان»، فصلنامه سیاست خارجی، السنة الحادية والعشرون، العدد ۳، خریف ۲۰۰۷ م.
۱۵. ژیلبر آشکار (۲۰۰۵ م)، جدال دو توحش، یازده سپتامبر و ایجاد بی نظمی نوین جهانی، ترجمه: حسن مرتضوی، طهران: اختران.
۱۶. سلیمانی، رضا، «آشفتگی معنایی تروریسم»، مجله: علوم سیاسی، السنة التاسعة، العدد ۳۶، شتاء ۲۰۰۷ م.
۱۷. سيف الله سيف اللهی (۱۹۹۱ م)، «در تبیین توسعه و توسعه نیافتگی»، فصلیه: علوم اجتماعی، الخریف و الشتاء، العددان ۱ و ۲/
۱۸. عبدالرحمن عالم، تاریخ فلسفه سیاسی غرب، انتشارات مکتب الدراسات السياسية: ۲۰۰۴ م.
۱۹. علی اصغر فقیهی (۱۹۷۳ م)، وهابیان، انتشارات صبا، المجلد الأول.
۲۰. الفیروز آبادی، القاموس المحيط، دار إحياء التراث.
۲۱. ماکیا فیلی، نیکولو، شهریار، ترجمه: داریوش آشوری، طهران: نشر مرکز، ۱۹۹۶ م.

٢٢. محمد بن الحسن الحر العاملي (١٤١٢ هـ)، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت.

٢٣. محمد سعيد حنایی كاشانی، «تسامح و تساهل»، مجلة: نامه فرهنگ، العدد ٢٨/

٢٤. هانری بارتلی (١٩٩٥ م)، «پیشرفت و فقر، مفاهیم و دیالکتیک آنها در تمدن ها و فرهنگ ها، در مارک هنری، پاولی «فقر، پیشرفت و توسعه»، ترجمة: مسعود محمدی، مکتب الدراسات السياسية والدولية.

٢٥. یوسف فضایی (١٩٨٢ م)، مناظرات امام فخر رازی، طهران: الصیف.

26 .Becker, Gary S. (8691) "Crime and Punishment :An Economic Approach ."The Journal of Political Economy 67 (2)

27 .Berman, Eli.(2000)

"Sect, Subsidy and Sacrifice: An Economic View of Ultra
- Orthodox Jews ."Quarterly Journal of Economics 511.

28 .Brinkley, David, Radical Theology as a Destabilizing aspect of the 12
st Century Strategic Security Continuum, U. S. War College, Carlisle
Barracks, Pennsylvania, 2006.

29 .Crenshaw Marta,

"Political Explorations"

,in: The Club de Madrid Addressing the Causes of Terrorism, Madrid,
Scholz Friends, 2005.

30 .daniel pipes (2003)

"militant Islam reach America "published by Norton company 02.

31 .Freedman, Lawrence,

"The Third World War"

,Survival, Vol. 34, No. 4, winter 2001. 23. Garrison, Arthur H.,

"Terrorism :the Nature of Its History"

,Criminal Justice Studies, Vol. 61(1), 2003, p 14, and: Shughart, William
F.,

"An Analytical History of Terrorism ,5491 - 2000"

- ,Public Choice, Vol. 821, No. 1, spring 2006.
33. Hamermesh, Daniel S. and Neal M. Soss.(1974)
"An Economic Theory of Suicide, The Journal of Political Economy 28(1).
34. Hamm, Mark S). 1998
Terrorism, Hate Crime, and Antigo vernment Violence: A Review of the Research.
In The Future of Terrorism: Violence in the New Millennium. London: SAGE.
- 35 .Hassan, Nasra.(2001)"An Arsenal of Believers .The New Yorker, November 91.
- 36 . Jefferson, Philip, and Frederic L. Pryor.(1999)" On the Geography of Hate." Economics ' Letters 56) 3.)
- 37 .Kressel, Neil J.(1996). Mass Hate: The Global Rise of Genocide and Terror, New York: Plenum Press.
- 38 .Krueger, Alan and Jrn -
Steffen Pischke.(1997)." A Statistical Analysis of Crime Against Foreigners in Unified Germany." Journal of Human Resources 23) 1 (.
39. Lerner, Daniel) 1958 (. The Passing of Traditional Society The Free Press.
- 40 .Oxford advanced dictionary(1998)
- 41.Ranstorp ,Magnus,
"Terrorism in the Name of Religion"
,Journal of International Affairs, Vol. 05, No. 1, summer 6991.
42. Russel. Charles and Bowman Miller.(1983)
"Profile of a Terrorist".
Reprinted in Perspectives on Terrorism, Wilmington, Delaware: Scholarly Resources Inc ..
43. Tucker, David,"What's New about the New Terrorism and How Dangerous Is It ,"? Terrorism and Political Violence, No. 31, Autumn 2001.

التيار التكفيرى وسياسة العنف

تأليف: منصور مير أحمدى^١

ترجمة: حسين صافى

نبذة

إنّ ظهور التيار التكفيرى على مسرح التطورات السياسية والاجتماعية الجديدة فى العالم الإسلامى يسرد حكاية من نمط خاص عن السياسة نعبّر عنها فى مقالنا الحالى بسياسة العنف. وأهمّ ما يميّز هذه السياسة هو تجويز اللجوء إلى العنف فى مسيرة الحركة صوب الأهداف والوضع المثالى. وطبقاً لهذه الرؤية ينظر التيار التكفيرى إلى جميع الحركات الراهنة فى العالم على أنّها حركات غير مشروعة، ومن هذا المنطلق يجيز العنف على مختلف الصُّعد للتصدّى لها تحقيقاً للأهداف التى يشدها. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ نظرتة إلى القواعد والإلزامات التى تحكم السياسة تتسم بخصوصية متطرّفة. ومعلوم أنّ نتائج مثل هذه النظرة هى ظهور دورة عقيمة من العنف الأعمى فى العلاقات السياسية والاجتماعية تكمل تصوّرهم العام عن السياسة.

يناقش المقال الحالى الآراء السياسية والاجتماعية لأتباع التيار التكفيرى، ويشرح نمطية خاصة للسياسة من وجهة نظرهم. وباعتقاد كاتب المقال أنّ هذه النمطية السياسية تنبثق عن نظام قيمي خاص ستقوم بتوضيحه ومن ثمّ نبين تأثيراته على آرائهم السياسية.

الكلمات المفتاحية: التيار التكفيرى، سياسة العنف، النظام القيمي، التطرف، دورة العنف. المقدمة:

المقدمة

فى السنوات الأخيرة شهد العالم الإسلامى تبلور نمط خاص من السياسة يمكن تسميته بسياسة العنف، ويتلخص، بحسب أصحابه، فى تجويز العنف كأسلوب للوصول إلى الوضع المنشود. لقد نشأت الأفكار المتطرّفة وترعرعت فى ظروف موضوعية خاصة، من هنا فإنّ تسليط الضوء على هذه الظروف يكتسب أهمية كبيرة فى شرح علل تبلور هذا النمط من السياسة والأفكار. وبناءً على ذلك، فإنّ المقال الراهن يشكّل محاولة لفهم سياسة العنف والتعريف بها طبقاً لآراء وأفكار التكفيريين فى العالم الإسلامى. من وجهة نظر المقال، الإسلام دين السلام

١. أستاذ قسم العلوم السياسية فى جامعة الشهيد بهشتى. على أكبر ولدبيكى ماجستير علوم سياسية.

والحياة المسالمة، ما يعني أنّ ظهور سياسة العنف ليس له أي علاقة معرفية بالدين ولا بتعاليمه، وإنّما مردّد هذا النمط من السياسات في العالم الإسلامي إلى نفوذ الأفكار السلفية في ظروف موضوعية خاصة تعمل على إنتاج العنف وتسويقه.

من جهة، ثمة أوجه شبه كثيرة بين سياسة العنف والإرهاب، وإنّ فهم سياسة العنف رهناً بفهم تعاطي هذه الأفكار مع الظروف الموضوعية التي احتضنت هذه السياسة في العالم الإسلامي. تأسيساً على ذلك، لا بدّ أولاً من المقارنة بين سياسة العنف وخصوصيات الإرهاب على صعيد نقاط الشبه بينهما، ثمّ شرح الظروف الفكرية والموضوعية المنتجة لهذه السياسة، لتركّز على أبعادها على الصعيدين الإقليمي والدولي، ثمّ نختم بتحليل حول أوجه الشبه بين سياسة العنف والإرهاب وكيف تكتسب هذه السياسة معناها من الإرهاب.

١. الإرهاب وسياسة العنف

الإرهاب «Terrorism» مشتقة من الكلمة اللاتينية «Terror» وتعني الخوف والفرع، وتطلق على سلوك الأشخاص أو المجموعات التي تستخدم أسلوب العنف والترهيب كوسيلة لتحقيق أهدافها السياسية. وتندرج ضمن هذا المفهوم النشاطات العنيفة والغير قانونية للحكومات لقمع المعارضين وترهيبهم، والذي يُصطلح عليه بـ «إرهاب الدولة»^١، كما يُطلق على الأعمال الإرهابية التي تهدف إلى تحقيق مقاصد سياسية على الصعيد الدولي مصطلح «الإرهاب الدولي»^٢. ولكن بسبب وفرة التعاريف المطروحة للإرهاب، والافتقاد إلى تعريف شامل وجامع يفي بالغرض، سوف نستعرض عدد من السمات المشتركة للكلمة لنستغني عن عناء البحث عن تعاريف متعدّدة.

١.١. مؤشرات الإرهاب

يطرح أليكس شميدت في كتابه الموسوم «دليل البحث في موضوع الإرهاب: المفاهيم، النظريات، المعلومات الأساسية، المؤلفات»^٣ أزيد من مائة تعريف للإرهاب. وبصورة عامة، توصل إلى العناصر المشتركة في هذه التعاريف وهي عبارة عن: «العنف، البعد السياسي للظاهرة، الهلع والفرع»^٤.

السمة الأعمّ للإرهاب هي العنف أو التهديد به^٥. فكل عمل إرهابي هو ضرب من العمل العنيف أيضاً، ولكن، ليس كل عمل عنيف إرهاب. للعمل العنيف وجهان، قاتل أو مقتول، ضارب أو مجروح، بينما أحد وجوه العمل

١. حسن علي زاده، «فرهنگ خاص علوم سیاسی»، طهران: روزنه ١٩٩٨ م ص ٢٧٤

٢. محمود طلوعی، «فرهنگ جامع سیاسی»، ط. ٢، طهران: علمی ١٩٩٨ م ص ٣٥٦

٣. محمد علی اردبیلی، «مفهوم تروریسم»، فی «تروریسم و دفاع مشروع از منظر اسلام و حقوق بین الملل (مجموعه مقالات و کلمات المؤتمرین الخامس والسادس كانون الثاني / يناير ٢٠٠١ م) طهران: الصحیفة الرسمية لكلية العلوم الفضائية، ٢٠٠٢ م ص ١١٩.

٤. سیامک ره بیگ، «تحلیل تروریسم در نسبیت مفهومی امنیت و منافع ملی»، فی «تروریسم و دفاع مشروع از نظر اسلام و حقوق بین الملل» (مجموعه مقالات) ص ٢٢١.

الإرهابي «العنف والتهديد» ووجهه الثاني «إيصال رسالة العنف»، أما وجهه الثالث فهو «الشعور بالفرع الحقيقي». بحسب رأي شميدت، هنالك فرق بين هدف العنف وهدف الإرهاب وبين الضحية والغريم، فبالإمكان في جريمة القتل الإرهابية تغيير الضحية بسهولة لأن الهدف الغائي هو إحداث تأثير على الرأي العام^١.

السمة المهمة الأخرى للإرهاب هي البعد السياسي الذي ينطوي عليه، فإننتاجه يأتي في إطار التأثير على النظام السياسي أو النظام العالمي وغير ذلك. والسمة الأخيرة المهمة للإرهاب المطروحة في تعريف شميدت هي الفرع والهلع. في توضيحنا لمفهوم الإرهاب أشرنا إلى أنه يعني الفرع والهلع وهو غاية ما يصبو إليه، ذلك أن المعيار، في الغالب، ليس قتل الضحايا فقد يحدث هذا الأمر بالصدفة.

ربما يكون الدافع وراء الأعمال الإرهابية هو تحقيق أهداف سياسية أو دينية أو ربما جني مكاسب شخصية. على سبيل المثال، لا نطلق كلمة الإرهابي على السارق الذي يسطو على المصرف فيقتل رئيسه ثم يفر بمبلغ من المال، ولكن إذا كان هدف هذا السارق من سرقة المصرف بث الفرع والهلع في نفوس الناس، أو كان يروم تحقيق مقاصد أخرى مثل سلب ثقة الناس بالمصارف وزعزعة الاقتصاد، ففي هذه الحالة يكون عمله هذا مصداقاً للإرهاب^٢.

٢.١. سياسة العنف

يطلق مصطلح "سياسة العنف" على الأعمال غير الاعتيادية التي تنطوي على نوع من الانحراف عن السلوك المشهور للمسلمين، وهو ما يقوم به التيار التكفيري لتحقيق أهداف سياسية أو غير سياسية بطرق غير قانونية عبر زرع الرعب والهلع على صعيد دول الإقليم أو الدول الإسلامية أو على صعيد العالم.

٣.١. مؤشرات سياسة العنف

إحدى مؤشرات سياسة العنف احتجاج الدبلوماسيين كرهائن والهجوم على السفارات بوصفها أعمالاً غير قانونية مخالفة للقوانين الدولية والحصانة الدبلوماسية. مثال على ذلك قيام طالبان في ١١ آب/ أغسطس عام ١٩٩٨ م بالهجوم على القنصلية الإيرانية في مدينة مزار شريف في أفغانستان وقتل ثمانية دبلوماسيين وصحفي إيراني، وتفجير السفارتين الأمريكيتين في كل من تنزانيا وكينيا في عام ١٩٩٨ م ما أدى إلى قتل ٢٢٤ شخصاً، ولم يكن من بين القتلى سوى ١٢ من الولايات المتحدة. الانفجار الذي وقع في موقع أثري في تونس في عام ٢٠٠٢ م وأودى بحياة ١٧ شخصاً منهم ١١ شخصاً من السياح الألمان. وفي نفس هذه السنة وقع انفجار خارج باحة السفارة الأمريكية في مدينة كراتشي في باكستان وقُتل فيه ١٢ شخصاً، وفي مدينة بالي بأندونيسيا وقع انفجار في ملهى

١. علي عبدالله خاني، «تروريسم شناسي»، طهران: ابرار معاصر، ٢٠٠٧ م صص ٣٩-٤٠.

٢. المصدر نفسه.

ليلى راح ضحيته ٢٠٢ شخصاً معظمهم من المواطنين الأستراليين. ومن الحوادث الإرهابية أيضاً حادثة الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول في الولايات المتحدة وحوادث أخرى مشابهة.

وسياتي الحديث عن أبي مصعب الزرقاوي وكيف أنه بإعلانه الجهاد ضد الشيعة كان يعتقد أن هؤلاء هم مفتاح نجاح التيار التكفيري في العالم، لأنه في حال إثارتهم ستقع لا محالة حرب طائفية يمكن أن توظف أهل السنة الغافلين وتجرحهم إلى حلبة الصراع، بمعنى، توظيف العنف للتأثير على الرأي العام السلفي من خلال القيام بالعديد من العمليات الانتحارية في أوساط الشيعة وقتل الأبرياء للتأثير على أهل السنة واستقطابهم. يحاول هذا التيار عبر قتل الأبرياء وزرع الرعب في النفوس إيصال رسائل إلى الولايات المتحدة أو إلى الرأي العام السلفي وسائر المسلمين. كما أراد هذا التيار من خلال الهجوم على سفارات الولايات المتحدة أن يطرح نفسه كلاعب أساسي أمام هذه الدولة العظمى ويعري الحكام العرب والمسلمين أمام شعوب البلدان الإسلامية فيكتسب دعمها ومساندتها.

٢. الظروف الفكرية لسياسة العنف

يطلق مصطلح التيار السلفي الحديث في التاريخ الإسلامي على جماعة من المسلمين تتبنى فلسفة متميزة عن سائر المذاهب الإسلامية. يعتقد بعض علماء أهل السنة أن استحداث مصطلح «السلفية» بمثابة بدعة جديدة في الإسلام، لم يعرفها السلف الصالح من قبل، ذلك أن أئمة السلف أساساً لم يطلقوا هذا المصطلح على أي شخصية متميزة عن البقية أو على أي كيان فكري أو عقدي خاص ليميزوه عن سائر المسلمين. بيد أن هذه الجماعة ارتأت أن تجعل من مجموعة الآراء والأفكار الاجتهادية التي تؤمن بها عنواناً منفصلاً لشخصيتها الإسلامية، فعزلت نفسها عن بقية المسلمين، وشادت من أفكارها حصناً منيعاً يمكنها من الرد بعنف على كل من يخالف آراءها انطلاقاً من هذا الحصن^١. لقد استغل السلفيون التكفيريون الوقائع الموجودة على الأرض مثل حركات الإصلاح الديني من أجل استقطاب الأشخاص وجذبهم، فعملوا بالتدرج على تهيئة الظروف لتوظيف سياسة العنف بحجة الولاء للسلف الصالح.

ظهرت حركة الإصلاح الديني على يد مصلحين من قبيل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وذلك في خضم تدهور الأوضاع في مصر أوائل القرن الماضي، حينما كان هذا البلد يرزح تحت نير الاحتلال البريطاني، وقد تركت هذه الحركة تأثيراً كبيراً على انتشار مصطلح السلفية في المحافل العامة، إذ كان انتشاره يقتصر على المحافل العلمية فحسب، لكنه سرعان ما تجاوز حدوده العلمية فأصبح عنواناً اتخذته بعض المجالات والمطابع في مصر. من جهة، كان يجمع المذهب الوهابي ودعوة الإصلاح الديني عنصر مشترك هو محاربة البدع والخرافات لا سيما بدع الصوفية، ما أدى بهذا المصطلح لأن ينتشر انتشاراً واسعاً في أوساط الوهابية. وقبل هذا التاريخ كان

١. محمد سعيد رمضان البوطي، «سلفيه بدعت يا مذهب»، ترجمة: حسين صابري، مشهد: العتبة الرضوية المقدسة ١٩٩٦ م صص

محمد بن عبد الوهاب المصدر الوحيد للوهابية، وأراد هذا المذهب من خلال الاستعانة بمصطلح السلفية أن يبين للناس أن أفكار الوهابية لا تنحصر في عبد الوهاب فقط^١.

من سمات التكفيريين اعتقادهم بأن كل ما يؤمنون به إنما هو جزء لا يتجزأ من أصول العقائد الإسلامية، ويحاول هؤلاء تحقيق أهدافهم من خلال فكرة التكفير بدلاً من منهج الاستدلال، واضعين آراءهم ميزاناً للحكم على كفر الآخرين وإسلامهم.

بصورة رمزية توصم التيارات السلفية بالتكفير وسياسة العنف، غير أن خطر استخدام هذا الأسلوب عام يهدد جميع المجتمعات الإسلامية. ففي بعض الحالات بلغ التصدي للآراء المعارضة الخارجة عن إطار الآراء السائدة وعدم تحملها مديات كبيرة بحيث أن بعض أصحاب الفكر أصبحوا يضيّقون ذرعاً بأي آراء مخالفة لأفكارهم ويعترضون عليها بشدة، وليس لديهم أدنى استعداد للقبول بها، ويعتبرون قراءتهم للدين وكأنها عين الدين^٢. يعتقد البعض أنه يجوز الدفاع عن الحق بأي وسيلة كانت وإن غير مشروعة، ويرى أنه ما دامت هناك طرق ممهّدة وسهلة فما الداعي لاختيار طريق شاق ووعر للوصول إلى الأهداف. بعبارة أوضح، إذا كان سلاح التكفير أسهل وسيلة لإقصاء الفكر المنحرف من الساحة، فلا ينبغي أن نهدر وقتنا بالحجاج والاستدلال. فإذا كان الهدف المقدس هو محاربة البدع، فبالإمكان اللجوء إلى الكذب والافتراء [على الآخر] والاستعانة بأي وسيلة لتحقيق هذا الهدف. فالتكفيريون وفي إطار "سياسة العنف" يتخذون من آيات الجهاد ضد الكفار مبرراً لاستخدام القوة والتي هي أبعد بكثير من التكفير^٣.

والحقيقة إن التيارات التكفيرية لا تستخدم سلاح التكفير ضد المذاهب الإسلامية غير السلفية فقط، بل ومع المحسوبين على السلفية أيضاً، لذلك سنتواصل لنرى على أي نحو تجذرت ظروف سياسة العنف في تينك النظرتين العقديتين عند السلفيين؟ إذ من جهة، يؤيد فريق منهم الوالي أو الحاكم الإسلامي ويكفرون تشكيل الأحزاب والخروج على السلطان، ومن جهة ثانية يحاول فريق آخر التمهيد لذلك من خلال زرع بذور الشك والترديد حول مبدأ التقليد لزعة مكانة المفتين وسلطة الحكام.

لقد سعت التيارات السلفية من خلال تدوين المناهج إلى شرح معتقداتها المغايرة، وبقليل من التمعّن سوف نلاحظ أن جذور سياسة العنف تكمن في طرح مناهجها العقدية إزاء نفسها من جهة، وإزاء المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية من جهة أخرى.

المنهج في اللغة يعني الأسلوب، وباصطلاح السلفيين هو المسار الذي سلكه السلف الصالح إزاء أهل الأهواء والبدع. بمعنى أن يتكئ المسلمون على منهج السلف الصالح في التعاطي مع النصوص الشرعية لأنها بلحاظ الفهم

١. المصدر نفسه صص ٢٥٩ - ٢٦٠

٢. مجيد صفا تاج، «تكفير»، طهران: نشر اسلامي ٢٠٠١ م صص ١٣ - ١٢

٣. المصدر نفسه ص ١٤

والعمل تحظى بموجبات الخلود وعدم تحريف الدين في عقولهم^١. وكما أشرنا قبل هذا، هناك فرقان رئيسيتان في السلفية التكفيرية تستندان على الصعيد الفكري إلى منهج السلف الصالح هما:

١. ٢. السلفيون الحكوميون

ترمي هذه الجماعة بالبدعة جميع الذين يشكّلون الأحزاب والتشكيلات، فهذا هادي المدخلي يحمل في كتابه «منهج أهل السنة في نقد الرجال والكتب والطوائف» على الذين يسكتون عن البدعة ويغضون عنها استناداً إلى منهج السلف الصالح، حيث ينقل عن أئمة السلف أنّ من يدافع عن أهل البدع أضلّ منهم، ويشبههم بالخوارج، ويحذّر الذين يمدّون يد العون للناشطين في ميدان الأحزاب والسياسة^٢.

وإذا ما تأملنا أقوال بعض العلماء السلفيين وهم في غالبيتهم حكوميين، سوف نتبين معارضتهم لبعض الأحزاب كالإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وحزب التحرير وغيرها، واتهامها بالكفر. وفي هذا السياق نُشرت رسالة موجزة تحت عنوان «أقوال علماء السنة في جماعة الإخوان المسلمين» تضمّ فتاوى عديدة لعلماء سلفيين منهم ابن باز والألباني وابن عثيمين وغيرهم، معادية للأحزاب غير الحكومية. واعتبر هؤلاء بالاستناد إلى فتاوى ابن باز جماعة التبليغ والإخوان المسلمين من فرق جهنم بسبب البدع التي أظهرتها وشقّها صفّ أهل السنة والجماعة. وبحسب فتوى محمد بن صالح العثيمين لا يوجد سبب يدعو لتجوز الأحزاب والجماعات، بل على العكس، لقد ذمّ الكتاب والسنة تشكيل الأحزاب. وعليه، فإنّ تعدّد الأحزاب والجماعات أمر مذموم، ويعتبر صالح اللحيان أنّ حركة الإخوان وجماعة التبليغ غير صحيحتين، وكذلك هو منهج جميع الأحزاب، ولا تتسم هذه التشكيلات بأصالة سلفية. ونفس الرأي يتبنّاه صالح بن فوزان الذي يرى أنّ الأحزاب أمور وافدة ومنحرفة تزرع الفرقة^٣.

٢. ٢. السلفيون المعارضون للحكومات

يوجّه السلفيون المعارضون للحكومات نقداً للفريق الأول على الصعيد النظري وذلك انطلاقاً من تصوّر جديد يستند إلى منهج السلف الصالح. يحاول أحدهم وهو "أحمد صويان" بالاتكاء على تدوين المناهج انتقاد المفتين السلفيين الحكوميين، وتسخيف فتاواهم. للصويان كتاب تحت عنوان «منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم» يشكّك فيه بالاستناد إلى منهج السلف الصالح تقليد رجال الدين السلفيين، ويمهد لانتقاد

1. <http://manhaaj.com>

٢. ربيع الهادي مدخلي، «منهج أهل السنة في النقد الرجال والكتب والطوائف»

<http://www.rabee.net/showdes.aspx?pid/1id/51>

٣. أبو البراء سمير المغربي، «أقوال علماء السنة في جماعة اخوان المسلمين».

<http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t/42892>

الحاكم والخروج على ولاة الأمر. ويرى الصويان أن التقليد هو من موجبات الهلاك وله تأثير على الأفكار الإسلامية، وعاقبته إهمال النصوص الشرعية وتعطيل العقل الإنساني^١.

أما نتيجة ترك التقليد فهي أن يقوم كل فرد باستنباط الحكم الشرعي بصورة مستقلة، ومعلوم أن اتباع مثل هذا المنهج لا يعني تمهيد الطريق لإشاعة الفوضى فحسب، بل يفتح الباب على مصراعيه لظهور التطرف وسياسة العنف.

وفي إشارة إلى الحديث الشريف الذي يقول أنه من أجل تمييز الحق من الباطل يجب معرفة الحق لعرف أهله وليس العكس، يصرح أحمد الصويان أن كل ولد آدم خطأؤون حتى الحاكم، وإن اضطرام نار العداوة والبغضاء بين الحركات الإسلامية المعاصرة مرده إلى الجهل العلمي والعملية بالأئمة الأوائل، ولا ينبغي السكوت على أخطاء العلماء ومصنفاتهم، لأن نقدنا سيؤدي إلى تقويمها وتصحيح مسار الأمة^٢.

لقد فتحت آراء هذه الجماعة السلفية الباب أمام ظهور التأويلات الشخصية، ونلاحظ كيف اندفعت السلوكيات فبلغت حد التطرف وازدادت وتائر العنف. بالإضافة إلى ذلك فإن أزمات البلدان الإسلامية في مختلف المناطق من قبيل البلدان العربية وشمال أفريقيا وأفغانستان والعراق وسورية وغيرها وكذلك ظروف الثورة والحرب في هذه البلدان فسحت المجال لتفعل هذه الجماعات إلى جانب الحركات المعارضة لسياسة العنف، وأن تزيح الستار بشكل أكبر عن وجهها العنيف. بالإضافة إلى مواقف علماء التكفير التي مرت علينا ومعتقداتهم الدينية، فإنه يمكن كذلك ملاحظة سلوكهم السياسي في إطار الحزب أو الجماعة، وإلى جانب التأثير الذي تتركه الظروف العقديّة والفكرية لسياسة العنف، فإن تأثير الأفراد المتنفذين فيما يتعلّق بالوضع السياسي في بعض البلدان الإسلامية كبير للغاية، من هنا، فإن المعرفة الوافية بسياسة العنف، تضطرنا إلى الوقوف على المنطلقات الفكرية لهذه السياسة.

٣. تأثير الأشخاص المتنفذين على سياسة العنف

لقد تركت الرؤية المتطرفة للعلماء المسلمين ولا سيما سيد قطب تأثيراً وافراً على القراءات المختلفة لآرائه. وقد أدت هذه القراءات إلى انشغاقات كثيرة انعكست على الأداء الإيجابي والسلبي لها. ولأجل توضيح هذه المسألة لا بد أن نتحرى عن الظروف المنتجة لسياسة العنف بوصفها قراءة سلبية لبعض الأفكار الراديكالية المتطرفة التي أثمرت على سياسة العنف للتيارات التكفيرية. وهذه الأفكار هي التي مهّدت الأرضية المناسبة لتبلور سياسة العنف في أوساط بعض المسلمين. ويمكن إلقاء الضوء على هذا التمهيد من خلال مفهوم «التكفير» وموقعه في فكر التيار التكفيري.

١. احمد بن عبد الرحمن الصويان، «منهج اهل السنه و الجماعة فى التقويم الرجال و مؤلفاتهم» (الرياض: شارع العليا العام)

ص ١٨.

٢. المصدر نفسه صص ٤٠-٢٣

لقد قام التيار التكفيري على هيكل مشروعية فكرة التكفير، وهذا التيار الذي يعبر عنه بتيار السلفية المحدثّة ويؤمن بعقيدة متميزة تماماً عن سائر المذاهب الإسلامية، لذا، سنوضح هنا أفكار سيد قطب في هذا المجال، ثم نشرح بإيجاز نشاطات بعض الشخصيات المؤثرة في هذا التيار مثل عبد الله عزّام وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري في إطار سياسة العنف.

٣.١. سيد قطب

لقد ورث سيد قطب أعمالاً تركت أثراً كبيراً على الحركات الإسلامية في محاربتها الاستعمار ونضالها ضدّ الحكومات الإسلامية الفاسدة. وقد حظي بتقدير واحترام الكتاب والعلماء لأسباب عدّة منها كثرة أعماله وتفسيره السياسي والعرفاني للقرآن الكريم وكذلك حادثة إعدامه في السجن. وسنأتي على شرح كيف قام بعض التكفيريين بتوظيف أفكار سيد قطب باتجاه سلمي في إطار سياسة العنف، وبعملهم هذا أخرجوا أنفسهم من الدائرة المشهورة للمسلمين.

في عام ١٩٤٥ م أعلن سيد قطب عن سخطه على الأحزاب المصرية ما دعاه إلى تركها، وقد أرعبت نشاطاته في الحوادث السياسية والاجتماعية في ذلك الزمان الملك فاروق. في عام ١٩٤٨ م ابتعث إلى الولايات المتحدة ليقوم هناك لفترة غير محدودة أملاً في أن يعود بعد ذلك إلى مصر بأسلوب فكري جديد متأثر بالحياة الأمريكية ولكن هذا لم يحدث بل على العكس لقد قربته هذه التجربة من الإسلام أكثر من ذي قبل. في ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٥٤ م تعرّض جمال عبد الناصر لمحاولة اغتيال فاشلة في مدينة الإسكندرية على يد أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين اسمه «محمود عبد اللطيف»، فأصبحت هذه الحادثة ذريعة بيد عبد الناصر للقضاء على الإخوان قضاءً مبرماً واعتقل سيد قطب وحُكم عليه بالسجن لمدة ٢٥ سنة. بعد سنوات من ذلك أطلق سراحه من السجن فتجمّعت حوله فلول الإخوان المسلمين من جديد. في ٣٠ آب / أغسطس ١٩٦٥ م أعلن عبد الناصر عن اكتشاف مؤامرة جديدة للإخوان المسلمين بزعامة سيد قطب، فاعتقل مرة أخرى ثم أعدم شنقاً في آب / أغسطس ١٩٦٦ م.^١

بعد موته فسّرت آراءه في مختلف الاتجاهات فأدّى ذلك إلى حدوث بعض الانشقاقات في الجماعات السلفية والإخوان المسلمين، من جملتها: جماعة المسلمين بزعامة شكري أحمد التي أطلق عليها التكفير والهجرة، ومنظمة التحرير الإسلامي بزعامة صالح سرية والجهاد بزعامة الشيخ عمر عبد الرحمن ومحمد عبد السلام فرج، بالإضافة إلى جماعات أخرى. وجماعة الجهاد هي نفسها التي ستقدم على اغتيال الرئيس المصري الأسبق أنور السادات. وفي هذا السياق، أتبع تنظيم القاعدة وحركة طالبان أيضاً سياسة العنف، وعلى هذا النحو، ما تزال التأثيرات السلبية لأفكار سيد قطب مستمرة على التيارات التكفيرية^٢. كان سيد قطب يحمل هاجس أوضاع عصره وبالأخص وضع

١. جيل كويل، «بيامبر و فرعون»، ترجمة: حميد رسائي، طهران: كيهان ١٩٨٧ م ص ٤١ إلى ٣٨

٢. ابراهيم برزگر، «استعاره صراط در اندیشه سیاسی سيد قطب»، طهران: جامعة الإمام الصادق (ع) ٢٠١١ م صص ١٦-١٧.

الإنسان الذي يتعرّض للتهديد، وكان يرى أنّ الإسلام هو السبيل الوحيد لنجاة البشرية. وقد حمل بشدّة على الحضارة الغربية قائلاً:

«كلما تعرّضت الحياة الإنسانية والطبيعة البشرية للتهديد، آذن ذلك بوقوع تحوّل ما، لينقذ المجتمع البشري من موت إنسانيته. لقد راهن البعض في خلق ذلك التحوّل على فلسفة ماركس ... لكنّه رهان عبثي لأنّ الماركسية ليست سوى طفرة على هذا الطريق ولا تمثّل أبداً تحوّلاً في طبيعة هذا الطريق على صعيد الهدف والمنهج. تهدّد الحضارة الراهنة بموت الإنسانية في حياة البشر، فهذه الحضارة لا تتناغم مع طبيعة الإنسان من حيث أنّها تتجاهل خصوصياته الإنسانية، فهي تتعامل معه طبقاً للمقاييس المادية أو المقاييس الحيوانية التي يمكن فهمها في إطار عالم الحيوان. ويبقى الأمل هو الفكر الإسلامي والنهج الإسلامي، فلا أمل سواهما»^١.

ويتابع كلامه قائلاً:

«لا شكّ في أنّ الحضارة الغربية لا تنكر وجود الله، ولكن في الأوضاع الراهنة لا مكان لله ... الدين الذي يسخر اليوم عقول وقلوب أوروبا، ويتحكّم في جسمها وروحها ليس الدين المسيحي بل عبادة المادة، فالكنيسة في أمريكا أصبحت قطباً لكل شيء إلا العبادة، من الصعب على المرء في أمريكا أن يميّز بين الكنيسة ومدينة الألعاب (أو على حدّ تعبيرهم Good Time fun)»^٢.

ويشير سيد قطب إلى أنّ الإنسان في الحضارة الغربية وفي الاشتراكية الشرقية غريب ومستلب ويقول في هذا الصدد: «لا يقدر على تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية وأحلام ماركس ولينين إلا الإنسان الجامد والتماثيل التي لا روح لها ... كان من المفروض أن يصبح الإنسان ميزان كل شيء ولكن الحقيقة هي عكس ذلك، إذ يبدو أنّ الإنسان غريب ومستلب في الدنيا التي صنعها بيديه، لقد فشل في صنع الدنيا التي تليق بجوهره لأنّه عجز عملياً عن معرفة كنه طبيعته ... فعندما يتنكّر الإنسان لشرفه الطبيعي الذاتي الذي وهبه الله إيّاه، يصبح الوجود الذي جعله الله مدبراً ومهندساً للآلة هو نفسه آلة، وبدلاً من أن يتحكّم في الآلة والاقتصاد، يكبل نفسه بأغلالهما»^٣.

والحقيقة إنّ سيد قطب بتدوينه كتاب «معالم في الطريق» قدّم منشور التيار الإسلامي الراديكالي. ويرتكز فكره السياسي في هذا الكتاب وبقية مؤلفاته على ثلاثة مفاهيم رئيسية هي: الجاهلية والحاكمية والجماعة، وهي تدلّل بالترتيب على الأفكار العامة للسيورورات الحاكمة على العالم وجاهليتها، وضرورة رسم ملامح المجتمع المثالي

١. سيد قطب، «ادعانا من أي عليه تمدن غرب»، ترجمة: السيد علي الخامنئي والسيد هادي الخامنئي، مشهد: طوس ١٣٥١ صص

٢٦-٢٩.

٢. المصدر نفسه صص ١٥٠-١٤٨.

٣. همان، ٢١٥-٢٠٠.

استناداً إلى مبدأ الحاكمية الإلهية، وبالرجوع إلى البنى الرئيسية للإسلام (القرآن والسنة) ووجوب تشكيل الجماعة الطليعية في النضال والجهاد من أجل تحقيق الحاكمية الإلهية في المجتمع الجاهلي^١.

وفي شرحه لمفهوم الجاهلية يعتقد سيد قطب أنها تقوم على مبدأ معارضة حكومة الله على الأرض. فالجاهلية تصنع من الإنسان حاكماً بدلاً من الله، ومن بعض البشر آلهة. والمجتمعات الشيعوية بإلحادها في الله وإنكار وجوده أصلاً تقيم نظام العبودية فيه للحزب. وبالدرجة الثانية، تدخل المجتمعات اليهودية والنصرانية وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها. فهي - وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله - تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمتها وموازينها وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريباً^٢.

وفي أحد فقرات كتابه «معالم في الطريق» تحت عنوان الجهاد في سبيل الله يقول سيد قطب:

«إن المقصود بمفهوم الجهاد هو جميع معانيه. وليس المقصود به ما أنزله المهزومون إلى حد الحرب الدفاعية، أو محاربة المؤمن لأهواء نفسه وإثاراتها. إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير "الإنسان" ... نوع الإنسان ... في "الأرض" ... كل الأرض .. ثم تقف أمام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان! .. إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد، تخاطبهم بحرية، وهم مطلقوا السراح من جميع تلك المؤثرات ... فهنا لا إكراه في الدين" .. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله، وهو طليق من هذه الأغلال^٣!

ومعنى ذلك أن السيف وسائر المجاهدات الكلامية لازمان في آنٍ معاً، فالدعوة لوحدها لا تكفي للكفاح وإقامة حاكمية الله على الأرض.

للأسف، إن هذا النمط من التفكير لسيد قطب هو الذي مهد لظهور التكفير والتطرف في العنف واستغلال الجماعات المتطرفة لهذا السلاح واللجوء إلى سياسة العنف. وتشدد هذه السياسة على حقوقها ومطالباتها فقط ولا تلقي بالاً لمطالبات الآخرين، وهي لا تطبق أي رؤية معارضة لها، وأن معظم العلماء يخالفون هذا المنهج.

يعتقد سيد قطب أن الإسلام في حالة جهاد دائم، ولا قيود في الدنيا يمكن أن تحد هذا الجهاد، ومن لا يجاهد فعليه أن يشك في إسلامه، لأن المسلم يأبى أن يسجن ويُعذب من قبل الظالمين، وهو لا يسمح لهم أن يفعلوا ذلك. في هذه النقطة يقول: «أولئك الذين يعتقدون أنهم مسلمون ولا يجاهدون ضد أنواع المظالم، ولا

١. منصور مير احمدى، «مقايسه ويزگی معرفت شناختی جریان های فکری سیاسی معاصر در جهان اسلام»، مجلة فصلية

«رهیافت سیاسی و بین الملل»، العدد ٨ شتاء ٢٠٠٦ م صص ١٨٠ - ١٨١.

٢. «پیامبر و فرعون»، المصدر السابق صص ٤٧ - ٤٤.

٣. المصدر نفسه ص ٥٤.

يسعون بجدّ من أجل استعادة الحقوق المعتصبة للمستضعفين والمظلومين في المجتمعات، ولا يحشدون إمكاناتهم وطاقاتهم المادية والمعنوية لمحاربة الطواغيت والمتجبرين، أولئك إمّا مخطئون وإمّا منافقون وإمّا جاهلون بجميع شرائع الإسلام وأصوله ... الإسلام في جوهره حركة تحريرية تبدأ من الضمير وتنتهي بالبيئة الاجتماعية. ولا يُعقل أن يمنح الإسلام أتباعه فكراً صحيحاً ثم يتركهم ليخضعوا للحكومات الطاغية والمستبدة ... أو يسكنوا على الظلم والقهر، سواء أوقع هذا الظلم عليهم أو على المجتمع الإنساني أو في أي نقطة من نقاط الأرض وتحت أي حكومة كانت. قد يؤمن الإنسان إيماناً قليلاً بالإسلام كأيدولوجية ثورية، وفي المقابل يرضخ للنظام الظالم القائم على حبس المصلحين والتنكيل بالثوريين الحقيقيين وتعذيبهم»^١.

والحاصل من ذلك، إنّ البشر إمّا جهلة لا يدافعون عن حاكمية الله في الأرض، وإمّا مسلمون لا ينفكّون عن الجهاد حتى يجتثوا أسس الجهالة وحكومة غير الله.

يعتقد سيد قطب أنّ الأيدولوجية الأجنبية غير مناسبة للبلدان الإسلامية، من جهة فإنّ فشل هذه البلدان الخارجة لتوّها من ربقة الدول الأوروبية وأمريكا التي كانت رمز الديمقراطية، ومن جهة ثانية تبعيتها للدول الاشتراكية التي دعمتها سياسياً وعسكرياً، دفع ببعض هذه البلدان الإسلامية لأنّ تحسن الظنّ بالفكر الاشتراكي فأنجذبت نحوه، ولم يترك زعماء مصر الاشتراكيين أيّ مجال للأيدولوجية الإسلامية، ولهذا، كان سيد قطب بوصفه أحد زعماء الإخوان المسلمين ساخطاً جداً على غربة الأيدولوجية الإسلامية والاستعمار الفكري الذي هيمن على الحكومة المصرية، وكان يفتش عن عيوب الأيدولوجيات الأجنبية ليسلّط عليها الضوء ويعثر على مصادرها التاريخية لكي يبرهن على تباين الظروف والعوامل الروحية والاجتماعية وغيرها بين الشرق والغرب، لذا لا ينبغي تبني أيدولوجيات الغرب لأنّ هذا سيشكل ترقياً مشوهاً^٢.

ما فتأ سيد قطب يعلن تقدّمية الإسلام وسموّ فكره، فقد كان يرى استحالة أن يعمل هذا الدين على إنارة القلوب وهدايتها ومن ثمّ يتركها تُدلّ لحاكمية غير حاكمية الله تعالى، كما لا يمكن له أن يعمّر القلوب ثم يرضى بسكوتها في قبال الظلم، مهما كان نوعه سواء أكان ظلمٌ لشخص أو للبشر في أيّ أرض وتحت أيّ حكم يرضون، وعليه، إذا رأيتهم تفسّي الظلم في المجتمع وقد رفع المظلومين صوتهم للاستغاثة ولم يندفع المسلمون لإغاثةهم ودفع الظلم عنهم، فلا بدّ من التشكيك في جوهر إسلام هؤلاء المسلمين. لذلك، إمّا أن يكون الإسلام في القلوب حقيقياً وإمّا غير حقيقي، فإذا كان حقيقياً فهو إذاً كفاح مستمر وجهاد لا ينقطع، فالإسلام عقيدة ثورية نهضوية^٣.

١. سيد قطب، «اسلام و عملکرد استعمار»، ترجمة: اسد الله محمودي، طهران: ناصر خسرو ١٩٩٨ م ص ١٠.

٢. سيد قطب، «ويژگيهای ايدئولوژی اسلامي»، ترجمة: السيد محمد الخامنئي، طهران: كيهان ١٩٩٠ م صص ٤٢-٤٣.

٣. سيد قطب، «اسلام و استعمار»، ترجمة: محمد جعفر امامي، قم: اميد، بلا تاريخ صص ٨-٩.

يقول، إن الذين يشاهدون بأم أعينهم الظلم والقهر في المجتمع وانتشار الفساد في كل مكان ولا يرفعوا أيديهم لوقفه ولا يحركوا ألسنتهم لمنعه، فيقينا أن نور الإسلام لم يحيي قلوبهم وأرواحهم. فلو كان أحياء لظلت متوهجة منذ اللحظة الأولى الذي دخل نوره المقدس إلى قلوبهم ودفعهم إلى سوح القتال والدفاع، ليتحولوا إلى مجاهدين ومناضلين. إن كل يوم ينقضي دون جهاد وكل ساعة تمر دون نضال وكل لحظة تأزف دون القيام بأعمال ضد هؤلاء، هو في الحقيقة ذنب يعيشه في أعماقه وبنوء بظله على أفكاره ومعتقداته، ذنب لا يكفر عنه إلا بجهاد مستمر وكفاح بلا هوادة^١.

لقد آمن سيد قطب أن الشوائب العقدية والأيدولوجية أقوى من وشائج الوطنية المرتبطة بالرقعة الجغرافية. وكان يطرح مسألة أخرى مهمة وهي إذا اشتبه عمل المرء فتعذر على المسلمين أن يعتبروه مسلماً فإن الإسلام يعطيهم الحق في سلب ماله ونفسه. فاغتيال الرئيس المصري أنور السادات في عام ١٩٨١ م من قبل منظمة الجهاد كان حصيلة هذه الرؤية، حيث رأت أنه بعقده الصلح مع إسرائيل قد خالف الشريعة الإسلامية، كما أن القوانين الوضعية في مصر تتناقض مع هذه الشريعة، وعليه أفتت المنظمة بكفر السادات وحكمت بشرعية اغتياله^٢.

يعتبر سيد قطب إحدى الشخصيات الفريدة في العالم الإسلامي التي رفعت صوتها عالياً لمحاربة الغرب والدفاع عن الإسلام فترددت أصدائه خارج الحدود الجغرافية لبلده، وانتشرت فكرة الجهاد والنضال المستوحية من آرائه في العديد من البلدان الإسلامية مثل إيران وأفغانستان والباكستان وتركيا ... وغيرها. لقد فتحت ترجمة كتبه في إيران في عقد الستينات الباب أمام فضح أهداف الاستعمار والماركسية، وأوقدت شعلة غضب المجاهدين في أفغانستان ضد الشيوعية.

كان قطب يبحث عن الإسلام السياسي الناشط، ويرغب في الوصول إلى الحاكمية، ليتمكن من التصدي للغرب والعالم الشيوعي بالتزام مع تطبيق الشريعة الإسلامية. كان يرى أنه حيثما حقق المسلمون تقدماً وانتصارات، كان ذلك خطوة على طريق تأسيس الحكومة العالمية الإسلامية، وتؤكد على هذه المسألة رسالته إلى آية الله الكاشاني في إيران بمناسبة تأميم الصناعة النفطية، فباقتناده أن حركة تأميم النفط ليست حركة "قومية" بل نهضة إسلامية بزعامة رجل دين. فالاستعمار الغربي يعلم علم اليقين أي مكانة عسكرية وسياسية واقتصادية هائلة ستحظى بها البلاد الإسلامية إذا ما توحدت^٣.

١. المصدر نفسه صص ١٠-١٢.

٢. بيتر مارسدن، «طالبان (جنگ، مذهب و نظم نوین در افغانستان)» طهران: وزارة الخارجية ٢٠٠٠ ص ٨٣.

٣. احمد نجمي، «سيد قطب؛ طلابه دار بيداري اسلامي»، مركز وثائق الثورة الإسلامية، ١٦ أيار/ مايو ٢٠٠٧ م.

لقد كانت مواقف سيد قطب حادةً وهجوميةً للغاية، ففي الوقت الذي كان غالبية فقهاء أهل السنة ولا سيما في العصر الحاضر لا يجيزون الجهاد إلّا في حالة الدفاع عن النفس، كان معظم فقهاء الشيعة الإثني عشرية يحرمون الاجتهاد الابتدائي في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام. كان هناك وفاق في أوساط أهل السنة خاصة في عقد الخمسينات وبعد فتوى الشيخ محمود شلتوت^١ أشهر علمائهم على جواز الجهاد الدفاعي فقط، بمعنى، متى ما تعرّض وجود الأمة الإسلامية للخطر، يجب على جميع أفرادها حينذاك أن ينبروا للجهاد الدفاعي. لقد كان الرأي التقليدي لأهل السنة هو في ظل وجود حكومة إسلامية،

فإن إعلان الجهاد هي مسؤولية الحاكم وذلك بعد التشاور مع العلماء. وفي غياب الحكومة الإسلامية، فإن مسؤولية ذلك تقع على عاتق المرجعيات الدينية والعلماء والمفتين^١.

لقد عمل بعض السلفيين المتطرفين وبتأثير من الأفكار الجهادية لسيد قطب، على تأسيس الأحزاب والجماعات ليقفزوا بذلك على الفتوى التقليدية والمشهورة لعلماء أهل السنة، وشيئاً فشيئاً انتهجوا سياسة العنف حتى وصلوا بها إلى حدّ التطرف. ولتسليط الضوء على هذه النقطة، سوف نتصفّح سيرة بعض الشخصيات المعروفة في هذا التيار للوقوف على نشاطاتها في هذا المجال:

٢.٣. عبد الله عزّام

يعتبر عبد الله عزّام من الرواد الذين سافروا إلى أفغانستان للجهاد ضدّ القوات السوفيتية ونشر أفكاره هناك. كان يعتقد أنّ السبيل الوحيد لإرساء أسس المجتمع الإسلامي هو الجهاد ضدّ أعداء الإسلام، وقد تحوّل إلى واحد من أبرز زعماء الجهاد. في الرابع والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٨٩ م قُتل مع ابنه وهو في طريقه إلى إقامة صلاة الجمعة في مدينة بيشاور الباكستانية^٢.

لقد تأثر عزّام بشدّة بشخصية سيد قطب وكان يطلق عليه "عملاق الفكر الإسلامي". وكان يعتقد أنّ سيد قطب سائر حكومة الثورة لفترة قصيرة بعد عام ١٩٥٢ م لكنّ صدقه ونقائه حالاً دون أن يواصل علاقته مع الحكام السياسيين. واعتبر الجهاد في سبيل الله صفقة مع الله وواجب على كلّ إنسان مؤمن، مؤكداً أنّ لا جهاد بدون قتل وقتال. لقد عبّر عزّام، كما فعل قطب، عن امتعاضه لمراسيم الاحتفال والابتهاج التي أقامها الأمريكان عند انتشار نبأ اغتيال حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين، معتبراً ذلك تصرفاً غير لائق^٣. لطالما كان عزّام يستعرض

١. مهدي بخشي شيخ احمد، «بررسی و عوامل اندیشه ای و عینی شکل گیری القاعده»، أطروحة جامعية لمرحلة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العلامة الطباطبائي، ٢٠٠٦ م ص ١٠٥.

٢. المصدر نفسه صص ١١٦-١١٧.

٣. عبدالله عزّام، «عملاق الفكر الاسلامي»، الشهيد سيد قطب، www.tawhed.ws/r/i/k/75%20gibt.

الخصال التي تميّز بها سيد قطب ومقرراً في الوقت نفسه بأنّ الفضل في الجهاد في أفغانستان يعود لأفكاره وأرائه، وكان يقول في هذا المسألة:

من بين جميع الأعمال والكتب الموجودة في عالمنا اليوم، تمتاز أعمال سيد قطب بمزايا فريدة، لقد كان سيد قطب ناصع الجبين أمام الله لما ترك من تراث إسلامي ثرّ أحيا به الأجيال القادمة. فكل من وطئت قدمه أرض أفغانستان كان يتلمّس الآثار العميقة لأفكار سيد قطب في الجهاد الإسلامي أكثر من أيّ مكان آخر. لم يكن هؤلاء يطلبون ملابس وإن كانوا عراة ولا طعام وإن كان جوعى ولا سلاح، كانوا فقط يطلبون كتب سيد قطب^١.

كان عبد الله عزّام يؤمن أنّ السبيل الوحيد لإقامة الحكومة الإسلامية هو جهاد أعداء الإسلام، لذلك، ومن خلال تلقّيه المساعدات من مختلف البلدان لمواصلة الجهاد في أفغانستان، كان يمهدّ في الواقع لسياسة العنف وإقامة ملتقى جمع كلّ المقاتلين الأجانب المتواجدين في أفغانستان تحت لواء تنظيم القاعدة، فأسس بذلك قوات متطرّفة ذات بأس. وفي الحقيقة، يعدّ عبد الله عزّام من المؤسّسين للحركة الإسلامية الفلسطينية، وكان يهدف إلى تأسيس قاعدة في أفغانستان مهمتها الجهاد في سائر البلدان. بعد الغزو السوفيتي على هذا البلد في عام ١٩٧٩ م سافر إلى بلدان عديدة ليجمع قوة من الشباب للجهاد في أفغانستان، ويمكن القول أنّه كان مدمناً على الجهاد، فقد قال في الوصية التي ألّفها قبل موته، أنّه لم يعد قادراً على العيش بدون الجهاد، كان عزّام أستاذ بن لادن، فقد علّمه أيديولوجية جهادية جديدة، وأضفى عليها هوية إسلامية، ولكن سرعان ما رفع بن لادن وفي وقت مبكر سقّف أهدافه السياسية وذهب بها لمدييات أبعد، عندما قرّر غزو العالم^٢

لقد استطاع عبد الله عزّام من خلال خطبه ودعوته للمسلمين وتهيئة الظروف المناسبة لهجرة الشباب من أجل الدفاع عن المسلمين الأفغان، استطاع أن يستقطب الشباب من جميع أنحاء العالم للذهاب إلى أفغانستان، وما لبث أن تحوّل إلى عنصر أساسي في جمع المساعدات فأسس مكتباً لهذا الغرض في بيشاور في الباكستان، شكّل نقطة الانطلاق إلى المعسكرات في أفغانستان، وكان أحد هؤلاء الشباب هو أسامة بن لادن، الذي حارب إلى جانب المتطوعين العرب لفترة قصيرة، لكنّه بالتوازي مع ذلك، أسّس، على غرار عبد الله عزّام، مكتباً لجمع المساعدات والإعانات الشعبية، وواصل مسيرته على هذا النحو حتى انتقل من الجهاد الأفغاني إلى الجهاد العالمي^٣.

٣.٣. أسامة بن لادن

أحد أبناء الطبقة الارستقراطية له طموح جامع نحو الشهرة، كان له نفوذ واسع في أوساط الأثرياء والشباب العرب وحتى المعارضين للأسرة المالكة لآل سعود. لقد دعت نشاطاته العسكرية والتدريبية ناقوس الخطر في

١. عبدالله عزّام، سيد قطب؛ «عشرون عاما على الشهادة»، www.tawhed.ws/r/i/zeq%20tn.

٢. ميشل بولي، خالد دوران، «بن لادن كيست؟» ترجمة: مهشيد مير معزي، طهران: روزنه ٢٠٠١ م، ص ٣٧.

٣. علي شقير، القاعدة، «نحوه شكل گیری و توسعه عقیدتی / عبدالله عزّام كه بود؟»، صحيفة السفير في لبنان موقع عماد الخبری

الولايات المتحدة والعربية السعودية على السواء، كان ناقماً بشدة على الولايات المتحدة والملك فهد بسبب إدراج أبنائه في قائمة الممنوعين من السفر في المملكة^١.

اعتبر الهجوم على القوات الأمريكية في الظهران حرباً مقدسة وجهاداً، وكان يؤكد على وجوب ترك الجنود الأمريكيان لأرض العربية السعودية، لأنهم غير مسلمين، وكان يجيز لنفسه استهداف المصالح الأمريكية في خارج الولايات المتحدة بما في ذلك السفارات الأمريكية ما دامت هذه القوات متواجدة على أرض المملكة السعودية. كان يعتقد أن أبناء الأربعة محتجزين في العربية السعودية بأوامر من الولايات المتحدة، فكيف له أن يظل ساكناً أمام فهد وأمريكا؟

في خضم المواجهة ضد الولايات المتحدة، بدأت ترسم معالم جديدة لسياسة العنف شيئاً فشيئاً، لتأخذ طابعاً عالمياً. وأغلب الظن أن عداء بن لادن للغرب كان سيظهر حتى بدون تواجد القوات العسكرية الأمريكية في العربية السعودية، فقد درس بن لادن على تلامذة سيد قطب، واطلع على كتاباته، ثم أصبح في نهاية المطاف عدواً لأمريكا^٢. كان يطلق مصطلح "علماء السلطان" على بعض العلماء السعوديين مثل ابن باز ومحمد بن الصالح العثيمين لعدم معارضتهم الوجود الأمريكي على أرض بلادهم ودعمهم له^٣.

صدر عن ابن لادن بيانان سعى فيهما إلى قدسنة سياسة العنف، البيان الأول في ٢٦ آب/ أغسطس عام ١٩٩٦ م تحت عنوان «إعلان الجهاد ضد الولايات المتحدة المحتلة التي تحتل بلدين مقدسين» والنظام السعودي الذي تنكّر للشريعة الإسلامية وسمح للقوات الأجنبية باحتلال البلاد^٤.

أما البيان الثاني فقد صدر في ٢٣ شباط/ فبراير عام ١٩٩٨ م تحت عنوان «الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والنصارى» وجاء فيه أنه لسنوات طويلة والولايات المتحدة تحتل أقدس بقاع الإسلام وهي شبه الجزيرة العربية، فتنهب ثروات هذا البلد، وتتحكّم بمصير حكّامه وتستتهين بشعبه، كما أنه بسبب العقوبات الاقتصادية الذي تفرضه الولايات المتحدة على العراق قُتل ما يزيد على مليون شخص في هذا البلد، والهدف الرئيسي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه هو حماية الدولة اليهودية وحرف الرأي العام عن قضية فلسطين والمذابح التي تُرتكب هناك، لذلك، فإن الجهاد هو الردّ الوحيد المناسب للمسلمين على هذه الخيانة^٥.

١. عبد القيوم فدوى، «اسامه بن لادن و ماجراها»، كابل: مفاخر، ٢٠٠٢ م ص ٤١

٢. المصدر نفسه ص ٥٠.

٣. عصام العماد، «جريانهاى جديد وهابيت»

٤. وحيد مزده، «جرا طالبان به ملاكشى روى آوردهاند؟»

٥. شيخ احمد، المصدر السابق، ص ١٢١.

٦. المصدر نفسه صص ١٢١-١٢٢.

وهكذا، بدأ المتطرفون بعملة أفكارهم لتصبح سياسة العنف أكثر عمقاً وارتكازاً. في عام ١٩٩٥ م أرادوا أن يجربوا حظهم على الصعيد العالمي لأول مرة من خلال القيام بعملية اغتيال لكنّ العملية الأولى لم يكتب لها النجاح، فقد خططوا لتفجير السفارة المصرية في إسلام آباد عاصمة باكستان، وخططوا كذلك لتفجير منطقة خان الخليلي السياحية في القاهرة، لكنّ العملية فشلت بسبب تأخر وصول المهاجمين.

بعد ذلك، وفي آب/ أغسطس من عام ١٩٩٨ م، قاموا بعمليات إرهابية في سفارتي الولايات المتحدة في دار السلام ونايروبي، كان هدف العملية استهداف ستّة أمريكيين، إلّا أنّهم أضافوا إلى هذا الرقم مئات الضحايا من السكان المحليين الأفارقة^١.

وبدأت سياسة العنف لابن لادن والمقربين منه مثل أيمن الظواهري تنزع نحو ارتكاب مذابح عالمية ومدمّرة. وهنا تلقى نظرة سريعة على دور أيمن الظواهري ومشاركته في هذه الحلقة المفرغة من العنف على صعيد السياسات الداخلية والخارجية للمتطرفين التكفيريين.

٣.٤. أيمن الظواهري

في حياة أسامة بن لادن، كان أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، ثم أصبح اليوم زعيم التنظيم والرجل الأول فيه بعد مقتل بن لادن. في عام ١٩٩٣ م تزعم جماعة الجهاد، وبعد أن تعرّف على بن لادن انضوت جماعته تحت لواء تنظيم القاعدة وذلك في عام ١٩٩٨ م، فاكتمل الفكر الراديكالي زخماً مضاعفاً، وما يزال الظواهري يمارس دوره كزعيم للقاعدة^٢.

يعتقد الظواهري أنّه لمّا كانت الأجواء في البلدان العربية غير مناسبة لحروب العصابات، لذلك من الضروري أن ينقل المجاهدون خطواتهم السياسية إلى قلب الجماهير، فينفذوا العمليات الانتحارية المناهضة للأنظمة العلمانية داخل المدن، وبالتزامن مع ذلك يوجهوا حملاتهم ضدّ الأعداء الأجانب عنيت إسرائيل والولايات المتحدة وذلك لزيادة الدعم العام لهم. في الحقيقة، يمكن توظيف سياسة العنف كأسلوب مدوّي يمكن لفئة صغيرة متطرّقة من خلاله أن تشعل جهاداً عظيماً ضدّ الكفار فتكسب دعم الجماهير المسلمة وتأييدها^٣. وفي مقابلة صحفية أجراها معه أحد الصحفيين الأكراد قال أيمن الظواهري: إنّ أفراد الجيش والشرطة العراقية مرتدون ولا يوجد أدنى شكّ في جواز قتلهم، وكل من يساعد الولايات المتحدة دمه مباح. وخلال المقابلة المذكورة أعرب الظواهري عن

١. ميشل بولي و خالد دوران، المصدر السابق ص ٤١

٢. منصور ميراحمدى، المصدر السابق ص ١٨٢

٣. يعقوب نعمتي وروجني، «القاعدة، تاريخه و ريشه هاى فكرى»

سروره للحرب ضدّ الولايات المتحدة قائلاً: «لقد فُصم ظهر الولايات المتحدة والعراق على يد المجاهدين، إنهم لا يعلنون عن خسائرهم، إننا سنجاهد حتى آخر مجاهد سواء في داخل الولايات المتحدة أو خارجها»^١.

وحول أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر قال:

«لقد قصمت تلك الأحداث ظهر أمريكا الصليبية فجعلتها تحار في أمرها ولذلك أرسلت جيوشها إلى كل نقطة في العالم للقضاء على ما تسميه القاعدة. لأنّ القاعدة تحوّلت إلى أحد الأصول بالنسبة للجهاد الإسلامي».

برأي الظواهري أنّه لا بدّ من نقل الجهاد إلى الساحة الدولية وعلى عدّة جبهات لا سيّما الولايات المتحدة وحلفائها أي إسرائيل والأنظمة العلمانية في الشرق الأوسط^٢.

لقد لعب الظواهري إلى جانب بن لادن دوراً مؤثراً للغاية في تقوية تنظيم القاعدة ومساعدة زعيمه. ومن منطلق إيمانه بأنّ المعركة أصبحت عالمية يستعرض عدّة وظائف للمتطرفين التكفيريين هي كالتالي:

«الثبات على الأصول العقديّة، التقرب أكثر من الجماهير، الولاء لفكرة إقامة الدولة الإسلامية في جميع أرجاء العالم، اختيار استراتيجيات مختلفة لمراحل الصراع المتعدّدة، عدم اليأس، محاربة الحركة الإسلامية وطلّاعها الجهادية للأعداء الأصليين وهم الولايات المتحدة وروسيا وإسرائيل، نقل المعركة مع الاتحاد اليهودي النصراني إلى نقاط العالم كافة، الوحدة في مقابل العدو الواحد، تجديد التنظيم ودعم الدول المناضلة، تغيير أساليب الجهاد»^٣. بعد موت بن لادن، قام أيمن الظواهري بوصفه الرجل الأول في تنظيم القاعدة إلى جانب السلفيين في سورية بدعم المعارضين للحكومة السورية والقتال إلى جانبهم ضدّ قوات بشار الأسد. وقد اقتضت الظروف هذه المرة أن يحارب تنظيم القاعدة العدو القريب. كان هدف الظواهري والقاعدة هو، بالإضافة إلى إسقاط نظام بشار الأسد وجميع الأنظمة العلمانية الموالية للغرب، مواصلة الحرب ضدّ الغرب في جميع أنحاء العالم.

٤. الظروف الموضوعية لسياسة العنف

لا شك في أنّ سياسة العنف تحتاج إلى ظروف موضوعية خاصة لكي تنشأ وتترعرع فيها، وبالنسبة للعالم الإسلامي، فإنّ هذه السياسة نشأت في ظلّ سلوكيات ساهمت بعض العوامل والدول في المنطقة وخارجها في بلورتها تجاه البلدان الإسلامية. في الحقيقة، إنّ سلوكيات هذه الدول على الصعيدين الإقليمي والدولي هيّأت الأرضية لبلورة سياسة العنف. سنناقش في هذا الجزء من المقال دور هذه الدول في التهيئة لسياسة العنف في بعض البلدان الإسلامية. بعبارة أخرى، سنتناول الصيرورة التي تشكّلت على مرّ الزمن، لأنّ أبعاد سياسة العنف تتبلور مع الوقت.

١. جامعه اهل سنت غرب ٢٠١٠م 172 - post / 20 / 40 / 7831 .Com .Blogsky .http://

٢. المصدر نفسه.

٣. شيخ احمد، المصدر السابق، الصفحات ٧٠-٧٣.

١.٤. الولايات المتحدة وبعض البلدان الغربية

عدا الدعم الغربي للصهاينة، يضاف عامل الاستعمار إلى العوامل الأخرى التي أدت إلى استئثار ردة فعل عنيفة ضدّ الغرب من قبل بعض الجماعات في البلدان الإسلامية. فحين تبين أنّ الدول الغربية كلّها متواطئة في الاعتداء على الشرق، وأنّ مزاعمها في الحرية مجرد خدعة استعمارية، برزت آثار التشكيك لدى المسلمين والبلدان العربية في الحضارة والقيم الغربية، وترسخ هذا الظنّ رويداً رويداً من أنّ الأدب والفلسفة والفن والموضة الغربية ما هي إلّا واجهات لتثبيت الهيمنة السياسية للغرب، فبدأت الحملة الاستعمارية الغربية على العالم الإسلامي تأخذ أشكالاً جديدة من الحروب الصليبية^١.

يعتقد المسلمون أنّ سيطرة الغرب على البلاد الإسلامية تمتّ بعد أن نشر ثقافته في أوساط المسلمين، ونفذ إلى أصولهم الدينية وسننهم العريقة. ولهذا السبب فإنّ الشرط الأول لانتصارهم هو محاربة الاستعمار ونبذ الثقافة الغربية. لقد طرح المفكّرون المسلمون ومن بينهم سيد قطب هذه المسألة، كما مرّ شرحه، وهي أنّ الوصفتين الرأسمالية والشيوعية لا تناسبان البلدان الإسلامية^٢.

لقد ترتّب على الحضور الاستعماري الغربي في بلدان المنطقة تبعيّة حكّام هذه البلدان للدول الاستعمارية ما يعني غياب العدالة والحرية والديمقراطية في هذه المجتمعات. كما أدّت هذه الظاهرة إلى فقدان الأمة الإسلامية لعزّتها وكبرياتها، وتزايد السخط وعدم الرضا. ومن نتائج فشل النماذج الإرشادية والأيدولوجيات الغربية والشرقية مثل الليبرالية والاشتراكية والشيوعية في المجتمعات الإسلامية ظهور حاضنة لنشأة الراديكالية والتطرّف وسياسة العنف.

لقد أبدت الليبرالية الإسلامية مهادنة للغرب، وسارعت إلى مسانقتها في ذروة الصعود الاستعماري، بينما لم تكن عاقبة الاشتراكية العربية في حال أفضل حيث تسبّبت في اقتطاع المزيد من أراضي البلدان الإسلامية من قبل إسرائيل والبلدان الغربية، وتمخّض عن ذلك ظهور طبقة نخبوية جديدة وازدياد أعداد السجناء السياسيين والإسلاميين، ما ترتّب عليه حاكمية الفساد والتضييق على الحريات المدنية^٣.

ظلّت اقتصادات البلدان الإسلامية خاضعة لهيمنة القوى الصناعية، وعلى حدّ تعبير لينين

«يملك الرأسمال سلطة كبيرة بحيث يمكن القول أنّ له نفوذاً حاسماً في جميع المفاصل الاقتصادية والدولية يتيح له إخضاع حتى الدول المستقلة سياسياً لنفوذه^٤. وحتى في البلدان التي كانت تحكمها حكومات شعبية ترفض

١. حميد عنايت، «سيري در اندیشه سياسي عرب»، ط. ٣، طهران: سپهر، ١٩٨٤ م صص ٢٤٣.

٢. المصدر نفسه ص ٢٤٤

٣. اسماعيلي، المصدر السابق، صص ٤٠ - ٤٤.

٤. جاك ووديس، «مقدمه اي بر استعمار نو»، ترجمة: سعيد روحاني، طهران: پيروز، ١٩٨٠ م صص ٤٨ - ١٤٠.

الهيمنة الغربية فإنّ الخطر كان محدقاً بالجميع من كلّ الأطراف^١، إنّ فرض شروط الحرب والسلام على البلدان له تاريخ طويل، فالقوى الكبرى بما تملك من «قوات التدخل السريع» و «نصب الصواريخ الحديثة متعدّدة الرؤوس النووية» ومتعدّدة التطبيقات ذات التقنية المتطوّرة جداً والقدرة التدميرية الهائلة، ومباغطة العالم والسيطرة العسكرية عليه من خلال امتلاك تقنية حربية معقّدة، أقول أصبحت هذه القوى قادرة على الاحتلال العسكري للبلدان وحقول النفط والمناجم والمصافي والمصانع الكبرى والطرق المائية والنقاط الاستراتيجية في العالم وفي وقت قصير جداً^٢.

ولا ننسى كيف شنّ النظام البعثي في العراق حرباً على إيران ومن ثمّ على الكويت من خلال الضوء الأخضر الذي أعطته هذه البلدان القوية أو من خلال صمتها وذلك من أجل تحقيق مصالحها والسيطرة على المزيد من ثروات البلدان الإسلامية، هذا في حين أنّه كان بإمكانها تجنّب وقوع هذه الحوادث عبر إطلاق التحذيرات الجدية للرئيس العراقي المقبور صدام حسين، لكنّها لم تفعل ذلك بغرض تعزيز تواجدتها في منطقة الشرق الأوسط والهيمنة بشكل أكبر على الثروات والمناجم في البلدان الإسلامية. في هذا السياق، ومع تبلور نظرة سلبية لدى المسلمين تجاه الولايات المتحدة والغرب، استغلّت الجماعات السلفية المتطرّقة هذه الأوضاع وراحت تستقطب بعض الأفراد، واعتبرت أنّ سياسة العنف هي الحل المناسب للتعامل مع الغرب والحكومات الموالية له.

والجدير بالذكر أنّ بين الساسة الأمريكيان من يعتقد بخطأ سياسة محاربة الإرهاب التي تتبعها بلادهم واصفين هذه السياسة بـ «خطر دخول الولايات المتحدة إلى العالم الإسلامي»، لأنّها أدت إلى ظهور مواقف وتوجّهات معادية للأمريكان والإرهاب. وعلى هذا الأساس، يعترف الأمريكيان أنفسهم بشكل أو بآخر بأنّ سياستهم في العالم الإسلامي أفضت إلى تقوية سياسة العنف للتيارات التكفيرية. يقول «ريتشارد كلارك» تحت عنوان:

«لقد خلق ريغان معادلات جديدة من خلال مواجهته للاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وإرسال قوات إلى الخليج الفارسي وتعزيز قدرة إسرائيل كقاعدة لقوات جنوب أمريكا في مقابل الاتحاد السوفيتي. لقد أدّى الحظر النفطي الذي فرضه العرب على الولايات المتحدة في عام ١٩٧٣ م إلى أن تعي هذه الأخيرة أهمية منطقة الخليج الفارسي على الصعيد العالمي. إنّ علاقاتنا المميزة بإسرائيل ... أغضبت الشعوب العربية فنجم عن ذلك ظهور جماعات إرهابية معادية للولايات المتحدة»^٣.

وفي تخطّئه لسياسات حكومته في مكافحة الإرهاب يقول هذا المسؤول الأمريكي الكبير:

١. المصدر نفسه ص ١٤١.

٢. رضا آيرملو، «استراتژی استعمار نو»، طهران: سپهر، ١٩٨٧ م صص ٥٤-٥٥.

٣. ريتشارد. آ. كلارك، «عليه همه دشمنان (جنگ داخلی آمریکا با ترور)»، ترجمة: كيوان افخمى نيا طهران: روشنگران و

مطالعات زنان ٢٠٠٥ م صص ٦٠-٧٤)

«بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر لم يكن احتلال العراق يشكّل ضرورة، كان على الرئيس الأمريكي أن يعالج نقاط الضعف الداخلية أولاً وتعزيز الأمن القومي الأمريكي، ومن ثمّ الشروع في خطوات لمواجهة أيديولوجية القاعدة في أنحاء العالم كافة، وبمساعدة الدول الصديقة من أجل استتصال جذور تنظيم القاعدة وتجفيف منابعه المالية...»^١.

لقد دعمت الولايات المتحدة تنظيم القاعدة أثناء غزو الاتحاد السوفيتي السابق لأفغانستان من أجل إضعاف الشيوعية وذلك عبر إرسال صواريخ ستينجر المضادة للطائرات إلى أسامة بن لادن وإرسال مساعدات مالية إليه عبر بنك الاستثمار الدولي في أفغانستان، ومن جهة أخرى كان دعمها للقاعدة يدخل في نطاق تحجيم إيران وأيديولوجية الثورة الإسلامية، عن طريق إيصال المساعدات إلى الحركات الراديكالية المعادية للشيعة مثل القاعدة. الهدف الآخر لواشنطن من دعم تنظيم القاعدة كان تغيير بوصلة الصراع في الشرق الأوسط من فلسطين إلى أفغانستان واعتبارها بؤرة الصراع الجديدة^٢. كما استطاعت الولايات المتحدة إلى حدّ بعيد أن تلحق دولاً عربية عديدة مثل العربية السعودية ومصر بجهة القوى المعادية للروس، لكنّها لم تأخذ في اعتبارها ماذا سيكون مصير السلفيين الإرهابيين بعد انسحاب روسية من أفغانستان.

على الرغم من أنّ السلفيين المتطرفين كانوا يكتون كرهاً شديداً للأيديولوجية الغربية، إلّا أنّهم مع ذلك استلموا صواريخ ستينجر من الولايات المتحدة لمواجهة العدو المشترك، عنيتُ الاتحاد السوفيتي. ففي الوقت الذي كانوا يصرّحون بتصريحات معادية للأمريكان، كانوا يتسلّمون الأسلحة منها، فحتى عندما كان عبد الله عزّام في الولايات المتحدة لجمع التبرعات من رفاقه في النضال، لم يكفّ عن توجيه الانتقادات لهذا البلد^٣.

بناءً عليه، وعلى الرغم من تلقّيهم المساعدات من الولايات المتحدة في مرحلة سابقة وبسبب انتهاء المصالح المشتركة التي كانت تجمعهما بمرور الوقت، وجّه السلفيون المتطرفون أسنة حراهم صوب الولايات المتحدة بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان مباشرة لاعتقادهم أنّها الداعم الرئيسي للأنظمة العلمانية في البلدان الإسلامية ومسؤولة عن أعمال العنف التي تقوم بها إسرائيل.

٤.٢. بعض البلدان الإسلامية

بالإضافة إلى الولايات المتحدة وبعض البلدان الأوروبية، لا يخفى الدور المؤثّر الذي لعبته بعض البلدان الإسلامية في مجال التمهيد لسياسة العنف في العالم الإسلامي. وتأتي العربية السعودية في مقدمة هذه البلدان، وبالدرجة الثانية يمكن الحديث عن دور الباكستان في هذا الموضوع.

١. (المصدر نفسه ص ٣٠٩)

٢. حميد رضا اسماعيلي، «القاعدة؛ از پندار تا پديدار»، طهران انديشه سازان نور ٢٠٠٧ م صص ٥٨ - ٥٩.

٣. ميشل بولي و خالد دوران المصدر السابق ص ٤٧

كان هدف العربية السعودية من دعم التيار التكفيري هو مواجهة النفوذ السياسي والديني لإيران، وتعزيز مركز السعودية بوصفها داعية الخلافة الإسلامية وقطب العالم الإسلامي، وفي الحقيقة كان دور السعودية مهماً جداً في ترسيخ سياسة العنف وذلك في إطار سعيها الحثيث في ضخّ الدعم المالي والتعليم الديني إلى جانب تقديم المشورة إلى المسؤولين الأمريكيين لشراء السلاح الذي يحتاجه تنظيم القاعدة. وبهذه السياسة استطاعت السعودية تصدير أزمتهما من الداخل إلى الخارج حتى تستريح من المتاعب المحتملة التي قد يتسبب بها بن لادن والقاعدة في المستقبل^١.

ليس للعربية السعودية تخصيصات مالية للشبكات الإرهابية، غير أن الأربعة آلاف أمير الذين يحكمون البلاد يدعمون الحركات الإسلامية مالياً. وقد قامت السعودية باستحداث شبكة مصرفية بهدف تقديم الدعم المالي لمشروعات التنمية في الدول الفقيرة، في مقابل شرط واحد وهو أن لا تضع تلك البلدان العراقيل أمام نشر المذهب الحنبلي على أراضيها^٢.

ويوفّر تأسيس الجمعيات الخيرية المدعومة من قبل السعوديين في الولايات المتحدة وسائر نقاط العالم الأرضية لتعزيز سياسة العنف والتيارات التكفيرية وتأمين الاعتبارات المالية للإرهابيين. وفي هذا الإطار أجبرت الولايات المتحدة المسؤولين السعوديين على تعطيل بعض تلك الجمعيات. ففي عام ٢٠٠٤ أعلن المسؤولون الأمريكيين والسعوديون خلال مؤتمر صحفي مشترك عقد في واشنطن تعطيل خمسة فروع لمؤسسة «الحرمين» وهي إحدى الجمعيات الخيرية السعودية المعروفة، ثم أعقب هذه الخطوة تعطيل عشرة فروع في مختلف أنحاء العالم، بدءاً بأندونيسيا وانتهاءً بهولندا وذلك بتهمة تقديم الدعم المالي للإرهابيين. وقامت هذه المؤسسة ببناء المئات من المساجد وكانت تدير عدداً من دور الأيتام، بالإضافة إلى تجهيز عدد من المستوصفات والمشافي^٣.

باكستان أيضاً لعبت دوراً مهماً في خلق الظروف المناسبة لسياسة العنف. فبعد هزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان وانسحاب قواته من هذا البلد في عام ١٩٧٩ م، همّت القبائل الأفغانية بإسقاط النظام العميل للروس في كابول والاستيلاء على السلطة.

١. ميشل بولي و خالد دوران، المصدر السابق ص ٤١.

٢. جان شارل بريزار، «بن لادن؛ حقيقت ممنوع»، ترجمة: عبدالحسين نيك گهر، طهران: آگاه ٢٠٠٢ م ص ٨٧.

٣. روجر هاردي، «جهاد و دلارهای نفتی عربستان»، <http://islamworld0202.persianblog.ir/post/711>.

وقد وُظِّفت وزارة الاستخبارات الباكستانية التي كان لها نفوذ واسع في أفغانستان، قدراتها لإحلال القوة الجديدة، عنيت طالبان محل النظام السابق.^١

كانت المساعدات المقدّمة من قبل الولايات المتحدة تصل إلى المقاتلين الأفغان عبر جهاز الاستخبارات الباكستانية، وقد ارتفعت من ٣٥ مليون دولار في عام ١٩٨٢ م إلى ٦٠٠ مليون دولار في عام ١٩٨٧ م، وشملت هذه المساعدات التدريبات الأولية لهؤلاء المقاتلين على يد خبراء من الولايات المتحدة والباكستان وتعليمهم كيفية استخدام الأسلحة المتطورة، وكانت صواريخ ستينجر تُهْرَبُ إلى أفغانستان حتى أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٦ م. بالإضافة إلى الدعم الأمريكي، كان جهاز الاستخبارات في الجيش الباكستاني يتلقّى المساعدات المالية من العربية السعودية ومن جهات أخرى أيضاً، لتقوم بمهمّتها في تنظيم القبائل الأفغانية والمتطوعين العرب القادمين من المنطقة.^٢

كانت الباكستان تأمل من خلال وصول دولة دينية سنّية في أفغانستان أن تتمكن من إيجاد حل ينهي نزاعاتها الحدودية مع هذا البلد على منطقة پشتونستان التي استولت عليها الحكومة الباكستانية طبقاً لمعاهد ديوراند^٣ بضغط من الإنجليز، وكانت الحكومات الأفغانية المتعاقبة تطالب بضمّها إلى سيادتها، وأتاح وصول جماعة طالبان إلى السلطة فرصة للباكستانيين ليعملوا على إثناء الأفغان قضية پشتونستان وقد دعمت الجماعة هذه السياسة. أمّا الأهداف الأخرى للباكستان فتتمثّلت في المصالح الاقتصادية وعبور البضائع والطاقة، والمنافسة مع الهند والتصدّي لنفوذ إيران ومواكبة الغرب لا سيّما الولايات المتحدة، ونشر الراديكالية السلفية وتأسيس المدارس الدينية وتقديم الدعم لها.^٤

٣.٤.٢. تركية

لقد دعمت تركية وبعض البلدان العربية مثل قطر والأردن والعربية السعودية التيار التكفيري وبقية المعارضين لحكومة بشار الأسد خلال الأزمة السورية. فبعد الغزو العسكري الأمريكي للعراق توحدت الحركة السلفية السورية مع الحركة السلفية العراقية في قتال المحتلين وإعلان الجهاد، وبعد أن بدأت القوى العربية السنية في المنطقة مثل السعودية وقطر بإرسال مساعداتها العسكرية والمالية إلى معارضي بشار الأسد، تحوّل الجاران السنيان الأخران لسورية عنيت تركية والأردن إلى معابر لإيصال تلك المساعدات لأولئك المعارضين، وتقاطرت الجماعات التكفيرية في المنطقة على سورية.^٥ وفي تلك الأثناء أكد وزير الخارجية التركي على أن شرق أوسط جديد في طور التبلور، وصرّح: «نحن أصحاب هذا الشرق الأوسط الجديد وطلانعه والساھرون عليه». وسمحت تركيا

١. ريتشارد. آ. كلارك، المصدر السابق ص ٨٢

٢. المصدر نفسه ص ٧٨

٣. اسماعيلي المصدر السابق ص ٦٠

٤. سلفي گرايي در سوریه و آينده بحران، معهد دراسات العلاقات الدولية www.riirpolitics.com

للمعارضين السوريين بفتح مكاتب لهم في أسطنبول وتدريبهم على السلاح وتزويدهم بالتجهيزات العسكرية. كان هدفها النهائي إقامة نموذج سني محض في سورية، لذلك كانت تشجّع على المواجهة مع الحكومة العلوية السورية. من ناحية ثانية، كانت تستحضر المنافسة التاريخية والجيوسياسية مع إيران في سورية، وكان أهمّ دافع لتركيا في دعم المعارضين السوريين هو الدافع القومي ودعم السنة^١.

قطر. ٢٠١٤، ٤

تلعب دولة قطر دوراً مشبوهاً في التطورات الجديدة في المنطقة، وهي إحدى البلدان التي تقود التيار السلفي. المذهب الرسمي فيها هو المذهب الوهابي، لكنّها في صراع وعداء مع العربية السعودية. تأوي قطر زعماء مثل القرضاوي وهو سلفي اجتهادي وتفصله عن الوهابية السعودية مسافة كبيرة. وهي تتوق إلى الخروج من مظلة العربية السعودية إذا شعرت بعدم وجود تهديد من جانب إيران. لذلك، ينبغي للسياسة الخارجية الإيرانية أن تزيد من اهتمامها بهذه الدولة. لدولة قطر علاقات وثيقة مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة ما وفر لها قوة أكبر لدعم سياسة العنف. لقد أوجدت هذه الدولة بدعم من الولايات المتحدة نطاقاً أمنياً حولها، وأكثر من ذلك، كان لها الدور الأهم في توفير الدعم المالي والتسليحي المباشر للسلفيين التكفيريين في سورية. وفي إطار دعم سياسة العنف، أسست قطر والسعودية وتركيا قواعد لتدريب المقاتلين (التكفيريين وغير التكفيريين) وإرسالهم إلى الأراضي السورية. وينتمي هؤلاء المقاتلين إلى مختلف البلدان الإسلامية والعربية، ويتلقون تدريباً على يد القوات الأمريكية والتركية، ثمّ يتم إرسالهم إلى سورية لتنفيذ مخططاتهم في مقابل منحهم مكافآت مجزية. كما أوجدت [هذه الدول] محطات لنقل السلاح إلى داخل سورية، من جملتها المناطق الخاضعة لسيطرة رئيس تيار المستقبل في لبنان سعد الحريري وسمير جعجع رئيس القوات اللبنانية، وبتمويل من العربية السعودية وقطر^٢.

٥. مستويات سياسة العنف

يتفق أنصار التيار التكفيري على وجوب تطبيق سياسة العنف على مستويين رئيسيين، وهم إن اختلفوا على أولوية كل مستوى، لكنهم لا يخرجون عن جواز اتباع هذه السياسة على هذين المستويين.

٥.١. المستوى الإقليمي

يتبنّى التيار التكفيري، قياساً بسائر المذاهب الإسلامية، رؤية شمولية تتعارض مع المسار التقليدي أو الحديث في الانفتاح على الحوار والتعامل، ويتخذ سياسة قاطعة عبر الرفض غير العقلاني لجميع البدائل. يحاول هذا التيار فرض نفسه على المجتمعات الإسلامية من خلال دغدغة بعض العناصر الإسلامية مثل الجهاد أو توظيف الدعم القومي. إنّ التأثيرات المفجعة التي تسببت بها سياسة العنف جعلت من التيار التكفيري الوارث لحلقة العنف الباطلة

١. «چرا ترکیه به دنبال تغییر رژیم در سوریه است؟ الأربعاء ٢٠١٤. <http://www.farsnews.com>

٢. داوود فيرحي، «مسائل جهان اسلام و تحولات اخیر كشورهای عربی از نقطه نظرات مختلف»

٣. قطر در رؤیای دستیابی به قدرت منطقه‌ای، نقلًا عن صحيفة جمهوری اسلامی ٢١ / ١٢ / ٢٠١١ م. www.bashgah.net

في العلاقات السياسية والاجتماعية. لقد شكّلت تجربة طالبان في أفغانستان ومفاهيمهم عن الإسلام والجهاد والتحوّلات الاجتماعية في هذا البلد أمراً غريباً وغير مألوف، ذلك أنّ ظهور هذه الحركة لا يشبه أياً من الجماعات الرئيسية الإسلامية التي عملت طيلة فترة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان. لقد خلق سقوط مشروعية جميع التيارات إبّان الصراع على السلطة فراغاً أيديولوجياً مهدّ لظهور حركة طالبان التي تبنت قراءتها الخاصة عن الإسلام ورفضت كلّ القراءات الأخرى.^١

كان سقوط نظام نجيب الله الموالي للروس في أفغانستان يؤذن بنهاية حقبة البشتونية، لكنّها بعثت من جديد مع ظهور حركة طالبان، وبالنتيجة تحوّلت أفغانستان إلى أرض الإرهاب ومحاربة التمرد والحضارة في العالم. لقد نفذت دوامة العنف المفرغة في هذا البلد والتي لم تخلّف سوى الفشل إلى أعماق العلاقات الاجتماعية والطبقات الداخلية للمجتمع الأفغاني. وقد تجسّد هذا العنف في الصورة التي نُشرت على غلاف مجلة تايم الأمريكية لسيدة أفغانية اسمها عائشة تبلغ من العمر ١٨ سنة، وقد تزوّجت في سن مبكرة وتعرّضت للتعذيب من قبل أسرة زوجها ما اضطرّها إلى الفرار، فقضت محكمة طالبان بجذع أنفها وقطع أذنها على فعلتها تلك، على أن يقوم زوجها بتنفيذ هذه العقوبة.^٢

يشكّل تأثير سياسة العنف على المجتمع الأفغاني من خلال زرع الهلع والفرع في إطار تطبيق أهداف طالبان وآراءها الدينية ظاهرة عامة سرت في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية. لقد رسّخت طالبان حكمها عبر توظيف العنف كأداة رئيسية بيد الحكومة. وتسبّب هذا التزمّت الطالباني بنزاعات خطيرة في داخل أفغانستان وخارجها، على سبيل المثال، احتجازها للدبلوماسيين وأحد الصحفيين وعمال الإغاثة الإيرانيين وضربها للمعاهدات الدولية وبروتوكول الحصانة الدبلوماسية عرض الحائط، وقامت طالبان بهذا العمل في ١١ آب/أغسطس عام ١٩٩٨ م وذلك خلال هجوم نفذته على القنصلية الإيرانية في مدينة مزار شريف قُتل على أثره ٨ دبلوماسيين وصحفي إيراني.^٣ كان لهذه الأعمال وقعاً سيئاً عكس وحشية سياسة العنف التي تنفذها طالبان داخل المجتمع الأفغاني وفي المنطقة.

كما أنّ الهجوم الإرهابي الذي وقع في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر دفع الولايات المتحدة وحلف الناتو إلى احتلال أفغانستان بذريعة محاربة الإرهاب، وقد أنهى هذا الاحتلال حكم طالبان في أفغانستان، لكنّه لم يستطع إنهاء أسباب عدم الاستقرار والعمليات الانتحارية لطالبان.

١. احمد رشيد، «طالبان، اسلام، نفت و بازي بزرگ جديد»، ترجمة: اسد الله نشايي و صادق باقري، طهران: دانش هستي ٢٠٠٠ م صص ١٤٣-١٤٤.

٢. (ن. م آرمانيور، بديختي افغانستان را بايد در وابستگي پشتونيسم به استعمار جستجو نمود، آذار/مارس ٢٠٠٩ م.

٣. علي خسرو شيري، شهادت ديپلمات هاي ايراني در افغانستان، ٢٠٠٨ م، مركز وثائق الثورة الإسلامية ٢٠١٠ م.

ولا يخفى على أحد استخدام طالبان لسياسة العنف وزرع الرعب والفرع في الشعب الأفغاني، حيث أغلقت مراراً طريق كابول - غزنة وقامت بتفتيش السيارات والتحقيق مع المسافرين. وكانت تُنزل النساء والفتيات اللائي لا يلتزمن بلبس «البرقع» من السيارة وتقيم عليهن الحدّ بجلدهن^١.

وعلى هذا النحو، استمرت سياسة العنف للتيار التكفيري في سائر البلدان الإسلامية، حيث أعلن المقبور أبو مصعب الزرقاوي العقل المدبّر لسلسلة العمليات الانتحارية في كربلاء الحرب على الشيعة بشكل صريح. ونفس السياسة تمّ اتباعها في سورية أيضاً، وكان الزرقاوي يعتقد بوجود مسافة تفصل بين الكفر والإيمان في الشام، ولا بدّ من السعي للحصول على موطن قدم هناك، وكان يعتبر الشيعة مفتاح النجاح بالنسبة للتيار التكفيري في العالم، وكان يقول إذا نجحنا في جرّ الشيعة إلى حرب مذهبية، حينئذ يمكن إيقاظ أهل السنّة الغافلين وجرّهم إلى ساحة القتال^٢.

تستحضر هذه المسألة في ذهن إحدى الخصوصيات المهمة في سياسة العنف لهذا التيار: الانتحار وزرع العبوات الناسفة في أوساط الشيعة لاستقطاب أهل السنّة والتأثير عليهم. أحياناً يقوم الإرهابيون بزرع الفرع والهلع بين الناس الأبرياء، واستهدافهم لإيصال رسائل إلى الطرف الآخر.

٥.٢. المستوى العالمي

لا تقتصر سياسة العنف على البلدان الإسلامية فقط، بل تشمل أفقاً أوسع لتشكّل تهديداً كبيراً للغرب والولايات المتحدة أيضاً. ولكي لا تتوقّف عجلة سياسة العنف عن الدوران، وتحافظ إلى حدّ ما على رونقها وجاذبيتها بعد هزيمة الروس في أفغانستان، تطلّبت هذه السياسة اللجوء إلى استراتيجية جديدة، ففيما يتعلّق بأسباب فشل المشاريع الجهادية سابقاً، توصل التيار التكفيري إلى هذه النتيجة وهي استحالة إسقاط الأنظمة السياسية العربية ما دام الحكّام العرب يتمتّعون بدعم الولايات المتحدة، لذا، لا بدّ من جرّ هذه الأخيرة إلى حلبة الصراع مع الإسلاميين، لإجبار الأنظمة العربية على الدفاع عن الأمريكان وبالتالي إسقاط مشروعيتهم في أعين الشعوب العربية. وفي المقابل، تستفيد الأنظمة العربية الاستبدادية الفاشلة من تقوية التيار التكفيري لتأليب المشاعر المعادية للأمريكان والإسرائيليين، بهدف تغيير حالة عدم الرضا، أي، إنّ الطرفين يسعيان إلى تحقيق أهدافهما عبر استغلال ورقة الولايات المتحدة وإسرائيل^٣.

١. المصدر نفسه

٢. محمد رضا تاجيك، بررسى ساختار و تشكيلات گروه های تروریستی (مطالعه موردی سازمان القاعدة)، طهران: مكتب نشر

إنتاج العلم ٢٠٠٨ م صص ١٣٨-١٣٥

٣. كريستوفر هيويت، درك تروریسم در آمریکا: از كوكلوس كلان تا القاعدة؛ ترجمة: مؤسسه مطالعات انديشه سازان نور،

طهران: ٢٠٠٥ م ص ٩٨

وعليه، فإن مشروع ابن لادن كان يستوجب نقل الصراع من ساحة العدو القريب إلى العدو البعيد، لذلك أعلن كزعيم لتنظيم القاعدة عن تشكيل جبهة عالمية لقتال اليهود والصليبيين في ٢٣ شباط/ فبراير عام ١٩٩٨ م، وبعد عدة أشهر أخذت الجبهة طابعاً عملياً من خلال تفجيرات سفارتي الولايات المتحدة في نابروبي ودار السلام^١. ولكن يبدو أن موت أسامة بن لادن وضع بعض العراقيل في طريق التيار التكفيري، لهذا السبب أثرت سياسة العنف تدوير زاوية الصراع نحو العدو القريب، لتشتبك معه بشكل أكبر من العدو البعيد. فقد جاء في جزء من الإعلان الذي صدر عن أيمن الظواهري:

«إن استهداف عملاء أمريكا له شروطه الخاصة في كل بلد، والأساس هو عدم الدخول في صراع مباشر معهم عدا في بعض البلدان مثل سورية وأفغانستان والعراق واليمن والصومال حيث لا مفر من الصراع مع هؤلاء»^٢.

مرة أخرى تبدو المسافة بين التيار التكفيري والولايات المتحدة قد تقلصت في سورية، على غرار ما حصل في الحرب ضدّ الروس في أفغانستان، ذلك أن الهدف المشترك والمصالح المشتركة المتمثلة في إسقاط نظام بشار الأسد قد قربت بينهما.

فمن جهة، إن استهداف العدو القريب في خضم الأزمة السورية وفرّ فرصة للحضور وممارسة سياسة العنف من جديد، وإثبات أن التيار ما زال ناشطاً حتى بعد موت بن لادن، ومن جهة ثانية، وفرّ فرصة للغربيين لإلهاء التكفيريين من خلال خلق ظروف خاصة. ومعلوم أن تحويل الحرب في سورية إلى حرب استنزاف يتمّ فيها إضعاف طرفي الصراع عنيت الحكومة السورية والمعارضين التكفيريين هو أمر يصبّ في صالح الغرب.

لقد استقطب التيار التكفيري عندما كان في أفغانستان اهتمام العالم الإسلامي الذي اعتقد أنه يقاتل الشيوعيين، ولكن عندما وضعت الحرب أوزارها استخدمت سياسة العنف ضدّ بقية المذاهب الإسلامية، ما أضعف مكانته في العالم الإسلامي. لقد ذهب أبو مصعب الزرقاوي إلى العراق لمقاتلة الصليبيين، لكنّه في الحقيقة استهدف السنّة والشيعة معاً، وواصل هذا التيار سياسة العنف بأسلوب خاص في العراق والجزائر وفي قطار الأنفاق في أسبانيا وفي سورية وفي أماكن أخرى^٣.

وكذلك فعل أسامة بن لادن في أيلول/ سبتمبر في عام ٢٠٠١ م عندما ضرب الداخل الأمريكي ولم يصغ إلى نصائح المعارضين داخل تشكيلاته نظير مضيئه الملا عمر في

١. مجيد مرادى، روايتي مستند از طالبان/ نگاهي به كتاب "القاعدة و هم پيمانانش" مجله بگاه حوزة، ٢٠٠٨ م العدد ٢٣٠.

www.hawzah.net ٨٩

٢. أيمن الظواهري، ارشادهای عمومی درباره فعالیت های جهادی، الثلاثاء ٢٠١٣ م - ٣٣: ٤٨: ١٤

www.alalam.com

٣. سيد مهدي علي زاده موسوي، جريان هاي درون وهابيت

http:// www. vahhabiyat. com/ showdata. aspx? dataid/ 7065 siteid/ 1

أفغانستان الذي حذّره من استهداف الأمريكان والاكتفاء بالهجوم على اليهود. وقد وجدت العجلة المفرغة لسياسة العنف ذريعة مناسبة في الغزو الأمريكي لأفغانستان، حيث أبيد وشرّد جيل كامل من زعماء الجهاديين ومتطوعي المعسكرات الأفغانية، وطويت معه صفحة طالبان^١.

وفي تصريح خاص لجريدة "الأنصار" الإلكترونية اعترفت أحد العناصر المقرّبة من أسامة بن لادن ولأول مرة بمسؤوليتها عن حوادث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر. فقد كتب هذا العنصر ويدعى "أبو عبيد القرشي" وكان أحد المساعدين المقرّبين من زعيم القاعدة، في مقال له ما يلي:

«يكفي تنظيم القاعدة فخراً أنّه حطّم في هجماته في الحادي عشر من سبتمبر الأسس الاستراتيجية الدفاعية للولايات المتحدة... الأسس التي عجز حتى الاتحاد السوفيتي السابق عن تحطيمها...»^٢.

إنّ إلقاء نظرة على قائمة الهجمات الإرهابية الرئيسية التي يُعتقد بمسؤولية تنظيم القاعدة عن تنفيذها منذ عقد التسعينات سوف يساعدنا كثيراً على معرفة جوهر سياسة العنف. تتضمّن هذه القائمة ما يلي:

«في عام ١٩٩٣ م الضلوع في تفجير مركز التجارة العالمية وأدى إلى مقتل ٦ أشخاص؛ في عام ١٩٩٦ م قتل الجنود الأمريكان بالاشتراك مع الميليشيات الصومالية؛ تفجير المجمع السكني في الخبر في الظهران بالعربية السعودية ومقتل ١٩ عسكري أمريكي؛ في عام ١٩٩٨ م تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام وقُتل فيها ٢٢٤ شخصاً، ١٢ شخصاً منهم فقط من الأمريكان؛ في عام ١٩٩٩ م تفجير المدمرة الأمريكية في شواطئ اليمن ومقتل ١٧ عسكرياً؛ في عام ٢٠٠١ م هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر في نيويورك وواشنطن؛ في عام ٢٠٠٢ م انفجار في موقع أثري في تونس ومقتل ١٧ شخصاً منهم ١١ سائحاً ألمانياً. وفي نفس السنة حدث انفجار في باحة السفارة الأمريكية في كراتشي وقُتل فيه ١٢ شخصاً؛ انفجار في ملهى ليلي في مدينة بالي الأندونيسية ومقتل ٢٠٢ شخص معظمهم من المواطنين الأستراليين؛ في عام ٢٠٠٣ م تفجير المجمع السكني في مدينة الرياض بالسعودية ومقتل ١٨ أمريكياً؛ في عام ٢٠٠٤ م انفجار عشرة قنابل ضخمة في مدريد ومقتل ١٩١ شخصاً...»

لقد اعترف أسامة بن لادن في وصيته التي نُشرت بعد موته بمسؤولية تنظيم القاعدة عن بعض التفجيرات التي نفذها، وأكّد في وصيته على سياسة العنف، ووصف العلماء السلفيين الذين لم يتماشوا مع نهجه بخونة الأمة وكتب يقول:

لقد استدللّ الشيخ (...) وأتباعه أنّه لا بدّ من إرضاء اليهود والمسيحيين والرأي العام، وقد نسي أنّه بكلامه هذا يخالف قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ وَملَّتْهُمُط ﴾ أمثال هؤلاء العلماء

١. مجيد مرادى، المصدر السابق www.hawzah.net

٢. محمد رضا تاجيك، المصدر السابق، ص (١٠٠)

خانوا رسالتهم المتمثلة في خدمة الأمة، وتولّوا أعداءها، وناصبوا العداة لطلائع المجاهدين الذين أذاقوا أمريكا طعم الهزيمة التاريخية. أحداث نيويورك وواشنطن هي ثالث ضربة قاصمة تتلقاها أمريكا، الضربة الأولى هي تفجيرات مقرّ المارينز في لبنان، والضربة الثانية تفجير السفارة الأمريكية في نابروبي ... وصيتي الأخيرة لجميع المجاهدين طهروا صفوفكم من هؤلاء العلماء الأذلاء! وخاصة العلماء الذين تخلفوا عن الجهاد ويسعون في خنوع هذه الأمة...».

بناءً على ما تقدّم من كلام حول مستويات سياسة العنف في نشاطات التيار التكفيري يمكن أن نلخص بعض الخصوصيات لهذه السياسة والتي في حال تشابهها مع خصوصيات الإرهاب، نكون قد برهننا على فرضية أنّ سياسة العنف بمعناها الخاص تعني الإرهاب.

خلاصة البحث

تبين لنا من المقال الحاضر أنّ التيار التكفيري يعتبر أنّ كل ما يفكره ويعتقده يشكّل جزءاً لا يتجزأ من أصول الإسلام. ويلجأ هذا التيار إلى التكفير كوسيلة لتحقيق أهدافه بدلاً من الحجاج والبرهان. ويرى أنّ أفكاره هي الميزان للحكم على كفر الآخرين وإيمانهم.

يُقسّم التكفيريين إلى فئتين رئيسيتين، حكومية وغير حكومية، يعارض الحكوميون تشكيل الأحزاب والتنظيمات ويعتبرونها بدءاً ما أنزل الله بها من سلطان، ويبرّر هؤلاء أداء حكوماتهم وتعاونها مع البلدان الغربية. في المقابل، يشكّك التكفيريون غير الحكوميين في مسألة تقليد رجال الدين السلفيين، ويمهدون لانتقاد الحكام والخروج على ولاة الأمر. ويعتبرون أنّ التقليد من أسباب الهلاك وله تأثير على الأفكار الإسلامية، وأنّ نتيجته إهمال النص الشرعي وتعطيل العقل البشري. أمّا نتائج هذا النهج هي أن قام كل شخص باستنباط الحكم الشرعي بصورة مستقلة فتمخض عن ذلك تهيئة أسباب التطرف. بالإضافة إلى الترويج لفردية الحكم والفتاوي إلى جانب التطرف الفكري الذي يرتقي بالجهاد من مستوى الجهاد الدفاعي إلى الجهاد الابتدائي، وأخيراً المساعدات المالية والعسكرية التي تقدّمها البلدان مهّد الظروف لظهور سياسة العنف.

وعلى أيّ حال، فقد تخطّت سياسة العنف مستوى الجهاد الابتدائي أيضاً وتجاهلت الحقوق الابتدائية للشعر وقامت بإجراءات لاإنسانية، إذ وضعت هذه التيارات الهجوم على السفارات والمناطق المدنية ضمن لائحة نشاطاتها. على هذا الأساس، تتشابه سياسة العنف إلى حد بعيد مع نظام مفهومي خاص هو «الإرهاب». وهذا يعني أنّ سياسة العنف تشكّل مركز دائرة تحيط بها خصوصيات من قبيل العنف، بثّ الرعب والهلع، الهدف الغائي، البعد السياسي، التنظيم، عدم القانونية وغير ذلك من الخصوصيات. وإذا كان الإرهاب يعني الرعب والهلع، وهدفه الغائي

١. فردا نيوز، وصيت نامه بن لادن، الجمعة ٢٨ رمضان ١٤٢٢ هـ.

هو التأثير على الرأي العام، أو أن العنف والبعد السياسي من خصوصيات الإرهاب^١، فإن سياسة العنف تشكل قلب هذه الخصوصيات في سلوك التيارات التكفيرية.

من ناحية، يستحضر بروز خصوصيات سياسة العنف معنىً خاصاً في الأذهان ينزع بشدة نحو الإرهاب، ومن ناحية أخرى، لئن كانت سياسة العنف ترتبط ارتباطاً ذا معنى بالدين عبر مفهوم الجهاد بحسب رؤية التكفيريين، فإنه من خلال نظرة فاحصة لمفهوم الجهاد يتبين لنا عدم ارتباطهما مفهوماً. ذلك أنه لا نشاطات سياسة العنف تندرج ضمن دائرة الجهاد، ولا الأعمال اللاعقلانية للتكفيريين تتناسب مع السلوك الجهادي. فنشاطاتهم لا ترقى إلى مستوى الجهاد، لأنها بنحو ما منفصلة عن الرأي الفقهي والعقدي لغالبية المسلمين لأن العقيدة الغالبة لدى المسلمين تقوم على الجهاد الدفاعي. كما تصنف نشاطاتهم على أنها غير عقلانية لأنهم يقتلون الأبرياء دون جريمة، ويرتكبون أعمالاً غير قانونية، ويتصرفون أقبح التصرفات تجاه الآخرين، تصرفات لا تضع مجالاً للشك في قبحها ولا عقلانيتها.

المصادر

أ - الفارسية

١. البوطي، محمد سعيد رمضان، سلفيه بدعت يا مذهب، ترجمة: حسين صابري، مشهد: آستان قدس رضوي

١٣٧٥

٢. صفا تاج، مجيد، تكفير، طهران: نشر اسلامي ٢٠٠١ م

٣. كوپل، جيل، پیامبر و فرعون، ترجمة: حميد رسايي، طهران: كيهان ١٩٨٧ م

٤. برزگر، ابراهيم، استعاره صراط در اندیشه سياسي سيد قطب، طهران: جامعة الإمام الصادق عليه السلام ٢٠١١ م

٥. مير احمددي، منصور، مقابسه ويژگي معرفت شناختي جريان هاي فكري سياسي معاصر در جهان اسلام، فصلية رهيافت سياسي و بين الملل، العدد ٨ شتاء ٢٠٠٦ م

٦. قطب، سيد، ادعائمه اي عليه تمدن غرب، ترجمة: السيد علي الخامنئي والسيد هادي الخامنئي، مشهد: طوس ١٩٧٢ م.

٧. اسلام و عملکرد استعمار، ترجمة: اسد الله محمودي، طهران: ناصر خسرو ١٩٨٢ م.

٨. ويژگيهاي ايدئولوژي اسلامي، ترجمة: السيد محمد الخامنئي، طهران: كيهان ١٩٩٠ م.

١. محمد علي اردبيلي، تروريسم و دفاع مشروع از نظر اسلام (مجموعه مقالات) كلية العلوم القضائية، طهران: الصحيفة الرسمية

۹. اسلام و استعمار، ترجمه: محمد جعفر امامی، قم: امید، بلا تاریخ.
۱۰. مارسدن، پیتر، طالبان (جنگ، مذهب و نظم نوین در افغانستان)، طهران: وزارت الخارجیه ۲۰۰۰ م
۱۱. پولی، میشل، دوران، خالد، بن لادن کیست؟ ترجمه: مهشید میر معزی، طهران: روزنه ۲۰۰۱ م
۱۲. فدوی، عبد القیوم، اسامه بن لادن و ماجراها، کابل: مفاخر، ۲۰۰۲ م.
۱۳. عنایت، حمید، سیری در اندیشه سیاسی عرب، ط. ۳، طهران: سپهر، ۱۹۸۴ م.
۱۴. وودیس، جک، مقدمه ای بر استعمار نو، ترجمه: سعید روحانی، طهران: پیروز، ۱۹۸۰ م.
۱۵. آیرمولو، رضا، استراتژی استعمار نو، طهران: سپهر، ۱۹۸۷
۱۶. آ. کلارک، ریچارد، علیه همه دشمنان (جنگ داخلی آمریکا با ترور)، ترجمه: کیوان افخمی نیا طهران: روشنگران و مطالعات زنان ۲۰۰۵ م.
۱۷. اسماعیلی، حمید رضا، القاعده؛ از پندار تا پدیدار، طهران اندیشه سازان نور ۲۰۰۷ م.
۱۸. بریزار، جان شارل، بن لادن؛ حقیقت ممنوع، ترجمه: عبدالحسین نیک گهر، طهران: آگاه ۲۰۰۲ م.
۱۹. رشید، احمد، طالبان، اسلام، نفت و بازی بزرگ جدید، ترجمه: اسد الله نشایی و صادق باقری، طهران: دانش هستی ۲۰۰۰ م.
۲۰. تاجیک، محمد رضا، بررسی ساختار و تشکیلات گروه‌های تروریستی (دراسة أحادیة الموضوع لتنظیم القاعدة)، طهران: مکتب نشر إنتاج العلم ۲۰۰۸ م.
۲۱. هیویت، کریستوفر، درک تروریسم در آمریکا: از کولوس کلان تا القاعده؛ ترجمه: مؤسسه مطالعات اندیشه سازان نور، طهران: ۲۰۰۵ م.
۲۲. علی زاده، حسن، فرهنگ خاص علوم سیاسی، طهران: روزنه ۱۹۹۸ م.
۲۳. طلوعی، محمود، فرهنگ جامع سیاسی، ط. ۲، طهران: علمی ۱۹۹۸ م.
۲۴. اردبیلی، محمد علی، مفهوم تروریسم، در «تروریسم و دفاع مشروع از منظر اسلام و حقوق بین الملل (مجموعه مقالات و کلمات المؤتمرین الخامس والسادس كانون الثاني/ یناير ۲۰۰۱ م) طهران: الصحیفة الرسمية لکلیة العلوم القضائية، ۲۰۰۲ م.
۲۵. ره پیک، سیامک، تحلیل تروریسم در نسبت مفهومی امنیت و منافع ملی، فی «تروریسم ودفاع مشروع از نظر اسلام و حقوق بین الملل» (مجموعه مقالات)

۲۶. عبدالله خاني، علي، تروريسم شناسي، طهران: ابرار معاصر، ۲۰۰۷ م.
۲۷. اردبيلي، محمد علي، تروريسم و دفاع مشروع از نظر اسلام (مجموعه مقالات) كلية العلوم القضائية، طهران: الصحيفة الرسمية ۲۰۰۲ م.
۲۸. شيخ احمد، مهدي بخشي، بررسي و عوامل انديشه اي و عيني شكل گيري القاعده، أطروحة جامعية لمرحلة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العلامة الطباطبائي، ۲۰۰۶ م ص ۱۰۵.
- ب - المواقع الإلكترونية
۱. احمد نجمي، سيد قطب؛ طلابيه دار بيداري اسلامي، مركز وثائق الثورة الإسلامية، ۲۰۰۷ م
[http:// www. irdc. ir/ fa/ content/ 5190/ default. asp](http://www.irdc.ir/fa/content/5190/default.aspx)
۲. علي شقير، القاعده، نحوه شكل گيري و توسعه عقيدتي / عبدالله عزام كه بود؟، صحيفة السفير اللبنانية، الموقع الخبري عماد
<http:// emadnews. com/ p/ 133708>
۳. عصام العماد، جريان هاي جديد وهاييت ۲۰۰۸ م.
<http:// www. shia - news .com /fa /print /10717>
۴. وحيد مجده، چرا طالبان به ملا كشي روي آورده اند؟
<http:// www. zendagi. com/ new page 473. htm>
۵. يعقوب نعمتي وروجني، القاعده، تاريخچه و ريشه هاي فكري
<http:// www. bashgah. net/ fa/ content/ show/ 36948>
۶. جامعة اهل السنة في الغرب ۲۰۱۰ م
<http:// www. Blogsky. Com/ 1387/ 04/ 02/ post>
۷. ۲۷۱. روجر هاردي، جهاد و دلارهاي نفتي عربستان
<http:// islamworld 0202. persianblog. ir/ post/ 117>
۸. سلفي گرايي در سوريه و آینده بحران، مركز دراسات العلاقات الدولية
<http:// riirpolitics. com/? q/ fa/ node/ 1564>
۹. چرا تركيه به دنبال تغيير رژيم در سوريه است؟ الأربعاء ۷ / ۵ / ۲۰۱۴ م
<http:// www. farsnews. com/ newstext. php? nn/ 13910508001196>

۱۰. داوود فیرحی، مسائل جهان اسلام و تحولات اخیر کشورهای عربی از نقطه نظرات مختلف

Lemonpress.ir/fa/news/29804

۱۱. قطر در رؤیای دستیابی به قدرت منطقه‌ای، نقلاً عن صحیفه جمهوری اسلامی

<http://www.bashgah.net/fa/content/show/92941>

۱۲. ن. م آرمانپور، بدبختی افغانستان را باید در وابستگی پشتون‌نویس به استعمار جستجو نمود، آذار/ مارس

م ۲۰۰۹

[Http://www.Jawedan.Com](http://www.Jawedan.Com)

۱۳. علی خسرو شیرین، شهادت دیپلمات‌های ایرانی در افغانستان، ۲۰۰۸ م، مرکز وثائق الثورة الإسلامية

م ۲۰۱۰

<http://irdC.ir/fa/conten/6417/default.aspx>

۱۴. مجید مرادی، روایتی مستند از طالبان / نگاهی به کتاب "القاعده و هم پیمانانش" مجله نگاه حوزه، ۲۰۰۸

م العدد ۲۳۰، ۲۰۱۰ م

www.hawzah.net

۱۵. ایمن الطواهری، ارشادهای عمومی درباره فعالیت‌های جهادی، الثلاثاء ۲۱/۹/۲۰۱۳ م - ۳۳:۴۸:۱۴

<http://fa.alalam.ir/news/1517574>

۱۶. سید مهدی علی زاده موسوی، جریان‌های درون وهابیت

<http://www.vahhabiyat.com/showdata.aspx?dataid/5607siteid/1>

۱۷. فردا نیوز، وصیت‌نامه بن لادن، الجمعة رمضان هـ

<http://www.fardanews.com/fa/news/>

ج - المواقع الإلكترونية العربية

۱. الصویان، احمد بن عبد الرحمن، منهج اهل السنة و الجماعة في التقويم الرجال و مؤلفاتهم (الرياض: شارع

العلیاء العام) ص ۱۸

<http://books.google.com>

۲. سمیر المغربی، أبو البراء، اقوال علماء السنة في جماعة اخوان المسلمين.

<http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t/29824>

٣. عزام، عبد الله، عملاق الفكر الاسلامي؛ الشهيد سيد قطب

[http:// www. tawhed. ws/ r? i/ k 57 gvt 8](http://www.tawhed.ws/r?i/k57gvt8)

٤. سيد قطب؛ عشرون عاما علي الشهاده

[http:// www. tawhed. ws/ r? i/ zeq 020 tn](http://www.tawhed.ws/r?i/zeq020tn)

٥. ربيع الهادي مدخلي، منهج اهل السنه في النقد الرجال والكتب والطوائف، صص ١٢٧ - ١٢٦

[http:// www. rabee. net/ show des. aspx? pid/ 1 id/ 51](http://www.rabee.net/showdes.aspx?pid/1id/51)

داعش والعنف الصّارخ مزيج من تفسير غير عقلانيّ للدين وتقنيات حديثة

تأليف: محمود شفيعي^١

ترجمة: عباس صافي

نبذة

(داعش) هي الحروف الأولى لعبارة (الدولة الإسلامية في العراق والشام) و هو التنظيم الذي ظهر في العراق و قاده المدعو (أبو بكر البغدادي) أحد زعماء الجناح العراقي الأكثر تطرفاً لتنظيم القاعدة بعد احتلال أجزاء من سورية و العراق فغيّر اسمها إلى ما يُعرف اليوم بالدولة الإسلامية. وقد أذى العنف الوحشيّ المتكرّر الذي مارسه و ما زالت هذه الجماعة بأبشع أنواعه و البعيد عن كلّ ما يمتّ إلى الأخلاق بصلّة ضدّ العسكريين و المواطنين العاديين من رجال و نساء و أطفال و شيوخ في كلّ من العراق و سورية بل و منطقة الشرق الأوسط بأكملها، كلّ ذاك أذى إلى إقحام المنطقة في أزمة خانقة و ويلات محزنة. و بالنظر إلى هذه المسألة الحساسة فإنّ موضوع هذه المقالة سيكون الجواب على السؤال التالي: "كيف يمكن لجماعة تدعى التديّن بدين الإسلام و تتشدّق بالإيمان أن تقرّف كلّ ذلك العنف غير المُبرّر و الذي لا ينسجم مع أيّ من المبادئ الدنيّة و العقلية و الإنسانية و الوجدانية ضدّ إخوانهم في الدين و المؤمنين و الشيعة في العراق و سورية و اتهامهم بالارتداد و الكُفر؟" وأما الفرضية التي يضعها هذا المقال فتتمثّل في شغف (داعش) بالتقنيات الحديثة و اغترارها بها ثمّ هوسها بتكوين توليفة تضمّ تلك التقنيّة مع المعتقدات الدنيّة الساذجة و غير المهذبّة إلى جانب التأمّلات العقلية و التجارب الاجتماعية و الإنسانية لتُوجد خليطاً جنونياً من التقنيّة الحديثة تستخدمه ضدّ العالم الإسلاميّ الشيعيّ بل و السنّيّ كذلك، و ربما الإنسانية جمعاء. و من أجل إثبات هذه الفرضية قمنا بمطالعة بعض البحوث الثانويّة، إلّا أنّنا سلطنا الضوء على أبرز التعاليم الدنيّة و تعابيرها التي استخدمها القادة السابقين و الجُدد لتنظيم القاعدة و التي كان لها الأثر البالغ في أعمال العنف التي يقومون بها. و في هذا الصّدّد فقد آلتنا الإشارة هنا إلى بحثين أساسيين هما الكُفر و الإيمان من جهة ثمّ الجهاد من جهة أخرى بدءاً بالماضي و انتهاءً بالحاضر، بالإضافة إلى العلاقة القائمة بين تقنيّة التقطعات أو الأجهزة مع التأكيد على

١. الدكتوراه في العلوم السياسية في جامعة المفيد في قم.

الجانب العسكريّ و بين البرامج الحاسوبية مع التركيز على العالم المجازي في الشبكة العنكبوتية و استخدام ذلك من جانب الجماعات المتشدّدة في تنظيم القاعدة و (داعش)، و هذا ما أردنا بيانه في هذه المقالة. ثمّ في الخطوة الثالثة أشرنا إلى انعكاسات تلك التعاليم الدينية و ردود الفعل التي تسببت بها و كذلك شغف هذه الجماعات بالتقنية في البيئة الحياتية فخصائص البيئة الحياتية لتنظيم (داعش) بعد تعريفها تُمثّل الأفق المعنوي لها. و تتألف البيئة الحياتية لداعش من خصائص تجلّت في استخدامها أعمال العنف العسكرية ضدّ الشيعة في العراق و سورية، و قد أوردنا الاستدلال على ذلك في إمكانية تبرير أعمال العنف المستخدمة و إرجاعها إلى البيئة العقلانية المحالّة. و في نهاية المطاف و بعد استجماع المسائل و النقاط، عرضنا مجموعة من التوصيات الثقافية التي تكفل لنا قطع جذور التطرّف الدينيّ العنيف.

الكلمات المفتاحية: داعش؛ الكفر و الإيمان؛ الجهاد؛ التقنية؛ البيئة الحياتية؛ العنف.

المقدّمة

لا شكّ في أنّ ظهور ما يُسمّى بتنظيم (داعش) على مسرح التغييرات شبه الثورية في العقد الأخير في الشرق الأوسط العربي، يُمثّل أسوأ حدث سياسيّ و اجتماعيّ و وقع حتى الآن، فلم يقتصر ظهور تلك الجماعة على بعث الإحباط في بعض التغييرات المؤمّلة و حسب بل وضع ذلك التنظيم العالم الإسلاميّ أمام محنة كبيرة و فتنة كارثية لا يمكن التنبؤ بعواقبها.

وبدأت هذه الجماعة المتمسّكة بظاهر الدين و التي أطلقت على نفسها اسم (الدولة الإسلامية في العراق و الشام) بذبح و قتل إخوتها في الدين دون أن تتقيّد بأيّة مبادئ إنسانية أو عقلانية أو وجدانية أو أخلاقية أو تلتزم بأيّ من التعاليم الدينية الأساسية، فأوجدت بذلك مصيبة كبرى داخل الإطار الإسلاميّ فكان الراجح في هذا الاقتتال الظالم الأشرار و الوصوليين الذين لم تُعدّ تربطهم بالإسلام و لا بالمسلمين أيّ علاقة إنسانية أو دينية تُذكر، بل و كانت تلك الجماعات و لقرون عديدة صاحبة اليد الطولى في كلّ المحافل الدولية و استطاعت الحفاظ على علاقات متينة بينها و بين بعض الدول الإسلامية رغم كلّ التغيرات.

ولا ريب في أنّ دراسة و بيان هذه الظاهرة السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية الخطيرة و المثيرة للفتن التي إن لم تُسارع الشعوب الإسلامية و دول المنطقة إلى التصدّي لها فإنّها ستُصبح إسرائيل أخرى بل و أخطر بكثير، و ستُفرض على الجميع شاعوا أم أبوا، أقول: لا ريب في أنّ دراسة هذه الظاهرة و بيانها يلزمه التركيز على الجوانب المتعددة و المعقّدة في الشرق الأوسط (ونقص ذلك التركيز الهوة الموجودة بين السنّة و الشيعة، و بين الاعتدال و التطرّف، و بين الشعوب و الحكومات، بين داخل الشعوب و خارجها، و بين الإقليم و العالم بشكل عامّ، بين المحافظين و الثوريين، بين العرب و الفرس، و القومية - القومية).

لكنّ الإمام بكلّ تلك المسائل ليس أمراً يسيراً لأيّ باحث أو كاتب، فعلى سبيل المثال، فإنّ الدور الذي تلعبه القوى العظمى في العالم و في المنطقة من أجل الفوز في اللعبة الاقتصادية السياسية الرئيسية و المستمرة و

المربحة، واستخدامها لجميع الأوراق المشروعة و غير المشروعة في تلك اللعبة، لم يعد يخفى على أحد، و على الرغم من ذلك ينبغي الاعتراف بصعوبة أن تتحوّل جماعة ما إلى أداة و وسيلة لتحقيق مصالح الآخرين من خلال استخدام كل ذلك العنف الوحشيّ و الصارخ، دون وجود خلفية ذهنية و فكرية لهذه الجماعة في المسائل الإنسانية. و تحاول مقالتنا هذه الإجابة عن السؤال التالي: " ما هي العوامل و العلل الداخلية الفكرية و العملية التي تُمثّل أساس السلوك العنيف و المتطرّف و الوحشي الذي تعتمد عليه جماعة (داعش) وراء القناع الديني؟"

ولإثبات الفرضية التي أشرنا إليها آنفاً - وهي: شغف (داعش) بالتقنيات الحديثة و اغترارها بها ثمّ هوسها بتكوين توليفة تضمّ تلك التقنية مع المعتقدات الدينية الساذجة و غير المهذّبة إلى جانب التأمّلات العقلية و التجارب الاجتماعية و الإنسانية لإيجاد خليط جنونيّ من التقنية الحديثة - ينبغي علينا أولاً طرح بعض الأسئلة الثانوية ثمّ الإجابة عنها. فالسؤال الثانويّ الأوّل هنا هو: " ما هي التصرّوات و الأفكار التي تحملها هذه الجماعة عن الإسلام و تعاليمه لا سيّما فيما يتعلّق بموضوع الكُفر و الإيمان و كذلك الجهاد؟" و في المرحلة الثانية سنحاول الإجابة عن السؤال التالي: " ما هي نظرة (داعش) تجاه التقنية الحديثة و ما هي تبريراتها الذهنية التي سوّلت لها استخدام الإنجازات الحضارية و خصوصاً في المجال العسكري؟" و بعد ذلك سنقدّم بحثاً موجزاً حول (البيئة الحياتية) كإطار مفهوميّ مناسب لفهم العالم الذهني المشترك المكوّن للأفعال الجماعية من خلال السؤال و الجواب على خصائص البيئة الحياتية السلفية لتنظيم (داعش).

وأما السؤال الأخير و جوابه في هذا البحث فيتناول مقتضيات البيئة الحياتية لداعش في استخدامها للعنف الصارخ و اللاإنسانيّ.

لكن، و قبل الإجابة عن الأسئلة الثانوية، سنتطرّق باختصار إلى بحث مسألة تشكّل جماعة (داعش) من خلال اقتفاء المسائل التالية:

(أ) عملية تكوّن تنظيم (داعش)

(ب) التصرّوات التي تحملها جماعة (داعش) حول التعاليم الدينية (ج) معتقدات تنظيم (داعش) و شغفه بالتقنيات الحديثة

(د) ماهية البيئة الحياتية عموماً و معالم البيئة الحياتية السلفية - الداعشية خصوصاً

(هـ) البيئة الحياتية العقلانية المتوقّعة و العنف اللاإنسانيّ

(و) الخلاصة و الاستنتاج

(أ) عملية تكوّن تنظيم (داعش)

تُعتبر الدولة الإسلامية في العراق و الشام أو (داعش) و التي تُعرّف اختصاراً في اللغة الإنجليزية بـ (ISIS) و اتّخذت لنفسها مؤخراً اسماً جديداً هو (الدولة الإسلامية)، تُعتبر جماعة جهادية سنيّة تابعة لتنظيم (القاعدة) تسعى

إلى إيجاد دولة تضمّ المذاهب الإسلامية على أساس الشريعة، و هي منظمة تكوّنت من بقايا ما سُمي ب - (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) - في العراق - و استخدمت حرب العصابات ضدّ قوات التحالف الدولية بعد انهيار نظام الطاغية صدام في العراق . و بعد خروج القوات الأميركية من العراق في أواخر عام (٢٠١٠ م)، عمد تنظيم القاعدة إلى استهداف الأماكن و المناطق الشيعية لإشعال نيران الفتنة الطائفية بين الأقلية السنية في العراق و بين حكومة نوري المالكي الشيعية، و قد غيّر (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) اسمه ليصبح (الدولة الإسلامية في العراق و شرق المتوسط - ISIL) أو (الدولة الإسلامية في العراق و الشام - ISIS) فأشعل الحرب في البداية في سورية لإسقاط نظام الأسد. و في حزيران من عام (٢٠١٤) استطاعت هذه الجماعة السيطرة على المؤسسات الحكومية و الإقليمية على الحدود بين العراق و سورية بعد انسحاب الجيش العراقي من محافظتي الموصل و الفلوجة.

وكان الهدف الذي سعى المدعو (أبو بكر البغدادي) - قائد تنظيم داعش - إلى تحقيقه في أوّل الأمر يتمثل في إنشاء دولته المزعومة في العراق، إلّا أنّ الأزمة السورية أدّت إلى ازدياد شهيتّه و رغبته ما دعاه إلى تغيير اسم التنظيم ليكون (الدولة الإسلامية في العراق و الشام - داعش). و لم يكتف تنظيم (داعش) باعتماد أسلوب حرب العصابات على غرار سلفه (تنظيم القاعدة) بل كانت مسألة الاستيلاء على المناطق و المدن على رأس لائحة الأهداف العسكرية للتنظيم المذكور.

وكان أوّل زعيم لهذه الجماعة الوقحة قبل تكوينها هو المسمّى بأبي مصعب الزرقاوي الأردني الذي كان يرأس في بداية أمره بعض الميليشيات المتطوعة في منطقة (هرات) بأفغانستان. و في عام (٢٠٠١ م) هرب الزرقاوي إلى شمال العراق و انضمّ إلى جماعة تسمّى (أنصار الإسلام) - وهي حركة تُطالب بانفصال الأكراد عن العراق - ثمّ تزعم الجناح العربي في تلك الجماعة. و تجدر الإشارة إلى أنّ جماعة الزرقاوي في باكستان و أفغانستان كانت تُعتبر جزءاً من التشكيل العامّ لتنظيم القاعدة في العراق ثمّ انضمت إليه أعداد أخرى من المقاتلين من سورية و العراق و بعض الدول المجاورة الأخرى حتى اتخذ التنظيم المذكور هويته العراقية في عام (٢٠٠٦ م).

١. في الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفاؤها ضدّ العراق في ٢٠ مارس / آذار ٢٠٠٣ م فإنّ معظم القوات التي دخلت العراق كانت من الولايات المتحدة وبريطانيا وبولندا، إلّا أنّ (٢٩) دولة أخرى انضمت إلى الائتلاف الدولي وشاركت في الحرب المذكورة ومنها اليابان وكوريا الجنوبية وإيطاليا وأسبانيا وكانت المهمة الرئيسية لهذه الدول هي تقديم الدّم العسكري واللوجستي. و انتهت الحرب رسمياً بخروج آخر القطعات الأميركية في ١٩ أغسطس / آب ٢٠١٠ م، لكنّ آخر الجنود الأميركيين تركوا العراق في أواخر عام (٢٠١١ م) وذلك بناءً على الاتفاقية التي كانت معقودة بين البلدين. وأمّا التقرير الذي قدّمه الرئيس الأميركيّ (جورج بوش) لاجتياح العراق فهو ارتباط نظام صدام حسين بتنظيم القاعدة ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى ذكر امتلاكه لأسلحة الدمار كسبب للاجتياح.

وعلى أية حال، كانت نهاية أبي مصعب الزرقاوي الذي اختلف مع أيمن الظواهري بسبب طموحات الأول و روحه الوصلية في العراق، كانت نهايته على يد القوات الأميركية و ذلك خلال غارة جوية على مقره في حزيران من عام (٢٠٠٦ م).

وبعد مقتل أبي مصعب الزرقاوي عين أيمن الظواهري - الزعيم الحالي لتنظيم القاعدة - المدعو أبي أيوب المصري كخليفة للزرقاوي لقيادة تنظيم القاعدة (فرع العراق)، و أبو أيوب هذا كان خبيراً بصناعة القنابل و المتفجرات، فقام أبو أيوب المصري في نفس السنة باتخاذ اسم جديد للجماعة التي يرأسها في العراق و هو (الدولة الإسلامية في العراق) و هو ما أشعر الظواهري بالقلق و الخشية! و أما تنظيم (داعش) فيقوده اليوم المدعو (أبو بكر البغدادي) - المعروف أيضاً بـ (أبو دعاء)، وُلد أبو بكر البغدادي (واسمه الحقيقي إبراهيم عواد) في سامراء عام (١٩٧١ م) و حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ببغداد و كاد يكون عضواً في الهيئة العلمية في الجامعة المذكورة. و رغم المعلومات التي تشير إلى أن المدعو أبو بكر البغدادي كانت هادئ الطبع خلال دراسته و الفترة التي تلت المرحلة الدراسية، إلا أن اجتياح الولايات المتحدة للعراق عام (٢٠٠٣ م) دفعه إلى محاربة القوات الأميركية إلى جانب فلول صدام و بعض رفاقه عندما كان في مدينة الفلوجة في تلك الفترة، إلى أن اعتقلته القوات المذكورة و أدخل المعتقل.

وبعد خروجه من السجن انضم أبو بكر البغدادي إلى صفوف المجاهدين تحت إمرة أسامة بن لادن الذين كانوا يُسمون آنذاك بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. إلا أن معظم قادة ذلك التنظيم و زعمائه تم قتلهم يوماً بعد آخر من قبل القوات الأميركية و على رأسهم الزعيمين الرئيسيين و هما أبو عمر البغدادي و أبو حمزة المهاجر، و بعد مقتل هذين الزعيمين، تم تنصيب أبي بكر البغدادي رئيساً للتنظيم. و قد استطاع أبو بكر البغدادي استقطاب معظم الذين كانوا يعارضون الوجود الأميركي في العراق و هكذا تحول تنظيمه إلى أخطر مجموعة إرهابية بل و أقواها ضد القوات الأميركية.

وفي عام (٢٠١١ م) خصّصت الولايات المتحدة الأميركية جائزة مقدارها (١٠) ملايين دولار من أجل القبض على أبي بكر البغدادي إلى جانب تخصيصها (٢٥) مليون دولار كجائزة أخرى لمن يساعدها على القبض على أيمن الظواهري.

وبعد نشوب الحرب الداخلية في سورية اتخذت هذه الجماعة لنفسها اسم (الدولة الإسلامية في العراق و الشام) و شرعت في القتال ضد حكومة بشار الأسد كمنظمة تابعة لتنظيم القاعدة. و في عام (٢٠١٣ م) انضمّ المئات من الذين كانوا معتقلين في سجن (أبو غريب) و استطاعوا الهروب منه إلى الجماعة المذكورة.

ومع مرور الوقت وقع خلاف بين أبي بكر البغدادي و بين ما يُعرف بجهة النصرة في سورية - وهي منظمة تابعة لتنظيم القاعدة - و خرج عن طاعة أيمن الظواهري مُعلنًا أنه لا يعترف بأيّ زعيم لتنظيم القاعدة سوى أسامة بن لادن. ومن الذين تزعموا تنظيم (داعش) شخص يسمى فاضل أحمد عبد الله الحياي، المنسق لشؤون (إمارة العراق)، و الذي يُعرف كذلك بأبي المعتز و هو الشخص الذي كان مشرفاً على المعارك التي وقعت في محافظة

الموصل. ثمَّ عدنان لطيف حمدي السويدياويّ و يحمل منصب (والي الأنبار) و عضو مجلس الشورى العسكريّ لتنظيم (داعش)، و شخص آخر يدعى أحمد حسن (المعروف بأبي فاطمة) المعين (من قبل التنظيم المذكور) والياً على محافظات جنوب الفرات المركزيّ؛ ثمَّ موفق مصطفى محمد الكرموش (والذي يُسمّى أيضاً بأبي صلاح)، و هو المسؤول الماليّ لما يدعى بإمارات العراق؛ و محمد حميد الدليميّ المعروف ب - (أبو هاجر العسافي) منسق أمور البريد بين المحافظات (أو الولايات على حدّ تعبير التنظيم)؛ ثمَّ عوف عبد الرحمن العفري (المسمّى أيضاً أبو سجي) و هو مسؤول تنسيق شؤون الأرامل من النساء و أسر المقتولين و الأسرى، و فارس رياض النعيميّ المعروف بأبي شيما و هو المسؤول عن الأمور البريدية كذلك و ما يسمّى بالخزائن، و عبد محمود الطائي المشهور بأبي كفاح المسؤول عن المواد المتفجّرة و التفخيخ.

هذا و يبدو أنّ تنظيم (داعش) يمتلك (١٨) زعيماً مهماً يتوزعون بين أركانه، و أمّا أهمّ كوادِر هذا التنظيم فيتألّف من القادة و المدراء في زمن الحكم البعثيّ بالإضافة إلى الشخصيات التي كانت مُقرّبة إلى الرئيس السابق صدام حسين و بعض العسكريين الفارين أو المطرودين من الجيش العراقيّ و السوريّ و مجموعة من المحاربين و المقاتلين من أوروبا و الشيشان و البوسنة و شرق تركستان و ليبيا و أفغانستان و بعض الدول الأخرى.

ومهما يكن من أمر فإنّ تنظيم (داعش) اليوم يعتبر نفسه في صدارة قيادة الجماعات الجهادية الأخرى فيما ينظر البغدادي إلى موضوع الجهاد نظرة عالمية، و عليه، فإذا كان أحد المقاتلين الشيشان يعرف القرآن الكريم فإنّ له حقّ إعطاء الأوامر إلى العراقيّ أو العربي بشكل عامّ، و لذلك فإنّ أفراد هذه الجماعة - و خلافاً لتنظيم القاعدة بقيادة أيمن الظواهري - لا يعيرون أية أهمية لسياسة الخطوة خطوة أو محاباة قوم أو طائفة أو مُراعاة المسائل الأخلاقية في القتل و النهب أو تقسيم الأعمال و التمركز و الاستقرار في منطقة مُعيّنة و ما إلى ذلك^١.

ب) تصوّرات (داعش) عن التعاليم الدينية

تُعتبر الجماعات الإسلامية المتشدّدة - ومنها (داعش) - استمراراً للنظرة الظاهرية المتشدّدة و المتعصّبة و السطحية التي كان الخوارج من قبل ينتهجونها في صدر الإسلام، فما زالت المبادئ السطحية للخوارج قديماً موجودة و تجري في عروق الخوارج الجُدّد في الوقت الحاضر، في الوقت الذي كان فيه التقسيم بين عامليّ الكُفر و الإيمان في صدر الإسلام يعتمد الفصل بين المحاربين و المعاندين الذين دخلوا الإسلام حديثاً - و كانوا يصرون على الشّرك و لم يُطبقوا العيش في فضاء التوحيد و لم يفتأوا يقاومونه كلّما سنحت لهم الفرصة بذلك - و بين أولئك الذين كانوا قد أسلموا من قبل. و بعد انتشار رقعة الإسلام و تقويض سلطان الكُفر و الشّرك للمحاربين في جزيرة العرب لم يعد التقسيم المذكور يحتلّ مكانته السابقة داخل العالم الإسلاميّ حتى لاحت رؤوس الخوارج شيئاً فشيئاً في التاريخ بعد مرور فترة على ظهور الإسلام و خلال عملية تكوّن النحلّ و الفرّق الكلامية، فرجعت هذه

١. تمّ اقتباس معظم أجزاء البحث (وتلخيصه و التصرف فيه) من موقع: www.taghadom.com

أنظر المواقع التالية حول نفس الموضوع: www.alalam.ir

الفرقة الجزمية غير العقلانية إلى التقسيم السابق الذي كان يُفرّق بين الكافر والمسلم في العالم الإسلامي لكن بشكل مختلف هذه المرة. واستناداً إلى نظرة الخوارج السابقين الذين أورتوا أجيالهم من بعدهم معتقداتهم، فإن المسلم الذي يرتكب الكبائر لن يعد مسلماً بعد ذلك و ينبغي اعتباره كافراً مستحقاً لنار جهنم، بل و يُعتبر قَتله جائزاً كذلك. و بالنظر إلى مرونة مفهوم (ارتكاب الكبائر) دخل التفسير لهذا العامل المصيري و الخطير عالماً بيئياً جديداً للدين لكن بشكل أكثر تطرفاً و تشدداً - وسنحدث عن العالم البيئي فيما بعد - و أصبح بالإمكان توسيع دائرة معنى الكبائر باستمرار و في عدّة اتجاهات مختلفة دون هوادة ليشمل كل ما لا ينسجم و طبع الخارجي. على سبيل المثال، ورد في سنن الترمذي أن من يُفسر القرآن الكريم برأيه فهو كافر! و قد أصبحت مثل تلك الاتهامات التي تُكال إلى الأفراد و الجماعات باسم الإسلام و الرسول ﷺ تدخل حياة بعض المسلمين و تتفاقم بشكل مستمرّ فبدأت جذور أول صدام داخلي بالظهور في الفترة المذكورة^١، و شرع الخوارج في عصرنا هذا و هم يحملون مثل تلك التصوّرات و الأفكار و كردّ فعل على الإهانة التي يتعرّض لها العالم الإسلامي من قِبَل الاستعمار في الخارج و الاستبداد في الداخل، شرعوا باتّهام المسلمين (من الشيعة و السنة) بالارتداد لأبسط الأسباب و أنفه العِلل بذهنيّتهم المتشدّدة، و اعتباره كافراً بل و أعظم كُفراً من الكافر الحربي اليهودي أو المسيحيّ و بذلك يستحلّون دمه، و إن كان تعاملهم مع أبناء الشيعة أكثر حقداً و أشدّ عنفاً مقارنةً بأتباع المذاهب الأخرى.

وبعد موضوع الكُفر و الإيمان أصبحت مسألة الجهاد و الفهم التاريخي الخاطئ له جزءاً لا يتجزأ من البرنامج السياسي و العسكري للإيديولوجية الإسلامية الراديكالية لتنظيم (داعش) باعتباره واحداً من أكثر أجنحة تنظيم القاعدة تطرفاً و تشدداً حيث استلهم أفراد (داعش) هذه الأفكار و التعاليم من ثلّة من قادتها الكلاسيكيين الجدد. و يُعتبر أسامة بن لادن - أهم شخصية معنوية و سياسية في تنظيم القاعدة - المرجع الديني الوحيد لتنظيم (داعش)، بينما يمثّل ابن تيمية و ابن قيم الجوزية و هما من المفكرين الأصليين للتيار السلفيّ و الوهابي، يمثّلان المرجع الإيديولوجي الأول لأسامة بن لادن، و في الوقت نفسه لم يكن هذا الأخير متأثراً لا بمحمّد بن عبد الوهاب (وهو من الموالين لابن تيمية) و لا بالإسلام الوهابي المحافظ الشائع في المملكة العربية السعودية^٢، و سنشير لاحقاً إلى الاختلافات بين معتقدات بن لادن و عقائد الوهابية المعاصرة.

ولكي ندرك ذهنية تنظيم (داعش) لا بدّ لنا من البحث في مُعتقدات أسامة بن لادن و بعض قادة تنظيم القاعدة السابقين و الحاليين فيما يتعلّق باب الاجتهاد، و سنقوم أولاً بالخوض في الآراء و الإيديولوجية الدينية الكلاسيكية التي تأثّر بها بن لادن.

١. توشهيكو، إيزوتسو، الله و الإنسان في القرآن، ترجمه إلى الفارسية: أحمد آرام، ص ٥-٦٣.

2. DeLong-

Bas, Natana) 2007 (. Wahhabi Islam. London: I. B. Tauris. pp. 266, 273, 279
http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden

إلى جانب المنظرين الكلاسيكيين المذكورين، يُمثل سيد قطب - وهو أحد المنظرين المحسوبين على الإخوان المسلمين - و عبد السلام فرج - المنظر الرئيسي لمنظمة الجهاد و الجماعة الإسلامية في مصر - و كذلك عبد الله عزّام^١، يمثّل هؤلاء أساتذة أسامة بن لادن و ملهميه دون مضارع الذين وضعوا بصمات واضحة على شخصية بن لادن و خاصّة فيما يتعلّق بمبدأ الجهاد و أهمّيته في أصول الدين و ضرورة تطبيقه في العمل الإسلامي^٢ حيث سنشير كذلك إلى العقائد السطحية و غير العقلانية لهذه المجموعة في تصوير أسلوب طرح فريضة الجهاد الإسلامية. و في نهاية البحث سنتطرق إلى مُعتقدات بن لادن و آرائه بالإضافة إلى مُعتقدات القاعدة الحاليين لتنظيم (داعش) - ونعني بذلك أبي بكر البغدادي الذي يفخر باتّباعه منهج أسامة بن لادن لا أيمن الظواهري (الزعيم الحالي لتنظيم القاعدة).

يحتلّ مفهوم (الجهاد) و طريقة تفسيره و تحويله إلى عمل سياسيّ و نشاط جماعيّ المكانة المحورية الثانية - بعد مفهوم (التوحيد) - في منظومة المبادئ الإيديولوجية الأساسية للإسلام الراديكاليّ لتنظيم القاعدة و زعمائه، و قد خصّص أبرز المفكرين و الإيديولوجيين المسلمين الراديكاليين جزءاً مهماً من آثارهم لتفسير مفهوم الجهاد و كيفية تطبيقه على أرض الواقع في الحركات الإسلامية. و يُعتبر ابن تيمية من أوائل الذين خاضوا في موضوع الجهاد بالتفصيل في التاريخ الإسلامي حيث قام باستخدام أسلوبه هذا بالفعل إبّان الفترة التي كان فيها المغول يحتلون مركز الخلافة الإسلامية آنذاك (وهي بغداد) خلال القرن الهجريّ السابع و كذلك الصليبيين الذين كانوا يسيطرون على أجزاء أخرى من العالم الإسلامي. و قد أشار ابن تيمية في مصنّفاته إلى كون الجهاد مُقدّم على جميع الفرائض الأخرى لأهمّيته الاستثنائية و بيّن في استدلالاته المتنوعة أنّ الشهادة تُمثّل أبسط أشكال الموت، و كان يرى أنّ المسلم الذي لا يشارك في الجهاد هو في الحقيقة كافر، و أنّ الذين لا يطيعون أوامر الإسلام و تعاليمه هم كفّار أيضاً و إن نطقوا بالشهادتين و أنّه ينبغي محاربتهم، و هكذا تُعتبر نظريات ابن تيمية القاعدة الأساسية لصرح الإسلام الراديكاليّ بامتياز^٣.

١. عبد الله يوسف عزّام: شخصية إسلامية فلسطينية يوصف بأنه رائد الجهاد الأفغانيّ و من أعلام الإخوان المسلمين. وُلد عبد الله عزّام في جنين و أنهى دراسته الابتدائية و الثانوية في قريته ثمّ واصل تعليمه بكلية (خضورية الزراعية) و نال منها الدبلوم بدرجة (امتياز) ثمّ عمل في سلك التعليم، وواصل طلبه للعلم الشرعيّ حتى انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق، و نال منها شهادة الليسانس في الشريعة بتقدير (جيد جداً).

٢. ريتشارد بوني، جهاد: از قرآن تا بن لادن، تقد: حميد أحمدى، منشورات (مطالعات راهبردى)، (صيف ٢٠٠٦ م، العدد ٣٢)، صص ٤٢١ إلى ٤٢٩.

٣. مهدي بخشى شيخ أحمد، جهاد: از ابن تيمية تا بن لادن، منشورات (علوم سياسى)، (صيف ٢٠٠٦ م، العدد ٣٤)، صص ١٦٩-١٩٤.

ومن بين المفكرين الإسلاميين الراديكاليين سيد قطب الذي بحث في موضوع الجهاد بشكل تفصيلي، و يعتقد قطب أن المسلم الحقيقي هو الذي يجاهد في سبيل إعلاء كلمة الحق. ومن خلال نقله لكلام ابن قيم الجوزية ادعى سيد قطب أن الرسول الأعظم ﷺ كان قد أمر بالقتال و الجهاد عندما كان في المدينة إلى جانب تصريحه بالدعوة الإسلامية، لكن مع الذين يحاربونه فقط. و بعد تلك المرحلة - والكلام لسيد قطب - و كختم لتعاليم الله (عز و جل) أمر المسلمين بمحاربة جميع المشركين حتى الاستقرار النهائي للدين الإسلامي. و يرى سيد قطب أن عملية قيام الحكومة الإلهية و تطبيق القوانين الدينية و إزالة الطاغوت و القضاء على كل القوانين الوضعية التي سنّها البشر لا يمكن أن تتمّ بالموعظة فقط لأنّ الذين يحتلون موقع الإله لن يتخلّوا بسهولة عن السلطان الذي أحرزوه، فالدين ليس فلسفة بل هو عمل لا يمكن تحقيقه بمجرد الموعظة بل لا بدّ من أن تصاحبه حركة. و لا يمكن التبليغ عن الإسلام و نشر تعاليمه إلّا بالسيف و الكتاب حيث يُمثّل كلّ منهما اللازم و الملزوم للأخر، و يخبرنا التاريخ أنّ السيف كان الوسيلة المثلى لفتح البلدان غير الإسلامية و القضاء على المشركين في الداخل، أمّا الكتاب فهو لإدخال النصرى و اليهود إلى حظيرة الإسلام بعدما فشلت جميع المحاولات لإدخالهم إلى الإسلام بالقوة. وفي معرض انتقاده لأولئك الذين يعتبرون الجهاد في الإسلام وسيلة دفاعية، يقول سيد قطب أنّ هؤلاء في الحقيقة هم مستشرقون يريدون تغيير ماهية الإسلام و أهدافه، و أنّ الذين لا يرون الجهاد إلّا دفاعاً عن البلاد الإسلامية قد نسوا الهدف الأصلي للإسلام و أنّهم باعتقادهم هذا إنّما ينتقصون من شأن الإسلام مقارنة بالبلدان الإسلامية.

وعبر تقديمه لمعنى خاصّ للسلام يعتقد سيد قطب بضرورة أن يؤدّي التعايش و السلام الإلهي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية و الأمان و الاستقرار لكلّ الناس، و ليس مجرد تجنّب الانخراط في الحرب مهما كان الثمن، حتى مع سيطرة الظلم و الاضطهاد على الناس.

واستند سيد قطب إلى بعض الآيات القرآنية كأدلة على أهمية الجهاد، و منها:

١ - ترسيخ حاكمية الله

٢ - تنظيم و توطيد المسائل الإنسانية بواسطة الهداية الإلهية

٣ - محو آثار القوى و العناصر و الأنظمة الشيطانية الموجودة في الجاهلية الحديثة - بزعمه

٤ - إزالة حاكمية الفرد أو بعض الأفراد على البلاد و الاستعاضة عنها بحاكمية الله و تطبيق قوانينه.

وأما عبد السلام فرج، مهندس الكهرباء و زعيم الجهاد الإسلامي في مصر الذي ينتمي إليه المدعو خالد الإسلامبولي أحد الذين اشتركوا في عملية اغتيال الرئيس المصري الأسبق أنور السادات عام (١٩٨١ م)، فيعرف

١. «قوام الدين بكتاب يهدى وسيف ينتصر». [المرجم]

٢. المصدر السابق.

(الجهاد) في كراسه المسمّى (الجهاد، الفريضة الغائبة) قائلاً أنّه الوسيلة المقدّسة الوحيدة التي يمكن استخدامها ضدّ الحاكم الظالم و هي فريضة دأب العلماء - على حدّ قوله - على إخفائها و تجاهلها. و يعتقد فرج أنّ السبيل الوحيد للعودة إلى الإسلام الذي كان مزدهراً في الماضي هو (الجهاد) و أنّه لا ريب في كون السيف هو الوسيلة المثلى للقضاء على الأصنام في العالم المعاصر.

وباستشهاده بالرواية التي ذكرها أبو حنيفة، يقول عبد السلام فرج أنّ البلاد الإسلامية إذا دخلت أيّاً من المراحل أو الظروف التالية فإنّها تُعتبر بلاد الكُفّار و ليس المسلمين:١ - تطبيق القوانين غير الإسلامية و اعتبارها أساساً للتشريع

٢ - فقدان الأمن و الاستقرار

٣ - تعرّض البلاد الإسلامية للخطر و التهديد

وهنا يستنتج عبد السلام فرج أنّ مصر تُعتبر بلاداً للكُفّار بسبب تطبيقها للقوانين غير الإسلامية، و أنّ الحكّام الحاليين في البلدان الإسلامية قد ارتدّوا عن الدين الإسلامي و أنّهم ينتهجون منهج الإمبريالية أو الشيوعية أو الصهيونية.

كما صرّح عبد السلام فرج أتباعه لأئمة الفقه و قال أنّ عقوبة الذين يرتدّون أكبر منها في حال كون الشخص كافراً منذ البداية و لذلك ينبغي محاربة المرتدّين و القضاء عليهم حتى و إن كانوا عزلاً لا يحملون آية أسلحة.

وباستناده إلى كلام ابن تيمية يستنتج عبد السلام فرج أنّ حكّام البلدان الإسلامية في الوقت الحاضر لا يختلفون عن التتار بسبب تجاوزهم للقوانين الإلهية و تطبيقهم القوانين الوضعية. و كان فرج يرى أنّه على الرّغم من ضرورة أن يكون جهاد المسلمين في العصر الحديث منصباً على تحرير القدس إلّا أنّه ينبغي التركيز على بعض النقاط المهمّة و الضرورية، و هي أنّ محاربة العدو الأقرب أوجب من محاربة العدو الأبعد، و أن تكون الحرب تحت راية الإسلام، و يعتقد أنّ الحكّام المسلمين في الظاهر في الدول الإسلامية هم ركائز للإمبريالية التي تكرس وجودهم في تلك البلدان، لذلك يجب أوّلًا القضاء على أولئك الحكّام كبداية للجهاد الأكبر.

ويؤكّد عبد السلام فرج على ضرورة أن يلبي المسلمون دعوة إمامهم إذا ما دعاهم إلى الجهاد و لا حاجة للبعض منهم إلى الحصول على إذن من والديهم في المشاركة إذ في هذه الحالة يصبح مثل الجهاد كمثل الصلاة و الصوم. و من وجهة نظره فإنّ الإسلام لم يتّسع و لم ينتشر أبداً بقرّة السيف و أمّا الجهاد الدفاعي فهو أمر مرفوض تماماً، و أنّ الجهاد يُعتبر عملية مستمرة إلى قيام الساعة. ويستنتج عبد السلام فرج و المسلمون

١. المصدر السابق.

الراديكاليين كذلك أن تفسيرهم المتطرف هذا للحديث المذكور يُفند ما ورد في الحديث المعروف القائل بأنَّ جهاد النَّفس أعظم من جهاد العدو، بل وأنَّ هذا الحديث الأخير هو حديث موضوع^١.

هذا، و يُعتبر احتلال الاتحاد السوفياتي سابقاً لأفغانستان عام (١٩٧٩ م) عاملاً مهماً لتقرب الجهاد والجهاديين إلى الراديكالية الأمر الذي دفع ببعض علماء السنَّة إلى إصدار فتاواهم للجهاد ضدَّ القوات الشيوعية. وقد أدت هذه الحادثة إلى اعتراف بعض الدول و على رأسها المملكة العربية السعودية بشرعية الحرب و الجهاد في أفغانستان. و خلال تلك الأحداث كان عبد الله عزَّام ممَّن ترك الدراسة في جامعة الملك عبد العزيز في السعودية و رحل إلى باكستان عام (١٩٨٥ م) ليتدرَّب على فنون القتال إلى جانب المجاهدين، و هناك استطاع تأسيس منظمة باسم (مكتب الخدمات للمجاهدين العرب) بالتعاون مع الهلال الأحمر الكويتي و السعودي و كذلك أسامة بن لادن بهدف تقديم المساعدات الإنسانية للمجاهدين الأفغان. فأصبح عزَّام الزعيم و الواعظ الكاريزمي و المنظر الأصلي للعرب و الأفغان و كان من قَبْل أستاذاً لأسامة بن لادن في الجامعة، حيث رحل بعد ذلك إلى الأردن و سورية و حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة دمشق في الحقوق الإسلامية.

وفي أواخر عام (١٩٦٠ م) سافر عزَّام إلى مصر و التحق بجامعة الأزهر و أكمل فيها دراسته ثم عاد إلى السعودية سنة (١٩٧٣ م) و بدأ بممارسة التدريس في جامعة جدَّة.

لقد كان عزَّام من أوائل الذين هبوا لمساعدة المجاهدين الأفغان و لهذا جعل مقرَّه في مدينة بيشاور في باكستان بعد أن توصل إلى نتيجة مفادها أنَّ الجهاد هو السبيل الوحيد لاستقرار المجتمع الإسلامي. و من خلال تأليفه لبعض الكتب أضحى عبد الله عزَّام من أهمَّ زعماء الجهاد، لكن ما لبث أن اغتيل في مقرِّ إقامته (بيشاور) عام (١٩٨٩ م) في طريق عودته إلى مسجد (سبع الليل).

ويُذكر أنَّ عزَّام كان قد أشار في كتبه إلى العديد من الأسباب و العلل التي تحثُّ على الجهاد و منها: ١ - منع سيادة الكُفار و تسلُّطهم على المسلمين

٢ - قلة أعداد المسلمين المستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل الإسلام

٣ - الاستمرار على منهج السلف الصالح

٤ - بناء المجتمع الإسلامي و استقراره

٥ - الشهادة و دخول الجنَّة

٦ - الحفاظ على بلاد الإسلام و الحيلولة دون وقوعها في هاوية الفساد

٧ - يُعتبر (الجهاد) قَمَّة الفرائض في الإسلام

١. المصدر السابق.

٨ - الجهاد هو رأس العبادات

ويرى عزّام أنّ (الجهاد) يأتي في المرتبة الثانية بعد الإيمان لكنّه ظلّ فريضة غائبة و منسيّة و هذا هو السبب الذي أدّى إلى بقاء المسلمين في حالة الدلّ و الهوان.

ويتفق عزّام مع الآخرين حول وجود نوعين من الجهاد: الجهاد الهجوميّ على أرض العدو و الجهاد الدفاعي، و أنّ من بين العوامل التي توجّب القيام بالجهاد الدفاعي قيام الكفّار بأسر عدد من المسلمين و سجنهم. و للجهاد ضدّ الكفّار الذين يحتلون بلاد المسلمين فإنّه لا ضرورة إلى الحصول على إذن من الوالدين، و إنّ ترك الجهاد يشبه ترك الصلاة و الصوم بل و أسوأ من ذلك أيضاً.

وقد كانت للنظريات التي وضعها عبد الله عزّام تأثيراً كبيراً على المنظمات الجهادية الحديثة العهد فأصبحت كتاباته برنامج عمل للمجاهدين يقتدون بها إذا ما أرادوا إعلان الجهاد العالمي ضدّ الغرب و إسقاط الحكومات العميلة في الشرق الأوسط.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عبد الله عزّام كان له الأثر الأكبر على شخصية أسامة بن لادن و أفكاره فكان الملمهم بلا منازع له لسنوات طويلة. و أدت آراء عزّام إلى إنشاء منظمة عالمية لاستقطاب المتطوعين من شتى بقاع الإسلام للجهاد في أفغانستان، و من هنا تشكّلت الخلايا العالمية للاغتيالات التي حظيت بدعم معظم الحركات الراديكالية لها^١.

ويذكر أنّ أسامة بن لادن (١٩٥٧ - ٢٠١١ م) - مؤسس تنظيم القاعدة - كان قد أصدر فتوتين في عامي (١٩٩٦ م) و (١٩٩٨ م) حول ضرورة الجهاد ضد إسرائيل و الأنظمة الإسلامية التي تؤوي القواعد العسكرية الغربية، و سوف نشير إلى تلكما الفتوتين لاحقاً. ويرى بن لادن أنّ فكرة جهاد الأعداء و محاربتهم تشمل الأفراد غير العسكريين و العسكريين في الولايات المتحدة و حلفائها. و خلال فترة حكم الملا عمر في أفغانستان كان أسامة بن لادن يؤمن بالفكر المتطرف القائل بأن أفغانستان هي الدولة الإسلامية الحقّة الوحيدة في العالم الإسلامي^٣، و رغم أنّ أفكاره بشكل عام تشبه إلى حدّ كبير العقيدة الإسلامية الوهابية إلا أنّ عقيدته تختلف عن عقيدة الوهابية في ثلاث مواضع هي:

١ - تعتبر الفرقة الوهابية أنّ أمر الجهاد منوط بالزعيم السياسي، في حين كان بن لادن يرى نفسه المفتي الوحيد للجهاد دون حاجة منه إلى قائد سياسي أو حكومي.

١. المصدر السابق.

2. [http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Beliefs and ideology of Osama bin Laden](http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden)

3. Bruce Lawrence (2005). Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden. Verso. pp. p 143.

[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Beliefs and ideology of Osama bin Laden](http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden)

٢ - ثمة علاقة وثيقة تربط بين الفرقة الوهابية و العائلة المالكة السعودية^١ في حين طالما صرح بن لادن بضرورة إسقاط السلالة الحاكمة في السعودية.

٣ - في الوقت الذي تعتبر فيه الوهابية عبادة الله سبحانه و نبذ الأصنام و ضرورة اتباع الشريعة هي المسألة الرئيسية، فإن الهدف الرئيسي بالنسبة لابن لادن هو التصدي للسياسة الغربية و محاربة الأنظمة التي لا تحكم وفقاً لشريعة الإسلام^٢.

وفيما يتعلّق بالحكومة السعودية فإنّه و بالنظر إلى الإشكالات الكثيرة التي تؤخذ على تصرفاتها و أفعالها من خلال النظرة الإيديولوجية، فقد أعلن أسامة بن لادن مراراً معارضته للحكومة السعودية و الوقوف ضد سياساتها^٣. ففي الفترة التي كان الاتحاد السوفياتي (سابقاً) يحتلّ فيها أفغانستان خصّص أسامة بن لادن جزءاً كبيراً من ثروته الشخصية لتشجيع المتطوعين و جذبهم من الأقطار الإسلامية المختلفة إلى أفغانستان لمقاتلة القوات السوفياتية، معلناً تأييده المؤقت للتدخل الأميركيّ آنذاك في أفغانستان ضدّ الاتحاد السوفياتي، إلا أنّ علاقته الطيبة مع الولايات المتحدة لم تدم طويلاً لا سيّما بعد خروج القوات السوفياتية من أفغانستان حيث وصلت إلى أسوأ حالاتها^٤.

وقبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول بدأ أسامة بن لادن بتنبيه حلفائه إلى وجود حرب بين العالم الإسلامي و الولايات المتحدة الأميركية بسبب ما أسماه ب - (الحرب الصليبية الأميركية ضدّ الشعوب الإسلامية)، فعلى الصعيد الداخلي كان بن لادن يوصي المسلمين بضرورة اتباعهم لزعيم يعمل على توحيدهم و يقيم لهم الخلافة الإسلامية. و يمكننا توضيح النواة الأصلية لفلسفة أسامة بن لادن من خلال البيّانين اللذين أصدرهما في الجهاد ضدّ الولايات المتحدة: ففي بيانه الأوّل الصادر بتاريخ (٢٦ / ٨ / ١٩٩٦ م)^٥ أشار بن لادن إلى سببين

١. استمرّ اتحاد الوهابيين وآل سعود منذ تأسيس هذه الفرقة وحتى القرون الأخيرة، إلا أنّ الاتحاد المذكور لا يعني عدم وجود اختلافات بينهما في المسائل السياسية والاجتماعية، وقد أدّت تلك الاختلافات إلى انفصال الوهابية تدريجياً عن آل سعود. ونشرت في جامعة (المفيد) مؤخراً أطروحة بعنوان «سياستهاى دولت عربستان در قبال شييعان اين كشور» حيث تناول أحد فصولها بالتفصيل كيفية نشوء المملكة السعودية من خلال اتّحادها مع الفرقة الوهابية بالاستناد إلى الكثير من المصادر.

2. Commins, David (2006). The Wahhabi Mission and Saudi Arabia. I. B. Tauris. pp. 185, 190.

http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden

3. http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden

4. Ibid.

5. Christopher M. Blanchard) Analyst in Middle Eastern Affairs Foreign Affairs, Defense, and Trade Division (, Al Qaeda: statements and Evolving Ideology) CRS

-Congressional Research Service-

رئيسيين حول عدم شرعية حكم آل سعود: السبب الأول هو نبذهم للشرعية الإسلامية، و السبب الثاني أن المملكة العربية السعودية مُحْتَلَّة في الواقع من قِبَل الصليبيين الأميركيين.

وكان بن لادن يرى أن الولايات المتحدة تسيطر على منطقتين مقدستين في السعودية و هما مكة المكرمة و المدينة المنورة و أن على المسلمين أن يطردوا أولئك الكفار - على حدّ تعبيره - من بلادهم بإعلان الحرب عليهم. و يعتقد بن لادن - كسلفه ابن تيمية - أن الفريضة الأساسية التي تقع على عاتق المسلمين بعد إيمانهم هي الجهاد الهجومي لإقامة حكومة الله في الأرض و ذلك بطرد الأميركيين من الأرض المقدسة - بزعمه. و يقول بن لادن أنه لا وجود لأيّ شرط أو حالة استثنائية لأداء فريضة الجهاد.

وأما فتواه أو بيانه الثاني فقد صدر بتاريخ (٢٣ / ٢ / ١٩٩٨ م) و هو يتعلّق باليهود و النصارى، و فيه يُعلن تأييده و تضامنه مع المجاهدين في مصر و باكستان و بنغلادش في حربهم ضدّ الولايات المتحدة الأميركية و حلفائها الذين يحادّون الله و رسوله و المسلمين.

وفي بيانه المذكور يشير بن لادن إلى ثلاثة جرائم اقترفتها الولايات المتحدة و هي:

١ - احتلالها لأرض المملكة العربية السعودية المقدّسة و نهب ثرواتها الوطنية و تذليلها لحكامها و شعبها.

٢ - فرض الحصار على العراق و التسبّب بمقتل أكثر من مليون مواطن عراقي.

٣ - دعمها المطلق للكيان اليهودي - على حدّ تعبيره - و قتل المسلمين.

وبناءً على ذلك، يصبح الجهاد العينيّ الدفاعيّ ضدّ النصارى و اليهود و خصوصاً الولايات المتحدة، واجباً على كلّ مسلم.

ويعتقد أسامة بن لادن أنه ينبغي نسيان ما قد فات بالنظر إلى الفرصة المؤاتية في الوقت الحاضر لإعلان الجهاد و محاربة أعداء الإسلام لا سيّما الأعداء الخارجيين من النصارى و اليهود. و يرى بن لادن أن تجارب الانتصار التي تحقّقت في أفغانستان على القوات السوفياتية آنذاك تشير بشهادة المقاتلين الصوماليين إلى أن الأميركيين أضعف قوّة و أقلّ احتمالاً من السوفيات^١.

Report for congress, Order Code RL 32779, Updated July 9, 2007 (Prepared for Members and Committees of Congress, pp: 5-6

١. مهدي بخشي شيخ أحمد، المصدر السابق.

أنظر مصادر أخرى حول الموضوع:

DeLong.

Bas, Natana) 2007 (. Wahhabi Islam. London: I. B. Tauris. p. 272

http://en.wikipedia.org/wiki/Beliefs_and_ideology_of_Osama_bin_Laden

وفي الجانب الآخر يعتقد أيمن الظواهري - زعيم منظمة الجهاد الإسلامي في مصر و الرجل الثاني لتنظيم القاعدة و أحد الموقّنين على بيان عام (١٩٩٨ م) - أنّ الهدف الرئيسيّ من الحرب الحالية التي يخوضها المقاتلون الإسلاميون هو إسقاط الأنظمة و

الحكومات غير المشروعة و إنشاء حكومة إلهية. و يرى الظواهريّ كذلك أنّ الحرب ضدّ التحالف اليهودي - الأميركيّ هو المصير المحتوم للمسلمين و باستناده إلى روايتين يذكرهما في حديثه يعتقد الظواهري بأنّ الموت أشرف من الذلّ و الخنوع. ثمّ ينقل كلاماً لسيد قطب يقول فيه: يا أخي! تحرّك إلى الأمم، و لا تلتفت يمنة و لا يسرة، أنظر فقط إلى الجنة!

وبعد وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، أعلن تنظيم القاعدة الأسباب الشرعية لتبنيّه هذا العمل و منها - بزعم التنظيم - أنّ الله أعان الشباب المؤمن في هذه العملية ليتسنى لهم الشرب من دماء الصليبيين بعد أن ظلّ هؤلاء يمتصّون دماء المسلمين لعقود طويلة! و أضاف التنظيم قائلاً أنّ هؤلاء الشبيبة لم يقوموا بهذه العملية طلباً للمال أو جرياً وراء الشهرة أو اللذات الزائلة بل دفاعاً عن الدين و عن المسلمين كافة لأنّ أولئك الصليبيين قاموا بالعديد من المذابح في فلسطين على مدى نصف قرن و عمدوا إلى قتل العراقيين بشكل غير مسبوق، ناهيك عمّا فعله الصّرب في البوسنة و الهرسك من إبادة جماعية و اقترفه عبدة البقر في كشمير من قتل و ذبح للمسلمين، فضلاً عن أنّ الشعوب في الشيشان و أفغانستان و معظم جمهوريات آسيا الوسطى تمّت إبادة و تشريدتها من قِبَل الصليبيين الطغاة في الاتّحاد السوفياتي. و كذلك فعلت الولايات المتحدة في أفغانستان كما قامت بقتل المسلمين الأبرياء في تيمور الشرقية، و بحجّة تطبيقها لقرارات الأمم المتحدة ارتكبت المجازر بحقّ الشعب الصوماليّ. إنّ الجبهة الصليبية اليهودية - بزعم تنظيم القاعدة - تسعى إلى إبادة المسلمين لا لشيء إلاّ لكونهم يعبدون الله سبحانه.

ولتبرير قتله للضحايا الأبرياء من المسلمين الذين لقوا حتفهم في أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، أعلن التنظيم المذكور أنّ قتل المدنيين العزّل ليس محرماً تماماً، بل يجوز قتلهم في حالات مُعيّنة: ١ - المقابلة بالمثل وفقاً للآية الشريفة: **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** و بالتالي مواجهة العدو بأسلوبه و طريقته هو. فهم يقتلون المواطنين العاديين في فلسطين، إذن، فباستطاعتنا نحن كذلك فعل الشيء نفسه.

٢ - من الصعوبة بمكان التمييز بين المقاتل و الشخص العادي عند الهجوم على قلعة أو مركز عسكريّ.

٣ - إنّ مشاركة المواطن العادي في الفعل أو القول أو التفكير (وميله القلبيّ إلى العدو) يضيفي الشرعية على محاربتة و القتال ضده.

١. مهدي بخشي شيخ أحمد، المصدر السابق.

٢. (سورة البقرة: ١٩٤).

٤ - كان مركز التجارة العالمية قلعة من قلاع العدو التي أعلنت مُعادتها لنا بشكل مباشر.

٥ - وفقاً لرواية عن النبي ﷺ فإنَّ استخدام المنجنيق للهجوم على العدو المؤلّف من المقاتلين و الأشخاص العاديين هو أمر مشروع؛ إذن فالهجوم على العدو بأسلحة الدمار الشامل و الطائرات على أبراجه لا يختلف عن استخدام المنجنيق.

٦ - إذا استخدم العدو النساءَ و الأطفال أو أيّ أشخاص آخرين كدروع بشرية له عندئذ لا مفرّ من قتل الجميع.

٧ - إنَّ نقض العدو للعهد و الموائيق يجيز قتله في آية صورة كانت.

٨ - إنَّ المسلمين الذين قُتلوا خلال تلك الأحداث إمّا أنّ ذلك كان اضطراراً و عندئذ تُدفع لهم الدية أو أنّ ذلك كان من باب العقوبة لكي لا يعملوا لصالح العدو.

هذا، و يعتقد أفراد تنظيم القاعدة أنّ التاريخ قد أثبت أنّ استخدام القوّة و العنف كان له أثره الفعّال في القضاء على الحكّام المشركين، و كما أنّ النبي ﷺ كان قد فتح أبواب عصر جديد من الهداية و العدالة للبشرية جمعاء عند دخوله مكّة فاتحاً، فإنَّ تنظيم القاعدة يرغب أيضاً في إنقاذ الناس من ظلمة الجاهلية و سوقهم إلى نور الهداية^١. ويصرّ مؤسسو تنظيم القاعدة و المرتبطون به و الموالون له على اعتبار كلّ من يختلف معهم في العقيدة أو يعترض على إنشاء الدولة الإسلامية التي يرومون تأسيسها و كذلك الذين يدعمون الحكومات الحالية و يشاركون الآخرين في العالم الإسلامي نشاطاتهم و فعّالياتهم، يعتبرون أولئك جميعاً مرتدّين و كفّار^٢.

وعندما اجتاحت الولايات المتحدة العراق و حظيت بدعمّ الدول الإسلامية السنيّة لهذا الاجتياح و تأسّست حكومة جديدة كانت للأغلبية الشيعية فيها اليد الطولى، حدث خلاف بين زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبي مصعب الزرقاوي و أيمن الظواهري القائد العام للتنظيم إذ كان هذا الأخير يرى أنّه لا ينبغي الصّدّام مع الشيعة أو قتلهم و الدخول معهم في جهاد لم يُكتب إلّا ضدّ الكفّار و ليس ضدّ فرقة من الفِرَق الإسلامية، لكنّ الزرقاوي لم يوافق على مثل هذا التفسير معتبراً أنّ مثل الشيعة في العراق كمثّل قوات الحلفاء و الولايات المتحدة، و أنّهم كفّار تجب محاربتهم و الجهاد ضدّهم^٣. و قد أدّى هذا الخلاف بعد مقتل الزرقاوي إلى انفصال (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) عن تنظيم القاعدة الرئيسيّ بزعامة أيمن الظواهريّ و تمخّض عن هذا الخلاف ولادة تشكيل جديد باسم تنظيم (داعش) بقيادة المدعو أبي بكر البغدادي الذي فضّل استلهم أفعاله و أقواله من أسامة بن لادن مباشرة.

١. في إشارة على ما يبدو إلى محاصرة المسلمين للطائف وأخذ النبي ﷺ برأى سلمان المحمّدي الذي اقترح نصب المنجنيق

حتى يحدث في الحصن ثغرة ينفذ منها المسلمون إلى المشركين. [الترجم]

٢. مهدي بخشي شيخ أحمد، المصدر السابق.

3. Christopher M. Blanchard, Al Qaeda: statements and Evolving Ideology, p: 19

4 . Christopher M. Blanchard, Al Qaeda: statements and Evolving Ideology, p: 12

والحقيقة أن مستوى التفكير الجاهل و المتطرف لهذه الجماعة هو أكثر تعصباً و تشدداً من الآراء الساذجة لتنظيم القاعدة. و قال أحد ولاة تنظيم (داعش) الإرهابي الذي ألقت القوات العراقية القبض عليه: "أن الوهابيين من وجهة نظرنا هم الوحيدون الذين يمكنهم العيش بسلام و أمان!" و أضاف هذا الشخص كذلك قائلاً: "إننا نعتقد بأن الشيعة و السنة كُفَّار حتى يتوبوا و يُبايعوا أبي عمر البغدادي!"¹

ج) معتقدات تنظيم (داعش) و شغفه بالتقنيات الحديثة

لكي نفهم نظرة تنظيم (داعش) الدوغمائية إزاء التقنية الحديثة ينبغي لنا أولاً استعراض العقائد الكلامية السلفية الوهابية باعتبارها أساس تصوّر هذه الجماعة للحدائث و المدنية، و كذلك مكانة التقنية الحديثة في أعماق معتقداتها.

فالسلفيون مثلاً لا يعتقدون بالمجردات و يعتبرون أن العالم بأكمله و كذلك الله (عز و جل) يمكن الإحساس به، و هم لا يقولون بأن الله سبحانه جسم لكنهم يؤمنون بأنه محسوس و يمكن رؤيته يوم القيامة بالعين الطبيعية. و ما كان السلفيون ليؤمنوا بالغيب لولا ورود شواهد كثيرة عنه في القرآن الكريم، ورغم ذلك فهم لا يرون أن الغيب معناه الموجودات التي تكون خارج المادة كالقول و ما شابهها. و أما ما يتعلّق بالملائكة فهي - على حدّ قولهم - أجسام مخلوقة من النور، و الروح مادية و ليست خارج البدن. و من الناحية المعرفية فإن السلفيين لا يقبلون إلّا بالنقل و هم بذلك يتهرّبون من العقل و الشهود لأنّهما بزعمهم لا يشيران سوى إلى الباطل، كما أنّهم يؤكّدون على الرجوع إلى الوحي المتمثّل بالكتاب و السنة و الإجماع، و أما التجربة فيتفقون على كونها سبيل آخر للمعرفة ما لم تتعارض مع النقل.

وعلى خطى ابن تيمية، يؤمن السلفيون بعدم وجود أيّ تعارض بين العقل و النقل بدعوى أنّه لا سبيل للعقل إلى العالم العلويّ و أن النقل وحده الذي يشتمل على التعاليم القدسية، و في حال وجود تعارض بين العقل و النقل فإن ذلك يعني أن هذا العقل هو عقل يونانيّ لا يؤدّي سوى إلى البدعة.

ومن الناحية المنهجية يؤكّد السلفيون على أفضلية علم السلف لأنّه الوحيد الذي يتّسم بالخلوص و النقاء، و أما أنواع العلوم الأخرى - علم المتكلمين و الفلاسفة و العرفاء و غيرهم - فلا علاقة بينها و بين الإسلام إطلاقاً، بل هي علوم ضالة مضلّة. يُضاف إلى هذا تعتقد السلفية أن جميع أفاظ القرآن الكريم حقيقة و لا تتضمن أيّ نوع من المجاز². ومع وجود هذه العقبة الكأداء في الفكر و الكلام فإنّ ثمة صراعاً قوياً يتجاذب تنظيم (داعش) في الوقت الحاضر بشأن الجوانب العقلانية للتجدد و الحدائث و خاصّة في مجال الإنجازات السياسية كالديمقراطية و حقوق الإنسان و تقدّم المجتمعات و تحكّم الشعوب بمصائرهما، فما كان من هذه الفئة التي تحمل مثل هذه

1 . [http:// www. iribnews. ir/ NewsBody. aspx? ID/ 81825](http://www.iribnews.ir/NewsBody.aspx?ID/81825)
www.behtarinkhabar.ir

2. <http://tehranpress.com/fa/news-details/69484>

مهدى فرمانيان؛ مباني فكري سلفيه (أطروحة الدكتوراه، مركز إعداد المعلمين في جامعة قم، ٢٠٠٩ م)

التصورات الضيقة والآراء المظلمة إلا نسبة القصور إلى الدين الإسلامي للتغطية على نظرتها الرجعية و فشلها الذريع^١.

وأما موازين هذه الجماعة و معاييرها فقد اعتادت على شطب حقيقة التأمّلات التاريخية لدى أفراد البشر المؤهلين، و لم يُعدّ بمقدور ميزانها سوى قياس و تقييم المسائل المحسوسة عندما يتعلّق الأمر بالإنجازات المادية للحضارة التي تُعتبر وليدة الحسّ و التجارب و التي يُشار إليها في عصرنا الحاضر بالتقنية. هذه الجماعة لا تستند إلى الشريعة سوى لتقييم مثل هذه الأمور المحسوسة، و هي لا تنجذب إلا لكلّ ما كان له مصداق لمفهوم دينيّ ما دون قدرتها على إدراك العقبة الفكرية لهذا الأمر، و هي العقبة الفكرية التي طالما كانت مرفوضة و غير مقبولة.

هذا، و يسعى مرتزقة تنظيم (داعش) في الظروف التاريخية المعاصرة حيث وصل التقدّم التكنولوجيّ قمة ازدهاره، يسعون إلى تأسيس مجتمع بدويّ باسم الدين و المذهب عن طريق التوليف و المزج بين الجهل (المقدّس لديهم بالباطل) و بين الوسائل و التقنيات الحديثة في مجال المعدات العسكرية و البرامج الإعلامية، ثمّ تنصيب أنفسهم خلفاء على العالم الإسلاميّ.

و تعتقد هذه الجماعة أنّه إذا أتى العلم الحديث بمُنجزات تتعارض مع ظاهر القرآن الكريم و السنّة فإنّه لا يُعتبر علماً بل جهلاً، و عليه، يمكن الاستعانة بالتقنيات الحديثة طالما أنّها لا تتعارض لا مع القرآن الكريم و لا مع السنّة^٢.

وعلى سبيل المثال، فقد نُقل عن زعيم هذا التنظيم المقبور أسامة بن لادن أنّ شعوره حيال التقنيات كان ازدواجياً، فمن جهة كان مولعاً بالمعدات الثقيلة و كذلك هندسة الجينات النباتية، و من الجهة الأخرى كان يكره استخدام جهاز تبريد المياه^٣، و يُذكر أنّ هذا الشعور المزدوج كان يُمكن ملاحظته كذلك بشكل أو بآخر في تصرّفات أتباعه من الشباب المسلم المُحبّط الذين التحقوا بالتنظيم من أوروبا و أميركا و حتى أولئك الذين قدّموا من البلدان الإسلامية.

ومن غير المستبعد أنّ أتباع بن لادن أرادوا تقديم عرض يتضمّن مزيجاً من الشغف بالتقنية الحديثة و الكراهية للغرب من خلال هجومهم الانتحاريّ الذي نفّذوه على بُرجي مركز التجارة العالمية باعتباره - بزعمهم - قلب الاقتصاد الرأسماليّ الذي تسيطر عليه الجماعات اليهودية و الصهيونية. و الحقيقة أنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول تُمثّل نموذجاً حياً للتركيبية الغربية التي تضمّ العصبية و التقنية معاً، و كان مُهندسو العملية مؤمنين

1. <http://kordestanweb.ir/>

2. <http://tehranpress.com/fa/news-details/48496>

3. Wikipedia, beliefs and ideology of Osama bin laden, Technology

بما يقومون به؛ فهم مهندسون بارعون في الهندسة العدمية و التخريب، و هي هندسة لا تعرف فناً سوى الدمار و الدعوة إلى الهدم بسبب الحقد المفرط الممزوج مع اليأس و القنوط المفرطين^١.

فهؤلاء المهندسين كانوا يحتذون أحدىة (أديداس) و يرتدون ثياباً مزينة بالماركات و العلامات الغربية و يأكلون السندويشات العامرة في مطاعم (ماك دونالد) ثم يشربون معها الكوكا كولا، لكنهم مع ذلك كانوا أشخاصاً تفيض من عيونهم الكراهية و من قلوبهم الحقد إزاء الحداثة و العصرية التي تحيط بهم، و كانت مقومات النفور و الهيام معاً حيال التجدد و الحداثة تتصارع داخلهم، و مثل هذه الازدواجية و الفصام في الشخصية كان مشهوداً أيضاً في تصرفات جماعة (طالبان) في أفغانستان و سلوكياتهم، فقد كان هؤلاء يعارضون بشدة التعامل مع التقنيات و خصوصاً التلفاز و السينما بالإضافة إلى معاداتهم لبعض مظاهر الحضارة الحديثة و التقدم العصري، لكنهم لم يخفوا ولعهم الشديد و رغبتهم الملحة في الحصول على آخر ما توصل إليه العلم الحديث في مجال صناعة الأسلحة و أساليب التعذيب و القمع. و عندها يمكننا إدراك الأسباب التي أدت و بسهولة إلى جمع شمل الإسلام السياسي غير العقلاني و الوصولي لتنظيم القاعدة مع التقنية الحديثة و الطرق العصرية في تطبيق التعذيب و القهر^٢.

وبشكل عام، فعند خلط العقلية التقنية مع الإيمان الإسلامي السطحي و قليل من التأمّلات العقلية و بعض المقادير من التعبد الجاهلي، فإننا سنحصل على تركيبة من مجموعة من التقنيات الكارثية بدلاً من أن تكون تحررية و مزدهرة، و عندها فقط سيسهل على هؤلاء التعامل مع العالم المجازي لكل أنواع الاغتياالات الفردية و الجماعية مهما بعدت الشقة بينهم و بين من يريدون اغتياله، فيتم تصويب الأسلحة النارية باتجاه المؤمنين، و عندها أيضاً سيقوم هذا الدين الذي أصبح جداراً يمنع كشف الحقيقة و يحول دون بيانها بتحويل تلك الأسلحة التي يمكنها أن تكون نافعة و مفيدة إذا ما تم استخدامها بالشكل الصحيح إلى أكثر الوسائل شرّاً و وحشية.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى نقطة أخرى لا تقل أهمية عما قلناه حتى الآن، و هي أن نشوء العالم المجازي نفسه كنتاج لأرقى مراحل التقدم التقني الذي حققه الإنسان، كان له الأثر البالغ في ابتعاد أفراد البشر عن التفكير العقلاني إزاء الدين و الترويج لما سخف من الكلام و تردى من التعاليم و نشر ذلك في مختلف مواقع الشبكة العنكبوتية و الاستعاضة به عن المعلمين الحقيقيين للدين، و قد سحر به بعض الشباب المسلم في عصرنا الحاضر و راح يلهث وراء خلق عالم ديني كاذب له من دون أن يجهد نفسه في تقييم تلك التعاليم السطحية و المرتجلة. و لا عجب بعد ذلك إذا ما شهدنا اليوم أكثر من أي وقت مضى تكاثر الفرق و ازدياد أعداد المذاهب التي يصنعها البشر و التي لا يعرف لها أصل بالمرّة.

١. محمد رضا نيك فر؛ ايمان و تكنيك، موقع (نيلگون)، ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٠٥، ص ٢٢. تمّ التصرف بالمادة المقتبسة من

المصدر في هذه المقالة بحسب كاتبها.

٢. المصدر السابق، ص ٢٤.

إنّ التقنية في العصر الحديث تعني رأس المال، و الولوج في تقليد التقنية الحديثة و الاقتباس منها معناه الهيام في إنتاج رؤوس الأموال قبل أيّ شيء آخر و بعده، و هذا بالذات يخلق حالة تَوَدّي إلى تلوّث الإيمان بمتاع الدنيا القليل، و قد يصل تعظيم الإيمان و تقديره حدّاً يكون فيه أقرب إلى العدم منه إلى الوجود أصلاً لأنّ التقنية هي سلاح ذو حدينّ، ففي الوقت الذي تكون فيه وسيلة إلى الحياة يمكن أن تكون كذلك سبيلاً نحو القتل، و آلة للتعذيب، و أسلوباً للتحقيق، و فناً لإدارة السجون، و نظاماً للملاحقة و المراقبة و التجسس و القمع و التصريحات الكاذبة.

فالنظام هو نوع من التقنية، و كذلك الجيش و البندقية و المفاعل النووي و القنبلة الذرية، كلّ واحدة من تلك هي نوع من أنواع التقنية، و لهذا تشير جميع التقارير الواردة مثلاً من العراق إلى أنّ جميع الذين يقاتلون تحت لواء تنظيم (داعش) ليسوا مسلمين خوارج و جهلاء و حسب، بل إنّ بين ظهرانيهم كذلك الكثير من الوصوليين و العاطلين عن العمل و الجنّة الدوليين و عبید الشهوات و التعصّب و الغضب و طلب السلطة و الأموال، رغم كلّ المحاولات التي تبذلها هذه الجماعة للتمظهر بصورة المؤمن المخادع المناقّ المختفي وراء ستار الجهل بهذا الأمور.

د) ماهية البيئة الحياتية عموماً و معالم البيئة الحياتية السلفية – الداعشية خصوصاً^٢

قبل الخوض في معالم البيئة الحياتية السلفية الداعشية لا بدّ أولاً من توضيح ثلاثة أمور بشأن البيئة الحياتية: ما هي البيئة الحياتية؟ كيف تتكوّن؟ و كيف يمكن التمييز بين البيئة الحياتية المعتبرة عن غير المعتبرة، والبيئة الحياتية للأفق لها معنى مشترك تقوم بإيجاد عالم مشترك للفئات الاجتماعية من أصغر وحدة فيها إلى أكبرها في المستويات المختلفة. و هذا الأفق المعنائي الهادي هو الذي يمنح المعنى و يجعل جميع الأفعال الاجتماعية للأفراد في المجتمع ممكنة، و ليس بإمكان أيّ فرد الخروج خارج حدود البيئة الحياتية، و ما من فعل يمكن أن

١. المصدر السابق، ص ١٤. يمكننا استنتاج بعض النقاط من البحوث التي كتبها (نيك فر) حول موضوع عدمية الإسلاميين المتطرفين، منها: نفهم للقيم الأخلاقية المعروفة وحصص الخير في فئة أو جماعة مُعيّنة (ويعنون بذلك أنفسهم)؛ حصر الحقيقة في إدراك جماعة مُعيّنة (ويعنون بذلك أنفسهم أيضاً)؛ حصر رحمة الله على فئة مُعيّنة (ويعنون بذلك أنفسهم كذلك)؛ حصر الدين بهم واقتضاره عليهم ونسبة الكفر إلى غيرهم. ومن خلال هذه النظرة فإنهم لا يرون عالماً خارج عالمهم الصغير والضيق سوى عالم الشياطين ولهذا فإنهم يرفضون مثل ذلك العالم. وهكذا نلاحظ أنّ عدمية الدينية لم تسعف آلام الناس العاديين بل مرض المهندسين من النخبة المسلمة، فهؤلاء هم الذين يصنعون من الدين تعاليم دينية سياسية قاتلة، فهم متعطشون للسلطة التي لا يمكنهم الوصول إليها بالفرض الميؤس للآخرين فقط. المصدر السابق، ص ٢١-٢٢.

٢. «life world» وقد ورد مفهوم البيئة الحياتية لأول مرة في نظرية «فعل التواصل» للفيلسوف الألماني المعروف (يورغن هابرماس). ورغم أنّ موضوع (البيئة الحياتية) تتصّف بالتعقيد في نظرية (فعل التواصل) وقد كُتبت حولها الكثير من البحوث المفصلة إلّا أنّنا راعينا استخدامها في هذا البحث بأبسط صورها.

يتحقّق من دون وجود معيار خاصّ (الأوامر و النواهي الخاصّة التي تقوم بإظهار فعل خاصّ في إطار الفعل أو ترك الكلام أو الفعل أو الفكرة)، و ما من معيار كذلك يمكنه أن يكون أساساً لأيّ عمل ما لم يصل إلى المرحلة الوجودية للبيئة الحياتية (أي تحوّلها إلى أفق معنائي مشترك).

وتتضمّن البيئة الحياتية مجموعة من المعايير المستبطنة في مرتبة شهودية لفئة صغيرة أو كبيرة، و تُعتبر بالنسبة لمجموعتها أمراً مألوفاً و واضحاً و أساساً لاعتبار أيّ فعل اجتماعي.

وتعمل البيئة الحياتية في أيّ مجتمع على إيجاد التضامن و الانسجام الاجتماعيين على المستوى البسيط و المعقد لتتحوّل بالتالي إلى تكوين الهوية الاجتماعية لكلّ فرد. و كلّ فعل في أية علاقة متبادلة في مستوى من مستويات الحياة الصغيرة أو الكبيرة يمكنه أن يظهر من داخل البيئة الحياتية في الوقت الذي تكون فيه البيئة الحياتية المذكورة قد تشكّلت في عملية الحياة الاجتماعية تدريجياً و تأصّلت فيها و بدأت تنتقل بشكل مستمرّ إلى الأجيال الأخرى.

وتتعدّد البيئة الحياتية - ونعني بها الأفق المعنائي - التي تُعتبر السبب في تسهيل كلّ فعل جماعيّ، فكلّ عمل اجتماعيّ له انعكاس في البيئة الحياتية، و بناءً على ذلك يبدو جزءاً من عناصر البيئة الحياتية من أسلوب الحياة في العالم العينيّ محسوساً، و بالتالي تحمل خصوصيات المعرفة البيئية لكلّ فرد و البيئات المختلفة التي مرّ بها، و هي الخصوصيات التي ورثها على شكل جينات و أصبح يمتلك بسببها قدرات فيزيائية، تحمل تلك الخصوصيات جميعاً انعكاساتها في البيئة الحياتية.

والمقصود بذلك هو ظهور المعايير في كلّ مجال من تلك المجالات و التي ترتقي لدى الشخص ضمن جماعة ما لتصل إلى مرحلة (الأفق المعنائي)، إلا أنّ أهمّ مصدر للبيئة الحياتية لا يمكن إيجاده في الحياة الخارجية المحسوسة النابعة من عالم القيم الذهنية الخارجية، بل في الحياة غير المحسوسة، و لا شكّ في أنّ عالم القيم غير المحسوس هذا هو نفسه صادر عن التعاليم الدينية و المعارف العقلانية.

وبشكل عامّ فإنّ كلّ واحدة من التعاليم التجريبية و العقلية و الدينية تتخذ لنفسها جانباً معيارياً خلال عملية من العمليات و من ثمّ تنتقل إلى البيئة الحياتية لتكوّن بعدها أجزاء البناء. و في المجتمعات الدينية فإنّ أكبر دور في خصائص البيئة الحياتية يُسند إلى التعاليم الدينية، و يكون الأفراد في مثل تلك المجتمعات أكثر المتأثرين بتلك التعاليم، و لذلك تتشكّل لديهم الأفق المعنائية التي لا تنشأ فقط من أسلوب الحياة الدنيوية بل و من التعاليم الدينية أيضاً.

وأما البحث الآخر المتعلّق بالبيئة الحياتية فيتمثّل في تقسيمه من حيث العقلانية إذ ينقسم إلى قسمين اثنين: البيئة الحياتية العقلانية المعتمدة و البيئة الحياتية غير العقلانية و غير المعتمدة. الأولى تتكوّن خلال عملية المناقشة المستمرة بين الأفراد حول مجموعة من القيم المقبولة و المتفق عليها و التي أصبحت الشكوك تحوم حولها في الوقت الحاضر ليطمّ قبولها و الاتفاق عليها من جديد بعد عرض الاستدلالات المقنعة أثناء المباحثات الجماعية. و

في الحقيقة فإنّ هذا النوع من البيئة الحياتية يُمثّل أفقاً معنائياً قابل للدِّفاع بالعقل الجماعيّ التاريخيّ حيث تتمتع عناصره الثابتة و المتغيرة و بشكل كافٍ بالدعم العقلانيّ الجماعيّ. و في مقابل ذلك تشير البيئة الحياتية غير العقلانية و غير المعتمدة إلى مجموعة من المعايير التي لا تكون موضع ثقة العقل الجماعيّ خلال عملية البحوث الحرّة و الأدلة، لكن، و بعد صعود تلك المعايير إلى مرتبة الأفق المعنائي، ظهرت بشكل متشدد و جازم في مبادئ الفعل و السلوك الاجتماعيّ للأفراد^١.

وبعد هذه المقدّمة حول البيئة الحياتية، سنقوم ببحث خصائص البيئة الحياتية لتنظيم (داعش) باعتباره فئة اجتماعية إسلاموية، و سنركّز في كلامنا على الإشارة إلى المصادر الدينية للبيئة الحياتية لداعش و بيان أهمّ خصائص تلك البيئة التي تنتمي إليها هذه الجماعة و النابعة عن التعاليم الدينية، دون أن ننسى أصول العناصر الأخرى التي تنتمي إلى العالم المحسوس للتقنية.

بالنظر إلى البحوث السابقة حول المعتقدات الدينية لتنظيم (داعش) و ولعه بالتقنيات، يمكننا الإشارة إلى خمسة مفاهيم ترتبط ببيئة (داعش) الحياتية وصلت إلى مرحلة العناصر الوجودية للبيئة الحياتية ببعض الدلالات و أصبحت تشكّل الأفق المعنائي لكلّ من تنظيمي (القاعدة) و (داعش) فارتبطت بتلك المفاهيم كلّ أعمالهما و تصرفاتهما الخارجية في حربهما ضدّ معارضيهما. و أمّا المفاهيم الخمسة المذكورة فهي: الكفّار؛ الجهاد؛ التقنية العسكرية؛ تقنية الاتصالات؛ و أخيراً استراتيجية الحرب.

والحقيقة أنّ المفاهيم المذكورة ليست مفاهيم معرفية صرفة بالنسبة لتنظيم (داعش) بل يقوم التنظيم كذلك باستخراج مجموعة من المعايير و القيم من تلك المفاهيم، و الأكثر من ذلك أنّ هذه المفاهيم أصبحت عناصر مهمّة تؤلّف البيئة الحياتية لهذه الجماعة، ثمّ ارتقت من الناحية المعرفية و القيميّة إلى الناحية الوجودية و اتخذت جميع الأفعال و التصرفات العنيفة و المخيفة لهذا التنظيم معانيها و تفاسيرها بالارتباط مع البيئة المذكورة.

وفيما يأتي الدلالات الخبرية و المعيارية لتلك المفاهيم و في الختام سنحاول بيان البيئة الحياتية النابعة عن تلك المعايير.

١. حول موضوع (البيئة الحياتية) يمكن للقارئ الكريم أن يراجع كتابنا: محمود شفيعي؛ جامعه شناسي سياسي ايران، طهران: جامعة الإمام الصادق (ع)، ٢٠١٠ م، ص ٤٤ - ٥٩. وهناك مصادر أخرى حول نفس الموضوع مثل: مايكل بيوزي، بورغن هابرماس، ترجمة: أحمد تديّن، طهران، منشورات (هرمس)، ١٩٩٩ م.

حسين على نودري، باز خواني هابرماس، طهران، منشورات (چشمه)، ٢٠٠٢ م.

رابر هولاب و بورغن هابرماس، تقدرد حوزة عمومي، ترجمة: حسين بشيريه، طهران، منشورات (ني)، ١٩٩٦ م.

Jougen Habermas, The Theory of Communicative Action, vol, 1, by: Thomas Mccarthy) Beacon press, 1984)

Jourgen Habermas, The Theory of Communicative Action) life world and system: A Critique Of Functionalist Reason (vol, 2: Trans by: Thomas Mccarthy) Beacon press, 1987

١ - الكفار

تُعتبر الولايات المتحدة الأميركية و المواطنين من اليهود و المسيحيين الذين يعيشون فوق أراضيها و الفرق و المذاهب الأخرى هناك، كُفّاراً تجب محاربتهم لعدّة أسباب، منها:

* حمايتهم و دعمهم لإسرائيل التي تقتل المسلمين من أبناء فلسطين منذ عدّة عقود.

* عند احتلال الولايات المتحدة للعراق و اجتياحها له قُتِلَ على أثر ذلك الآلاف من المسلمين العراقيين.

* و خلال الحرب في أفغانستان تمّت إبادة الآلاف من المسلمين الأفغان.

يُعتبر الاتحاد السوفياتي (سابقاً) و روسية (حالياً) و مواطنيها من المسيحيين و غير المسيحيين المقيمين فيها كُفّاراً ينبغي محاربتهم و الجهاد ضدّهم لأسباب عديدة منها:

* حمايتها و دعمها ليوغسلافيا السابقة حيث قُتِلَ بسبب ذلك الآلاف من المسلمين في البوسنة و تمّت إبادتهم.

* احتلالها لأفغانستان و مقتل الآلاف من المسلمين الأفغان بسبب ذلك.

* ما زالت روسية تتسبّب بمقتل الآلاف من المسلمين في الشيشان.

تُعتبر دولة إسرائيل و جميع اليهود الذين يسكنون فلسطين المحتلة تحت مظلة الحكومة الإسرائيلية كُفّاراً و ذلك لاحتلالهم أرض المسلمين و قتلهم الآلاف منهم.

تُعتبر حكومة لبنان التي وقعت معاهدة السلام مع إسرائيل كافرة أيضاً و ينبغي محاربة هذه الحكومة.

يُعتبر نظام الأسد الشيعيّ في سورية و جميع أبناء الشيعة الذين يدعمون هذا النظام كُفّاراً كذلك لأنّ هذا النظام قام بإبادة الآلاف من المواطنين السوريين من غير الشيعة بمعونة جنوده من الشيعة.

تُعتبر حكومة نوري المالكي في العراق و الشيعة الذين يسكنون في تلك البلاد ممّن يدعمون الحكومة المذكورة لدعمها الولايات المتحدة في حربها ضدّ صدام حسين و إقامة تلك الحكومة العلاقات مع الولايات المتحدة و توقيع المعاهدات معها، كلّ هؤلاء كُفّار، و ينبغي محاربة الشيعة و الحكومة الشيعية في تلك البلاد. إنّ حكومة و شعب إيران و خاصة الأغلبية المطلقة من الشيعة فيها هم كفار لحربهم مع نظام صدام حسين و كذلك بسبب دعمهم للحكومة الشيعية في العراق و النظام البعثي الشيعي في سورية في حربه الداخلية، و لهذا ينبغي محاربة إيران.

٢ - فريضة الجهاد

- الجهاد واجب من الواجبات الدينية للمسلم.

- تفوق أهمية الجهاد كلِّ واجب آخر بما في ذلك الصلاة و الصوم.
- لا علاقة أبداً بين الجهاد الدفاعي أو الهجومي و بين الحصول على إذن الحكومة أو الرئيس، بل هو واجب يتعلّق مباشرة بكلِّ واحد من المسلمين.
- يُعتبر الجهاد الدفاعي واجباً عينياً و لا يحقّ لأحد تركه أو التغاضي عنه إطلاقاً.
- يُمثّل الجهاد واجباً مطلقاً كالصلاة و الصوم و بناءً عليه، لا يشترط فيه الحصول على موافقة الوالدين.
- بعد إعلان الجهاد من قِبَل خليفة المسلمين السابق و هو أسامة بن لادن ثمَّ من بعده أيمن الظواهري و بعد الخلاف الحاصل بين هذا الأخير و بين أبي بكر البغدادي، أصبح هذا الأخير خليفة المسلمين، بعد إعلان الجهاد من قِبَل هذا الخليفة لا يحقّ لأحد العصيان أو التخلف عن الامتثال لأمر الخليفة.
- كلَّ مَنْ يعصي أمر الجهاد من المسلمين بما فيهم أهل السنّة و لا يمثل له فهو كافر و يجب الجهاد ضدّ الساكتين أو المتخلفين عنه.

٣ - فنون البرامج (التكنولوجيا العسكرية)

- يعتبر أتباع التنظيم أنّ جزءاً من التقنية التي تتعارض مع التعاليم الإسلامية، من خلال النظرة الدينية الحسيّة، مرفوضاً، و لذلك فهم يمتلكون نظرة مزدوجة إزاء تلك التقنيات.
- تُعتبر تقنية القطاعات و المُعدّات عموماً و التقنية العسكرية خصوصاً من الأمور الحسيّة، فما كان منها ينسجم مع التعاليم الدينية من خلال النظرة الظاهرية فهي مقبولة و محبّذة لدى كلِّ من تنظيم القاعدة و تنظيم (داعش) و لذلك تراهم يميلون بشدّة إلى استخدام تلك التقنيات.
- إنّ علم التقنيات بشكل عام يُعتبر أمراً محبوباً لدى تنظيمي القاعدة و (داعش) بل إنّ معظم زعماء تنظيم القاعدة و الإسلاميين المتطرفين هم في الأصل أشخاص كانوا قد درسوا العلوم الهندسية قبل دخولهم مجال العلوم الدينية.
- على الرّغم من انجذاب تنظيم القاعدة و (داعش) إلى الأبعاد الظاهرية للتقدّم الحضاريّ إلّا أنّهم يمتقنون الأبعاد الإنسانية و الاجتماعية لذلك التقدّم لا سيّما أبعاده السياسية كالديمقراطية و حقوق الإنسان و حقّ تقرير المصير و ما شابه ذلك.

٤ - تقنيات البرامج (تكنولوجيا الاتّصالات)

- يرى أتباع التنظيم أنّه لا بأس في استخدام تقنية الاتّصالات و خاصة العالم المجازي للإنترنت بنظرة أدائية و باعتبارها وسيلة يمكن استخدامها لمحاربة العدو. و الجدير بالذكر أنّ أفراد تنظيم القاعدة و أجنحته المتعددة و

منها تنظيم (داعش) يحاولون البقاء على اتصال دائم بينهم و بين زملائهم و الموالين لهم في أقصى بقاع الأرض من خلال الإنترنت و يبدو أن ذلك كان يساعدهم على تسديد الضربات المستمرة لأعدائهم و مخالفيهم.

- يحاول أفراد التنظيم إدخال أقصى درجات الرعب و الخوف في نفوس أعدائهم من خلال نشر الصور و الأفلام في الإنترنت على المستوى العالمي و هو أمر محبوب لديهم حيث استطاعوا بهذه الطريقة إيصال الخوف و الرعب إلى الذروة و الكشف عن عالمهم الخفي للناس.

- يقوم تنظيمي القاعدة و (داعش) بتدريب الأعضاء و إيصال أغلب التعليمات إليهم و كذلك الأشخاص الذين يريدون رغبتهم في الالتحاق بهما، بشكل سريع و عابر من خلال تهيئة تلك التعليمات و إنتاجها و توزيعها عبر شبكة الإنترنت مستغنين بذلك عن المدارس أو الدقة العلمية المطلوبة.

٥ - استراتيجية الحرب و الجهاد

- يعتقد أفراد التنظيم الأم (القاعدة) و التنظيم الخلف (داعش) أنه من الضروري البدء بمحاربة العدو الأقرب لهم، و أن الشيعة في العراق و سورية هم العدو الأقرب بالنسبة إليهم في الوقت الحاضر.

- ينبغي القيام بالحرب من أضعف نقطة لدى العدو، و يُعتبر الشيعة اليوم في كل من العراق و سورية النقطة الأضعف و ذلك لضعف الحكومة المركزية فيهما.

- لا بد من البدء بمقاتلة أضعف فريق في العدو، فالمواطنين العاديين من الشيعة في كلا البلدين هم أضعف الأفراد و أقلهم استعداداً لعدم امتلاكهم لأي نوع من أنواع السلاح و فقدانهم لحكومة قادرة على حمايتهم.

- يجب البدء بمحاربة أسوأ الأعداء ما أمكن ذلك و أن أسوأ هؤلاء الأعداء - وحتى أسوأ من اليهود و النصارى - هم المرتدين و الشيعة في العراق و سورية (بزعيمهم)، و أن هؤلاء هم الأعداء الإسلام على الإطلاق.

- و لكي ينتصر أفراد التنظيم في حربهم هذه لا بد - برأيهم - من استخدام أقوى الوسائل و أكثرها وحشية و دموية في كل عملية من العمليات و ذلك لإدخال أبشع صور الخوف و الرعب في قلوب العدو ما سيضطرهم إلى الاستسلام و الخنوع دون مقاومة تُذكر. و عليه، ينبغي مواصلة قتل الشيعة العزل و ذبحهم بأبشع صورة و أفسى أسلوب ممكن.

- لكي ينتصر أفراد التنظيم المذكور في حربهم كذلك فإنهم يؤكدون على عدم التقيّد بأي مبدأ أخلاقي، بل ليس للأخلاق أي منزلة لدى هذه الجماعة رغم كونها أمراً مقدماً على الدين؛ و لذلك فهم يُبررون كل الوسائل من أجل كسب الحرب حتى إذا أدى ذلك إلى قتل الأطفال و الشيوخ و العجائز و قمع و إبادة كل مواطن عادي غافل.

إذا أمعنا النظر في المقننات المعيارية لكل مفهوم من المفاهيم الخمسة المذكورة التي بلغت مرحلة البيئية الحياتية فنلاحظ أن عناصر البيئية الحياتية هذه مرفوضة من قبل العقلاء بل و لا يمكن الدفاع عن تلك العناصر

بهذه الحالة بأيّ استدلال عقلي متّفق عليه من قِبَل الجميع، و هناك الكثير من التساؤلات التي تشكّك في صحّة كلّ واحد من تلك المفاهيم، وبعد مقارنة تلك المفاهيم مع القيم الإسلامية التي يتّفق عليها غالبية المسلمين و كذلك القيم المعروفة دولياً فإنه ممّا لا شكّ فيه أنّ خصائص البيئة الحياتية لتنظيم (داعش) هي خصائص غير عقلانية بالمرّة، فدناءة تلك البيئة و سخفها واضحٌ و بديهيين، و مع ذلك فما زلنا - للأسف الشديد - نشهد الخوارج في عصرنا هذا و هم أبناء تنظيم القاعدة و تنظيم (داعش) يعيشون داخل تلك القوقعة و يحاولون تبرير أعمالهم الوحشية اللإنسانية بالاستناد إلى التعاليم البغيضة الموجودة في تلك القوقعة.

لا شكّ في أنّ هذا الأفق المعنويّ الذي يفرضه تنظيم (داعش) على نفسه هو الذي جعله مستعداً للقيام بأبشع الأعمال ضدّ من يُخالفه و يعترض عليه.

ونسشير باختصار إلى بعض ما قام به التنظيم المذكور ممّا لا يستوعبه أيّ إطار إنسانيّ أو أخلاقيّ أو وجدانيّ، و بمعنى أدقّ بعيداً عن كلّ ما هو دينيّ على الإطلاق.

(هـ) البيئة الحياتية العقلانية المتوقعة و العنف اللإنسانيّ

بعد كلّ ما بيّناه حول تيّار القاعدة إلى الآن و بعد كلّ ما ذكرناه عن البيئة الحياتية لتنظيم (داعش)، لن يبقَ هناك من سيتعجّب أو يندهش إزاء استخدام دينك التنظيميّ لكلّ ذلك العنف و الإرهاب؛ لكن، و قبل الخوض في أنواع العنف و استخداماته من قِبَل هؤلاء الإسلامويين المتطرّفين، لا بدّ من الإشارة هنا إلى الشكل العامّ للتيار الداعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في القرن العشرين، و الحقيقة أن جناحاً منفرداً واحداً من هذا التيار هو الذي فضّل سلوك سبيل التطرّف و لذلك ليس من العدل تعميم هذه الحالة الشاذّة على التيار كلّه. و ينبغي الاعتراف أنّ هذا النوع من التطرّف بدأ بالتدرّج بإفساد قطاع و إن بدا صغيراً من الإسلاميين، و فيما يأتي بيان ملخّص لهذه الحركة التدرّجية نحو التطرّف.

استطاع تيار الإسلاميين بأرائه المتمثلة في العودة إلى الذات و مقاومة الحكومات الديكتاتورية الاستعمارية، استطاع تحقيق بعض الانتصارات من خلال طرحه للقوانين الإسلامية كحلّ أمثل في سبيل التخلّص من استعمار العالم الغربيّ و الشعبية التي نادت بها الشيوعية. و قد بدأت هذه المرحلة في إطار الانسجام الفكريّ و العقائديّ و السياسيّ دون اللجوء إلى أفعال أو تصرّفات عنيفة، وفي المرحلة الثانية بدأت الراديكالية تفرض نفسها مكان الإسلاميين الأوائل و بدأت تقلّ معها نسبة التوافق الفكريّ العقائديّ و الانسجام السياسيّ لدى بعض الأجنحة؛ ثمّ في المرحلة الثالثة بدأت بالتدرّج تظهر على مسرح الإسلام معالم راديكالية مختلفة في بعض أجزاء العالم الإسلاميّ لكن هذه المرة في أحضان التقنية الحديثة في مجال الاتّصالات و مجيء عالم الإنترنت. و هكذا لوحظ ابتعاد الإسلاميين الأوائل^١ في النصف الثاني من القرن العشرين عن شعاراتهم و أهدافهم الأساسية شيئاً فشيئاً و

١. ومن أبرز الدعاة الإسلاميين في العصر الحديث السيد جمال الدين الأسدآبادي الأفغاني وإقبال لاهوري والدكتور علي شريعتي والإمام الخميني، حيث دعا كلّ منهم إلى العودة للتعاليم الإسلامية السمحاء بأسلوبه الخاصّ به، وأمّا أساليبهم في الوصول إلى

لجوئهم إلى أهداف قومية و معتقدات دينية خاصة و اتجاهات شعبية و طائفية مثيرة للخلافات. و لهذا، فضّل الإسلاميون اختيار منطقة معينة بدلاً من الشعار الذي كانوا يرفعونه في البداية و هو العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال تبنى الإسلاميون في شبه القارة الهندية برنامجاً خاصاً بهم يتمثل في إيجاد باكستان جديدة و (إخوان مسلمين) آخرين في كل بلد من البلدان بحيث ابتعد بعضهم عن الميول الدينية القابلة للتعميم فضلت فكرة (العالم الإسلامي) و (الأمّة الإسلامية) كشعار أجوف خالٍ من أي مضمون، ثم أصبح العنف جزءاً من حياة الإسلاميين.

والجدير بالذكر أنّ الإسلاميين الأوائل كانوا أوّل الضحايا لذلك العنف و لم يستخدموا العنف إلّا في حالات قليلة في ميدان المعركة، لكنهم في الواقع لم يتمادوا في استخدام العنف مطلقاً.

وكذلك الحال مع الثورة الإسلامية في إيران التي رفعت شعار (الجندي أخي) و دافعت عن مبدئها المتمثل في شعارها الثاني (الوردة في مقابل الرصاصة). و تجدر الإشارة إلى أنّ الإسلاميين الأوائل و الإسلاميين الذين جاءوا من بعدهم كانوا متفقين على أنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد، و لم يعتبر الإمام [الخميني] - وهو قائد الجيل الأوّل من الإسلاميين - أنّ العنف هو الأصل.

وهكذا ترعرع شكل من أشكال التطرف و الانحراف في رحم التيار الراديكاليّ فولد ما يُسمّى اليوم بتنظيم القاعدة الذي يُمثل ذلك التطرف بكل أنواعه و تنظيم (داعش) و هو قمة الانحراف و التطرف في العقائد و الأفعال و السلوكيات البشعة.

وبشكل عام فإنّ نفسية الداعشيين لا تختلف كثيراً عن نفسية التنظيم الأم (القاعدة) إن لم نقل بأنّها أبشع صورة منها و أكثر عنفاً، فأساس الفكر الداعشيّ مستوحى من الفكر السلفيّ الذي نهل منه تنظيم القاعدة.

هذا، و قد قسّمت شبكة حقوق الإنسان السورية مجموع أعمال العنف التي مارسها أفراد (داعش) إلى عدّة محاور:

١ - القتل خارج نطاق القانون

٢ - الاختطاف

٣ - الاعتقال

٤ - التعذيب

٥ - استخدام العنف و الإرهاب ضدّ المراكز الإعلامية و النشطاء و العاملين في تلك المراكز

أهدافهم فتمثّلت في التوعية و التثقيف و النشاطات الدقيقة و المدروسة المقبولة عرفاً و شرعاً. لكنّ مجموعة من الإسلاميين والدعاة من أصحاب الاتجاهات و التيارات الخاصة انفصلت عن هذه المدرسة و أتبع أسلوبها الخاص بها.

٦ - استخدام العنف حتى مع المستخدمين في المستشفيات و المراكز الطبية

٧ - الحصار

٧ - الانفجارات

٨ - التضييق على سكان المناطق المسيطر عليها و تقييد نشاطاتهم و تحركاتهم^١.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أفراد تنظيم (داعش) يستخدمون طرقاً غير إنسانية و لا قانونية تتناقض مع تعاليم الشريعة السمحاء في المناطق التي يسيطرون عليها، و منها:

١ - قطع رؤوس المخالفين

٢ - تعذيب الناس و جلدتهم علناً

٣ - منع النساء و الرجال ذوي الخُصُور النحيفة من ارتداء بنطلونات (الجينز)

٤ - منع حلق الشعر

٥ - منع أصحاب المتاجر من عرض الألبسة النسائية في واجهات المحال و عدم السماح للرجال بالعمل في المتاجر التي تبيع الأغراض النسائية

٦ - منع الرجال من الدخول إلى محالّ الخياطة النسائية

٧ - منع الإعلان عن البضائع أو الأغراض الخاصة بالنساء

٨ - منع استخدام كلمة (داعش) لإطلاقها على التنظيم منعاً باتاً

٩ - منع النساء من مراجعة الأطباء الأخصائيين في الأمراض النسائية و الولادة، و إن كنّ طبيبات

١٠ - منع الرجال من تصفيف شعورهم و تمشيطها أو حلق شعر الوجه

١١ - منع تدخين السجائر و الشيشة

١٢ - منع جلوس النساء على الكراسي

وغير ذلك من القوانين و الأوامر التي جعلت الحياة العادية للناس صعبة و عسيرة و فرضت حصاراً خانقاً عليهم جميعاً.

1. www .snhr. org, Syrian Network For Human Rights, Islamic State of Iraq and Levant Organization) ISIL)

لقد أوجد تنظيم (داعش) أجواءً إرهابية و مخيفة تفوق كثيراً ما قام و يقوم به أفرانه من التنظيمات المتطرفة و الإرهابية الأخرى مثل جماعة (طالبان) و القاعدة و منظمة (بوكو حرام)، و أشعل ناراً مُستعرة داخل كل أسرة لم تفرز سوى القتل و الذبح و الإبادة و إهلاك الحرث و النسل في بلاد المسلمين، فكانت نتيجة أفعالهم تلك إيجاد صورة بشعة للإسلام و المسلمين في أذهان العالم.

وما زال التكفيريون - و على رأسهم تنظيم (داعش) - في الأيام الأخيرة يفسدون أفكار و أذهان الآلاف من الأفراد السذج بالأوهام و الخرافات و قد قادوا آلافاً غيرهم قبل ذلك إلى المجازر تدفعهم إلى ذلك شهواتهم الحيوانية و عصبيتهم المقيتة، و لعبوا بمصائر عدد آخر لا يحصى من الأبرياء من الناس العزل، واليوم، تلوح عند حدود بلادنا العزيزة نيران السلفية و التطرف، و هي تتنامى و ترتفع في كل لحظة، و على الرغم من أن أولى الضحايا التي امتدت إليها يد الفتنة و الإرهاب هم من الشيعة و السنة على حد سواء، إلا أن كل ذلك لا يشير سوى إلى محاربة العقلانية و مُعاداة الإنسانية و مقاومة الدين و المذهب، فإذا لم تتم السيطرة على هذه الموجات العاتية فلا محالة أنها ستتجاوز حدود العراق و الشام مُعرضة أمن و استقرار جميع البلدان في العالم إلى خطر حقيقي و مصير مجهول.

هذا، و لم يكف الإسلاميين المتطرفين ما يعرضونه على صفحات الإنترنت من مشاهد العنف الصارخ و الإرهاب المَقَرَّر حتى أصبح جزءاً لا يتجزأ من وجودهم و شخصيتهم، فتراهم في عالمهم الواقعي المشهود و في ظل الجهالة العمياء التي أبتلوا بها و ظاهر الإسلام الذي تشدقوا به، تراهم يقومون بقتل من يعتبرونهم أعدائهم - وهم الشيعة في الشرق الأوسط (بزعمهم) - بأفضع أسلوب و أشد تنكيل.

ويبدو أن التقنيات الحديثة ساعدت هؤلاء على تصوير بطولاتهم و شجاعتهم و تصرفاتهم و سلوكياتهم الوحشية و اللإنسانية و إخراجها و عرضها على شاشات الانترنت و صفحاته، لكي يبدو أمراً طبيعياً للعراقيين، فتصويرهم لأبطالهم و هم ممسكين برؤوس الأعداء الخياليين لهم إنما هو جزء من هذه اللعبة الوحشية^١.

إن الأساليب القمعية و البربرية التي يمارسها أفراد (داعش) أكبر من أن تحكى بهذه العجالة أو حتى يُشار إليها بإيجاز، و مما يؤسف له أن هذه الممارسات ما زالت تُرتكب باستمرار في كل شبر احتلّه هؤلاء من أرض العراق و سورية.

خلاصة البحث

لقد أشار الإمام علي عليه السلام و هو يخاطب الخوارج في زمانه إلى أن تعاليم القرآن الكريم صامته و ليست ناطقة. و لا شك في أن عدم التأمل في تلك التعاليم و مجانبة العقل و التفكير و إخراجها من حوزة الدين أدى إلى نمو أولى بذور الفكر الذهني الديني لدى الخوارج قديماً و أحفادهم حديثاً حيث يُمثل تنظيم القاعدة في الوقت الحاضر و

١. يمكننا مشاهدة الكثير من نماذج العنف هذه على صفحات الإنترنت على شكل صور أو أفلام معروضة للجميع.

جميع أجنحته خاصة المتطرفة منها و على رأسها ربيب الخوارج (داعش)، يمثلون الورثة الحقيقيين لتلك الظاهرة المريرة في تاريخ الإسلام.

إن العالم المعاصر بكلّ تعقيداته التي لم تُطلعنا التقنيات و البرمجيات الحديثة سوى على مظهرها الخارجي، هو واقع مُستحدث يحاول الجميع تجربة حياتهم اليومية فيه عبر المقتضيات المفروضة، و من المعلوم أنّ السيطرة على مثل هذا العالم المعقد تتطلب التأمل الكامل و المستقلّ في مسألة التجدد و الحضارة بجميع أبعادهما، و لا ريب في أنّ الرغبة في تجربة العيش المتجدد و العصريّ بعيداً عن الإمعان و التأمل في ماهية تلك التجربة سيجعل الحياة الداخلية و العالم الاجتماعيّ كالطائر المحبوس داخل قفصه الحديديّ و لن يكون بالإمكان الاستفادة من تلك التجربة بشكلها الإنسانيّ المطلوب.

فعداء الإسلاميين عبيد الظواهر الإسلامية لم يقتصر على التعاليم الدينية و حسب بل كانت لهم صولاتهم و جولاتهم غير العقلانية مع التقنيات الحديثة و التقدم كذلك، و قد أدت التركيبة غير النقية من الإيمان الدينيّ و التقنية الحديثة في عالم اليوم إلى تسهيل قيام بعض أتباع هذه الزمرة من الإسلاميين المتطرفين بارتكاب أعمال العنف الوحشية ضدّ المؤمنين الأبرياء.

وعلى الرغم من وجود حاجة ملحة و ضرورة قصوى تحتمّ على حكومة العراق و شعبها و شعوب و حكومات الدول الإسلامية و كذلك المنظمات الدولية مواجهة هذا الزحف المخيف لتنظيم (داعش) على أرض العراق و سورية، فإننا في أمسّ الحاجة أيضاً إلى نهضة ثقافية عميقة و جذرية تضمن لنا استئصال هذه الغدة السرطانية التي أصابت جسم العالم الإسلاميّ و حرقها و إتلافها بشكل كامل.

ومن شروط تلك النهضة الثقافية ما يلي:

أ) طرح حوار دائميّ و واسع على المستوى العالميّ و الإقليميّ حول أهمّ الموضوعات الدينية إذ إنّ مناقشة البحوث الدينية في فضاءات مغلقة على المستوى النظريّ ثمّ فتحها على المستوى العمليّ و عدم اقتصرها على الحياة العينية، سيعرض هدف التعاليم الدينية - وهو الهداية - في الحياة اليومية إلى مشاكل عديدة. فمن خلال الحوار الوطنيّ و العالميّ الحرّ ستّضح التعاليم الدينية و تتبين شيئاً فشيئاً و بالتالي تنسجم مع العقلانية التاريخية لكلّ فترة من الفترات الماضية، و سترداد نسبة فهم الدين و إدراكه و سيكون باستطاعة الأجيال المعاصرة و القادمة إيصال نسبة التناقض بين الحياتين الدينية و الدنيوية في كلّ مرحلة إلى أقلّ حدّ ممكن.

على سبيل المثال، تتضمن مسألة (الجهاد) العديد من المسائل المختلفة التي يمكن الحديث بشأنها، و مناقشة معنى الجهاد في الإسلام و القرآن الكريم و ما إذا كان الجهاد يعني الحرب أم أنّه يمثل أيّ نشاط يقود المجتمع إلى شاطئ السعادة و السؤدد؟ ثمّ البحث في أنواع الجهاد و هل يمتلك الجهاد الهجوميّ استدلالات كافية لإقراره أم لا؟ و إذا كان الجواب هو (نعم)، فما هي شروطه و مدياته؟

ما هي القيود الأخلاقية و الحقوق الإنسانية الواجب اتباعها في الجهاد من الناحية الدينية؟ هل يمكن القيام بالجهاد من أقرب نقطة إلى أبعد نقطة في العالم تحت ذريعة (الجهاد) فنقوم بقمع و استئصال الجميع؟ و غيرها من المسائل الأخرى.

ب) تبادل وسائل الإعلام المرئية و المسموعة في الدول الإسلامية من وسائل محتكرة و فردية إلى خصوصية و حرّة. فالشبكات التلفزيونية و الإذاعية التي اعتادت في تلك الدول على التبليغ عن فكر دينيٍّ مُعيّن و غالباً ما يكون ذلك التبليغ استفزازياً و مثيراً للأحقاد دون أية استدلالات و من الواضح أنّ مثل هذا التبليغ لا يمكنه أن يساهم في تطوير الفهم الدينيّ للمسلمين. و تبقى وسائل الإعلام الحرّة هي الوحيدة التي تستطيع توجيه النقد و تهيئة السبيل أمام حضور التيارات الفكرية المتعددة ما يؤدي بالنتيجة إلى نمو الفكر الدينيّ و الاجتماعيّ.

والحقيقة هي أنّ الحكومات في أغلب الدول الإسلامية تسيطر بشكل كامل على وسائل الإعلام بشتى أنواعها و لم يتسنّ بعد إيجاد الوضع الإيجابيّ الذي تنشده الشعوب الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك لا يمكن للفضاء الدينيّ أن يصبح عقلانياً إلّا بخصخصة وسائل الإعلام المرئية و المسموعة، و عقد الحوارات الحرّة و العادلة و المنصفة و التبليغ غير المثير.

إنّ الديكتاتورية في الدول الإسلامية هي السائدة في الوقت الحاضر و تمنع إيجاد مثل تلك الأجواء الحضارية، فالتطور الفكري و الثقافي و تعزيز الحياة الإيمانية في هذه الدنيا المليئة بالتعقيدات و الصراعات أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً من دون القدرة على استخدام وسائل الإعلام بحريّة.ج) طرح الحوار و النقاش المستمرّ على المستوى الوطنيّ و العالميّ في الموضوعات الأساسية المتعلقة بأبعاد و ماهية الحداثة و ملامحها الظاهرة و الخفية. فكلّنا نعلم أنّه من الصعوبة بمكان إجراء مقارنة بين حياة البشر في الوقت الحاضر في جميع مجالاتها الشخصية و العامّة و الفردية و الجماعية و السياسية و الاقتصادية بكلّ عناوينها الثانوية، و بين الحياة البسيطة التي عاشها الإنسان في العصور الماضية، سيّما بعد أن سيطرت مظاهر الحضارة و المدنية و التجدد على جميع جوانب حياتها بشكل عام. و تقتضي إرادة الإنسان و اختياره و إنسانيّته أن يقوم بالاستفادة القصوى من حياته الجديدة لكن مع الفهم و الإدراك الكاملين و القدرة على تنظيم حياته و توجيهها بشكل عقلانيّ.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الحياة التقنية في عصرنا هذا تُعتبر عاملاً مسهلاً و مقللاً في نفس الوقت، و لا يمكن فهم أيّ بُعد من أبعاد الحداثة و التجدد الإيجابية و السلبية إلّا من خلال عملية مستمرة للحوار الحرّ و المنصف.

من الواضح أنّ لمعاداة الحداثة و الانبهار بها دون تأملّ و تفكير على حدّ سواء آثار سيّئة على العلاقات الاجتماعية في الظروف الحالية.

د) بذل كافة الجهود للتقليل من الصدمات العاطفية بين المذاهب الدينية في العالم الإسلاميّ: لا شكّ في أنّ عالم الثبوت لا يسعه سوى احتضان مذهب حقّ واحد، لكنّ البشر عاجز عن كشف عالم الثبوت ذلك، و في عالم

الإثبات فإن كل فرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب يحاول إثبات الحق لنفسه. و في مثل هذه الظروف فإن المنطق و التجارب التاريخية الحلوة و المرّة تقتضي عدم الدفاع عن شرعية هجوم مذهب ما على آخر في أيّ مستوى من المستويات النظرية أو العملية. و لا ريب في أنّ جرح المشاعر الدينية للمذاهب و الفرق الأخرى على مستوى الرأي سوّدي إلى حدوث النزاعات الدينية على مستوى العمل و الفعل، و لا ننس أنّ الحروب الدينية في الماضي كانت جزءاً من التاريخ الاجتماعي المرير للبشرية. و هكذا، فإن الرجوع إلى تكرار تلك التجارب معناه تكرار نفس النتائج و العواقب المريرة العارية عن أية إيجابيات، بل ستكون العواقب الماضية هذه المرّة أبعث و أقسى ممّا كانت عليه في السابق بالنظر إلى وجود الوسائل الحديثة الأكثر عنفاً و وحشية.

المصادر:

١. ايزوتسو، توشهيكو؛ خدا و انسان در قرآن، ترجمة: أحمد آرام، طهران، منشورات (مركز النشر الثقافي الإسلامي، ١٩٩٥ م.
٢. بوني، ريتشارد، جهاد: از قرآن تا بن لادن، نقد: حميد أحمددي، منشورات (مطالعات راهبردي)، صيف ٢٠٠٦ م، العدد (٣٢).
٣. بخشي شيخ أحمد، مهدي، جهاد: از ابن تيميه تا بن لادن، منشورات (علوم سياسي)، صيف ٢٠٠٦ م، العدد (٣٤).
٤. بيوزي، مايكل، يورغن هابرماس، ترجمة: أحمد تدين، طهران، منشورات (هرمس)، ١٩٩٩ م.
٥. شفيعي، محمود؛ جامعه شناسی سیاسی ایران، طهران، منشورات (جامعة الإمام الصادق «عليه السلام»)، ٢٠١٠ م.
٦. فرمانيان، مهدي، مباني فكري سلفيه (أطروحة الدكتوراه)، مركز إعداد المعلمين في جامعة قم، ٢٠٠٩ م.
٧. نوذري، حسين علي، باز خواني هابرماس، طهران، منشورات (چشمه)، ٢٠٠٢ م.
٨. نيك فر، محمد رضا، ايمان و تكنيك، موقع (نيلگون)، ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٥ م.
٩. هولاب، رابرت و يورغن هابرماس، نقد در حوزه عمومي، ترجمة: حسين بشييري، طهران، منشورات (ني)، ١٩٩٦ م.

1. DeLong
2. Bas, Natana (2007). Wahhabi Islam. London: I. B. Tauris. 11. Bruce Lawrence) 2005 (. Messages to the World: the Statements of Osama bin Laden. Verso.

3. Commins, David(2006). The Wahhabi Mission and Saudi Arabia. London: I. B. Tauris. 13.
4. Christopher M. Blanchard, Al Qaeda: statements and Evolving Ideology CRS -Congressional Research Service -
5. Report for congress, Order Code RL 32779, Updated July 9, 2007
Jougen Habermas, The Theory of Communicative Action, vol, 1, by: Thomas Mccarthy(Beacon press, 1948)
6. Jougen Habermas, The Theory of Communicative Action(life world and system: A Critique Of Functionalist Reason)vol, 2: Trans by: Thomas Mccarthy) Beacon press, 1987)
7. [http:// behtarinkhabar. ir/](http://behtarinkhabar.ir/)
8. [http:// en. wikipedia. org/](http://en.wikipedia.org/)
9. [http:// kordestanweb. ir/](http://kordestanweb.ir/)
10. [http:// news. wikipg. com/ news tag/](http://news.wikipg.com/news/tag/)
11. [http:// tehranpress. com/ fa/ news](http://tehranpress.com/fa/news)
12. [http:// www. aparat. com](http://www.aparat.com)
13. [http:// www. iribnews. ir/ NewsBody. aspx? ID/ 52818](http://www.iribnews.ir/NewsBody.aspx?ID/52818)
14. [http:// www. taghadom. com/ technology -it /cartech /427 - special - report/ 212411 23. fa. alalam. ir/ news/ 1601724](http://www.taghadom.com/technology-it/cartech/427-special-report/21241123)
15. [fa. alalam. ir/ news/ 1601724](http://www.alalam.ir/news/1601724)
16. [Fa. wikipedia. org/ wiki/](http://fa.wikipedia.org/wiki/)
17. [Fa .wikipedia .org /wiki](http://fa.wikipedia.org/wiki)
18. Wikipedia, beliefs and ideology of Osama bin laden, Technology
19. [www. snhr. org](http://www.snh.org), Syrian Network For Human Rights, Islamic State of Iraq and Levant Organization (ISIL)

دور القوى الدولية في نمو التيارات التكفيرية وانتشارها و انعكاسات ذلك على العالم الإسلامي

تأليف: مختار شيخ حسيني^١

تأليف: محمد جواد خليلي^٢

ترجمة: ياسر الخيرو

نبذة

تعود نشأة السلفية التكفيرية وانتشارها الذي تحوّل في يومنا هذا إلى أهم وأكبر المشاكل التي يواجهها العالم الإسلامي، إلى عوامل وأسباب مختلفة. حيث يكشف لنا البحث في الأسباب الداخلية والفكرية لهذا التيار عن قسم كبير من الحقائق المتعلقة بهذا التيار التكفيرى، غير أنّ التحليل الشامل لأنشطته السابقة والحالية لا يتأتى إلا إذا أخذنا في اعتباراتنا دور عوامل كالاستعمار والقوى الدولية العظمى في تعزيز هذا التيار ونشره. فمن الناحية التاريخية نجد أنّ الفكر السلفى التكفيرى بزعامة محمد بن عبد الوهاب قد نشأ من خلال ارتباطه بالسلطة السياسية لآل سعود و قيادة بريطانيا ودعمها وذلك بقصد التصدي للبلدولة العثمانية، فلطالما كانت تصرفات هذا التيار وسلوكياته في منطقة شبه جزيرة العرب تصبّ لصالح منافع الاستعمار البريطانى. كما أنّ الدعم الأمريكى لتنظيم القاعدة في أفغانستان من أجل مواجهة النفوذ السوفييتىبان عهد الحرب الباردة هو منالحنائق التاريخية، حيث إنّ المعسكر الغربىقد استفاد من قدرات هذا التيار من أجل تحقيق مصالحه الاستعمارية. وكذلك نجد فى عصرنا الحالى أنّ انتشار نشاطات التيارات التكفيرية فى بعض البلدان الإسلامية من قبيل العراق وسوريا قد حظى بدعم هذه القوى العظمى.

لقد أتاح انتشار وتنامى الفكر التكفيرى فرصاً ثمينة لتحقيق مصالح القوى الاستعمارية، و لذلك نجد همة قومون بدعمه فى بعض مناطق العالم الإسلامى بينما يتصدّون له فى مناطق أخرى. فمن خلال هذا النهج الانتقائى، قام المستعمرون بدعم التيارات التكفيرية فى مراحل معينة، ولكنهم فى مراحل أخرى استندوا الى الأنشطة الإرهابية

١. خريج حوزة قم العلمية و طالب مرحلة الدكتوراه فى العلوم السياسية فى جامعة باقر العلوم عليه السلام فى قم.

٢. خريج حوزة قم العلمية و طالب مرحلة الدكتوراه فى العلوم السياسية فى جامعة ياسوج.

و أعمال العنف التي تقوم بها هذه التيارات، من أجل تمهيد الطريق نحو غزو البلدان الإسلامية بحجة الحرب على الإرهاب. فسندرس في هذا المقال، الجانب التاريخي للدور الذي لعبته القوى العظمى في تعزيز التيار التكفيرى و نشره، حيث سنتناول العلاقة بين هذين العاملين و انعكاساتهما على العالم الإسلامى.

الكلمات المفتاحية: السلفية، المستعمرون، الإسلام، القاعدة، الوهابية، أمريكا، المقدمّة:

إنّ التيار التكفيرىّ الذيعتبر أهمّالتحديات التيواجهها العالم الإسلامىاليوم، قد نمى و ترعرع في ظلّ فكر و ظروف معيّنة. و على الرغم من أنّ أهمّالعوامل التي مهّدت الطريق للفكر التكفيرىّ هو التفسير المتصلّب و الظاهريّ للنصوص الدينية؛ إلا أنّ تحوّل هذا الفكر الى الأفعال و الأعمال العنيفة كان بسبب بعض الأمور العينيةّ التيهيآت الأجواء المناسبة لظهور هذا الفكر. حيث إنّمجردّ التحليل الفكرىلايكشف إلا جزءاً من حقيقة التيارّ التكفيرىّ، فقد توجّهت أغلب الأبحاث التي تمّت في مجال تاريخ و تحوّلالات التيارات التكفيرية إلى الجانب الكلامىّ و العقائديّ لهذا التيار، في حين أنّ تحليل الوقائع و الظروف البيئية والأوضاع الإقليميّة و العالمية لنمو هذه الفكر و تحوّلها الى ارتكاب أعمال العنف؛ قد لعبت جميعها دوراً كبيراً في كشف أسباب نموّ و انتشار هذا التيار و تناميّه.

تعتبر الجوانب الفكرية لنمو التيارات التكفيرية أكثر من مجردّ نظرية، و هي البنية التحتية الأيدولوجية لهذا التيار، فقد أدّت إعادة مطالعة هذا الفكر في كل عصر إلى ظهور تشكّل جديد له، حيث إنّ ادعاءه اظهار صورة الإسلام الحقيقيّ و الدين الحقاير يجذب الكثير من مسلمي العصر الحديث. و يشير تاريخ التيار التكفيرىالى مدى تأثير الظروف الموضوعية (البيئية، و الإقليمية، و الدولية) في نموّ و تطبيق هذا الفكر من الناحية العملية. ففي واقع الأمر؛ نجد أنّ الفكر و الأصول فوق النظرية لهذا التيار لم تتحقّق على الصعيد العملي إلا عندما هيأت الظروف الموضوعية الأرضية اللازمة لهذا الفكر.

لقد كانت القوى العظمى الإقليمية و الدولية إحدى العوامل الملموسة التي لعبت دوراً في انتشار و تناميّ التيارات التكفيرية، حيث كان تاريخ الفكر التكفيرىّ أيضاً مؤشراً إلى دور هذا العامل في عدّة مراحل تاريخية. فلقد كان أهمّ أهداف القوى العظمى فيما يرتبط بالعلاقة مع التيارات التكفيرية هو استخدام قدرات هذه التيارات من أجل اختراق العالم الإسلامىّ و ضمان الوصول إلى تحقيق مصالحهم الوطنية و الدولية. ففي الحقيقة؛ نجد أنّ التيارات التكفيرية قد حظيت دائماً بدعم مباشر و غير مباشر من القوى العظمى ما دامت أنشطتها تصبّ في مصلحة سياسات القوى العظمى، و لكن متى ما تمّ تهديد مصالح القوى العظمى من قبل تلك المجموعات؛ فإنّ القوى العظمىستعمل على قمعها بشدّة. و نظراً الى الأوضاع الفوضوية القائمة في النظام العالمى (عدم و وجود قوة عظمى واحدة)؛ فإنّ القوى العظمى و استناداً إلى المصادر المادية تتمتع بنصيب أوفر من القدرات التي تعينها على الوصول إلى أهدافها الوطنية. ففي كلّ مرحلة من تاريخالعلاقات الدولية نجد أنّ بعض القوى قد لعبت دوراً أكبر مما سبق فيتحديد السلوك و التصرفات الدولية. فقد كانت بداية نموّ التيارات التكفيرية في منطقة نجد في القرن التاسع عشر الميلادى، مدعومة بموافقة و دعمبريطانيا باعتبارها أكبر القوى العظمى العالمية آنذاك، و كذلك كانالعدم

الأمريكي لتنظيم القاعدة و تقويته في مقابل الاتحاد السوفييتي في القرن العشرين الميلادي مؤشراً لأهمية التيارات التكفيرية في سياسات القوى العظمى، وكذا هو الحال اليوم أيضاً، حيث إن الدور الذي تلعبه القوى العظمى الدولية (أمريكا، الاتحاد الأوروبي و ..) و الإقليمية (السعودية، قطر و تركيا) في انتشار و تنامي هذه التيارات أمر لا يمكن إنكاره. و في هذا المقال سنشير باختصار الى الخلفيات الفكرية لنمو التيار التكفيري في ثلاث مراحل؛ وهي: (وهاية نجد، القاعدة في أفغانستان و مجموعة داعش) و من ثم سنتطرق الى دور القوى العظمى في انتشار و تنامي هذه التيارات من خلال استخدام الإطار النظري للواقعية البنوية.

الواقعية البنوية كإطار نظري

إن الواقعية الحديثة هي من النظريات التي اعتبرت أن تأثير النظام الدولي على تصرفات بعض الدول و تأثير الوحدات المختلفة في النظام الدولي يقع ضمن نظرية الواقعية البنوية. إن كينيث و التز و هو أهم علماء هذه النظرية و قد شرحها في كتاب نظرية السياسة الدولية، يعتقد بأن السياسة الخارجية للبلدان تتأثر بالنظام الدولي، حيث يبين في هذه النظرية أن ليس للحكومة و لا الفرد دور كبير في اتخاذ القرارات، بل إن هيكل النظام الدولي و بنيته هي التي تفرض حدوداً على السياسات الخارجية للبلدان و المجموعات. و يعتبر في هذه النظرية أن النظام الدولي و هيكله يؤثران على سياسات الدول، و إن القيود و العراقيل التي يفرضها هذا النظام على سياسات الحكومات هي التي تصوغ العلاقات الدولية، و تجعل سياسات الحكومات متشابهة مع بعضها البعض و متطابقة.^١

ففي هذه النظرية، يتضمن هيكل النظام الدولي ثلاث صفات مهمة:

المبدأ الأول أو المبدأ التنظيمي هو نظام متسلسل رتبياً فيفوضوية في النظام العالمي؛ و الفوضوية هنا تعني عدم اشتماله على سلطة مركزية.^٢ و من هذا المنطلق؛ لا وجود لقوة عظمى تكون هي من يفرض النظم في النظام العالمي.

المبدأ الثاني هو الأعمال المختصة بالوحدات أو الحكومات. على الرغم من أن الحكومات تختلف عن بعضها البعض من ناحية القوة و السلطة، إلا أن لها تصرفات متشابهة و موحدة. حيث إن هذه التصرفات المتشابهة نابعة من التأثير و القيود و العراقيل التي يفرضها المبدأ التنظيمي للنظام أي الفوضوية.^٣ ففي الواقع و لعدم وجود أي قوة مركزية في البيئة الدولية؛ فإن كل وحدة مضطرة إلى حفظ أمنها بنفسها، و ذلك لعدم وجود أي مرجع يضمن أمن أعضائها. و عليه فإن محافظة الأعضاء على أمنهم بأنفسهم أمر ضروري حيوي.^٤ ففي هذه البيئة يمثل البقاء أهم و أقيم شيء، و من أجل أن تظل البلدان باقية؛ يجب أن تعزز قواتها العسكرية، أو أن تشكل تحالفات مع بعضها حتى

١. أحمدى، حميد، ساختار گرایي در نظريه روابط بين الملل، ص ١٢٢.

٢. مشير زادة، حمير، تحول در نظريه های روابط بين الملل، ص ١١٤.

٣. أحمدى، حميد، ساختار گرایي در نظريه روابط بين الملل، ص ١٢٣.

تمكّن من ضمان الحصول على مصالحها في هذا النظام الفوضويّ. المبدأ الثالث هو توزيع السلطات. إنّ توزيع القدرة بين وحدات النظام الدوليّ هو العامل الرئيس في اختلافها عن بعضها. هذا المبدأ هو الذي يحدّد مدى السلطة التي تحتاجها كل وحدة من أجل المحافظة على أمنها.^١

على الرغم من تشابه تصرفات الدول، إلا أنّها تختلف من ناحية السلطات،^٢ و بما أنّ توزيع السلطات و التغييرات التي تطرأ عليها يمثّل أهمية بالنسبة الى و التز؛ فقد تناول عدة أشكال مختلفة من الأنظمة التي تحصل بسبب التغيير في تقسيم السلطة. و يعتبر و التز أنّ البنية ثنائية الأقطاب هي أكثر أنواع هذه الأنظمة ثباتاً. في حين أنّ مورغانتا يعتقد بأنّ النظام المتعدّد الأقطاب المقرون بعامل لإيجاد التوازن هو الأكثر ثباتاً.^٣

قام و التز و بالاعتماد على نظرية الأنظمة و التأثير بالمدرسة السلوكية بطرح نظرية تؤيدّ بعض المبادئ الرئيسة لنظرية مورغانتا في الواقعية، و تعزّز القوانين الشائعة فيها، و لكنّها تضع بعض صفات و خصائص القوانين الشائعة، و من ثم يقوم بتحديد قوانين أخرى. ففي مقابل نظرية الواقعية و التي كانت قائمة على المبادئ الثلاثة: الدولانية، و البقاء و الاعتماد على النفس، كان و التز ملتزماً بمحورية و أهمية مفهوم النظام الحاكم على النظام الدوليّ، و اعتبر أنّ بنية النظام الدوليّ هي التي تمثّل الأصل الحاكم و الناظم؛ لا الأشخاص و الحكومات. كما اعتبر و التز بأنّ نظريته هي الأفضل في تحليل النظام الدوليّ.^٤

ووفقاً لهذه النظرية؛ فإن اللاعب الذي يملك قوة أكبر هو الذي سيستطيع أن يؤمّن لنفسه المزيد من المصالح على المستوى العالمي، ففي هذه النظرية يتمّ توفير نظم و رتبة النظام مؤقتاً على يد اللاعبين الأقوى. و عليه؛ يكون النظام مبنياً على التسلسل الرتبتي عهد الإمبراطوريات، و أمّا في عهد الأقطاب الثنائية، فإنّ المعسكرين هما من يرسمان معالم النظام، و أمّا في حالة تعدّد القوى العظمى في النظام الدوليّ؛ فإنّ اللاعب الأقوى هو الذي سيحصل على أكبر مقدار من المصالح. و من خلال توسيع مفهوم هذه النظرية و تعميمه؛ يمكن تطبيقها في ما يتعلّق بموضوع هذا المقال؛ أي المراحل التاريخية الثلاثة لانتشار و تنامي التيار التكفيري و ارتباطه بالنظام العالمي. ففي المرحلة الأولى؛ أي في القرن التاسع عشر حينما كانت امبراطورية بريطانيا العظمى هي أهمّ قوة في النظام العالمي؛ كان نظم و رتبة النظام متعلّقاً الى حدّ ما بهذه القوة العظمى، و بناءً على هذا؛ فإنّ النظام الدوليّ و النظام الإقليميّ فيمنطقة الشرق الأوسط كان أيضاً يتبع المصالح البريطانية، و عليه فإنّ التشكيل المبدئيّ لحكومة آل سعود بالاعتماد على القوة الدينية الوهابية و ارتباطها ببريطانيا قد مهّد الدرب نحو نموّ هذا التيار. كما نشهد في المرحلة الثانية تدفّق الدعم الأمريكي لتقوية تنظيم القاعدة في أفغانستان بقصد مواجهة النفوذ السوفييتي، و في المرحلة الثالثة، أي في القرن ٢١ فإنّ دعم القوى العظمى

١. مشير زادة، حميراء، تحول در نظريه‌های روابط بين‌الملل، ص ١١٤.

٢. احمدى، المصدر السابق، ص ١٢٤.

٣. مشير زادة، المصدر السابق، ص ١١٦.

٤. فروزى، على رضا، مباني انسانشناختي نظريه‌های روابط بين‌الملل (واقعه‌گرایی و ليبراليسم) و اسلام، عام ٢٠١٣.

و القوى الإقليمية لتنمية التيارات التكفيرية في العراق و سوريا و زيادة انتشارها يعكسان تأثير هذا العامل (القوى العظمى) في انتشار هذا التيار و تناميهِ. و وفقاً للواقعية النبوية فإن عدم وجود قوى حاكمة على مستوى كلّ البنية؛ فإنّ القوى العظمى تستغل هذه المجموعات من اجل تحقيق مصالحها كلّ حسب مقدار قوتها.

الخلفيات (الذهنية) الفكرية لانتشار التيارات التكفيرية (من الوهابية حتى داعش)

إنمصطلح السلفية هو مصطلح حديث الظهور في تاريخ الفكر الإسلامي، حيث اختارته مجموعة من أهل الحديث، و أتباع أحمد بن حنبل و ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب. تتبعمهذه المجموعة النصوص المنقولة فيمنهجهم المعرفي و تلتزم بالظاهر في فهمهم لهذه النصوص، و يرون أنّ العقل لا يستطيع فهم الأمور الإلهية، و يختزلون القدرة العقلية في فهم كلام السلف بصورة صحيحة^١. فيجب أن نبث عن الجذور الفكرية للوهابية فيأفكار ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب الذي قام بتفسير هذه الأفكار و نشرها بعد قرون من ابن تيمية، فلم تكن الظروف في عهد ابن تيمية لتسمح له بأن يفرض على المجتمع تعاليمه الشاذة. أما في عهد محمد بن عبد الوهاب، فقد أدت الظروف الاجتماعية و الثقافية القائمة فيمنطقة نجد و علاقته بسطوة آل سعود السياسية، الى نشر هذه الأفكار.

يعدّ ابن تيمية أحد المفكرين الذين قاموا بالتنظير خلال غياب الخلافة و ذلك بعد سقوط الخلافة العباسية فيآثر الغزو المغولي في عام ٦٥٦ للهجرة. فإنالميزة المهمة في هذا العصر هي غزو المغول لدار الإسلام، و أما أهمية هذا العصر بالنسبة الى المفكرين، فتعود الى تسلط الكفار على بلاد الإسلام. فكان أهم مؤلفاتابن تيمية فيالفكر السياسي هوكتاب (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي و الرعية)، و الذي تمألفه في السنوات ما بين ٧٠٩ إلى ٧١٤ للهجرة^٢. و بلا شك أنّ السلفية ليست بالمفهوم البسيط و المنسجم، بل أنّها تضمّ في طياتها اتجاهات و توجهات مختلفة. فبعض من هذه التوجهات قد تمسكت بالسلف من أجل توحيد الصفوف و إقامة الانسجام بين المسلمين، و حاولت عبر تمسكها هذا أن تجدد القيم الإسلامية السامية؛ أما البعض الآخر فاختر لنفسه طريق التجرّع العقلي و التكفير من خلال التمسك بالماضي (الماضوية) و الرجعية و محاربة العقل^٣. يمكن أن نعتبر التيار الوهابي أول جيل للفكر التكفيري في العالم الإسلامي، حيث أنّ أجزاء كبيرة من العالم الإسلامية تعرضت للغزو و الاعتداء من خلال فتاوى محمد بن عبد الوهاب و أفكار ابن تيمية. كما يمكن اعتبار أفكار تنظيم القاعدة الإرهابيةعلى أنّه الجيل الثاني لهذا التيار المتطرف. فلقد تأثر ابن لادن منذ البداية بمدرسة الإسلام السلفي، غير أنّه تأثربعيد الله عزام و أيمن الظواهري أكثر من الآخرين^٤. و تُعدّ الأعمال الإرهابية التي قامت بها هذه المجموعة في البلدان الإسلامية، رمزاً للتطرف. و يمكن أن نعتبر الجيل الثالث للتيار التكفيري المتطرف الذي يتجسّد في

١. اله بداشتي، نقد مباني سلفيه در توحيد، ص ١٦٩.

٢. قادري، حاتم، اندیشه های سیاسی در اسلام و ايران، ص ١٠٥.

٣. علي زادة موسوي، سيد مهدي، تبارشناسي سلفي گري و و هابيت، ص ١٤٢.

٤. عطوان، عبد الباري، سازمان سري القاعده، ص ٨٠.

المجموعة المسمّاة بـ «داعش»^١ و دراسته وفقاً لذلك، و التي تأثرت من الناحية الفكرية بسيد قطب و عبد السلام فرج و أمّا من المتأخرين فقد تأثرت بعبد الله عزام أكثر من غيرهم. و على الرغم من أنّ هذا التيار يتعاون مع السعودية من الناحية السياسية، و يحصل على القسم الأكبر من الدعم المالي و العسكري منها، و لكنه من الناحية الفكرية مرتبط بالجيلين الثاني و الثالث للسلفية. فإذا اعتبرنا أنّ محمد بن عبد الوهاب و ابن تيمية هما الجيل الأول لهذا التيار و سيد قطب و عبد السلام فرج هم أهمّ منظريّ الجيل الثاني للتطرّف في الشرق الأوسط، فإنّ مجموعة داعش هي حاملة لواء الجيل الثالث لهذا التيار الذي يتبع أفكار ابن لادن و أيمن الظواهري و عبد الله عزام، و حسب التصنيف المعاصر للسلفية إلى سرورية و جهادية و جامية؛ تُعدّ داعش من بين تيارات الجهادية و لها اختلافات عن النوعين المعروفين للسلفية. فإنّ هذا الفكر يؤمن بفكرة العدو البعيد (الحضارة المادية الغربية) و العدو القريب (الحكومات و المجموعات الموجودة في البلدان الإسلامية و التي لا تؤمن برؤية و تفسير هذه المجموعة للدين) حيث يرى هذا الفكر وجوب الهجوم على كلا العدوين، و لكنّ بسبب عدم توفّر إمكانية مهاجمة العدو البعيد حالياً، فإنّهم اقتصرُوا هجماتهم و توجهوا بأسلحتهم نحو العدو القريب، أي أنّ هجماتهم موجّهة ضدّ المسلمين فقط.

يؤمن هذا التيار من الناحية الفكرية بأنّ البلدان الإسلامية الحالية لا تطبق شرائع الإسلام، و أنّ حُكّام هذه البلدان منافقون يدعون الإسلام، و على أساس ذات المنطق قاموا باغتيال أنور السادات في مصر. إنهم يدعون تجديد الخلافة الإسلامية عن طريق الجهاد و الهجرة، و قد تمّ التنظير لهذه المفاهيم في كتب سيد قطب و عبد السلام فرج و عبد الله عزام، و التي أصبحت في يومنا هذا ممهداً و داعماً للتصرفات السياسية لداعش و التيارات التكفيرية الأخرى. فمشاركة أشخاص من جنسيات مختلفة في التشكيلة العسكرية لداعش و انضمامهم إلى صفوفها؛ يشير إلى مدى أهمية الهجرة في هذا الفكر، حيث إنّ أتباعها يلتحقون بهذه المجموعة مدّعين الهجرة من المجتمعات الجاهلة، و هدفهم هو تجديد الخلافة الإسلامية.

إنّ دراسة كلام قادة داعش و المجموعات التكفيرية الأخرى و رسائلهم، يشير إلى ما كان من تأثير لأفكار سيد قطب و عبد السلام فرج و عبد الله عزام و الدور الرئيس الذي لعبته في نشأة هذه التيارات. كما أنّ التفسير المتحجّر و السطحي للمفاهيم الإسلامية؛ مثل مفهوم الجهاد، قد زاد من فرص لجوء هذه المجموعات إلى العنف، كما أنّهم من خلال تكفيرهم لمعارضهم قد زادوا من عدد أعدائهم ليشملوا الكثير من أهل السنة أيضاً. فبإمكان هذا التيار ممارسة أعمال العنف و التطرّف بطريقة شبكية و حتّى من دون الحاجة إلى وجود قائد، و يكفي وجود الحد الأدنى لاتباعه ليقوموا بذلك.^٢

١. شيخ حسيني، مختار، زمينه های ذهني - عيني رشد داعش در عراق.

٢. المصدر السابق.

دور القوى الدولية في نمو وانتشار التيارات التكفيرية

على الرغم من الدور المهم الذي لعبته الخلفيات الفكرية في نشر التيار التكفيري؛ لا يمكن تقديم رؤية شاملة وتحليل جامع لهذه التيارات من دون الالتفات إلى الخلفيات الداخلية للعالم الإسلامي، و لكن النمو المطرد الفطري لمثل هذه التيارات في مراحل تاريخية مختلفة يشير إلى تأثير نابع من وجود عامل آخر جديد (دور القوى العظمى) في انتشار هذا التيار. ويقول الدكتور فيرحي: "على الرغم من أن بعض المحللين يرون أن السلفية هي فكر خاوي ومن صنع الأجانب؛ غير أن أبحاثي تشير إلى أن السلفية هيتيارينبع من صميم الأزمة في العالم الإسلامي، و لكن إذا استطاعت البلدان الأخرى أن تستغل ذلك، فهم يتقنون الاستغلال و يعرفون كيفية استخدام التيارات التابعة من داخل العالم الإسلامي ... من الطبيعي أن يستغل كل بلد هذه التيارات المحلية وفقاً لسياسته الخارجية وقوته و خبرته، أنا أرى أن هذه التحولات لها جذور محلية و لكنها يتم استغلالها من الخارج. و أسباب ذلك هي: أولاً؛ أن لهذا التيارات القابلية لذلك، ثانياً؛ أن الذين يقومون باستغلالها لديهم دبلوماسية حاذقة تمتد لمئات السنين، و يعلمون كيف يجب أن يستغلوا هذه التيارات المحلية و يستخدموها لصالحهم."^١ و على هذا الأساس؛ يلاحظ أن للقوى الأجنبية من خارج العالم الإسلامي دوراً مهماً في نمو وانتشار هذه التيارات، حتى أن آية الله الأصفي و هو من علماء التجف الأشرف يقول في هذا الصدد: "قد أدت مجالات مختلفة إلى استعارة نار الفتنة المذهبية في العالم الإسلامي، و لا يغفل شخص دور الاستكبار العالمي في هذا الموضوع سويذوي النظرة السطحية فقط، حيث أن خبرة المستعمرين مثل فرنسا، البرتغال، إيطاليا و البلدان الأخرى تشير إلى قدراتهم في استخدام إثارة الفتن الدينية بين أبناء الشعب الواحد من أجل تحقيق الأهداف الاستعمارية. إن الحروب الدينية و بسبب سرعة استعارة جذوتها تلعب دوراً مهماً في سياسة الاستكبار العالمي، كما أن خبرة مستعمري القرون السابقة تم وضعها في متناول أمريكا"^٢ و في عصرنا هذا تلعب أمريكا ذلك الدور الرئيس فيخلق العنف الديني و أشعال نيرانه، و اليوم قد تم إثبات هذا الأمر في العراق، حيث تلعب أمريكا دور رئيس في هذا المجال، كما أنها تسعى إلى إيجاد فجوة كبيرة بين أهل السنة و الشيعة من أجل حضهم على خوض حرب دينية، و إن أفضل فرصة لأمريكا لتبسط نفوذها و سلطتها هي عندما يدخل المسلمين هذه اللعبة التي صممها الاستكبار العالمي، و لا توجد أداة تتيح لأمريكا الفرصة للسيطرة على العالم الإسلامي كما تفعل الحرب الدينية."^٣ مع الالتفات إلى تأثير هذا العامل (دور القوى العظمى) في انتشار و تنامي التيارات التكفيرية، سوف نتناول دراسة تأثيرات هذا العامل في ثلاث مراحل زمنية لنشاطات المجموعات التكفيرية (الوهابية في نجد، القاعدة و داعش) و سنشير في النهاية إلى تأثيرات تنامي هذه التيارات على العالم الإسلامي.

1. <http://feirahi.halghe.ir/1392/12/25>

٢. راجع: آصفي، محمد مهدي، الأمة الواحدة و الموقف من الفتنة الطائفية، ص ٢٢.

٣. راجع: المصدر السابق، ص ٢٣.

بريطانيا العظمى و التيار التكفيرى

كان آل سعود قبيلة تعيش في نجد، و بسبب وجود الكثير من المنافسين و عدم امتلاكهم لأيّ قاعدة اجتماعية، كانوا يواجهون تحديات حقيقية في سعيهم الحثيث المبني على توسيع منطقة نفوذهم. و مع النفطن الى كون أرض نجد في ذلك العهد بعيدة كل البعد عن رقعة لعب القوى الكبرى، فإن أفضل طريقة تتبناها القبيلة التي تحلم بالإمسك بزمام القيادة في المناطق المحيطة بها هي استخدام أيديولوجية تمتلك القدرة الكافية لحشد الجموع. و من الجهة الأخرى نجد محمد بن عبد الوهاب الذي قدّم تفسيراً جديداً للدين و تبعاً له استعرض استنباطات جديدة لموضوع التوحيد و الشفاعة و ... و كان بحاجة الى دعم سياسي لكي يتمكن من نشر نفوذه العقائدي تحت مظلته. إن هذه الحاجة ثنائية الجانب قربت الوهابية من آل سعود، و أدى ارتباط السلطة بالدين الى توسيع نفوذ كلا المجموعتين.

إن نشر آراء و أفكار ابن تيمية على يد محمد بن عبد الوهاب قد تمّ في الظروف التي كانت قائمة في العقود الأولى من القرنين الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي؛ في وقت كانت الأمة الإسلامية تتعرض لحملة استعمارية صليبية من جميع الجهات. حيث إن البريطانيين كانوا قد انتزعوا جزءاً كبيراً من الهند من المسلمين، و كانوا قد بدأوا تحركهم نحو جنوب إيران، أما الفرنسيون فكانوا قد دخلوا في منافسة بسط نفوذ مع الدولة العثمانية من خلال احتلالهم لسوريا و مصر و فلسطين، و أما الروس فقد قاموا بالعديد من الهجمات على إيران و الدولة العثمانية من أجل التوسع في العالم الإسلامي و أما الأمريكان فكانوا ينظرون بشغف و طمع الى بلدان شمال أفريقيا، في مثل هذه الظروف و التي كان العالم الإسلامي فيها بحاجة الى الوحدة و الانسجام، أعلن محمد بن عبد الوهاب جميع المسلمين كفاراً بسبب "طلب الشفاعة من الطاهرين" و "زيارة قبور أولياء الله" و حكم بشركهم و أنهم يعبدون الأصنام، فحرّض أعراب البوادي و أثارهم ليهجموا على المناطق السنية و الشيعة فحرق الأخضر و اليابس و أغار على أموال المسلمين باعتبارها غنائم.^١

لقد كان مثلث القوة في شبه الجزيرة العربية في تلك الظروف على النحو التالي: حكم الشريف حسين في مكة و المدينة، و كان يحظى بالدعم العثماني، و كان المسلمون يقرونه بالحيادية، و آل رشيد و هم من القوى الأخرى التي كانت لها حضور في شبه الجزيرة العربية و كانوا يخضعون للسلطة العثمانية المباشرة، و أما التيار الوهابي في نجد، فقد كان يحظى بالدعم البريطاني. حيث أنّ السياسة البريطانية نصّت على دعم آل سعود لزعة الدولة العثمانية و ذلك باعتبارهم معارضين للعثمانيين في المنطقة. دخل عبد الوهاب في حرب ضدّ جميع المذاهب الإسلامية (إلا الحنبلي)؛ و بما أنّ العثمانيين كانوا قد بسطوا سيطرتهم في ذلك العصر على بلاد العرب و من جعلتها شبه الجزيرة العربية؛ فإنّ حركته اتخذت طابعاً مضاداً للعثمانيين و أتمت مواجهة سياسية.^٢ بالنظر الى النظام الدولي القائم في القرن التاسع عشر الميلادي و حتى الحرب العالمية الثانية؛ كانت بريطانيا تعدّ تقريباً أهمّ قوة في

١. السبحاني، جعفر، و هابيت مباني فكري و كارنامه عملي، ص ٣٥-٣٦.

٢. الحلبي، علي أصغر، تاريخ نهضة هاي ديني سياسي معاصر، ص ٩٨.

النظام العالمي، و في موازنة القوى كانت تلعب دور المحافظة على التوازن بين القوى، نظراً الى قوتها العسكرية و البحرية فقد كانت تمتلك مصالحدولية كبيرة و كانت تسعى الى تحقيقها. ومع ملاحظة أن السياسة البريطانية كانت قائمة على استغلال هذا التيار من أجل تحقيق أهدافها فقط، نجدها قامت بقمع هذا التيار بشدة في المراحل التي تحرك فيها ضد البريطانيين، و من الأمثلة على ذلك ما حدث في عام ١٩٢١ للميلاد، و ذلك بعد أن قام اجتماع العلماء و أبناء القبائل في الرياض و الذي اعتبروا فيه ابن سعود ملكاً لنجد و جميع الأراضي المتعلقة بها، أتجه فيصل بن سعود نحو احتلال "أبها" عاصمة عسير، و عند ذلك دخل البريطانيون الحرب بصورة مباشرة و أتجهوا نحو نجد من العراق و الأردن، و هزموا الوهابيين عدة مرات.^١

وكذا الحال عندما كان الشريف حسين في مواجهة مع الوهابية؛ نجد أن البريطانيين تنصلوا من دعمهم له، و بالمقابل وعدوه بحكم أبنائه للعراق و الأردن، و لكن بسبب رفض آل سعود لهذه الخطة، خشي البريطانيون من أن تفشل خطتهم و أجبروا على تقديم امتياز لابن سعود و في معاهدة عام ١٩٢٧ م التي تم توقيعها بين الطرفين، اعترفت بريطانيا بالاستقلال الكامل و المطلق لابن سعود^٢

ومع بداية الحرب العالمية الأولى حث البريطانيون عائلتي سعود و الشريف حسين على قتال العثمانيين، و أرسلوا توماس ادورد لورانس الى معسكر الشريف حسين و ويليام شكسبير الى معسكر السعوديين، بعد اتفاقية مع آل سعود استطاعوا منع نفوذ الشباب الأتراك و الألمان من بسط سيطرتهم على سواحل الخليج الفارسي^٣.

في آذار عام ١٩٣٤ م قرّرت حكومة آل سعود أن تهاجم اليمن، فقد كان لديها عاملان يحركانها إلى الهجوم؛ الأول هو المنابع الاقتصادية اليمنية و التي حظيت بأهمية في نظر السعوديين، و الثاني هو تحريض علماء الوهابية من منطلق تكفير الزيدية، نظراً الى عدم امتلاك اليمن القوة اللازمة لمواجهة آل سعود؛ فقد طلبوا المساعدة من بريطانيا، و التي وافقت بدورها على طلب الإمام يحيى، و ذلك لأن أمن عدن و مضيق باب المندب من الاستراتيجيات المهمة جداً لبريطانيا، حيث تحتاجهما في تحريك قواتها، و لأن ميناء عدن كان يخضع في ذلك الزمان للسيطرة البريطانية منذ قرن، و من ناحية أخرى فإن إيطاليا كانت قلقة من سيطرة آل سعود على هذه المنطقة، و قلقها كان بسبب مستعمراتها؛ أي: أرتيرية و الصومال، و لذلك أرسلت مائة و خمسين من جنودها الى منطقة مجاورة لباب المندب، لتسيطر على مدخل البحر الأحمر. فوجد ابن سعود أن موازين القوى لا تصب فيمصلحته؛ فوافق على خوض مفاوضات مع اليمن.^٤

١. المصدر السابق ص ٣١.

٢. المصدر السابق، ص ٣٢.

٣. مسجد جامعي، زهرا، نظرة الى تاريخ الوهابية، ص ٩٠.

٤. شيرازي، نور الدين، ص ٦٥.

كذلك كان لمنطقة الخليج الفارسي أهمية كبيرة بالنسبة الى بريطانيا، فبالإضافة الى المنافسة مع العثمانيين، و أن خسارة هذه المنطقة تعني خسارة سوق اقتصادي و مناجم هذا علاوة على أهم نقطة و هي خسارة الهند. و عليه؛ يمكن أن تعتبر السياسة البريطانية مع ابن سعود معادلة تعتمد على مدى خلافها مع الدولة العثمانية؛ حيث أنها في ما قبل انهيار الدولة العثمانية، كانت تستخدم ابن سعود كأداة ضغط لتحصل من خلاله على امتيازات من العثمانيين، و على هذا الأساس، كانت تضطر في بعض الأحيان على دعم عبد العزيز دعماً شاملاً و على جميع الأصعدة، و غير أنه بعد سقوط الدولة العثمانية، قد دخلت في حرب ضد آل سعود بصورة مباشرة في بعض الأحيان التي يصبح آل سعود فيها منافساً لبريطانيا في المنطقة. و يمكن ملاحظة مسيرة هذه المواقف المتفاوتة من خلال معاهدة كوكس ١٩١٥ م التي انعقدت بين بريطانيا و ابن سعود، حيث تم في هذه المعاهدة تحديد التزامات كل من الطرفين؛ و هي:

١. أن لا يهاجم ابن سعود الأراضي الخاضعة للحماية البريطانية في شبه جزيرة العرب (والمقصود بذلك هي أراضي الشريف حسين الحليف الآخر لبريطانيا و الذي كان واقعاً تحت تهديد آل سعود. و لكن وجود لاعب آخر منافس لهم مثل الشريف حسين في الحجاز، لم يكن أمراً مقبولاً لآل سعود؛ و لهذا تم التخلّص منه على أيديهم في نهاية المطاف).

٢. يجب ألا يمنح آل سعود امتيازات لأعداء بريطانيا في نجد (ربما يكون المقصود بذلك هم الألمان و العثمانيون).
٣. يجب أن يجعل آل سعود سياساتهم الخارجية منسجمة مع السياسة البريطانية (وبهذا منع البريطانيون آل سعود من إقامة علاقات مع القوى الأخرى، و في الحقيقة احتجزوهم داخل إطار سطوتهم).

٤. تتعهد بريطانيا بتقديم ٦٠٠٠٠ ليرة الى آل سعود في مقابل الالتزام بهذه الاتفاقية.^١

وعلى هذا الأساس؛ يمكن القول بأن العلاقات بين بريطانيا و الوهابية كانت بمثابة معادلة تتبع النظام الدولي في تلك الحقبة الزمنية، حيث أن أعظم قوة في النظام الدولي (بريطانيا) استغلت هذه المجموعة؛ و لكنها قامت بقمعها بقوة و حزم كلما فكرت هذه المجموعة في تهديد مصالح بريطانيا.

أمريكا و القاعدة

بعد الحرب العالمية الثانية و بسبب تغيير اللاعبين، ظهر كل من أمريكا و الاتحاد السوفييتي كأهم لاعبين في النظام الدولي، و مع ظهور التركيبة ثنائية الأقطاب؛ أصبحت جميع الموضوعات و التحديات في المجتمع الدولي تدور حول المواجهة بين مصالح هذين اللاعبين. و ظل هذا النظام قائماً منذ نهايات عقد الأربعينيات و حتى نهايات عقد الثمانينيات من القرن العشرين، و كانت الخصلة المميزة لهذا النظام هي النزاع و المنافسة بين الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفييتي،^٢ و وفقاً لنظرية الواقعية البنوية لوالترز؛ يكون اللاعب الأوفر قوة في هذا

١. موسوعة العلوم الإسلامية الكبيرة، ص ٣٠.

٢. حاجي يوسف، امير محمد، السياسات الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في ظل التحولات الإقليمية، ص ٦١.

النظام من يحقّ عدا أكبر من الأهداف، و يحصل على السلطة لقيادة النظام. لهذا فإنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة و التي كان الاتحاد السوفييتي يشكل أكبر تحدياً لها في هذه الحقبة الزمنية، لم تر بدأً من استخدام المجموعات التكفيرية و المتطرّفة في سبيل تحقيق أهدافها و تأمين مصالحها. و تنظيم القاعدة هو إحدى التنظيمات التكفيرية المعاصرة، و قد ظهر هذا التنظيم في عام ١٩٨٨ للميلاد في مدينة بيشاور الباكستانية، من مكتب خدمات يسمّى "بيت الأنصار" و الذي كان يقوم بمهمّة الدعم اللوجستي للمجاهدين الأفغان، و كانت أنشطة هذا التنظيم مقتصرة على أفغانستان و السودان منذ العام ١٩٨٨ م و حتّى ١٩٩٥ م، و لكن و منذ عام ١٩٩٥ م فما بعد و بالتزامن مع انفجارات مدينة الرياض و عدد آخر من الانفجارات في شرق قارة أفريقيا؛ شاع اسم هذا التنظيم و أصبح معروفاً.^١

دخل المقاتلون العرب منذ عام ١٩٨٦ م حتى ١٩٨٩ م في الكثير من المواجهات إلى جانب المقاتلين الأفغان في حربهم ضدّ الروس، و كانت هذه أفضل حقبة للمجاهدين العرب؛ لالعدم تعرّضهم لأيّ ضغوط من حكومات السعودية و باكستان و أمريكا و حسب؛ بل و تمّ تشجيعهم على الاستمرار في ذلك. حيث إنّ الاستراتيجية الأمريكيّة في تلك الحقبة كانت مبنية على دعم المجاهدين الأفغان و أيّ مجموعة أخرى تستطيع الوقوف بوجه المدّ الشيوعي، فقدّمت أمريكا من هذا المنطلق الكثير من المساعدات الماليّة - العسكريّة على نحو لافت للأنظار، و وضعتها تحت تصرّف المقاتلين الأفغان و العرب في أفغانستان.^٢ ففي هذه الحقبة كانت السياسة الأمريكيّة قائمة على دعم تيار القاعدة التكفيري، و وفقاً لهذا كانت سياسة كل من أمريكا و السعودية و باكستان مبنية على تكوين اتّحاد غير معلندعم الفكر الوهابي في سبيل تحجيم الخطر المتمثّل في نفوذ الاتّحاد السوفييتي و ذلك بتأجيج حرب بالوكالة ضده.^٣

لقد مهّدت هزيمة الاتّحاد السوفييتي في أفغانستان و تفكّك الكتلة الشرقيّة، الطريق نحو حصول الولايات المتّحدة على المزيد من القوّة. ففي هذه الحقبة الزمنية، و بسبب عدم وجود الاتّحاد السوفييتي؛ لم تعد أنشطة المجموعات التكفيرية تصبّ في مصلحة أمريكا، و إنّما كانت تسعى إلى إقامة نوع معين من الحكومات تكون موالياً لها. فهذا النوع من بناء الحكومات في أدب العلاقات الدوليّة يعد نوعاً خاصاً من عمليّات تشكيل الحكومات و قد شاع بعد الحرب العالميّة الثانية، و تمّ في بلدان مثل ألمانيا و اليابان و أفغانستان و الصومال و العراق؛ بتدخّل من الولايات المتّحدة.^٤ لقد اتجهت المجموعات التكفيرية بعد عودتها من أفغانستان نحو التطرّف^٥ و في هذه الحقبة

١. محموديان، محمد، تأثير الفكر السلفي الحديث على فكر القاعدة و ايدولوجياتها، ص ٨١.

٢. محموديان، محمد، تأثير الفكر السلفي الحديث على فكر القاعدة و ايدولوجياتها، ص ٨٥.

٣. عباس زاده فتح ابادي، مهدي، ص ١١٤.

٤. حاجي يوسف، الاستقرار الساسي في العراق الجديد، ص ٩٢.

٥. عباس زاده فتح ابادي، مهدي؛ القاعدة بعد ١١ أيلول مع التركيز على القضية العراقية، ص ١٥١.

أصبحت بمثابة الخطر الذي يهدد السياسات الأمريكية في البلدان الإسلامية. أما حادثة ١١ أيلول فقد هيأت حجة دامغة قَدِّمَتِها التيارات التكفيرية هديةً لأمريكا لكي تغزو العالم الإسلامي عن طريق الحرب على أفغانستان والعراق. إنَّ تاريخ العلاقات الأمريكية بتنظيم القاعدة يبيِّن أنَّ هذا التَّيار حصل على الدعم الأمريكي عندما كان يخدم مصالح أمريكا، و لكنَّه عندما قام بمهاجمة المصالح الأمريكية؛ تمَّ قمعه بقوة. حيث قامت أمريكا خلال حرب الاتحاد السوفييتي على أفغانستان بدعم هذا التَّيار، و لكنَّها في الحرب على العراق وأفغانستان اتَّخذت أفعال هذه التَّيارات حجةً لها لغزو العالم الإسلامي، فقد مهَّدت مثلث أولويات السياسة الخارجية الأمريكية؛ والذيتكون من ثلاثة عناصر، هي: الإرهاب والحكومات المناوئة وأسلحة الدمار الشامل، الطريق إلى حصول أزمة في الاقتصاد الأمريكي؛ لا تستطيع أمريكا الخروج منها من خلال استخدام القوى والأدوات العادية، وكتيجة لذلك أضحت استخدام الأسلوب الوقائي لمنع حدوث عناصر المثلث مسبقاً أمراً ضرورياً في سبيل مواجهة هذه الأمور. و كان تطبيق هذا الأمر على أرض الواقع مفتقداً لحدوث تغييرات، فكانت حادثة ١١ أيلول خير مَهْمَدٍ لتلك التغييرات،^١ و كانت سياسات الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) و انتقاد المسلمين باعتبارهم إرهابيين، من نتائج أنشطة تيار القاعدة التكفيرية الذي وضع هذه الحجة بين يدي أمريكا، كما أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية و وفقاً إلى قدراتها العسكرية و ما لديها من إمكانيات إعلامية، لن تدخّر وسعاً في سبيل فعل كلِّ ما يلزم لتأمين مصالحها.

داعش و النزاع بين القوى الدولية

إن انهيار النظام ثنائي الأقطاب و اتَّجاه النظام الدوليِّ نحو نظام أحادي - متعدّد الأقطاب و ظهور القوى العظمى الحديثة، على الرغم من أنه قلل من استبداد أمريكا من باب كونها القوة العظمى الوحيدة؛ و لكنَّها من ناحية القوة العسكرية ما تزال أهمّ قوة على الصعيد الدوليِّ، و لأجل ذلك فإنَّها تحظى أكثر من غيرها بفرصة استغلال التيارات التكفيرية. فتجربة داعش اليوم تعكس مدى نفوذ القوى الدولية؛ مثل أمريكا، و القوى الإقليمية؛ مثل تركيا و السعودية في هذا التَّيار التكفيرية، فكلّ قوة من هذه القوى تستغلُّ هذا التَّيار التكفيرية بما يتناسب مع ثرواتها و قوتها و قدراتها على استغلاله.

و فيما يتعلق بنموّ داعش، على الرغم من أنَّ البيئة الداخلية للعراق؛ من قبيل: استشرَاء الطائفية، ضعف الجيش و عدم سيطرة الحكومة على جميع أنحاء البلاد، كانت من العوامل التي أدت إلى نموّ هذه المجموعة التكفيرية، إلا أنَّ انتخابات مجلس النواب الأخيرة في العراق و عدد الأصوات الكبير الذي حصل عليه ائتلاف دولة القانون بزعامة نوري المالكي؛ أدّى إلى شعور أهل السنة بالقلق حيال تشكيل حكومة شيعية ثالثة في العراق. إنَّ عدم الإقرار برأي أغلبية الشعب العراقي التي أدلت بأصواتها، و الدعم الإقليميِّ السعوديِّ لمجموعة داعش و التحاق فلول حزب البعث بهذه المجموعة الإرهابية، جميعها عوامل تسعى إلى تحقيق شيء واحد في العراق، و هو جعل حكومة نوري المالكي الشيعية تبدو فاشلة، حيث تتزامن هذه الأحداث مع اقتراب تشكيل حكومة جديدة، ليحول ذلك دون استلام رئيس وزراء شيعيٍّ آخر مقاليد الحكم.

١. خلجي، عباس، مقارنة السياسة الخارجية الأمريكية للإرهاب، ص ١٣١-١٣٢.

تعد قطر على المستوى الإقليمياً أحد أهم داعمي هذا التيار، و التي لا تتردد أبداً بتقديم أي نوع من الدعم لهذه التيارات التكفيرية و ذلك في سبيل منافسة السعودية على قيادة البلدان العربية. و أما السعودية و باعتبارها أهم داعم للتيارات التكفيرية في الشرق الأوسط، فقد قامت بتحديد نشاطات هذه المجموعات على أراضيها إلى حد كبير، لا سيما أن تواجد شركات النفط و المصانع الغربية و الأمريكية على وجه الخصوص في هذا البلد يحتاج الى وسط آمن لكي تمارس هذه الشركات نشاطاتها، قامت السعودية - ومن جرائها إدراكها لهذه الأوضاع - بتسيير التيارات المتطرفة (الراдикаلية) الموجودة فيها نحو بلدان المنطقة الأخرى، حيث إن اختيار البلدان المستهدفة يتم حسب السياسات الاستراتيجية لهذا البلد، فعلى سبيل المثال؛ لم تقم هذه التيارات التكفيرية بأي أعمال عنف تستهدف الحكومة في البحرين، أما في بلدان مثل العراق و اليمن و سوريا و لبنان، فإنها هي الدول التي يتبجح إليها أعضاء هذه المجموعات.¹

وعلى الصعيد الدولي فإن الأمريكيين يعلمون جيداً أن ماسك المجموعات التكفيرية لزام السلطة لن يؤدي إلى ضمان مصالحهم، لأن هذه المجموعات سوف تؤدي اليانعدام الأمن، و انعدام الأمن هذا سينعكس على المنطقة التي تعتبر أهم طريق لنقل الطاقة في العالم؛ و إن هذا سيضر بالمصالح الأمريكية. من ناحية أخرى يعلم الأمريكيون بتوجهات هذه التيارات الفكرية المعادية للغرب، و يعلمون أن هذه التيارات في حال استلامها لزام الأمور، فإن اليهود و المسيحيين هم العدو البعيد لهذه التيارات، و في حال انتصار هذه التيارات على العدو القريب (المسلمين و الحكومات الإسلامية الحالية المعارضة لهذه التيارات) فإنها ستتجه نحو العدو البعيد. في المؤتمر الذي عقد في عمان عاصمة الأردن تحت عنوان "الموقف الأمريكي تجاه الأزمة في سوريا: المحددات و التحولات"، في تاريخ ١١ / ٥ / ٢٠١٤ أكد الخبراء على أن انتشار التيارات التكفيرية و الإرهابية في سوريا و البلدان الإسلامية سيؤدي الى زعزعة استقرار البلدان الإسلامية، و إن هذا الأمر سيضمن الأمن الإسرائيلي بشكل أكبر. إن التخلص من الأسلحة الكيميائية السورية يصب في اتجاه هذه السياسة الأمريكية. كي لا تؤدي هذه الأسلحة في المستقبل الى تهديد أمريكا. و نجد في سياسة أمريكا في دعم التيارات التكفيرية تناقضاً، حيث إنها من جهة تدافع عن الحرية و الديمقراطية و من ناحية أخرى تدعم التيارات الإرهابية في العراق و سوريا، و إن السياسة العامة لأمريكا في هذه المنطقة هي نشر المجموعات الإرهابية و التكفيرية و جعل العالم الإسلامي ضعيفاً الى درجة عدم بقاء أي خطر يهدد إسرائيل.^٢ لذلك فإن أمريكا تحاول دعم هذا التيار ما دام ذلك يؤدي الى ضمان مصالحها الوطنية. إن تصدير النفط العراقي و الشركات الاقتصادية الأمريكية هي أكثر ما يثير القلق الأمريكي في هذا البلد، و إن دعم هذه المجموعات على المدى البعيد لن يصب في صالحها، أما على المدى القصير فإنها بصورة عملية لا تعارض داعش، من أجل زعزعة حكومة نوري المالكي و تمهيد الطريق لتواجد عسكري ثانٍ و محدد في العراق. بعد رحيل أمريكا عسكرياً من العراق عام ٢٠١١ و تسليم أمن البلاد للحكومة المركزية العراقية، فإنها ستسعد بلا شك بفشل

١. شيخ حسيني، مختار، الأسباب الفكرية و الملموسة لنمو داعش في العراق.

2. <http://mesc.com.jo/Activities/ActSaloon/ActSaloon17.html>

حكومة نوري المالكي في توفير الأمن في البلاد، وإن زرع عدم الاستقرار الداخلي قد يؤدي إلى طلبات لعودة أمريكا إلى هذه البلاد بكلفة أقل. إن تجربة الدعم الأمريكي للقاعدة خلال حقبة معينة من الحرب السوفيتية على أفغانستان و من ثم المعارضة الشديدة لهذا التنظيم عن طريق غزو أفغانستان عام ٢٠٠١، يشير إلى أن التيارات التكفيرية هي أدوات للمصالح الأمريكية، وهي تحصل على الدعم ما دامت تعمل بما يخدم الأهداف الأمريكية، و لكن الاستراتيجية الأمريكية لا تنص أبداً على دعم أمريكي بعيد الأمد لهذه المجموعات.^١ في الاستراتيجية الشاملة في العصر الحالي، يسمي العرب التيارات المعادية للغرب و الراضة له باسم التيارات السلفية و هو يسعى إلى تصنيف المجموعات الإسلامية المعارضة للغرب على أنها متخلفة و سلفية، لكي تتعرض هذه التيارات إلى هجمة دعائية و عسكرية غربية، و يتم رفضها من قبل العالم الإسلامي باعتبارها مجموعات سلفية و متطرفة.^٢

انعكاسات انتشار التيارات التكفيرية على العالم الإسلامي

١. نسيان آمال الأمة الإسلامية

في حال تطبيق العالم الإسلامي لتعاليم الدين و القرآن، فإنه سيصبح أمة واحدة. إن العالم الإسلامي بصورة أمة واحدة مع انسجام جميع طاقاته البشرية و مصادر الطاقة الكثيرة التي يمتلكها سوف يتحدى جميع القوى الدولية. لقد تم تشكيل حركات في العالم الإسلامي في هذا المجال مثل المؤتمر الإسلامي، حركات التقريب و ... وفقاً لهذا الأساس. و لكن أهم أمر يمكن أن يمنع العالم الإسلامي من تحقيق هذه الآمال هو الصدمات الدينية و التشتت الداخلي. فإن قرع طبول التكفير و التطرف، يسحب العالم الإسلامي نحو الصدمات الداخلية و ستبقى الأمة الواحدة أمل لا يمكن تحقيقه في حين أن القرآن الكريم يقول إن هذه أمتكم أمة واحدة.^٣

٢. نسيان فلسطين كأولوية

إن القضية الفلسطينية هي من أكبر التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في العقود الأخيرة. فاحتلال جزء من العالم الإسلامي، قد واجه ردود أفعال مختلفة من المسلمين حيث أن أربعة حروب قامت بسبب هذه القضية و هي تسمى بالحروب العربية الإسرائيلية. شيئاً فشيئاً حذف بعض قادة البلاد الإسلامية القضية الفلسطينية من قائمة أولوياتهم في السياسة الخارجية، و وضعوا في لائحة أعمالهم تطبيع العلاقات مع إسرائيل. فحكومة حسني مبارك في مصر خير مثال على التذبذب في مجال القضية الفلسطينية. على الرغم من قيام الحكومات الإسلامية بتغيير مواقفها السياسية بالنسبة إلى القضية الفلسطينية إلا أن مكانة القضية الفلسطينية لا تزال كبيرة بين الشعوب المسلمة باعتبارها قضية حساسة، و لطالما عبر المسلمون عن تعاطفهم مع الفلسطينيين في مناسبات مختلفة. إن نمو التيارات التكفيرية و انشغال العالم الإسلامي بالواجهات الداخلية أدى إلى نسيان القضية الفلسطينية و خروجها

١. شيخ حسيني، المصدر السابق.

٢. على زادة موسى، سيد مهدي، تبارشناسي سلفي غري و و هاييت، ص ٩١.

٣. سورة الأنبياء الآية ٩٢.

من قائمة أولويات الحكومات و الشعوب في العالم الإسلامي. إن نسيان فلسطين أدّى الى تمهيد الطريق نحو هجمات صهيونية أشدّ وقعا على غزة، و إن العالم الإسلامي بسبب انشغاله بموضوع التكفير لم يستطع أن يعثر على حلّ عمليّ من أجل دعم الشعب المظلوم.

٣. اغلاق الطرق التي تؤدّي الى التقارب بين المسلمين

تعدّ حركات التقريب من العوامل التي تؤدّي الى الاتّحاد في العالم الإسلامي، و يهتم به عدد كبير من علماء اهل السنة و الشيعة. إن علماء من أمثال الشيخ شلتوت، آية الله البروجردي، الإمام الخميني و غيرهم اتبعوا توجهات فكرية تؤدّي الى التقريب في العالم الإسلامي، و إن الاهتمام بالقواسم المشتركة العقائدية أتاح أمام العالم الإسلامي الكثير من الفرص. و لكن شحذ همم التيارات التكفيرية و حصولها على الدعم من القوى العالمية يؤدّي إلى الإضرار بهذه السنة الفكرية و العملية في تاريخ المسلمين. إن نمو الفكر التكفيرية يؤدّي الى بروز الخلافات بين مجموعات المسلمين المختلفة و نسيان المحاور المشتركة و في النهاية فشل استراتيجيات التقريب.

٤. زعزعة أمن العالم الإسلامي

في عصرنا الحاليّ يعبر عن الاستقرار الأمنيّ بالدعامة الأساسية لتطور و نمو أيّ بلد. في الحقيقة يُعتبر الأمان حاجة ضرورية أساسية جداً للبشر. و إن الحكومات تعتبر أن توفير الأمان هو أهم و اجبتها. إن عدم وجود استثمار طويل الأمد في البلدان الإسلامية يؤدّي الى التخلف و عدم حصول التنمية فيها. إن من نتائج التيارات التكفيرية زعزعة أمن و استقرار العالم الإسلاميّ و هو ما ترتّب عليه الكثير من النتائج السلبية. و إن عدم رغبة الشركات الدولية الكبرى في الاستثمار في العالم الإسلاميّ هي احدى نتائج هذا الأمر. و النتيجة الأخرى لزعزعة استقرار العالم الإسلاميّ هي قيام سوق لبيع الأسلحة في بلدان العالم الإسلامي، و بزعزعة أمن المنطقة بسبب التيارات التكفيرية، فإن بلدان المنطقة ستتجه نحو شراء الأسلحة من الغرب، و إن تكديس الأسلحة هو أحد أسباب الإحساس بعدم الاستقرار في العالم الإسلامي.

٥. نشر الإسلاموفوبيا

بعد سقوط الشيوعية و المعسكر و الشرقي و انتهاء الحرب الباردة بين الغرب و الشرق و التيارات الفكرية الليبرالي و الشيوعي، اعتبر النظام الرأسمالي أن منافسه الوحيد هو الإسلام، و هو يعتبر أن الشرق الأوسط هو المنطلق الأساسيّ لانتشار الإسلام، حيث أن اغلب بلدانه إسلامية. و من أجل أن تشوّه وسائل الإعلام الغربية صورة الإسلام، قامت بتصوير التكفيريين الذين يلجأون الى العنف و الإرهاب على أنهم مسلمي الشرق الأوسط، و باستخدام هذه الأدوات الإعلامية القوية حاولوا إلقاء فكرة أن الشرق الأوسط هو مركز أزمة بالنسبة الى العالم، و إن سبب قيام الأزمة في هذه المنطقة هو وجود المسلمين فيها، و اليوم يعتبرون الإسلام في الدعاية الغربية العدو الجديد للنظام الرأسمالي بعد الشيوعية. و من أجل هذه الدعاية يحتاجون داعماً، و للأسف فإن التيارات التكفيرية

توفّر لهم هذه الحجة. إنّ نتيجة ذلك هي عرض صورة عنيفة و متصلة للإسلام الرحماني، مما يبعد شعوب العالم عن الإسلام الحقيقيّ الخالص.

خلاصة البحث

وفقاً للإطار الذي حدّدته مقالة "نظرية الواقعية النبوية لكنيث و التز" فإن النظام الدوليّ فوضويّ، و لا توجد قوّة حاكمة تقوم بالتنظيم على الصعيد الدوليّ. في مثل هذا النظام يُعدّ البقاء هو المبدأ الأوّل للحكومات، و كل دولة تسعى إلى تحقيق مصالحها الوطنية في جو يسوده الصراع. إنّ نفوذ هذه البلدان في هذا النظام يتمّ تقديره عن طريق القوّة الماديّة مع التركيز على القدرات العسكريّة، و إنّ البلد الذي يملك مقدار أكبر من القدرات العسكريّة و البنيوية يستطيع تحقيق أكبر عدد من أهدافه و ضمان مصالحه الوطنية. لذلك فإنّ ضمان المصالح الوطنية يعتبر مبدأ في هذا النظام، و إنّ الدول العظمى بسبب امتلاكها ثروات مادية كبيرة تستطيع التأثير أكثر فتضمن مقداراً من مصالحها أكبر مما تفعل باقي الدول. إنّ تحليل نشوء و تنامي التيارات التكفيرية على المستوى الدوليّ يشير إلى أن قوى دولية مختلفة قد استغلّت هذه التيارات عبر حقب زمنيّة مختلفة من أجل ضمان مصالحها الوطنية، و في الحقيقة تُعدّ التيارات التكفيرية عاملاً مهماً جدّاً في السياسات الإقليميّة لكلّ من القوى العظمى و بصورة خاصّة بريطانيا و أمريكا.

إنّ ما توصلّ له هذا المقال يشير إلى أنّه على الرغم من كون العوامل الفكرية و الملموسة لنمو هذه التيارات موجودة في المجتمعات الإسلامية، إلا أنّ المصالح التي ضمنتها هذه التيارات التكفيرية للقوى العظمى، جعلتها أداة فييد السياسة الخارجيّة للقوى الدوليّة. بعد وضع حجر الأساس للتيار الوهابيّ في منطقة نجد و ارتباطه بالسلطة السياسيّة لابن سعود، استخدمت بريطانيا هذا التيار من أجل مواجهة النفوذ العثمانيّ في شبه الجزيرة العربيّة، و عبر بناء علاقة بين هذه المجموعات و آل سعود و تقديم المساعدات الماليّة و العسكريّة لهم، فقد مهّدت الطريق من أجل رشد و انتشار هذا التيار و شيئاً فشيئاً بالاعتماد على قدرات هذا التيار التكفيريّ أنهت النفوذ العثمانيّ في شبه الجزيرة العربيّة مع سقوط آل رشيد. إنّ تجربة الحرب الباردة في القرن العشرين، تشير إلى أنّ أمريكا باعتبارها من القوى المهمة في النظام الدوليّ، قامت بدعم التيار التكفيريّ مالياً و عسكرياً في إطار تنظيم القاعدة في أفغانستان من أجل تحقيق مصالحها الوطنية و الدوليّة في صراعها مع الاتّحاد السوفييتي، و استطاعت التغلّب على منافسها على الصعيد الدوليّ؛ أيّ الاتّحاد السوفييتي، و هذه كانت ثاني تجربة تستخدم فيها القوى العظمى التيارات التكفيرية من أجل تحقيق أهدافها و ضمان مصالحها.

إنّ ثالث تجربة في استخدام التيارات التكفيرية كانت في مجال الإسلاموفوبيا و مواجهة انتشار الإسلام في الغرب، في هذا المشروع استخدمت القوى الدوليّة أسلوب وسائل الاعلام من أجل عرض صورة عنيفة للإسلام للتقليل من عوامل نفوذ الإسلام في العالم المعاصر، و آخر تجربة لهم هي الدعم الدوليّ و الإقليمي للتيارات التكفيرية في سوريا و العراق من أجل زعزعة محور المقاومة في المنطقة (إيران - العراق - سوريا - حزب الله و

حماس) و لكن التيار التكفيرى لم يكن أبداً حليفاً استراتيجياً و بعيد الأمد للقوى العظمى، بل أنه كان مجرد أداة لتحقيق أهدافهم و لذلك حظي بالدعم.

المصادر

١. اله دهاشتي، ٢٠٠٣، نقد أسس السلفية في التوحيد، مقالات و أبحاث، العدد ٧٤/
٢. احمدى، حميد، ١٩٩٧: البنيوية في نظرية العلاقات الدولية، مجلة حقوق و علوم سياسي، جامعة طهران.
٣. أصفي، محمد مهدي، الأمة الواحدة و الموقف من الفتنة الطائفية، ١٤٣٢ للهجرة، النجف: مجمع اهل البيت العالمي.
٤. امين، محسن، ٢٠٠٨، كشف الارتياح، ترجمة علي أكبر فائزيور تهراني، قم: دار نشر مطبوعات ديني.
٥. بخشي شيخ احمد، مهدي، ٢٠٠٥، الجهاد من ابن تيمية الى بن لادن، راهبرد، العدد ٣٩/
٦. حاجي يوسفى (٢٠٠٤) السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في ظل التغييرات الإقليمية، طهران: مكتب الدراسات السياسية الدولية.
٧. حاجي يوسفى، امير محمد و سلطاني نجاد، احمد (٢٠٠٨) الاستقرار السياسي في العراق الجديد، مكتب الدراسات السياسية و الدولية.
٨. حليبي، علي أصغر، تاريخ الحركات الدينية المعاصرة، ٢٠١١، الطبعة الرابعة، طهران، دار نشر زوار، ص ٩٨/
٩. سبحاني جعفر، الوهابية، الأصول الفكرية و صحيفة الأعمال، ٢٠١١، قم، دار نشر توحيد.
١٠. سبحاني، جعفر، ٢٠٠٩، المذهب الوهابي، قم، مكتب النشر الإسلامي.
١١. خلجي، عباس، ٢٠٠٣، مقارنة السياسة الخارجية الأمريكية للإرهاب، مجلة الدفاع السياسي الفصلية، العام ١١، العدد ٤٦، تشرين الأول.
١٢. علي زادة موسوي، سيد مهدي، نسابية السلفية و الوهابية، الطبعة السادسة، ٢٠١٤، قم، دار نشر آواي منجي
١٣. عباس زاده فتح ابادي، مهدي، ٢٠١٠ القاعدة بعد ١١ أيلول مع التركيز على القضية العراقية، مجلة السياسة الفصلية، الفصل ٤٠١، العدد ٢/
١٤. شيرازي، نور الدين، نظام آل سعود، ١٩٨٨، دار نشر: فرا انديش
١٥. مجموعة من المؤلفين، الوهابية السياسية، ٢٠١١، طهران، دار نشر انديشه سازان نور.

١٦. شيخ حسيني، مختار، ٢٠١٤، العوالم الفكرية و الملموسة لنمو داعش في العراق، المجلة الأسبوعية بنجرة، العدد /١٩٩
١٧. شيخ حسيني، مختار، ٢٠١٤، ثلوث نمو داعش في العراق، في نشرة خاصة تحليلية للتيار البعثي التكفري لداعش، قم، مجمع أهل البيت العالمي.
١٨. قادري حاتم، ٢٠٠٦ الفكر السياسي في الإسلام و إيران، طهران، دار نشر سمت.
١٩. كرمانى، طوبي، نظرة الليوهابية، مقالات و أبحاث، صيف /١٩٩٤
٢٠. كاظمي دينان، سيد مرتضي ٢٠٠٩، أسباب ثورة شيعة السواحل الجنوبية للخليج الفارسي في العربية السعودية، بحرين، كويت، مؤسسة علم التشيع.
٢١. قادري حاتم، ٢٠٠٦، الفكر السياسي في الإسلام و إيران، دار نشر سمت.
٢٢. عطوان، عبد الباري، تنظيم القاعدة السري، ترجمة فرزان شهيدى، ٢٠١٢، طهران، دار نشر انديشه سازان نور.
٢٣. فروزي، علي رضا، رسالة التخرج من مرحلة الماجستير من جامعة علامة طباطبائي، أصول علم الإنسان فينظريات العلاقات الدولية (الواقعية و الليبرالية) و الإسلام، /٢٠١٣
٢٤. محموديان، محمد، تأثير الفكر السلفي الحديث على فكر القاعدة و ايديولوجياتها، تقرير العلوم السياسية، العام السابع، العدد الثالث، الصيف.
٢٥. مشير زادة، حميرا (٢٠٠٩). التغيير فينظريات العلاقات الدولية، طهران: دار نشر سمت.
٢٦. مسجد جامعي، زهرا، نظرة الى تاريخ الوهابية، ٢٠٠١، طهران، الوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي.
٢٧. موسوي مبلغ، سيد محمد حسين موسوي ١٣٨٤، مبلغ، مشكوه العدد ٨٦، الربيع

1. Waltz, K. (1979) Theory Of International Politcs, New York: Random House.
2. [http:// feirahi. halghe. ir/ 1392/ 12/ 25](http://feirahi.halghe.ir/1392/12/25)
3. [http:// mesc. com. jo/ Activities/ Act Saloon/ Act Saloon 17. html](http://mesc.com.jo/Activities/ActSaloon/ActSaloon17.html)

باثولوجيا التيارات التكفيرية وسبل مواجهتها من منظار سماحة قائد الثورة

على رضا دانشيار^١

نبذة

تتطرق الدراسة هذه، إلى باثولوجيا التيارات التكفيرية من منظار سماحة قائد الثورة من خلال ثلاثة اجزاء وهي المعتقدات والأخلاق والسلوك وتتم بدراسة حلول الخروج من أضرار التيارات التكفيرية من منظار سماحة القائد وفقا للحالة. على مستوى المعتقدات، تتسم التيارات التكفيرية باستيعاب ابرتر مكون من مزيج من البدع وتقديم غير عقلاني للتوحيد والشرك وكافة المفاهيم الدينية. في مجال الضرر الأخلاقي فان أهم سميتها تتجلى في الجهل ونوع من الخبث الداخلي الذي أدى إلى الابتعاد عن الحقيقة وعدم التقوى والسقوط في مهلكة الرذائل. على مستوى السلوك وفي الجانب الفردي فان أهم سمة للتيارات التكفيرية تظهر في الطابع الحربي والعنف وإثارة الفساد والاعتيال وأخيرا ارتكاب الجرائم وإراقة الدماء وفي جانب السلوك الاجتماعي فان أهم سمة لهم يمكن ان نطلق عليها بث التفرقة في صفوف المسلمين وتدمير الحضارة والثقافة وتقوية أعداء الإسلام. تم تقديم حلول للخروج من مشاكل وأضرار التيارات التكفيرية في الساحة الفكرية الثقافية والسياسية. في مجال الحلول الفكرية الثقافية ولمواجهة التيارات التكفيرية على الأمن الإسلامية يمكن الإشارة إلى تقوية الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية والتفاهم حول القواسم المشتركة بين الشيعة وأهل السنة، والابتعاد عن إثارة الخلافات ومظاهر تأجيجها والعودة إلى القرآن وفهم المقاربات القرآنية فهما دقيقا في الحؤول دون بث التفرقة وتحقيق وحدة صفوف العالم الإسلامي. ومن الحلول السياسية يمكن الإشارة إلى تقوية الوحدة بين المسلمين وضرورة معرفة العدو وطرده. وبواسطة معرفة مكامن الضعف واستخدام الحلول الصحيحة في المجال الثقافي والسياسي يمكن اقتلاع جذور التيارات التكفيرية في العالم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: باثولوجيا - التيارات التكفيرية - المعتقدات - الأخلاق - السلوك - الحلول

١. طالب مرحلة دكتورا فرع دراسات الثورة الإسلامية من جامعة المعارف الإسلامية في قم وباحث في معهد المصطفى الدولي.

المقدمة

تحولت قضية التكفير إلى إحدى القضايا المعقدة والغدة المتفححة في العالم الإسلامي. فيما يتعلق بأسباب وظهور ظاهرة التكفير هناك عوامل مختلفة، يمكننا والى جانب العوامل السياسية الاجتماعية، إبراز العامل العقائدي الثقافي المؤثر على تلك الجماعات أكثر من العوامل الأخرى. هذا وان مسار عمليات وجرائم هذه المجموعة التي تقوم بها بذرائع ومزاعم الدينية، أثارت غضب المسلمين من الشيعة والسنة إذ لا يصدق أحد ما بان هذه الجماعات متأثرة من التيارات العقائدية. مع هذا، يجب التنويه بان هذه الجماعات تأثرت بشدة من نوع من المعتقدات المنحرفة تأثيرا كبيرا وان هذا التأثير برز نفسه في مرحلة العمل والسلوك العنيف والمجرم ومع الأسف في بعض الحالات في الأطر الدينية. فيما يتعلق بالتيارات التكفيرية يجب التنويه بان تلك التيارات لم تسر على مسار تاريخي واحد وان المرحلة الراهنة هي تجلي للمرحلة التاريخية. ان المراحل والمسار التاريخي الذي يبدو بان هذه المجموعات متأثرة منها هي كالتالي: عقائد ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والى حد ما السمة الثورية لهذه الجماعات المتأثرة من بعض التيارات والأفكار المصرية، هذا ويجب ان نعرف بان أفكار ومعتقدات الجماعات التكفيرية الفريدة بنوعها، لا تطابق أي من المذاهب الإسلامية الرئيسية الشيعية منها والسنية بل هناك جوانب من معتقدات هذه الجماعات يمكن ملاحظتها في التاريخ، منه يمكن الإشارة إلى الخوارج، إذ يوجد قواسم مشتركة بينها وبين التيارات التكفيرية. بعد فتنة الخوارج، اجتاز تاريخ المسلمين الإسلامي، فترات ومراحل مختلفة شاهد فيها ظهور مذاهب وحركات كثيرة. يأتي على رأس تلك الحركات، طائفة لا تخاف تكفير عامة المسلمين واتهامهم بالشرك. على المستوى العالمي، تحولت في يومنا هذا موجة التكفير إلى ظاهرة عامة وسيف بتار، يسله البعض في وجه المعارضين عقائديا ومذهبيا واتجهوا في هذا المجال نحو العنف والتطرف وارتكاب الجرائم والفساد وإثارة الفساد في العالم الإسلامي. هذه هي فكرة التكفير التي شوهدت صورة الإسلام في العالم الراهن وحولت المسلمين إلى شعوب متعارضة وفئات متفرقة، بعد تضعيفهم^١ ان السمات المهمة للتيارات التكفيرية، هو اعتبار الأعمال الحسنة للمسلمين ذنبا وتكفير المسلمين بسبب اقترافهم الذنب واعتبار دماءهم وأموالهم مباحا لهذا السبب التعصب الشديد، والعداء الشديد مع الإمام علي عليه السلام وأبناءه والأخذ بظاهر ألفاظ القرآن والسنة دون مراعاة التفسير ودون الاهتمام بالأسس العقلية المبدئية واعتبار كل ما لم يورد في القرآن والسنة، بالبدعة، والتقييد الظاهري والاجتهاد في العبادات واعتبار سائر المسلمين بالكفار ما عداهم وتطبيق آيات من القرآن نزلت في شان الكفار والمسلمين على المسلمين، ومحاربة كافة المسلمين، بينما يتركون الكفار والمشركين جانبا. وأخيرا اعتبار كافة الأشياء ذات علاقة بالإسلام واعتبار أمور مثل الدعاء والشفاعة والتوسل والخوف و... بالله دون غيره ويعتبرون ان جعل إحدى مخلوقات الله تعالى واسطة، هو الشرك والكفر.^٢

١. حسين احمد الخشن، إسلام و خشونت (نگاهی نو به پدیده تکفیر)، ص: ٢٠.

٢. عباس فيروز جابي، بنيادهاي فكري القاعده ووهاييت، ص: ٢٣٣.

وفقا لما جاء فان البحث يحاول الاهتمام بتقييم وباثولوجية الجماعات التكفيرية من منظار سماحة قائد الثورة. ومن جهة أخرى، التطرق إلى حلول الخروج من المشاكل وأضرار التيار التكفيري. فان الإطار النظري للبحث، وبالاستفادة من أسلوب تحليل النص، ان يشرح فحوى تصريحات سماحة قائد الثورة، والتطرق إلى باثولوجيا التيارات التكفيرية في ثلاثة جوانب عقائدية وأخلاقية وسلوكية وأخيرا يأتي على حلول اقتراحها قائد الثورة. طوال السنوات المنصرمة وحتى قبل ان تظهر القضايا والمشاكل الإقليمية كقضايا سورية، حذر سماحة القائد من خطر تفرق شمل المسلمين والأسباب الكامنة وراء فكرة "تكفير المسلمين الآخرين". على هذا فان السؤال الرئيس الذي يطرحه البحث هو: ما هي الأضرار والعراقيل التي تواجهها التيارات التكفيرية وما الحلول لمواجهة ظاهر التكفير من منظار القائد؟ إذ يتم دراسة الأمر بعد إيضاح المفاهيم في جزأين الأول باثولوجيا التيارات التكفيرية (الأضرار العقائدية والأخلاقية والسلوكية) والحلول للخروج من المشاكل وأضرار التيارات التكفيرية.

باثولوجيا التيارات التكفيرية

في هذا المقال يتم دراسة باثولوجيا التيارات التكفيرية من خلال ثلاثة حقول من منظار سماحة قائد الثورة وهي كالتالي:

باثولوجيا التيارات التكفيرية في مجال المعتقدات

باثولوجيا التيارات التكفيرية في مجال الأخلاق

باثولوجيا التيارات التكفيرية في مجال السلوك

باثولوجيا التيارات التكفيرية في مجال المعتقدات

قبل ان نتطرق إلى باثولوجيا التيارات التكفيرية من منظار سماحة القائد علينا الإشارة إلى بعض من أهم التيارات العقائدية المؤثرة على هذه التيارات كي يتم استيعاب باثولوجيا هذه التيارات بسهولة. عند البحث عن سبب تركها التأثير على مستوى المعتقدات، يمكن ملاحظة أجزاء من أفكار ابن تيمية في صفوف الجماعات التكفيرية. فأغلبية الباحثين من درسوا الجماعات التفكيرية وكذلك الوهابية يتفقون بانه لا يمكن أي شخص عند النظر في مكانة جذور أفكار هذه الجماعات، كابن تيمية في جانب الأهمية. كان ابن تيمية رجل متعصب في معتقداته وعنيف في مواجهة المعارضين الفكريين ومتعصب في مواجهة الشيعة بالتحديد، إذ ينكر فضائل الإمام علي عليه السلام. كان مغامرا ومثيرا للجدل ومغرورا إذ لا يقبل إلا أفكاره ونظرياته. انه كان يعتبر بان العقل هو السبب في الضلالة ويجب الاكتفاء بظواهر أفاظ القرآن والحديث النبوي وفتاوى الصحابة.¹ يمكن الإشارة إلى محمد بن عبد الوهاب بصفته من الشخصيات التاريخية المهمة الأخرى الذين تركوا تأثيرهم على تلك الجماعات. يمكن القول بانه اول من نفذ أفكار ومعتقدات ابن تيمية، انه وبدراسة مؤلفات ابن تيمية، ادخل القضايا النظرية إلى الساحة العملية. أما

١. عباس فيروزجايبى، بنيادهاى فكرى القاعدة و وهابيت، ص: ٢٣٥.

سمات أعماله وتطرفه هي عبارة عن: عدم الاكتفاء بمجرد الدعوة واللجوء إلى السيف الذي يطلق عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكافحة البدعة وتهديم القبور والأضرحة والمزارات والقبور المحددة ونشر مدلولات البدعة والشرك والاهم من هذا نشر نطاق تكفير المسلمين، وأما تكفير المسلمين وتشبيههم بالكفار يعد من المؤشرات المهمة لهذه الفكرة. انه حكم شامل يشتمل على كافة المسلمين ولا استثناء ما عداهم أنفسهم^١ ان السمة المؤثرة المحورية على سلوك الوهابية وأدائها وكذلك الجماعات التكفيرية التي تركت تأثيرها في توسيع رقعة مفهوم الكفر والشرك، يتجلى في الانطباع الخاطئ من مفهوم التوحيد. الوهابية وفي التفسير الصحيح من مفهوم التوحيد، تعرضت للخطأ وقدمت تفسيراً خاطئاً من التوحيد الإلهي والتوحيد الربوبي. إلى جانب هذه القضية فان التعصب وعدم القبول بقول الآخرين ورأيهم، ترك تأثيره في تضخيم أعمالهم وحرفهم من مسار الحق. وجعل تطبيق مدلولات التوحيد والشرك عندهم مشتبهاً. لا مفردة تعادل استخدام مفردة التوحيد والشرط في نصوص الوهابية. التوحيد يشكل الموضوع المحوري لمذهب الوهابية؛ إذ يطلق عليها محمد بن عبد الوهاب الدين الإسلامي ودين الله.^٢ يرى علماء الوهابية بان التوسل إلى غير الله وزيارة القبور والصلاة في مكان فيه قبر، يعارض التوحيد وان ضرورة التوحيد هي عدم التوسل إلى الله، وعدم الاستعانة بما عدى الله، حتى لو كان نبي الإسلام، ذلك ان التوسل والشفاعة لم يوجد في سنة النبي والسلف الصالح وان القرآن يعتبر هذه العقيدة شركاً.^٣ وأخيراً ان تكفير المسلمين يعد من اهم المبادئ الدينية للوهابية. سواء كان المسلمون الآخرون أو أي مسلم يعارضهم عقيدة. لكي نوضح رأي الوهابية تأتي بما قاله محمد بن عبد الوهاب إذ يقول موضحاً عقيدته:

ان من يتوسلون بغير الله كلهم كفار ومرتدون عن الإسلام ومن ينكر كفرهم أو يقول بان أعمالهم باطلة لكنهم ليسوا بكفار، انه فاسق ولا تقبل الشهادتين منه ولا يجوز الصلاة خلفه في الواقع ان الدين الإسلامي لا يصح إلا بالبراءة منهم وتكفيرهم ان الإنسان يخرج بالظلم من الإنسان وكما جاء في الذكر الحكيم: انَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان / ١٣). ان من يقول باننا نكفر المسلمين لا يقول كلاماً حقاً، ذلك اننا لا نكفر سوى المشركين.^٤

ويقول في مؤلف اخر عقائده بهذه الكلمات:

ان المشركين في عصرنا أضل من الكفار في عهد النبي لسببين: الأول ان الكفار كانوا يدعون الأنبياء والملائكة عند الراحة لكنهم يخلصون الدين إلى إله عند الشدائد. وثانياً ان المشركين في عصرنا يدعون من ليسوا

١. المصدر نفسه: ٢٣٨ - ٢٣٧.

٢. الياسيني، أيمن، الدين و الدولة في المملكة العربية السعودية، نقله الى العربية: الدكتور كمال اليازجي، دارالساقى، ص: ٣٣.

٣. حسين خُلف، ص: ١٧٦.

٤. حسين خُلف، الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)،

ص: ٨٦ - ٨٨.

على مرتبة عيسى أو الملائكة. اليوم الأرض ملأت بالشرك الأكبر وهو عبادة الأصنام: الحضور إلى جانب قبر النبي والحضور إلى جانب قبر الصحابي طلحة والزبير وقبر إنسان صالح ومناداتهم عند مواجهة الصعوبة وتقديم القران لهم وهذا من صنف عبادة الأصنام التي تخرج الإنسان من الإسلام فأنهم مرتدون ومالهم ودمهم حلال.^١

وفقا لما فات فيمكن القول بجزم بان التيارات التكفيرية تتلقى الجل الأعظم من زادها الفكري والعقائدي من الوهابية المتطرفة التي تستلهم أفكارها من ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب. ان قضية التوحيد وفهم التيارات التكفيرية الناقص لها، حظيت باهتمام سماحة القائد الحقيقية ودراستها من منظار الباثولوجيا. انه أشار إلى قضية تهديم قبور أئمة البقيع التاريخية في إطار نشر التكفير وتوسيع رقعته في صفوف كافة المسلمين ويعتبر بان تيارات التكفيرية اليوم وفي جانب العقيدة يتبعون التيارات الوهابية والتكفيرية:

هناك مرارة أخرى، وهي أن هناك في جماعة المسلمين والأمة الإسلامية، أشخاص يعتبرون بأفكارهم الفاسدة والمتحجرة والمتخلّفة والخرافية، تعظيم الأكاير والمبرزين والشخصيات النورانية في صدر الإسلام، شركاً وكفراً، إنها واقعا لمصيبة. هؤلاء هم الأشخاص أنفسهم الذين هدم أسلافهم قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع.^٢

ان سماحة القائد يقدم فكر وعقيدة وروح السائدة على هذه التيارات بصفات كالباطل والرجس وصاحب النوايا السيئة. وان عمق انحرافهم الفكري والمعارض للعقل والمروة لهذه التيارات بلغ درجة يعتبرون ان انتهاك حرمة الكبار والأماكن المقدسة يشكل جزءا من واجباتهم الدينية. ولو كانوا يجترئون لكافة ينتهكون قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ي ذلك اليوم، نهض العالم الإسلامي ضدّهم، من شبه القارة الهندية إلى أفريقيا، ولو كانوا يجروون لقاموا أيضاً بهدم قبر النبي المطهر، وسوّوه بالأرض. أنظروا أيّ فكر فاسد، وأيّ روحية قذرة، وأيّ أناس سيئ التفكير، يريدون أن ينقضوا احترام العظماء ويهتكوهم بهذه الطريقة، ويعدون هذا جزءاً من تكاليفهم الدينية! اعلموا، أنه في ذلك الوقت، حين هدموا قبور البقيع، اعترض عليهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه. وكما قلت هبّ العالم الإسلامي بوجههم، من شرقه من الهند إلى غربه.^٣

ان عدم تبنّيهم النظرة المعقّمة وعدم استخدام العقل، يزيد من حجم الكارثة عندما تصبح تلك الجماعات آلة بيد أجهزة التجسس البريطانية والأمريكية وكما قال سماحة القائد، فأنهم لا يعتبرون الإطاعة والعبودية أمام الطواغيت الحية شركا وكفرا:

هؤلاء يقومون بهذه الأعمال الخبيثة، بحجة أن هذه الأعمال هي عبادة! وهل الذهاب إلى قبر أحدهم وطلب المغفرة له من الله تعالى، وطلب المغفرة للنفس في ذلك الجوال المعنوي والروحي شرك؟ الشرك هو أن يصح

١. سعيد، امين، سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص: ٤٦ - ٤٨.

٢. كلمة القائد: ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

٣. كلمة القائد: ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

الإنسان أداةً في أيدي سياسات التجسس البريطانية والسي أي إي الأميركية، ويحزن بهذه الأعمال قلوب المسلمين ويؤذيها. هؤلاء لا يعدّون الطاعة والعبودية والخنوع للطواغيت الأحياء شركاً، ويعتبرون احترام العظماء شركاً! هذه مصيبة بحدّ ذاتها. الحركة التكفيرية الخبيثة المنتشرة اليوم في العالم الإسلامي بفضل بعض التمويلات - وللأسف هؤلاء يملكون المال والإمكانات - هي واحدة من مصائب الإسلام.^١

ان نطاق تأثير أفكار خرجت من السعودية وبالتحديد من العقائد المسمومة للوهابية وتجاوزت حدود الدول الإسلامية ووصلت باكستان وأفغانستان جاكارتا وسورية، التي يقوم فيها الصنف الأكثر تشدداً من تيارات التكفيرية بارتكاب المجازر المفزعة بواسطة أعمال العنف والمعتقدات غير الخالصة، وكذلك تقوم في العراق بالأعمال الإرهابية. على سبيل المثال فهناك تيار مماثل لتلك التيارات والجماعات التكفيرية في مصر يحمل عنوان التكفير والهجرة بقيادة شكري مصطفى قد ظهر على الأرض، ان معتقداتهم هي كالتالي: إخفاء المعتقدات حتى تسليم السلطة ومن جهة أخرى تكفير المجتمع وبعد تكفيره يمكنهم القيام بالنضال والكفاح.^٢ ان أهم خطر وانحراف أفكار جماعات كالتكفير والهجرة وتيار التكفير الآخر هو انه لا يعتبر معضلة الجماعات الإسلامية تتبلور في العدو الخارجي من اليهود بل انهم يقومون بمحاربة المجتمع الإسلامي باعتبارهم كفار وجاهلين. على هذا عندما سال شكري مصطفى في المحاكمة عند القضاة العسكريين حول هجوم قوة يهودية على مصر؛ رد قائلاً:

لو هجم اليهود أو أي جهة أخرى على مصر فلا يجب ان تقوم حركتنا بمحاربتهم في صفوف الجيش المصري بل يجب التوجه إلى مكان امن.^٣ هذا وان هذه الجماعات تقوم بقتل المسلمين لأسباب باطلة عند مواجهة المسلمين.^٤

وفقا لما جاء فان أحد أضرار التيارات التكفيرية الأساسي من منظار سماحة قائد الثورة هو مستوى المعتقدات. ان المعتقدات هي التي أسست لسلوك الجماعات التكفيرية.

باثولوجيا التيارات التكفيرية على مستوى الأخلاق

١. كلمة القائد: ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

٢. ژيل كيل، پیامبر و فرعون (جنبش های نوین اسلامی در مصر)، ص: ٨٢ - ٨٣.

للمزيد حول شكري مصطفى انظر: ژيل كيل صفحات: ٨٧ - ١٠١

٣. ژيل كيل، المصدر نفسه ص: ٩٣.

٤. قال الجنرال مخلوف حول شكري مصطفى انه كان محتال يدعى تفسير القرآن والحديث لكنه كان يجهل قواعد اللغة العربية، وفضلا عن هذا لم يمتلك القوة والامكانية للحديث باسم القرآن أو الإفتاء و اراد تحقيق هذا الامر بواسطة دراسة دورة من الدراسات الإسلامية الا انه لم يقم بهذا العمل. (ژيل كيل، ص: ١١٠) هنا نشاهد كيف استطاع شخص لم يدرس في الازهر وبل لم يكمل دراسته الثانوية على حد تعبير مخلوف ان يخدع الكثير من الدارسين والمتقنين.

من أضرار ومشاكل التيارات التكفيرية التي تترك تأثيرها بشكل ملحوظ على كيفية عملها، هو العامل الأخلاقي. يمكن القول بأنه إلى جانب العامل الأخلاقي هناك عوامل أخرى لها تأثيرها منها ثقافية وعقائدية وسياسية ونفسية. ففي جانب السمات الفردية النفسية التي تركت تأثيرها على التيارات التكفيرية يمكن الإشارة إلى التعصب عند التكفيري. انه أدى بالتكفيري إلى الابتعاد عن المجتمع والانضمام إلى المنظمات والجماعات المقاتلة. من جهة أخرى، ان الدوغمائية تعتبر من المشاكل الأخرى التي يعاني من ها التكفيري نفسيا. وفي المراحل الأولى تظهر نوعا من التشدد في المعتقدات والامتناع عن إدخال القيم الحديثة. إلى جانب هذه الحالات هناك نوع من الشعور بالحقارة في صفوف الجماعات التكفيرية الذي يعد نتيجة مباشرة لعجزهم في الحصول على مكانة اجتماعية في المجتمع. ان سوء الظن الشديد والرؤية التأميرية تعد جزءا من مشاكل وأضرار المتعصب الأخلاقية ان هذه التيارات كانت تنظر بنظرة سيئة إلى كافة المسلمين وتعتبرهم يحملون نوايا سيئة.^١

فمن منظار سماحة قائد الثورة ان السمات والعوامل التي أصبحت محل اهتمام على المستوى الأخلاقي الفردي عند التيارات التكفيرية، تتشابه مع القضايا التي أتينا على ذكرها، ويمكن مشاهدة تلك السمات في الجماعات التكفيرية، هي كالتالي: الجهل وعدم الوعي إلى جانب النظرة السطحية والخبث الباطني، يعتبر من أهم أسباب نشر ظاهرة التكفير. ان التكفير وعدم الوعي إلى جانب التزمت وعدم الرضا وكره المسلمين الآخرين والخبث الذاتي وبالتحديد عندما يمتزج عدم الوعي والجهل المركب، ويعتقد الجاهل بأنه عالم. تطرق سماحة القائد بوصف الجماعات التكفيرية في هذا المجال:

ان الجماعات التكفيرية الجاهلة وفي الحقيقة ان انصب صفة لهم الجهالة، مع انهم يحملون الخبث، إلا ان الجهالة هي أهم سمة لهم. يجب إرشادهم بقدر الإمكان وتخويف الناس منهم.^٢

سوء الظن بالمسلمين الآخرين وإطلاق أسوأ الصفات عليهم، ان التكفيريين ينظرون إلى الآخرين بنظرة التشاؤم وان الآخرين في نظرهم لديهم وجه مظلم لا حق لهم ولا نقطة بيضاء ودافع للتوجيه يوجد فيهم. قدم القائد هذه الجماعات بصفات كالفكر الباطل والأخلاق الرجس وأناس أصحاب نوايا سيئة.^٣

عدم الفهم، نريد بعدم الفهم عجز الشخص عن استيعاب النصوص الدينية أو العرفية كما هي، ناهيك عن استيعاب جوانبها ونواياها. على هذا فان الفهم الخاطيء له أسباب: ١. الضعف الفكري والنظرة السطحية إلى الدين ٢. عدم امتلاك الوعي الكامل من الدين ودوره في الحياة. ٣. عدم امتلاك المعايير الفقهية الصحيحة وعدم معرفة القواعد والمعايير التفسيرية والحديثية والفقهية والأصولية وعدم التمييز وعدم معرفة الأسلوب الصحيح للاستنباط

١. هراير دكمجيان، اسلام در انقلاب: جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب، ص: ٦٩ - ٧١.

٢. بيانات ٢٥ / ١٠ / ١٣٨٥.

٣. كلمة القائد: ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

والعمل، يأتي ضمن سمات الجماعات التكفيرية هو انهما تفتقد لرؤية كاملة عن الإسلام من منظار العقيدة والقانون وكذلك دور الإسلام في الحياة ومكانة الإنسان في الرؤية الكونية. قال سماحة القائد في هذا المجال:

على علماء ومثقفي المسلمين ان يجتمعوا ويدونوا ميثاق الوحدة الإسلامية وإعداد ميثاق كي لا يتمكن ذلك المتعصب التابع هذه أو ذاك أو تلك الفرقة الإسلامية من اتهام جماعة من المسلمين بالخروج من الدين أو تكفيرهم^١.

باثولوجيا التيارات التكفيرية على مستوى السلوك

يأتي باثولوجيا سلوك الجماعات والتنظيمات التكفيرية من الجوانب المهمة الأخرى، ان هذا الجانب له علاقة وطيدة بـ باثولوجيا العقيدة والأخلاق. يمكن تقسيم أهم سمات التيارات التكفيرية في الجانب الفردي والجماعي:

أما الفريد فيمكن اعتبار أهم سمة للتيارات التكفيرية في اللجوء إلى الحرب والعنف وإثارة الفساد والقيام بالاعتقال وأخيرا الجرائم وإراقة الدماء،^٢ إذ تأتي ضمن باثولوجيا سلوك التيارات التكفيرية. أضف على السمات أعلاه، فان التيارات التكفيرية تتميز بالتطرف الديني والتشدد في تنفيذ الحدود الإسلامية والأحكام وعدم التحلي بالصبر في مواجهة معتقدات المسلمين الأخرى والعباء والتسرع. من جهة ثانية فان التعامل العنيف مع المسلمين الآخرين وتكفيرهم بسبب اعتقادهم بعقائد أخرى ومعارضة معتقدهم واعتبارهم ضالين ومشركين وكفار.^٣ في هذا المجال يرى سماحة القائد بان التزمّت والعنف والاعتقال الذي يتم على يد هذه الجماعات يرافقه صمت الأوساط الدولية:

وكذلك دعم الإرهاب. وهذا ما تشاهدونه في القضايا الجارية في المنطقة، حيث يعمد البعض لإخراج كبد إنسان من صدره ويقضمه أمام كاميرات التلفاز، والقوى الأوروبية جالسة في أوروبا، غير أنها تحتاط بالإعلان عن دعمه بالصراحة فتقول بأننا ندعم الجبهة المعارضة؛ هذه هي حقيقتهم. ومعنى ذلك أنهم يدعمون الإرهاب العنيف والوحشي والسبعي صراحةً.^٤

في الجانب الاجتماعي (الامة الإسلامية والأسرة الدولية) ان أهم سمات التيارات التكفيرية هي كالتالي:

المعارضة مع العقلانية والحدائنة، فان التيارات التكفيرية في صفوف الشعوب المسلمة والشعوب الأخرى، هي تيارات تعارض العقلانية والحدائنة وتقوم بالعنف وارتكاب الجرائم. ^٥ بث التفرقة في صفوف المسلمين (المصدر نفسه)

١. بيانات ١٧ / ١ / ١٣٨٤، كلمة القائد في مسئولى النظام.

٢. كلمة القائد في اجتماع العلماء ٩ / ٠٢ / ١٣٩٢.

٣. خطاب تاريخ ١٦ / ٢ / ١٣٩٢ و ١٤ / ١١ / ١٣٩٠ و ٧ / ٢٠ / ١٣٩٠.

٤. خطابه في لقاء أعضاء مجلس خبراء القيادة: ١٥ / ١٢ / ١٣٩٢.

٥. خطاب تاريخ ١٤ / ١١ / ١٣٩٠.

ان القائد إشارة إلى سلوك هذه الجماعات في بث الخلاف في صفوف المسلمين أشار إلى ان الاختلاف في ذات المذاهب كان له حضوره وهذا لا يخلق مشكلة. تظهر المشكلة عندما يؤدي الخلاف العقائدي إلى الروحي والسلوكي والصراع والقتال وان التيارات التكفيرية الراهنة تقوم بكل قواها ببث الخلافات ومحاربة الآخرين وإثارة الفساد في صفوف الأمة الإسلامي^١.

من جهة أخرى فان سماحة القائد يعتبر دعم بعض الدول المالي في تهديد المسلمين وتكفيرهم والقيام بالاغتيال والتفجير وإراقة دماء المسلمين، يأتي في إطار إثارة الحقد والخلافات. ولا يهدف إلى تفرق شمل الأمة الإسلامية بينما الخلافات النظرية في الفقه والتاريخ والحديث، أمر طبيعي لا مفر منه^٢. يمكن الإشارة إلى الحالات التالية كتجلي لأعمال وممارسات تكفيرية في إطار بث الخلافات في صفوف المسلمين منها: إثارة المشاكل في المجتمعات الإسلامية^٣. نشر التطرف المنحرف والتكفير باسم الإسلام والشريعة^٤ وإرضاء عدو الإسلام (المصدر نفسه) ويمكن الإشارة إلى الخطر الأكبر لتيارات التكفيرية في بث التشاؤم في صفوف المسلمين من الشيعة والسنة، لبعضهم البعض. قال سماحته في هذا المجال:

فإن تواجد القوات التكفيرية التي تنشط اليوم في بعض أنحاء المنطقة للأسف، خطرهم الكبير ليس أنهم يقتلون الأبرياء، وهذا بدوره جريمة كبيرة، بيد أن الخطر الكبير هو أنهم يشيعون أجواء من سوء الظن والسلبية بين الطائفتين الشيعية والسنية، هذا خطر كبير جداً، ويجب أن نمنع هذه الأجواء السلبية ونحول دونها^٥.

تدمير الحضارة والثقافة (الحضارة والثقافة الإسلامية وغير الإسلامية). ان سماحة القائد قال عند إيضاح إضرار والعراقيل والتحديات السلوكية التي خلقتها التيارات التكفيرية في ثلاثة مجالات: «السلفية» وإذا كانت بمعنى التعصب والتجبر والعنف في العلاقة بين الأديان أو المذاهب الإسلامية فإنها لا تنسجم مع روح التجديد والسماحة والعقلانية التي هي من أركان الفكر والحضارة الإسلامية، بل ستكون داعية لرواج العلمانية والتخلي عن الدين^٦.

على هذا يرى سماحته بان التيارات التكفيرية تؤدي إلى نشر العلمانية وعلى هذا لا يقبل أي عقل سليم التعصب والتزمت والعنف سواء داخل الأمة الإسلامية أو في صفوف كافة الشعوب والأديان، كما ان نموذج الإسلام

١. خطابه في لقاء مسئولى الحج ٢٠ / ٢٠ / ١٣٩٢.

٢. كلمة القائد ٩ / ٢٠ / ١٣٩٢.

٣. خطاب تاريخ ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٢.

٤. المصدر نفسه.

٥. كلمته في أعضاء مجلس خبراء القيادة ١٥ / ١٢ / ١٣٩٢.

٦. كلمته في ١٤ / ١١ / ١٣٩٠.

التكفيري يشكل خطرا على فكرة الإسلام الخالصة. ذلك انها ترسم صورة غير حقيقية ومزورة وقبيحة من الإسلام.

تقوية أعداء الإسلام ان هذه التيارات تتلقى الدعم ويتم تقويتها من قبل أجهزة التجسس الأمريكية والبريطانية والكيان الصهيوني:

لعدو يغذيهما مليا؛ أجهزة التجسس الأمريكية والإسرائيلية وراء هذه المجموعات التكفيرية والإفراطية، وإن كان عملاؤها وجنودها لا علم بما هو وراء الأمر.^١

ان سماحة القائد وعند دراسة التيارات من منظار باثولوجي التي تسمى الإسلامية التكفيرية التي تعد منشودة عن أمريكا وبريطانيا، أشار إلى تعارض سلوك وعمل هذه التيارات مع منهج وسلوك الإسلام القرآن، بحيث تمت التيارات التكفيرية يد السلام إلى أمريكا وتحمل الكيان الصهيوني بينما تقوم بإثارة المشاكل في صفوف الأمة الإسلامية وتثير الصراعات القبلية الدينية وكما قال القائد فإنهم «أشداء على المومنين ورحماء بالكفار» وهذا ما يعارض فكرة القرآن الأصيلة.^٢

علنية ومواجهتهم تكمن بالدرجة الأولى في إيجاد الخلافات. وأعمق الخلافات وأخطرها هي الخلافات العقائدية والإيمانية. في عالم اليوم، يتم إيجاد القلاقل الإيمانية والعقائدية من أجل الإيقاع بالمسلمين فيما بينهم بواسطة الأيدي الاستكبارية. فتقوم فرقة بتكفير أخرى، وتحمل ثلثة على غيرها، وبدلاً من أن يتعاون الإخوة فيما بينهم ويتعاضدون فإنهم يتعادون ويتنازعون! يشعلون نيران الحرب بين الشيعة والسنة، ويسعون من نيران الاضطرابات القومية والطائفية.^٣

ان أعداء الأمة الإسلامية أدركوا جيدا ان الصراع بين المذاهب الإسلامية يخدم الكيان الصهيوني الغاصب وعلى هذا الأساس يسعون إلى إقحام المسلمين في صراعات مع بعضهم البعض من خلال تشكيل المجموعات التكفيرية.^٤

الحلول للخروج من أضرار ومشاكل التيارات التكفيرية

نتطرق إلى إيضاح حلول لمواجهة التيارات التكفيرية من منظار سماحة القائد، بعدما تطرقنا إلى باثولوجيا التيارات التكفيرية في ثلاثة مجالات العقيدة والأخلاق والسلوك، يؤكد سماحة القائد حول التيارات التكفيرية بانها

١. خطاب ١٨ / ١٠ / ١٣٨٥.

٢. كلمته في ١٤ / ١١ / ١٣٩٠.

٣. كلمته في لقاء سفراء الدول الإسلامية ٦ / ٣ / ١٣٩٣.

٤. كلمته في ٢٠ / ٦ / ١٣٩٢.

لا تتمتع بقاعدة اجتماعية ومكانة شعبية في العالم الإسلامي ذلك ان العالم الإسلامي من شرق جغرافية العالم حتى غربه، ثار ضدهم واحتج عليهم، عند تهديم قبور أئمة البقيع.^١

هناك حلول جاءت على لسان سماحته بغية الخروج من خطر التيارات التكفيرية، برزت أهمها في الساحة وهي: الحلول الفكرية الثقافية والحلول السياسية

الحلول الفكرية - الثقافية

تقوية الحوار وتقريب المذاهب الإسلامية

ان تقريب المذاهب هو السبيل الأكثر فاعلية لإزالة الخلافات وسوء التفاسير، لمواجهة التيارات التكفيرية ومعارضة والمخالفة لموازين العقل والشرع. الواقع بان الخلافات في جوف المذاهب لا يمكن حلها لكن هناك إمكانية إجراء الحوار بغية حل الخلافات في الأفكار الفقهية.^٢ قال سماحته في هذا المجال:

نحن منذ البداية ونظرا إلى هذه الخدعة الشيطانية، اكدنا على وحدة الفرق المسلمة وحاولنا ابطال مفعول هذه الفتنة ونحمد الخالق باننا حققنا نجاحات كبيرة جاء آخرها تكوين مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية.^٣

ان تقريب المذاهب يمثل فرصة لتقوية تبادل الأفكار ويساعد المذاهب الإسلامية على نشر رسالتها حتى يقوموا بواسطة التفكير في حل المشاكل القيام معا بنقل الأفكار وتبادل وجهات النظر في القضايا الاجتماعية والفقهية والعقائدية والسياسية. يؤدي التقريب بين المذاهب إلى طرح المذاهب الإسلامية كنظام كلامي بالاستفادة من الرموز اللغوية، مما ينجم عنه ترابط الحلقات المتشابهة وتنظيم مسار حركة الفكر الإسلامي. على هذا فان التقريب بين المذاهب، الية تواصلية لتكوين وتغيير الفكر والمساحة للنمو والنضج والمنطقية. من جهة ثانية فان التقريب بين المذاهب يؤدي إلى دخول النخبة الفكرية للعالم الإسلامي في متن المجتمع اذ وبالرغم من الفوارق الدينية، تقام بينهم نوعا من العلاقة التناسية والخطابية والذهنية بينهم، وهذا ما يمهد الأرضية لتعامل الأفكار وتعرف الاخرين إلى الأفكار والاسس الفكري ومنظومة القيم عند الآخر وفي نفس الوقت معرفة توجهات والأسس القيمة للمذاهب والثقافات الأخرى، ويؤدي إلى الاهتمام بظواهر كالمشاركة والتعاون والسلام والديمقراطية والإيمان والاعتقاد ومحورية الأخلاق ويعلم أتباع المذاهب الإسلامية كيفية الحديث وبناء العلاقة وفقا للتعامل الثنائي. ويؤدي إلى الوصول إلى الاتفاق الجماعي وبذل المساعي للوصول إلى اتفاق النظر حول المبادئ وقواعد العمل الجماعي في العالم الإسلامي.^٤

١. كلمة في القائمين على الانتخابات ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

٢. محمدرضا دهشيري، بازناب مفهومي و نظري انقلاب اسلامي، در روابط بين الملل، ص: ٢٧٥.

٣. مکتوبات، سال ١٣٧٠، پیام به حجاج بيت الله الحرام، ص: ٤٨، نرم افزار حديث ولايت.

٤. دهشيري، ص: ٢٨٥ - ٢٧٨.

يعد الاهتمام بفرضية الحج الإلهية السياسية من الحلول التي يقدمها سماحة قائد الثورة فيما يتعلق بتقريب المذاهب والحوار في إطار مواجهة خطر التيارات التكفيرية. فمن وجهة نظر القائد ان مؤتمر الحج العظيم يمكنه ان يؤدي إلى تقليل المسافات وتبلور معنى الإخوة وطردها التيارات التكفيرية.^١

أما القضية الأخرى التي ينوه بها سماحته حول فريضة الحج وتناجها، في إطار عدم نمو وتطور التيارات التكفيرية، تتجلى في تبادل الثقافة الإسلامية الأصيلة بين المسلمين. تقوية الحوار في الحج يعني في مكان وزمن يصبح المسلمين متشابهين ولو ظاهريا. انه يرى: هناك نقطة جوهرية أخرى وهي تشكل نقطة قوة الحج وهي ان الثقافة الإسلامية الأصيلة تتبادل بين المسلمين وكذلك الخبرات الإسلامية.^٢

بواسطة تبادل الثقافة الإسلامية الأصيلة بين المسلمين لا يفسح المجال للتيارات التكفيرية للظهور.

تقوية التفاهم والحوار والابتعاد عن بث الخلافات وتجليات النظر ومنها توجيه الإهانة وتشويه المذاهب الأخرى يقدم قائد الثورة والى جانب تقوية المذاهب الإسلامية حلول أخرى في إطار التفاهم والحوار ويؤكد دائما على الابتعاد عن إثارة الخلافات الفكرية والعقائدية وينوه بان تجليات بث الخلافات يجب ان تتوقف ومنها توجيه الإهانة وتشويه كافة المذاهب ويجب الوصول إلى نوع من التفاهم بين المذاهب الإسلامية ومنها الشيعة والسنة:

ليعقد علماء الشيعة والسنة جلسات واجتماعات ليتفاهموا ويتحاوروا. لدينا أعمال ومهام مشتركة. هناك أمور مشتركة وهموم وآلام مشتركة لها علاجات مشتركة. للعالم الشيعي وللعالم السني نفوذهما بين جماهيرهما. ليستفيدوا من هذا النفوذ وليعالجوا هذه المشكلات المشتركة.^٣

أشار القائد إلى بعض مدلولات محاربة الشيعة والسنة في إطار بث الخلافات بين المسلمين وأوصى المسلمين بان لا ينخدعوا بأساليب أعداء الإسلام:

يبدلون الأموال في بعض البلدان الإسلامية كرمال الصحراء من أجل أن يصنعوا بين السنة تجمعات معادية للشيعة. هذا من جانب وفي الجانب المقابل يقولون لمتحدث شيعي في الظاهر بأن يظهر على التلفاز ويوجه التهم باسم الشيعة لأم المؤمنين عائشة ويقذفها ويهينها. هذه هي أساليبهم. فماذا تفعلون مقابل هذه الأساليب؟ ماذا تفعل أيها السني؟ وماذا تفعل أيها الشيعي؟ يجب ألا ننخدع بأعمالهم وأساليبهم، فهذه هي أعظم وأوفر نعمة بالنسبة لهم.^٤ ان حل سماحة القائد في مواجهة خدع أعداء الإسلام في إطفاء نيران الصراعات الطائفية، يتبلور في

١. كلمة القائد في مسئولى النظام، ٢٠ / ٦ / ١٣٩٢.

٢. كلمة في لقاء مسئولى ومشرفى الحج ٢٠ / ٦ / ١٣٩٢.

٣. كلمة في لقاء علماء الشيعة والسنة كرمان شاه ٢٠ / ٧ / ١٣٩٠.

٤. كلمة في لقاء علماء الشيعة والسنة كرمان شاه ٢٠ / ٧ / ١٣٩٠.

زيادة الوعي والرؤية الإسلامية واستخدام العقل في هذا المجال وهذا الأمر ينجر على يد الكتاب والمثقفين والنخبة الفكرية والثقافية والسياسية.^١

العودة إلى القرآن واستيعابه بميزان العقل

أشار سماحة قائد الثورة إلى أحد الحلول المفتاحية في حل قضايا العالم الإسلامي والخروج من المشاكل كالتيارات التكفيرية:

حن المسلمون يجب أن نفهم القرآن والإسلام جيداً ونصل إلى رسالات وتعاليم نبي الإسلام بميزان عقلنا وبمعونة وهداية الفكر البشري والإسلامي. عندما نغفل عن رسالة الإسلام حيث يقول القرآن الكريم: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان، ٣٠)، عندما نهجر القرآن، ولا ننظر بصورةٍ صحيحةٍ إلى مفاهيمه، ولا ندرك مجموع المفاهيم القرآنية التي تشكّل منظومةً كاملةً لحياة الإنسان، سنزل ولن نتمكّن قوتنا العقلية من الإدراك الصحيح للمفاهيم القرآنية.^٢

ومن الحلول لمواجهة بث التفرقة، هو العودة إلى القرآن إذ يعد العالم الإسلامي من منظار سماحة القائد، بحاجة ماسة إلى حقائق القرآن انه يعلم الناس طريق السلامة والعزة والأمن النفسي وأسلوب الحياة الصحيحة.^٣ وأشار إلى ان القرآن يدعو كافة المسلمين إلى الوحدة في الآية: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. ومن جهة أخرى ان النقطة المعارضة لهذا التعليم هو التعليم الاستعماري الذي يقف وراء بث الخلافات في صفوف المسلمين^٤ وقال عن أرضية بث الخلافات بين المسلمين وهو المعارض للمنطق القرآني:

من تعاليم القرآن، أن تتحد الأمة الإسلامية معاً، وأن تعقد الأُكُفَّ معاً وفي المقابل تقف التعاليم الاستعمارية في مواجهة التعاليم القرآنية: بثُ الفرقة بين المسلمين، وأن يُكفر فريق، الفريق الآخر ويلعنه، ويتبرأ منه. هذا ما يريده الاستعمار هذه الأيام، كي لا تبقى لنا باقية.^٥

ضرورة اتخاذ الذكاء عند النخبة والشخصيات العلمية والثقافية العظيمة في توعية الأمة الإسلامية

من جهة ثانية فان سماحة القائد يوصي وبغية الخروج من مشاكل العالم الإسلامي التي يقف ورائها التكفيريون، بان يقوم العلماء والمثقفون والسياسيون في العالم الإسلامي بالتوعية والتنديد بالتيارات التكفيرية:

١. كلمة في لقاء القائمين على الانتخابات ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

٢. كلمة في لقاء سفراء الدول الإسلامية ٦ / ٣ / ١٣٩٣.

٣. كلمة في المشاركين في مسابقات القرآن ١٨ / ٠٣ / ١٣٩٢.

٤. المصدر نفسه.

٥. خطاب في لقاءه المشاركين في مسابقات القرآن الكريم الدولية ١٨ / ٣ / ١٣٩٢.

ردود أفعال المسلمين على هذا الحدث المرير وإدانتهم لهم يجب أن تستمر، لأن الشخصيات العلمية الكبرى والمثقفين والنخبة والسياسيين للأمة الإسلامية إذا لم ينهضوا بواجباتهم، فإن الفتن لن تبقى محصورة بهذه الحدود. يجب الحؤول دون انتشار نيران هذه الفتنة عن طريق الأساليب السياسية والفتاوى الدينية ومقالات المثقفين ومبادرات النخبة الفكريين والسياسيين.^١

فمن منظار سماحة القائد ان التيارات التكفيرية بمثابة سم للعالم الإسلامي ويجب إخراجها من جسده: هناك في الوقت الراهن من سلاحهم التكفير، ولا يتخرجون من أن يقولوا إننا تكفيريون .. هؤلاء سموم. ويجب إخراج هذه السموم من البيئة الإسلامية.^٢

الحلول السياسية

تقوية الاتحاد والوحدة بين المسلمين

ان قضية الوحدة الإسلامية تمثل أحد الحلول الجوهرية في مواجهة الكثير من مشاكل العالم الإسلامي، إذ تمت دراستها بشكل خاص عند القائد. ان الكتب المقدسة الإسلامية، القرآن والسنة، مليئة بالمفاهيم التي تدعو المسلمين إلى الوحدة صراحة أو ضمناً وتحذره من التفرقة.^٣ ان الاهتمام بالخطاب الوحدوي يكتسي أهمية بسبب بذل التيارات والجماعات التكفيرية المساعي والعمل خلافا لتوجهات القرآن والسنة وفي سبيل التفرقة وتشرذم الأمة الإسلامية. على هذا ان القائد وباستيعابه ضرورة وحدة المسلمين يعد الوحدة فريضة عاجلة للأمة الإسلامية:

ان اتحاد المسلمين فريضة عاجلة، ان المذابح وسفك الدماء والإرهاب الأعمى والفجائع التي يخلقها هذا الإرهاب وتوفير الفرص للكيان الصهيوني الغاصب من نتائج الاختلاف والتفرقة بين الأمة الإسلامية.^٤ من جهة أخرى يوصي سماحة القائد بانه يجب اجتياز الخلافات السطحية وتكوين الأمة الواحدة وفقا للنص القرآني:

والحاجة الأخرى الأساسية للعالم الإسلامي هي الاتحاد، ويجب تجاوز الخلافات الجزئية والخلافات المتعلقة بالسلائق والاختلافات العقائدية وتشكيل الأمة الواحدة ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء، ٩٢).^٥

١. كلمة في لقاء القائمين على الانتخابات ١٦ / ٢ / ١٣٩٢.

٢. كلمة في لقاء علماء الشيعة والسنة كرمات شاه ٢٠ / ٧ / ١٣٩٠.

٣. محمد حسين اميردوش، تأمل في مساله وحدت اسلامي از ديرباز تاكنون با تكيه بر جنبش اتحاد اسلامي، ص: ١٠.

٤. كلمة ١٣٩٢ / ٠٣ / ١٨.

يشدد القائد حول هذا الحل على الوحدة بمعنى الاعتماد على القواسم المشتركة وأنها أكثر من الخلافات في صفوف المسلمين:

تعني الوحدة التأكيد على المشتركات؛ لدينا الكثير من المشتركات؛ فالمشتركات بين المسلمين أكثر من موارد الاختلاف، يجب التأكيد على المشتركات.^٢

فبعد ان يوصي سماحة القائد باتخاذ حل الوحدة في مجال الوقوف في وجه الخلافات الطائفية، يعتبر ان واجب التوعية، يقع على عاتق ثلاث مجموعات من النخب الاجتماعية في العالم الإسلامي: النخبة السياسية والنخبة العلمية - الجامعية والنخبة الدينية ويقول في هذا المجال: ويقع على كاهل النخب القسم الأعظم من هذا التكليف، سواء النخب السياسية، أم العلمية، أم الدينية.^٣

ويقول عن النخب الدينية: وعلى علماء الدين المسلمين أن يحذروا الشعوب الإسلامية من تسعير حدة الخلافات بين الفرق والمذاهب الإسلامية.^٤

وعن النخبة العلمية الجامعية يقول:

وعلى علماء الدين المسلمين أن يحذروا الشعوب الإسلامية من تسعير حدة الخلافات بين الفرق والمذاهب الإسلامية. وعلى علماء الجامعات أن يوجهوا الطلاب ويفهموهم أن أهم مسألة في العالم الإسلامي اليوم، هي مسألة الوحدة، والاتحاد لتحقيق الأهداف وهي: الاستقلال السياسي، استقرار سيادة الشعب الدينية والعمل بالأحكام الإلهية في المجتمعات الإسلامية؛ الإسلام الذي يدعو إلى الحرية، ويدعو إلى العزة والشرف؛ هذا هو تكليفنا اليوم وهذا هو واجبنا.^٥

وعند الحديث عن الحل المقترح لتحقيق الوحدة والابتعاد عن تفرق الشمل، يرى بان الواجب يقع على عاتق النخبة السياسية:

ولتعلم النخب السياسية بأن عزتهم وشرفهم يكمن في الاعتماد على الشعب، وليس في الاعتماد على الأجانب أو المعادين لرفعة المجتمعات الإسلامية.^٦

١. كلمة في لقاء سفراء الدول الإسلامية ٦/ ٣/ ١٣٩٣.

٢. كلمة في ٢٩/ ١٠/ ١٣٩٢.

٣. كلمة ٢٩/ ١٠/ ١٣٩٢.

٤. كلمة ٢٩/ ١٠/ ١٣٩٢.

٥. كلمة في ٢٩/ ١٠/ ١٣٩٢.

٦. كلمة في ٢٩/ ١٠/ ١٣٩٢.

ان قائد الثورة وفي إطار الحلول المقترحة لمواجهة التيارات التكفيرية، لقد اهتم بتقديم التوصية لمسؤولي البلاد في إطار الحلول العملية، ونبههم دائما بمعرفة المشكلة والضرر الناجم عن التيارات التكفيرية. يمكن الإشارة إلى زيارة سلطان قابوس ورئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف، حيث تمت دراسة الحلول لمواجهة التيارات التكفيرية وخطرهم على كافة القضايا، انه اعتبر في لقائه برئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف بان الجماعات التكفيرية تمثل خطرا على كافة المسلمين من الشيعة والسنة وان لم يتم مواجهتهم فيتم إلحاق الضرر الكبير بالعالم الإسلامي.^١ واعتبر في لقاءه بسلطان قابوس بان إقحام القضايا الدينية والطائفية والمذهبية في الخلافات السياسية بين الدول يعد من القضايا الخطيرة في المنطقة، وأضاف: للأسف تشكلت بدعم من بعض بلدان المنطقة جماعة تكفيرية تشبكت مع كل الجماعات المسلمة، ولكن على حماة هذا التيار أن يعلموا أن هذه النار سوف تطلهم فيمن تطل.^٢ على هذا فان إحدى الحلول السياسية من منظار قائد الثورة التي حظيت باهتمام القائد هو وصية رؤساء الدول في إطار مواجهة الأسباب المخالفة للوحدة الإسلامية:

على المسلمين مواجهة أيّ عامل من عوامل الفرقة، وهذا تكليف كبير للجميع؛ على الشيعة والسنة، بجميع فرقهم ونخبهم، أن يتحملوا المسؤولية وينهضوا بهذا التكليف.^٣

معرفة العدو

ان معرفة العدو تعد من المؤشرات الجوهرية وأكثر المعارف جوهرية وأساسية التي تترأس المعارف الأخرى، ويجب الاهتمام بمعرفة العدو الحقيقي للمسلمين، لمواجهة التيارات التكفيرية:

يحتاج عالمنا الإسلامي اليوم إلى المعرفة الواقعية لجبهة عدو الأمة الإسلامية؛ وعلينا أن نتعرف على أعدائنا وأصدقائنا. يُشاهد أحيانا كيف أنّ جماعةً منا نحن المسلمين تتعاون مع أعدائنا من أجل القضاء على أصدقائنا وإخوانها! حسن، إنّ هذا يوجّه إلينا ضربةً، ويوقع الأمة الإسلامية بالضيق والضعف، وكلّ ذلك ناشئ من فقدان البصيرة. إنّ عالم الإسلام يحتاج اليوم إلى البصيرة.^٤

ان قائد الثورة يعتبر ان الإيمان بالله الواحد والقرآن والاعتقاد بالنبى والكعبة الواحدة، هو مؤشر الأمة الإسلامية البارز وفي المقابل ان الأمة الإسلامية لها عدو واحد ويتساءل هل امتلاك القواسم المشتركة لا يكفي لوحدة العالم الإسلامي:

١. كلمة في ٢٢ / ٠٢ / ١٣٩٣.

٢. كلمة الإمام الخامنى لدى استقباله السلطان، ٤ / ٠٤ / ١٣٩٢.

٣. كلمة ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٢.

٤. كلمة الإمام الخامنى (دام ظلّه) عند لقائه مسؤولى النظام وسفراء البلدان الإسلاميّة.

ألا يكفي لأجل اتحاد العالم الإسلامي الاعتقاد بالقرآن والنبي والإله الواحد والقبلة الواحدة ووجود جبهة معادية واحدة؟ لماذا يوجد جماعة لا تفهم ذلك؟ لماذا لا يدرك البعض هذه الحقائق الواضحة؟^١

أشار قائد الثورة إلى قضية العداء الواضح للدول الغربية في مواجهة الإسلام وبين الحل والواجب للمسلمين في هذا المجال. ان القائد يرى بان المسلمين يجب ان يعودوا إلى عناصر قوتهم، وهو أهم عامل لقوة الوحدة والاتفاق:

الأعداء الغربيون يشهرون اليوم السيوف ضد الإسلام والمسلمين بكل قوة. فما هو واجب المسلمين قبل ذلك؟ على المسلمين العودة إلى عناصر وعوامل قوتهم. على المسلمين تصعيد عوامل اقتدارهم وقوتهم في داخل أنفسهم يوماً بعد يوم. ومن أهم عوامل الاقتدار والاتحاد والوفاق، هذا درس لنا وللشعوب المسلمة.^٢

أما الحل الآخر الذي يطرحه قائد الثورة في مجال معرفة العدو وطرده هو مواجهة الدعاية المغرضة للأعداء التي تستهدف الإسلام ومواجهة الأسباب التي يستخدمها أعداء الإسلام لتقويض الوحدة الإسلامية. فسماحة القائد يشير إلى قضية الدعاية في إطار تشويه صورة العالم الإسلامي وإظهار صورة غير إنسانية منه بواسطة أعمال وممارسات الجماعات التكفيرية إذ فضلاً عن بث الخلافات بين المسلمين يحاولون تعميم الأعمال الإجرامية للجماعات التكفيرية على كافة المسلمين.^٣

آخر الكلام

بذلت المساعي من خلال هذا البحث لدراسة الأضرار التي تسببها الجماعات التكفيرية والحلول لمواجهتها من منظار سماحة قائد الثورة الإسلامية. ان الأضرار تلك خضعت للدراسة في ثلاثة مجالات وهي المعتقدات والساحة الأخلاقية والسلوك. على مستوى المعتقدات فان التيارات التكفيرية وبفهم الخاطئ لمفاهيم كالتوحيد والشرك وكافة المفاهيم الدينية، يقومون بتكفير ورفض معتقدات المسلمين الآخرين. في مجال الأخلاق فهناك أخلاق مسموم أنتج على يد التيارات التكفيرية واهم سمة له الجهالة والخبث الذاتي الذي أدى الابتعاد عن الحقيقة وإثارة الفساد وتسيير نحو الفساد والردالة والسقوط. وعلى مستوى السلوك، وفي الجانب الفردي منه فان أهم سمة للتيارات التكفيرية تتجلى في اللجوء إلى العنف والحرب والإرهاب وارتكاب المجازر وإراقة الدماء. وفي جانب السلوك الاجتماعي فنرى ان أهم سمات تلك التيارات تظهر في بث التفرق في صفوف المسلمين وتقويض الحضارة والثقافة الإسلامية وغير الإسلامية وتقوية أعداء الإسلام؛ وفي هذا الجانب فأنهم متأثرون بالجانب الأخلاقي والعقائدي. تم تقديم حلول للخروج عن المشاكل والأضرار الناجمة عن التيارات التكفيرية من منظار سماحة القائد في مجالين الفكري الثقافي والسياسي. في مجال الحلول الفكرية الثقافية فان أهم الحلول التي اهتم بها سماحة قائد الثورة هي تقوية الحوار وتقريب المذاهب الإسلامية والوصول إلى صيغة تفاهم حول القواسم المشتركة بين

١. كلمة الإمام الخامنه (دام ظله) عند لقائه مسؤولي النظام وسفراء البلدان الإسلامية.

٢. كلمة ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٢.

٣. كلمة ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٢.

الشيعة والسنة والابتعاد عن إثارة الخلافات وتجليات هذا الأمر ومنه الابتعاد عن توجيه الإهانة وتشويه سمعة المذاهب الإسلامية والعودة إلى مسار فهم القرآن الدقيق واستخدام الحلول القرآنية في الأمة الإسلامية و... ومن الحلول السياسية التي تترك تأثيرها على اقتلاع جذور التيارات التكفيرية يمكن الإشارة إلى تقوية الاتحاد والوحدة في صفوف المسلمين وضرورة معرفة مؤامرات العدو ورفضها التحلي بالذكاء في مواجهة إثارة الخلافات وتأسيس التيارات التكفيرية. يجب وبواسطة معرفة مكامن الضرر والضعف، تكوين المقاربات والحلول التوافقية في المجالات الثقافية والسياسية، وبواسطة تكوين المقاربات الحديثة في جانب العقيدة والأخلاق والسلوك مكافحة ظاهرة التيارات التكفيرية المشثومة واقتلاع جذورها في العالم الإسلامي.

المصادر

١. قرآن كريم

٢. إبراهيم. ي. كاراوان، تكفير، از دائره المعارف جهان نوين اسلام ج ٢ (پ - ز)، ويراستار، جان ال، اسپوزيتو، ترجمه و تحقيق حسن طارمی، محمددشتی و مهدي دشتی، طهران: نشر كتاب مرجع، نشر كنگره، طهران، ١٣٨٨

٣. اميردوش، محمد حسين، تاملی بر مساله وحدت اسلامی از دیرباز تاکنون با تکیه بر جنبش اتحاد اسلامی، طهران: مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی ١٣٨٤،

٤. انوري، حسن، فرهنگ بزرگ سخن جلد ١، طهران: انتشارات سخن ١٣٨١

٥. بیانات در اجلاس جهانی علما و بیداری اسلامی ٩ / ٠٢ / ١٣٩٢

٦. بیانات مورخه ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٢

٧. بیانات در دیدار سلطان قابوس - پادشاه عمان - با رهبر انقلاب ٤ / ٤ / ١٣٩٢

٨. بیانات در دیدار اعضای مجلس خبرگان رهبری مورخه: ١٥ / ١٢ / ١٣٩٢

٩. بیانات در دیدار کارگزاران حج ٢٠ / ٦ / ١٣٩٢

١٠. بیانات در جمع روحانیون شیعه و اهل سنت کرمانشاه، ٢٠ / ٧ / ١٣٩٠

١١. بیانات در دیدار مسئولان نظام و سفرای کشورهای اسلامی، ٦ / ٣ / ١٣٩٣

١٢. بیانات مورخه ١٤ / ١١ / ١٣٩٠

١٣. بیانات مورخه ٢٢ / ٠٢ / ١٣٩٣

۱۴. حسین احمد الخشن، اسلام و خشونت (نگاهی نو به پدیده تکفیر)، ترجمه موسی دانش، مشهد: بنیاد پژوهش های اسلامی (آستان قدس رضوی)، ۱۳۹۰
۱۵. حسین خَلَف، الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، بيروت، ۱۹۶۸ م / ۱۳۸۸ ق.
۱۶. دهشیری، محمدرضا، بازتاب مفهومی و نظری انقلاب اسلامی، در روابط بین الملل، طهران: انتشارات علمی و فرهنگی، چاپ دوم / ۱۳۹۰
۱۷. ژیل کپل، پیامبر و فرعون (جنبش های نوین اسلامی در مصر)، ترجمه حمید احمدی، طهران: انتشارات کیهان ۱۳۸۲،
۱۸. سایت مقام معظم رهبری: (www.khamenei.ir) .۱۹. سعید، امین، سیرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكة، ۱۳۸۴ ق.
۲۰. عمید، حسن، فرهنگ فارسی عمید، طهران: نشر امیر کبیر ۱۳۷۹
۲۱. فیروز جایی، عباس، بنیادهای فکری القاعده و وهابیت، مجله راهبرد، طهران: بهار ۱۳۸۲، شماره ۲۷،
۲۲. مطاوی الرشید، عربستان سعودی و جریان های اسلامی جدید، ترجمه رضا نجف زاده، طهران: پژوهشگاه فرهنگ، هنر و ارتباطات، ۱۳۹۳
۲۳. نرم افزار حدیث ولایت، مجموعه رهنمودهای مقام معظم رهبری (از سری نرم افزار های مجموعه نور) طهران: موسسه پژوهشی فرهنگی انقلاب اسلامی، مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی، بی تا.
۲۴. هرایر دکمچیان، اسلام در انقلاب: جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب (بررسی پدیده بنیادگرایی اسلامی)، ترجمه حمید احمدی، طهران: انتشارات کیهان ۱۳۹۰
۲۵. الیاسینی، أیمن، الدین و الدولة فی المملكة العربية السعودية، نقله الى العربية: الدكتور کمال الیازجی، دارالساقی، ۱۹۷۸ م.

التيارات التكفيرية الناشطة في باكستان وسبل التصدي لها

سيد توقير عباسي كاظمي^١

نبذة

ظهرت دولة باكستان الحديثة في القرن العشرين، حيث حصلت على استقلالها من الهند عام ١٩٤٧ وتحوّلت بذلك إلى دولة إسلامية مستقلة. وقد دخل الفكر المتطرف السلفي والتكفيرى الذى يكفر أتباع كافة الطوائف الإسلامية الراقضة لمعتقداته ويتخذ إجراءات عنيفة ضدها، قد دخل إلى باكستان فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى على يد بعض الرموز السياسية فى الحكومات السابقة الباكستانية وتمكن بعد ذلك من النمو والتطور هناك.

وبدأ التيار التكفيرى نشاطاته على شكل تنظيم فى ١٩٨٠ بالتوازي مع السنوات الأولى من الثورة الإسلامية فى إيران، حيث ظهرت أول منظمة تكفيرية فى هذا الفترة، تحمل عنوان "جيش الصحابة". وبعد فترة، تشكلت مجموعة أخرى تحت عنوان "عسكر جنجهوى"، قبل أن تظهر جماعة تكفيرية ثالثة هى "تحريك طالبان باكستان" عام ٢٠٠٦. ترتكب هذه الجماعات الثلاث وباسم الجهاد أبشع الجرائم، بحيث أن المسلمين فى باكستان سواء كانوا من الشيعة أو من السنة يعانون من هذه التيارات المشؤومة.

يهدف التيار التكفيرى فى باكستان إلى غايات ومآرب مختلفة، منها فرض الفكر التكفيرى على المجتمع ومنع إنتقال الفكر الشيعى وثقافته إلى الأجيال القادمة ومنع إنتشار التشيع السياسى والتصدى للنموذ الأيرانى بين الشيعة والعمل على تقويض الشيعة فى المجتمع الباكستانى. أما سجل التيارات التكفيرية فى باكستان، فحدث ولا حرج، منها العمل على نشر الفكر التكفيرى واغتبال كبار العلماء من الشيعة وارتكاب القتل والمجازر من خلال التفجير والعمليات الإنتحارية.

نظرا للأوضاع السياسية والاجتماعية للشعب الباكستانى، فإن هناك آليات عملية متعددة للتصدي للتيارات التكفيرية الناشطة فى البلاد، لعلنا نستطيع تقسيمها على النحو التالى:

١. خريج الحوزة العلمية الدينية وباحث فى جامعة المصطفى العالمية.

أ: سبل الحل للحكومة الباكستانية: التمتع بإرادة سياسية قوية لإنهاء النشاطات التكفيرية وإقالة من يحملون الفكر التكفيرى من المناصب الحكومية ومنعهم من التدريس فى الجامعات والرقابة المكثفة على وسائل الإعلام.

ب: الحلول العملائية لعامة المسلمين فى باكستان: المعرفة التامة والواقعية بالمبادئ الإسلامية والالتزام بها فعليا ومعرفة التيارات التكفيرية وخططها والتعريف بالتيارات التكفيرية وغاياتها السيئة.

ج: حلول عملائية للشيعه فى باكستان: نشر المعتقدات والتعاليم الشيعية الأصيلة على مستوى البلاد، إتخاذ الاجراءات الحاسمة فى مواجهة نشر الأكاذيب عن التشيع والرد بالمثل على النشاطات الثقافية والترويجية للتيار التكفيرى والمساهمة الفاعلة فى المجال السياسى وفى السلطة والعمل على الوحدة والانسجام الإسلامى.

الكلمات المفتاحية: باكستان، التيارات التكفيرية، الشيعة، السنة

مقدمة

يمثل التيار التكفيرى أحد رؤوس الفتنة فى منطقة الشرق الاوسط، حيث يتخذ خطوات ضد الإسلام والمسلمين تحت ذريعة الدفاع عن الإسلام. يرتكب هذا التيار وبإستمرار بأعمال وحشية، ضحيتها الأمة الإسلامية، سواء من الشيعة أو من السنة. تتنامى يوميا النشاطات المتطرفة لتلك الجماعات والتيارات على مستوى العالم الإسلامى، لعل أبرز مصاديق نشاطاتها العنيفة هي ذبح الأبرياء وارتكاب المجازر بحقهم فى مختلف المجتمعات الإسلامية لاسيما فى باكستان.

تتناول الدراسة الحالية وعنوانها "التيارات التكفيرية فى باكستان وسبل التصدي لها"، تتناول دخول التفكير التكفيرى الى باكستان، بعد التعرض إلى الوضع الباكستاني من جهة المواجهة مع تلك التيارات. كما أنها وبعد التعريف بالتيارات التكفيرية الفاعلة فى باكستان، تتناول أهدافها وغاياتها وتحلل نشاطاتها المتطرفة، بالإضافة إلى أنها تقدم حلولاً عملائية وفعلية للتصدي الى هذه التيارات التكفيرية.

نظرة إجمالية إلى باكستان من منطلق صراعها مع التيارات التكفيرية

تعتبر باكستان إحدى الدول الإسلامية الواقعة فى جنوب القارة الآسيوية، حيث حصلت على إستقلالها من الهند فى ١٤ آب أغسطس ١٩٤٧ وتم الاعتراف بها تحت عنوان "جمهورية باكستان الإسلامية". تبلغ مساحة باكستان ٩٠٥٤٧٨ كيلومتر مربع وتحدها إيران وأفغانستان غربا والهند شرقا، كما أنها تجاور الصين وأفغانستان شمالا وفى الجنوب لديها حدود بحرية تبلغ ٨٠٠ كيلومتر^٢.

1. Islamic Republic of Pakistan

٢. أنظر: دانشنامه آنلاين وكى بيديا

وفقا لإحصائيات عام ٢٠١٢، فإن عدد سكان باكستان يبلغ ١٨٠ مليون نسمة، ٩٦ في المئة منهم مسلمون^١. و ٧٥ إلى ٨٠ في المئة من المسلمين هم من أهل السنة، وأغلبهم على المذهب الحنفي والبعض الآخر على المذهب الشافعي، بينما يشكل المذهب الشيعي ٢٠ إلى ٢٥ في المئة من عدد المسلمين في باكستان.

مع كل الأسف فإن باكستان من الدول التي قد تلقت أكثر الأضرار من التيارات التكفيرية، بحيث أنها اليوم من أهم مراكز نمو الفكر التكفيري المتطرف. فالجماعات التكفيرية تنشط وبشكل فاعل في مختلف أنحاء البلاد بأهداف محددة وتوجه عنيف ومسلح. وتنتشر هذه الجماعات في مساحات شاسعة من ولاية بلوشستان والمناطق الجنوب الغربية للبلاد كالمناطق القبلية في وزيرستان وبعض مناطق البنجاب.

وقد مرت نشاطات الجماعات التكفيرية في مختلف مناطق باكستان بتطورات مختلفة خلال العقود الأربعة الأخيرة، لكنها لم تتوقف نهائيا. في هذه العقود الأربعة، كانت المناطق الدينية في باكستان ولاسيما الاماكن الدينية الشيعية والشخصيات الشيعية هدفا لهجمات الإرهابيين التكفيريين ولا تزال تلك الهجمات والاعتداءات مستمرة ومتواصلة. من يتابعون التطورات في باكستان يشعرون بأن الأبناء عن مقتل أو إصابة المواطنين لاسيما الشيعية منهم في إعتداءات هذه الجماعات قد تحولت إلى موضوع يومي وعادي، قد لا يثير الإهتمام والتوقف عنده حتى.

بالرغم من أن الكثير من أبناء باكستان، شيعة كانوا أم سنة قد باتوا ضحايا عنف التكفيريين وتتعرض الاماكن الدينية العامة كالجموع والحسينيات بصورة دائمة لإعتداءات الجماعات التكفيرية، غير أن الحكومات الباكستانية المتعاقبة وللأسف لم تتمكن حتى الآن من التغلب على هذه الأزمة والظاهرة.

لقد شهد التيار السلفي التكفيري في باكستان هذا العام (صيف ٢٠١٤) تطورات مهمة وقد مارست الأجهزة الأمنية الباكستانية الضغط على تلك الجماعات التكفيرية، بسبب عمليات التفجير وسائر الجرائم التي ترتكبها، إلا أن هذا الضغط يبقى مؤقتا ولن يتمكن من حل المشكلة الأساسية وستبقى هذا المعضلة قائمة.

حقيقة التيار التكفيري

فقهيا وكلاميا، فإن أحد معاني مصطلح التكفير هو "إعطاء سمة الكفر للمسلمين"^٢ وهذا هو المفهوم الذي أصبح محط أنظار العالمين كمصطلح سياسي.

على هذا، فإن "التكفيري" هو كل من يستخلص فهما متطرفا من القرآن والأحاديث ويتهم المسلمين المعارضين لرؤيته بالكفر والخروج عن الدين، خلافا للمعايير الشرعية.

١. المصدر: نفسه.

٢. سيف الله صرّامي، تكفير چیست؟، سايت اسلام فاونديشن، بحواله: عبدالله عيسى ابراهيم غديري؛ القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، بيروت ١٤١٨ / ١٩٩٨ و محمود عبدالرحمان عبدالمنعم، معجم المصطلحات و الالفاظ الفقهية، قاهره ١٩٩٩.

تعود جذور إيديولوجية التيارات التكفيرية إلى الإيديولوجية السلفية. فهذا التيار يقدم قراءة مختلفة عن الإسلام، لا تتأطر في إطار المبادئ الفقهية للمذاهب السنية الأربعة ولا تدخل حتى ضمن الفكر الوهابي. ما يميز هذا التيار عن المذاهب السنية والوهابية حتى، هو تكفير المسلمين الذين يعارضون أفكاره ورؤاه واعتقاده بضرورة القتال المسلح والعنيف ضدهم (باسم الجهاد). ولذلك، فإن التكفيريين وكالخواارج في صدر الإسلام، يتهمون كل مسلم يرفض أفكارهم، بالكفر والإلحاد ويرتكبون ضده أفعال الجرائم وأبشعها باسم الجهاد.

توغل الفكر التكفيري إلى باكستان

توغل الفكر التكفيري إلى باكستان في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، توازيا مع تصاعد سلطة الجنرال ضياء الحق في البلاد. فالجنرال كان يميل إلى السلفية وقد أنشأ العديد من المدارس الدينية للوهابيين المتطرفين، بدعم من بعض المؤسسات الحكومية وتمويل من المملكة العربية السعودية^١.

وقد بادر ضياء الحق ولأول مرة في تاريخ باكستان بتطوير نظام التعليم الديني، بتمويل حكومي، كما فرض على المواطنين دفع الزكاة لتأمين المدارس الدينية ماليا. ما تمخض عن تلك السياسة، كان توافد أبناء الأسر الفقيرة لاسيما في المناطق القروية إلى المدارس الدينية^٢، حيث تعرض التلامذة الناشئين والشباب إلى غسيل الأدمغة، بحيث باتوا يعتبرون أتباع الفرق الإسلامية الأخرى ولاسيما الشيعة، كافرين ومشركين، الموقف الذي لا تزال تتبناه المدارس الدينية السلفية في باكستان وتعمل على تربية الناشئين والشباب على هذه الرؤية والموقف.

لم يقف الجنرال ضياء عند هذا الحد، ففي عهده إعترفت السلطة بشهادات المدارس الدينية في باكستان (والتي كانت تعود في معظمها إلى الوهابيين والسلفيين)، كما تم إلزام الأجهزة الحكومية ولاسيما الجيش بتوظيف عناصر هذه المدارس في مختلف المناصب، بحيث أنه ولفترة ما بات إرتقاء العسكريين في مناصبهم، مناطا بأداء الفرائض بشكل تام وأن يقضوا بعض الدورات في المدارس الدينية^٣.

بالإنتقال إلى منتصف الثمانينيات من القرن الماضي وبالتوازي مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فقد شهد الفكر التكفيري تناميا متزايدا على يد رجل الدين السلفي المتعصب "مولوي حق نواز جهنغوي" وبدأ نشاطاته على صورة تنظيم.

التيارات التكفيرية الناشطة في باكستان

جيش الصحابة

١. بالاستعانة من مقال: «راديكاليسم إسلامي در باكستان»، نوشتة سفارت جمهوری اسلامی ایران در پاکستان: منتشر شده در: <http://www.iranembassy.pk/fa/political-section>.

٢. المصدر: نفسه.

٣. المصدر: نفسه.

يعتبر " جيش الصحابة" أحد التيارات التكفيرية الفاعلة في باكستان. وقد أنشأ "حق نواز جهنغوي" هذه الجماعة في ٦ سبتمبر ١٩٨٥ في مدينة جهنغ إحدى المدن التابعة لولاية بنجاب. وكان "حق نواز جهنغوي" وقبل إنشاء "جيش الصحابة"، مساعدا لفرع "جمعية علماء الإسلام" في البنجاب ومن ثم بادر بإنشاء جيش الصحابة بالتعاون مع ضياء الرحمن فاروقي وإيثار الحق قاسمي وأعظم طارق، تحقيقاً لمآرب معينة.

وقد تزايدت نشاطات جيش الصحابة بسرعة في ظل المساعدات المالية والسياسية السعودية وبعض المؤسسات الحكومية وبسبب سرعة نشاطاته، بالمقارنة مع سائر المنظمات الإسلامية السنية في باكستان. ومن ثم بدأ نشاطاته التكفيرية والمناهضة للشيعية بشكل متمركزة في مختلف مناطق البلاد ومنذ البداية، بدأ بقتل الشيعة وسفك دماء الآلاف من المسلمين من النساء والرجال والأطفال الباكستانيين.

وعلى الرغم من مقتل مؤسس وزعيم جيش الصحابة في ٢٣ فبراير ١٩٩٠، لكن ذلك لم يمنع استمرار نشاطاته التكفيرية، حيث تولى إيثار الحق قاسمي زعامة الجماعة، خلفا لحق نواز جهنغوي. وعقب اغتيال قاسمي في ١٩٩٨، تولى ضياء الرحمن فاروقي زعامة جيش الصحابة لكنه تم اغتياله أيضا في ١٩ يونيو ١٩٩٧ بانفجار قبيلة في لاهور وبذلك انتقلت زعامة الجيش إلى أعظم طارق.

وفي ١٢ يناير ٢٠٠٢، حظر برفيز مشرف نشاطات جيش الصحابة، في إطار حظر نشاطات الجماعات المتطرفة في باكستان وعقب ذلك، إعتقلت الشرطة الكثير من عناصر الجماعة، وبعد ذلك وفي ٢٠٠٢، بدأ أعظم طارق نشاطاته بجماعة جديدة هي "الملة الإسلامية"، غير أن السلطات الباكستانية حظرت نشاطات هذه المنظمة في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٣.

وفي ٦ أكتوبر ٢٠٠١ قام مجهولون باغتيال طارق ومنذ ذلك الحين، منعت السلطات الباكستانية نشاطات هذه المجموعة.

وعقب ذلك، جاء أحد زعمائهم وهو مولوي علي شير حيدري ليقوم بغير عنوان "جيش الصحابة"، معلنا عن تشكيل منظمة تحت عنوان "أهل السنة والجماعة"، غير أنه وفي اغسطس ٢٠٠٩ تم قتله في ولاية السند وبعد قتله وحتى اليوم يتولى محمد احمد لدهيانوي زعامة جيش الصحابة التكفيرى^١.

"عسكر جهنغوي"

أما الجماعة التكفيرية الأخرى في باكستان فهي "عسكر جهنغوي"، حيث أنشأها رياض بسرا وعدد من قادة جيش الصحابة بما فيهم محمد أجمل المعروف بأكرم اللاهوري وملك إسحق، عام ١٩٩٦ بعد إنشاقهم عن جيش الصحابة. وقد أطلقوا على المجموعة عسكر جهنغوي، إستلهاما بإسم "حق نواز جهنغوي"^٢.

١. بالإستعانة من مختلف المقالات والأقسام السياسية في الإنترنت؛ جواد جمالي، «افراطىگری در باكستان»، ماهنامه مطالعات سياسى راهنما: <http://www.rah-nama.ir/fa/>.

في مستهل إنشاء العسكر، تولى زعامته رياض بسرا، إلا أنه وبعد قتله عام ٢٠٠٢، خلفه في المنصب اكرم اللاهوري الذي إعتقلته الشرطة الباكستانية في يونيو ٢٠٠٢ ومنذ ذلك الحين، ليس من الواضح من الذي يتزعم هذه المجموعة التكفيرية. ورغم عدم الإعلان عن إسم زعيم المجموعة، غير أن الإعتقاد السائد هو أن ملك إسحق يؤدي الدور الرئيسي في العسكر.

وكما هو الحال بالنسبة للزعيمين الآخرين، فإن ملك اسحق وبسبب بعض الأعمال التخريبية ضد المسلمين ولاسيما الشيعة بما فيها التفجيرات الإرهابية والقتل، تم اعتقاله عام ١٩٩٧ وبعد أن قضى ١٤ عاما في السجن، أطلقت الشرطة الباكستانية سراحه عام ٢٠١١ لعدم إمتلاكها أدلة كافية تدينه بسبب أعماله.

لا تزال تنشط هذه المجموعة التكفيرية وتوجه تكفيري إزاء الشيعة في كافة أنحاء باكستان ولم تكتف المجموعة بأعمال العنف في الداخل الباكستاني، بل تعدت الحدود لتنشط في أفغانستان وكشمير إلى جانب طالبان وحركة المجاهدين وعسكر طيبة أيضا^٢.

ويمتاز عسكر جهنغوي بإيديولوجيته الوهابية السلفية وفكره التكفيري الذي اعتبرته الجهات السياسية والإعلامية الباكستانية، عنصرا خطيرا للأمن في البلاد. على الرغم من أن الحكومة الباكستانية السابقة وخلال أعوام ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٤ مارست الضغط على هذه المجموعة التكفيرية وقامت بقتل زعمائها أي أكرم اللاهوري ورياض بسرا، إلا أن هذه الضغوطات لم تحد بشكل كبير من النشاطات العنيفة لهذه المجموعة التكفيرية.

تحريك طالبان باكستان

تحمل هذه الجماعة رؤى مدرسة ديوبندي الفكرية التي تأسست عام ٢٠٠٦ على يد بيت الله محسود. جغرافيا، تتوزع مناطق نفوذها في المناطق السبعة القبلية في باكستان. وقد قتل بيت الله محسود في الآونة الأخيرة جراء غارة لطائرة دون طيار أمريكية على المناطق القبلية الباكستانية. وبعد مقتله، تولى حكيم الله محسود خلافته وزعامة المجموعة وتربطها علاقات وطيدة بالقاعدة وعسكر جهنغوي وتتعاون المجموعات الثلاث في عملياتها المتطرفة^٣.

أهداف التيارات التكفيرية الناشطة في باكستان

١. فرض الفكر التكفيري على المجتمع

١. تقرير «تابناك» المنشور في تاريخ ٢٨ دى ١٣٩١ در: <http://www.tabnak.ir/fa/news/171892>

٢. جواد جمالي، «افراطىگرى در پاكستان»، ماهنامه مطالعات سياسى راهنا: <http://www.rah-nama.ir/fa>

٣. المصدر: نفسه.

يتمثل الهدف الرئيس والأول للتيار التكفيرى في فرض الأفكار التكفيرية على المجتمع الباكستاني المسلم. فعندما أصبحت أفكار الإسلام الحقيقى والمدرسة الشيعية عائقا أمام تصرفاتهم وأعمالهم، جعلوا من الشيعة في باكستان غرضا لأعمالهم الإجرامية.

٢. منع نقل الثقافة الشيعية إلى الأجيال القادمة الباكستانية

أما الهدف الثانى والحيوي للجماعات التكفيرية فهو تفادى نقل الثقافة الشيعية الى الاجيال الباكستانية اللاحقة. ونتيجة لإنتشار الثقافة الشيعية بين أبناء الشعب الباكستاني، بات إنحياز الشعب إلى هذه الثقافة قذى في أعينهم ودفعهم ذلك نحو استئفاف أعمال العنف ضد الشيعة بصورة أشد وأعنف وبطرق جديدة ومتنوعة.

لعل أبرز هذه الأعمال هو إغتيال المستبصر الباكستاني "حافظ عبد الوحيد" على يد جماعة جيش الصحابة التكفيرية، حيث إختطفته في يونيو/ حزيران ٢٠١٣، بعد فترة وجيزة من اعتناقه المذهب الشيعي، وقامت بتعذيبه إلى أن استشهد تحت التعذيب. وتم إكتشاف جثمانه داخل كيس في شارع سرياب أحد شوارع مدينة كويتة الباكستانية^١.

٣. منع إنتشار التشيع السياسى فى باكستان

هناك غاية أخرى تتبعها الجماعات التكفيرية تتمثل في العمل على منع إنتشار التشيع السياسى في باكستان، لأن من الواضح أن المشاركة الفاعلة للشيعة في السياسة الباكستانية وفي التركيبة الحكومية في البلاد، ستترك أثرا كبيرا في تحسين الوضع الإجتماعي للشيعة وبالتالي، فإن ذلك سيلعب دورا كبيرا في منع انتشار الفكر التكفيرى في باكستان. ولذلك، تعمل الجماعات التكفيرية جاهدة على عزل الشيعة سياسيا في البلاد.

٤. التصدى للنفوذ الإيرانى بين الشيعة الباكستانيين

كان المجتمع الشيعي في باكستان ضمن المجتمعات الأوائل التي تأثرت واستلهمت الثورة الإسلامية في إيران، بحيث تشكلت في باكستان وبعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران، حركات موازية للثورة الاسلامية. كان أهم تلك الحركات، تنظيما يحمل عنوان "تحريك نفاذ فقه جعفرية" الذي تكون من أجل الاعتراف بالمطالب القانونية والمذهبية للشيعة في باكستان. وكان أول رد على انتقال رؤى الثورة الإسلامية الإيرانية إلى الشيعة الباكستانية، قد تبلور في تشكيل جماعات تكفيرية مثل جيش الصحابة.

٥. العمل على تقويض الشيعة فى المجتمع

يتولى الشيعة في باكستان بعض المناصب الرئيسية، فبعض الجنرالات الكبار في الجيش الباكستاني أو قضاة المحاكم والمحامون الحاذقون والأطباء الأخصائيون والمهندسون والتجار وبعض الشخصيات السياسية هم على

١. خبر گزارى ابنا، سه شنبه ٢٥ تيرماه ١٣٩٢، www.abna.com

المذهب الشيعي. لذلك، فإن العمل على تقويض الشيعة في المجتمع يعتبر الغاية الأخرى للجماعات التكفيرية في باكستان. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، عملوا على استهداف أغلبية القوى الفاعلة والمؤثرة مثل الأطباء والمهندسين والضباط الكبار والمحامين الشيعة من خلال العمليات الإرهابية وبالتالي اغتيالهم. وفقاً لوسائل الإعلام، قد إستشهد خلال الـ ١٥ عاما الماضية أكثر من ١٠٠ طبيب ومهندس شيعي في باكستان من خلال الهجمات الطائفية التي تقوم بها الجماعات التكفيرية لاسيما عسكر جهنغوي^١.

إجراءات التيارات التكفيرية في باكستان وكيفية نشاطاتها

للتيارات التكفيرية وكيفية نشاطاتها سجل طويل، نشير هنا إلى أجزاء منه:

١. إشاعة ونشر الفكر التكفيرى

ينتهج أنصار التيار التكفيرى في باكستان سياسة إشاعة الفكر التفكيري ويتبنون من أجل ذلك سبلا متنوعة نشير هنا إلى بعضها:

أ: طبع المصنفات ضد الشيعة وتوزيعها

تتجلى الطريقة الأولى عند التيارات التكفيرية لنشر الفكر التكفيرى في طباعة ونشر وتوزيع الكتب والدراسات والكتيبات ضد الشيعة. ووفقاً لما أعلنت عنه سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في باكستان، فإنه وخلال عام واحد فقط تم نشر ٦٠ كتاباً بـ ٣٠ مليون نسخة ضد الشيعة^٢.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الأجهزة الإعلامية ومؤسسات النشر السلفية، قد أصدرت ووزعت مجلات ضد الشيعة مليئة بالإتهامات والأكاذيب ضد الشيعة، بكميات هائلة وباللغة الأردية في مختلف أنحاء باكستان، ولا تزال العملية مستمرة وتتم متابعتها بشكل جدي.

ب: إشاعة الأكاذيب والشائعات ضد الشيعة

أما الطريقة الأخرى التي تتبناها الجماعات التكفيرية فهي ترويح الأكاذيب والشائعات التي لا أساس لها من الصحة ضد المذهب الشيعي. فإنهم يعملون على تعريف الشيعة بأنهم مشركون وغلاة وينسبون إليهم نظرية تحريف القرآن وتهما أخرى من هذا القبيل.

وهذا ما نراه ونلمسه عندما نتواصل مع الشارع من غير الشيعة في باكستان. عند هذه التواصلات نرى أن ٨٠ في المئة من مشاكل الشيعة لدى المذاهب الأخرى، تكمن في التهم التي يوجهها لهم أعداء المذهب ولاسيما التكفيريون، حيث يعتبرون الشيعة أعداء الدين الإسلامي والصحابة وبأنهم غلاة ومشركون وأعداء نساء النبي وما إلى ذلك من إتهامات.

١. خبرگزاری شبستان، در تاریخ ۱۳۹۳/۳/۷، كد خبر: ۳۷۱۰۹۴۱۷. www.shabestan.ir

٢. سيد عبدالعزيز طباطبائي، «موقف الشيعة من هجمات الخصوم»، مجله تراثنا، شماره ٦، صفحه ٥٣.

بالإضافة إلى ذلك، يصورون الشيعة كغلاة ويضعون الشيعة الإمامية الذين يبلغ عددهم أكثر من ٤٠٠ مليون شخص في سلة واحدة مع الغلاة وعليه اللهيين الذين لا يتعدى عددهم مئة ألف. هؤلاء ومن خلال هذه الطريقة وبصورة متعمدة، يربطون بين الشيعة الإمامية والغلاة وينسبون إلى الشيعة المعتقدات الكفرية لدى الغلاة وعليه اللهيين، لتشويه سمعة الشيعة وصورتهم عند الفرق الإسلامية كي يمنعوا بذلك أبناء الطوائف الأخرى من اعتناق المذهب الشيعي والتمهيد لقتل الشيعة تحت هذه الذرائع والمزاعم والإدعاءات.

يحاول الذين يخططون لهذه المؤامرة إكتساب تأييد الرأي العام الإسلامي من خلال الإستناد بحلقات من خطابات المداحين والخطباء الأميين أو الخطباء البسطاء الذين لا يمتلكون معلومات ومعارف وافية أو يستندون بطريقة حديث أو تصرف بعض الجبهة من الشيعة، محاولين توجيه ضرباتهم إلى المذهب الإسلامي الشيعي الأصل.

هذا في حين أن كافة العلماء والفقهاء من الشيعة يعتبرون الغلو تيارا فكريا انحرفيا، وأن الغلاة جماعة ضالة خارجة عن الدين الإسلامي، بحيث أن الشيخ المفيد أحد كبار العلماء الشيعة يقول: "والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته - عليهم السلام - إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة - عليهم السلام - عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام".^١

ج: إستغلال الفقر المادي في المجتمع الباكستاني

وفقا للإحصائيات فإن معظم الشعب الباكستاني يعاني من الفقر، لاسيما في المناطق القروية، حيث يعيش ٣٥ مليون شخص على الأقل تحت خط الفقر.^٢

وخلافا لسائر فئات المجتمع، فإن الفئات الفقيرة عادة ما تقوم ببعض الأعمال إزاء ثمن بخس. عندما نقارن هذا الواقع مع التيارات التكفيرية، نرى أن تدني المستوى العلمي في المجتمع الباكستاني من جهة والفقر الذي يستولي على خمسين في المئة من أبناء الشعب من جهة أخرى، يشجعان التيارات التكفيرية لاستغلال الفئات الفقيرة والجاهلة كي تجعل منها وسيلة لتحقيق مآربها وأن تنشط بإطمئنان أكثر في البلاد ولذلك، نرى أن كل من يقومون بالعمليات الانتحارية هم من الفئات الفقيرة في البلاد.

د: إستغلال الجهل وضعف المعتقدات الدينية لدى المسلمين الباكستانيين

يلزم الدستور الباكستاني التعليم الإبتدائي لكافة أبناء الشعب، غير أنه وفقا للإحصائيات، هناك نسبة كبيرة من المواطنين تبلغ نحو ٥٠ في المئة من المجتمع لاسيما المسنون والقرويون يعانون من الأمية.^١

١. وَالْغَلَاةُ مِنَ الْمُتَظَاهِرِينَ بِالإِسْلَامِ هُمُ الَّذِينَ ... (تصحيح الاعتقاد: ص ١٣١، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد: ج ٥)

٢. أنظر: ويليام غودوين، باكستان: ص ٢١.

هذا بالإضافة إلى أن المعارف الدينية لدى أفراد المجتمع في مستوى أدنى من المعارف الرسمية. فالمواطن العادي حتى وإن إحترم الشعائر الدينية السائدة، لكنه بعيد كل البعد عن التعاليم الإسلامية الحقيقية، لا وبل لديه معلومات ضئيلة عن المبادئ الإسلامية ولذلك يبقى عاجزا عن تمييز الحق عن الباطل.

من الواضح أنه إذا لم يكن أتباع طائفة ما على علم كاف بمبادئ الإسلام ويعجزون عن تمييز الإسلام عن الكفر والحق عن الباطل، فإنهم وبكل بساطة يميلون إلى تكفير الآخرين. وعلى هذا، تستغل الجماعات التكفيرية جهل عامة المسلمين بشأن المعارف الإسلامية الأصيلة وضعف معتقداتهم الدينية، لتحقيق أهدافها وغاياتها.

هذه استخدام وسائل الإعلام

يندرج استخدام وسائل الإعلام ضمن الآليات التي تستعين بها الجماعات التكفيرية. فإنهم يوظفون بعض وسائل التواصل والتقنيات الحديثة كمواقع الإنترنت والقنوات الفضائية لتحقيق غاياتهم ومن خلالها يعملون على نشر أفكارهم المنحرفة التكفيرية.

لقد أطلقت الجماعات التكفيرية العديد من المواقع والمدونات على الإنترنت باللغة الأردية ووضعتها في متناول يد الشبان الباكستانيين ولكل الأسف ليست هناك إحصائيات دقيقة بشأن هذه المواقع والمدونات.

٢. إغتيال المفكرين والكبار من الشخصيات الشيعية

يتبنى أنصار الجماعات التكفيرية في باكستان سياسة اغتيال المفكرين والكبار من الشخصيات الشيعية التي تنشأ في إطار خدمة الطائفة الشيعية في البلاد. فقد بادرت الجماعات التكفيرية وخلال السنوات الماضية باغتيال العديد من الوجوه والرموز السياسية والدينية والاجتماعية الشيعية في باكستان.

لعل أبرز تلك الرموز هي العلامة السيد عارف حسين الحسيني الذي كان قائد الشيعة في باكستان وكان رئيساً لنهضة تطبيق الفقه الجعفري في البلاد وأحد أبرز أنصار الثورة الإسلامية الإيرانية، وقد إغتالته الجماعات التكفيرية في الخامس من آب/ أغسطس ١٩٩٨ في مدينة بيشاور الباكستانية. هذا بالإضافة إلى اغتيال الدكتور محمد علي نقوي مؤسس منظمة الطلاب الإماميين.

نذكر هنا بعض الشخصيات الكبار الأخرى التي اغتالتها الجماعات التكفيرية في باكستان في السنوات الأخيرة:^٢

١. العلامة حسن ترابي العالم الشهير في مدينة كراتشي

٢. العلامة حافظ محمد الثقلين أحد العلماء الكبار في منطقة علي بور قرب مدينة لاهور

١. المصدر: نفسه، ص ٧.

٢. أنظر: محمد موسى، طاهر عباس، «نسل كشي شيعيان در باكستان تاكي و چرا؟»، «دوماهنامه آفاق مهر»، ش ٥٠، ص ٧٣.

٣. السيد ذوالفقار علي نقوي أحد رفاق درب الشهيد عارف حسيني والقاضي الكبير بمدينة كويتة

٤. رضا عسكري القانوني الشهير ومحامي الضحايا الشيعة في أحداث كراتشي الإرهابية

٥. العلامة الشيخ حسن ذاكري خطيب الجمعة لمدينة متشه

٦. العلامة السيد ضياء الدين رضوي خطيب الجمعة في مدينة غلغت

٧. خورشيد أنور، المحامي وأمين النهضة الجعفرية الباكستانية

٨. الدكتور جعفر محسن الطبيب الشهير في مدينة كراتشي

٩. سبط جعفر الشاعر والإستاذ الجامعي.

بالإضافة إلى هؤلاء، فقد إغتالت عناصر الوهابية التكفيرية خلال السنوات الأخيرة العديد والعديد من الوجوه والشخصيات السياسية والعسكرية والدينية وكبار الشخصيات من أطباء ومحامين وضباط كبار.

٣. القتل وارتكاب المجازر عبر التفجيرات والعمليات الإنتحارية

هناك طريقة أخرى بشعة تتخذها الجماعات التكفيرية ضد المسلمين الشيعة، تتمثل في قتل المواطنين الباكستانيين لاسيما الشيعة منهم باستخدام التفجيرات والتفخيخ والعمليات الإنتحارية. ففي هذه الهجمات والإعتداءات قد سقط الآلاف من المسلمين الأبرياء الباكستانيين من رجال ونساء وأطفال وكبار في السن، سواء من الشيعة أو من السنة.

فكارثة عاشوراء في مدينة هونغو بولاية خيبربختونخوا في فبراير ٢٠٠٦، قد خلفت ٣٥ شهيدا و ١١٥ جريحاً. كما أن تفجير القنابل في مستشفى مدينة ديره اسماعيل خان بنفس الولاية في أغسطس ٢٠٠٨، قد أدى إلى استشهاد ٤٥ شخصا. هذا بالإضافة إلى استشهاد ٤٦ شخصا وإصابة ١١٥ آخرين بجروح، جراء تفجير القنبلة أثناء صلاة الظهر في مدينة كراتشي في ديسمبر ٢٠٠٩. كما أن إنفجاراً آخر في مراسم إحياء ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام في مدينة لاهور في سبتمبر ٢٠١٠، أدى إلى استشهاد ما لا يقل عن ٤٩ شهيدا و ٣٠٠ جريح. أضف إلى ذلك التفجير الذي وقع أثناء مسيرة إحياء يوم القدس العالمي في مدينة كويتة في سبتمبر ٢٠١٠، حيث أسفر عن استشهاد ٨٠ شخصا وإصابة ٢٠٠ آخرين بجروح. والعمليّة الإنتحارية في باراجنار في فبراير ٢٠١٠، والتي أدت إلى استشهاد ٥٠ شخصا. وهناك المئات من العمليات الأخرى التي يمكن رصدتها في السجل الدموي للتيارات التكفيرية في باكستان في السنوات الأخيرة.

أما في آب/ أغسطس ٢٠١٢، فقد بادرت الجماعات التكفيرية بجريمة أخرى، بطريقة جديدة، حيث أوقفت حافلة تقل زوارا الشيعة وقامت بإنزال ٢٥ شخصا منها ومن ثم بادرت بإعدامهم رميا بالرصاص ووفقا لما أعلنت

عنه الشرطة الباكستانية، فقد كانت الميليشيات التكفيرية المسلحة تدقق في سجلات المسافرين ومن ثم تقوم بإعدام الشيعة منهم^١.

وفي يوم الأحد ١٤ ديسمبر ٢٠١٢، أدى وقوع انفجارين عنيفين في مدينة كراتشي الباكستانية إلى مقتل ما لا يقل عن ٥٥ شخصا وإصابة ١٥٠ آخرين. وحسب ما أعلنت عنه الشرطة الباكستانية، فإن الهدف الرئيسي للإرهابيين التكفيريين من وراء هذه العملية كان المصلين الشيعة في إحدى الحسينيات في منطقة عباس تائون.

كما أن انفجار قبلة في منطقة ديريه غازي خان في أوائل شباط/ فبراير ٢٠١٣، أدى إلى استشهاد ٣٥ شخصا من الشيعة وإصابة ٥٠ آخرين بجروح. وما إن انتهت هذه الكارثة حتى جاء تفجير آخر في منتصف الشهر نفسه، استهدف مجلس تأبين في ديريه اسماعيل خان، أسفر عن استشهاد نحو ٣٥ شيعيا وإصابة ٦٥ آخرين بجروح. وفي أبريل/ نيسان من العام ذاته، استهدفت عملية انتحارية تجمعاً للشيعة في جامع جكوال، ٩٠ كيلومترا عن جنوب شرقي العاصمة إسلام آباد، سقط فيها ٣٠ شهيدا والمئات من الجرحى^٢.

وقبيل مراسم الأربعين الحسينية عام ١٤٣٤ للهجرة، استهدفت الجماعات التكفيرية المسلمين الشيعة في مدينة كويتة، حيث أدى هجومهم إلى استشهاد أكثر من ٨٥ من الشيعة وإصابة ١٢٠ آخرين^٣.

وفقا لتقرير مركز الدراسات البحثية والأمنية، فقد سقط نحو ٤٠٠ باكستاني أثناء الصراعات الطائفية في باكستان خلال عام ٢٠١٢ فقط، كان معظمهم من الطائفة الشيعية. وفي النصف الأول من العام ٢٠١٣ أيضا، سقط أكثر من ٣٠٠ مسلم باكستاني في أربع هجمات للجماعات التكفيرية^٤.

حلول فعلية وعملانية للتصدي للأزمة التكفيرية في باكستان

نظرا إلى أن نشاطات الجماعات التكفيرية كانت ولا تزال مستمرة في باكستان، ونتوقع تكرارها أيضا، فلا بد من إعطاء حلول مؤثرة تتناسب مع سياسات التكفيريين، منعا لاستمرار هذه التيارات والسياسات وتكرارها مستقبلا.

ولأن موضوع التيارات التكفيرية في باكستان، له جذور إجتماعية، حيث على الحكومة الباكستانية باعتبارها المسؤولة عن حفظ أرواح المدنيين، إتخاذ إجراءات لحل هذه المشكلة، لذلك نطرح هنا حولا وإجراءات فعلية للتصدي للأزمة التكفيرية، وتتنوع هذه الحلول على الحكومة الباكستانية في الدرجة الأولى ومن ثم على عامة المسلمين في باكستان وبالتالي وبالتحديد على الشيعة الباكستانيين.

١. تقرير «تابناك» المنشور في تاريخ ٢٨ دى ١٣٩١ در: <http://www.tabnak.ir/fa/news/171892>

٢. موقع ولي العصر:

<http://www.valiasr-aj.com/fa/page.php?bank/khabar/id/048>

٣. وكالات الأنباء والجرائد الباكستانية (٤/١/٢٠١٣ ميلادي).

٤. خبر گزارى ابنا، سه شنبه ٢٥ تيرماه ١٣٩٢، www.abna.com.

الحلول العملية والفعلية للحكومة الباكستانية

بما أن الفكر التكفيري قد توغل وفتح طريقه إلى باكستان على يد بعض رجال السلطة في البلاد، فقد يبدو أن تقديم الحلول لمن كانوا أحد أسباب إشاعة الفكر التكفيري في البلاد، أمرا غير منطقي وغير معقول، لكن الواقع هو أن اليوم قد أصبح التيار التكفيري شجى في حلق السلطات الباكستانية الحالية ويمارس الرأي العام الباكستاني ضغوطا كبيرة وجمعة على الحكومة وعلى هذا من المفيد أن نعرض عليها حلولاً فعلية تصدياً لظاهرة التيار التكفيري في البلاد. ولأننا نرى أن هذه الحلول قد لا تلقى تجاوبا من الحكومة الباكستانية نظرا لسياساتها العامة، لذلك لا نخوض في تفاصيلها ونتطرق إلى بعض النقاط الهامة فقط:

في هذا السياق، فإن أول وأهم نقطة هي إيجاد الإرادة السياسية والعسكرية القوية لدى الحكومة الباكستانية لإنهاء ظاهرة التكفيريين ونشاطاتهم. ونحن نعلم أن الحكومة والجيش الباكستانيين قادران على تطبيق هذه الرؤية، لكن وللأسف غياب الإرادة والعزيمة القوية قد منعت السلطات الباكستانية من التغلب على هذه الأزمة الاجتماعية.

كما أن إقالة من يحملون الفكر التكفيري من المناصب الحكومية العليا لاسيما معلمي المدارس الحكومية وأساتذة الجامعات ومنع توظيفهم، هي طريقة أخرى في التصدي للتيارات التكفيرية في باكستان. بالإضافة إلى أن الإشراف الدقيق والرقابة المكثفة على وسائل الإعلام قادر على أن يؤدي دورا حيويا في مواجهة التطرف والتيارات التكفيرية في البلاد.

حلول فعلية وتطبيقية لعامة المسلمين في باكستان

بما أن باكستان دولة على المذهب السني ويتألف سكانها من الغالبية السنية، حيث يعانون إلى جانب المسلمين الشيعة من التيارات التكفيرية، لذلك نقترح بعض الحلول العملية والفعلية لعامة المسلمين، من أجل التصدي للتيارات التكفيرية في باكستان:

١. المعرفة الوافية على المبادئ الإسلامية والإلتزام بها فعليا

لقد حددت المبادئ والقوانين الإسلامية المتعالية، مسؤوليات وتكاليف أتباع الدين، بأفضل صورة ولذلك، فإن أول وأهم طريق للتصدي للتيارات التكفيرية يتمثل في المعرفة الوافية للمسلمين الباكستانيين بالمبادئ الإسلامية والالتزام بها والتمتع بطريقة تفكير إسلامية سليمة.

إن رسم حدود الكفر والإسلام هو أمر توجد بشأنه الكثير من الأحاديث والروايات في الكتب المذهبية الإسلامية. فعلى أتباع المذاهب الإسلامية المعرفة التامة بالمبادئ الإسلامية ومعرفة هذه الحدود جيدا منعا لأشوار مثل الجماعات التكفيرية من استغلالهم من هذا المنظور.

٢. معرفة التيارات التكفيرية وخطتها

في سياق التصدي للتيارات التكفيرية، فإن أحد أهم الحلول هو المعرفة السليمة والدقيقة تجاه هذه التيارات والاطلاع التام على مخططاتها، الأمر الذي بدوره يضمن بقاء المجتمع الإسلامي وقوامه.

عموماً، فإن معرفة العدو كضرورة دينية وإنسانية تحظى بأهمية قصوى وتعتبر من أهم القضايا الأمنية والدفاعية، حيث يمكن من خلالها التمهيد للدفاع وتحديد مواقع الانتصار أو الهزيمة. لذلك، فإن معرفة العدو تحظى بأهمية كبرى في دراسة التيارات التكفيرية المعاصرة.

لقد أعطى الرسول الأعظم والأئمة المعصومين الهداة عليهم السلام أهمية كبيرة في أحاديثهم لهذا الموضوع، بحيث أن هناك العديد من الأحاديث التي تتناول موضوع المعرفة الدقيقة تجاه العدو. يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: "ألا وإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعصاه".^١

كما أن الإمام علي عليه السلام يرى معرفة العدو ضرورة قصوى لتوفير الأمن والصون من العدو، قائلاً: "من نام عن عدوه انتبهته المكائد".^٢

من هذا المنطلق، فإن معرفة العدو والإطلاع على مخططاته، هي موضوع توصي بها المدرسة الإسلامية ومن أولى الضروريات الدفاعية، حيث يمكن من خلالها ضمان بقاء الذات والمجتمع ولذلك، على عامة المسلمين في باكستان معرفة التيارات التكفيرية وأهدافها ومآربها، معرفة تامة وأن يطلعوا على الخطط والدسائس المشؤومة التي يضعونها ويحكونها للشعب الباكستاني وأن يتخذوا الخطوات الضرورية لمواجهة هذا الخطر الكبير، وفي غير هذه الحالة، فإن التيار التكفيري الناشط في باكستان سيخلق لهم المزيد من الأحداث والمشاكل التي لا يمكن تلافيتها وتداركها.

٣. معرفة وتعريف التيارات التكفيرية وإزاحة الستار عن مآربها السيئة

لعل معرفة التيارات التكفيرية وتعريفها إلى عامة الشعب الباكستاني لاسيما الشباب منهم، هي من السبل والحلول الأخرى التي يمكن طرحها من أجل التصدي لظاهرة التيار التكفيري في باكستان.

هناك البسطاء من الناس في باكستان ينضمون إلى هذه التيارات التكفيرية بسبب جهلهم ولعدم معرفتهم بها، ولذلك، فإن تعريف حقيقة هذه المجموعات وجمودها الفكري إلى عامة الشعب الباكستاني وتبيان مخاطر وتهديدات هذه التيارات، يعتبر خطوة هامة في منع تأثير التكفيريين في البسطاء من الشباب. من هنا، فلا بد من أن يتبين لكافة السلمين في باكستان بأن التيارات والجماعات التكفيرية، لا تكن العداء فقط لمجموعة أو طائفة بعينها فحسب، بل إنها تعادي كل من لا يتماشى ولا يتقبل أفكارها وغاياتها. كما على الشيعة في باكستان أن ينتبهوا إلى أن أي من المذاهب المسلمة الحقيقية ليست ولم تكن عدوة للشيعة وأن الجماعات السلفية التكفيرية التي

١. محمد باقر، مجلسي، بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٨١.

٢. علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ، باب الرابع والعشرون، ص ٤٤١.

تستهدف الشيعة في باكستان لا تمثل المسلمين من السنة وغايتها ليست سوى القضاء على الإسلام والقيم الإسلامية.

حلول فعلية للشيعة في باكستان

لقد استهدفت الجماعات التكفيرية في باكستان الشيعة في بادئ الأمر، فهل على الشيعة أن يردوا بالمثل عليهم وأن يتبنوا نفس المنهج في مواجهة قتل الشيعة؟ أو أن الإيمان بأحقية المذهب الشيعي يكفي في الحفاظ عليهم من أخطار التكفيريين؟ أو أن يبقوا مكتوفي الأيدي وأن يستعدوا للإستشهاد؟ من الطبيعي أنه لا يوجد عاقل يؤيد مثل هذه الطرق والسبل، كما أن العلماء والفقهاء من الشيعة أيضا لم يؤيدوا مثل هذه الحلول ولن يؤيدوها مستقبلا. على هذا، نعرض بعض الخطوات الفعلية للشيعة في باكستان، كي تكون سدا منيعا في مواجهة إجراءات الجماعات التكفيرية في البلاد:

١. نشر المعتقدات والتعاليم الشيعية الأصلية في المجتمع

تتمثل إحدى الخطوات الرئيسية والجذرية للتصدي للتيارات التكفيرية، في تبيان مبادئ التشيع ومعارفه بشكل سليم وبعقلانية ونشر معتقداتهم في المجتمع الإسلامي. وهذا ما يشير إليه الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام: إن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا^١.

لاشك في أن أداء الجماعات التكفيرية في باكستان قد دفع العوام من الناس نحو الاعتقاد بأن الشيعة مشركون وغلاة وخطيرون، لكن لابد من بذل الجهد لتبيان المعارف والمبادئ الشيعية بشكل سليم وحقيقي ومن ثم نشر المعتقدات الشيعية الأصلية في المجتمع الإسلامي لتعريفها للعالم أجمع. في هذا الصدد، نقترح الخطوات التالية:

أ: إنشاء مدارس غير حكومية للأطفال والجيل الشباب

تحظى اليوم المدارس غير الحكومية بأهمية أكثر من المدارس الحكومية وهناك رغبة لدى المجتمع الباكستاني في تعليم الأطفال في المدارس غير الحكومية. هناك اليوم العديد من المدارس غير الحكومية في باكستان ومن الواضح أن مثل هذه المدارس تربي جيل الشباب والناشئين وفقا لسياساتها الخاصة بها.

من هنا، فإن إحدى الخطوات للتصدي لإجراءات الجماعات التكفيرية هي إنشاء مدارس غير حكومية للأطفال والجيل الصاعد في المجتمع لنشر الفكر الشيعي وتبني سياسات مناهضة للتكفيريين. مثل هذه المدارس تزيد من دخل المؤسسين والمستثمرين من جهة وتستطيع أن تتصدى للفكر التكفيري في البلاد من جهة أخرى.

١. محمد باقر، مجلسي، بحار الانوار، ج ٢، ص ٣٠.

ب: تربية أساتذة ملتزمين ومطالعين على مبادئ التشيع للمدارس والجامعات الحكومية

نظرا للدور الحيوي للمعلمين وتأثيرهم على الطلاب ونفوذهم في أفكارهم، فإن إحدى الخطوات الرئيسية للتصدي لأعمال الجماعات التكفيرية ضد الشيعة هي تربية شخصيات ملتزمة ومطلعة على مبادئ التشيع وتوظيفهم في المدارس ومختلف الجامعات في البلدان الإسلامية.

يستطيع هؤلاء الأشخاص تربية التلامذة والطلاب في المدارس والجامعات ومن ثم يطلعونهم بشكل غير مباشر على مبادئ التشيع ويرشدونهم نحو الوحدة الإسلامية. مثل هذه الخطوة وبعد فترة من الزمن قادرة على أن تجفف الفكر التكفيري في مختلف المجتمعات.

ج: طبع وتوزيع مصنفات تبين مبادئ التشيع

أما الخطوة الثانية في سياق نشر المعتقد الشيعي الأصيل في المجتمع، تتمثل في طبع الكتب والكراسات والمجلات العملية والثقافية والكتيبات التي تبين مبادئ الشيعة ومعتقداتهم والقيام بنشرها وتوزيعها.

كما يجب التدقيق في الكتب والمنشورات التي يتم نشرها باسم الشيعة. فلأسف هذا الموضوع مثير للقلق في باكستان. إذ أن الكتب التي يتم نشرها باسم الشيعة، لا يؤيد العلماء والمفكرون الشيعة ما ورد فيها وللأسف لا توجد أي رقابة على الناشرين، بحيث أن بعض المواد التي يتم نشرها باسم المذهب الشيعي، لا تبين المذهب فحسب، بل توجه ضربات قاسية له.

د: تربية الخطباء والاستعانة بالمنابر

أما الطريقة الثالثة المتلى في نشر التعاليم الشيعية الأصيلية في المجتمع فهي "التبليغ والمنابر". في هذا السياق، لا بد من وجود خطباء متفوقين ومطالعين على قضايا العالم ولاسيما العالم الإسلامي. على هؤلاء أن يعتلوا المنابر في مختلف أنحاء البلاد وأن يروجوا للتعاليم والمبادئ الشيعية وأن يطلعوا عامة الشعب عليها.

لاريب في أن مثل هذه الخطوة بحاجة إلى الرقابة والإشراف، لأن أغلبية من يعتلون المنابر والمداحون الشيعة في باكستان يميلون إلى الكلام الساذج وفي بعض الأحيان علما أم جهلا يتطرقون إلى قضايا تثير الأوهام، ما يعطي ذريعة في بعض الأحيان بيد الجماعات التكفيرية. علينا تربيتهم والتأكيد على أن موادهم وكلامهم لا يجوز أن يثير الأوهام، بل أن أشعارهم وتبليغها يجب أن تكون لها جذور وجوهرة تاريخية كي لا تؤدي خطاباتهم إلى إثارة الحساسيات إزاء الشيعة.

هـ استخدام وسائل الإعلام الحديثة

في عصرنا الحالي، يعتبر استخدام وسائل الإعلام الحديثة مثل القنوات التلفزيونية ومواقع الإنترنت والفضائيات من أنجح السبل في إطار إشاعة التعاليم الشيعية ومعتقداتهم الأصيلية.

فهذه الوسائل وبسبب استخدامها على نطاق واسع هي من أفضل وأقوى وسائل التواصل والترويج في عالمنا المعاصر، حيث تترك أثرا كبيرا على المجتمع وتستطيع الإشراف والتحكم بتيارات مهمة وتوجيهها في الإتجاه المطلوب. من جهة أخرى، تستطيع أن تخلق إتجاهات جديدة ولذلك، فإن استخدامها سيفتح الطريق أمام نشر التعاليم الشيعية الحقيقية على مدار الساعة لكل العالم. مثل هذه الخطوة قادرة على التصدي للتيارات التكفيرية إلى حد كبير.

٢. إتخاذ إجراءات صارمة في مواجهة إشاعة الأكاذيب عن الشيعة

يحاول أعداء الشيعة وبشكل مستمر تشويه التشيع وأن يثيروا الشاؤم والتشكيك لدى المجتمع الإسلامي بشأن الشيعة عبر إشاعة الشائعات وكييل الإتهامات والأكاذيب السامة والحاقدة. لاشك في أن استشهاد الشيعة في باكستان ناجم عن إشاعة الدعاية الكاذبة بشأنهم، مثل كذبة "إعتقاد الشيعة بتحريف المصحف الشريف". مثل هذه الحرب النفسية تؤدي إلى تبرير ارتكاب جريمة قتل المسلمين الشيعة وحتى تصوير مشاهد قتلهم بكل اعتزاز. لذلك، فإن إحدى الخطوات الرئيسية في مواجهة التيار التكفيري هو اتخاذ السبل الملائمة والإجراءات الحاسمة في التصدي لمثل هذه الخطوات ضد الشيعة. وفي هذا الصدد نقترح الخطوات والإجراءات التالية^١:

أ: الرد على الإتهامات

تتحقق مثل هذه الخطوة بطريقتين:

الطريقة المباشرة: في هذه الطريقة يتم تبيان الإتهامات الكاذبة والتي تتعارض مع الواقع، والتي يوجهها أعداء الشيعة لأبناء هذه الطائفة الدينية، حيث يتم إيضاح الدلائل ومن ثم إثبات أن هذه الإتهامات تتعارض مع الواقع.

الطريقة غير المباشرة: في هذه الطريقة ومن دون التصريح بأن فكرة ما يتم ربطها بالشيعة بسبب معين، يتم الإكتفاء فقط ببطالان مثل هذه الفكرة. مثل هذه الخطوة لا تثير الخلاف والحقق وأن أثرها أكبر وأهم.

لا ننسى أن هذه الخطوة أي الرد على الإتهامات من الأفضل أن تكون حسب الأولوية والأهمية، أي يجب البدء من تلك الأحاديث التي هي أسوأ وبطالانها أوضح.

ب: تفادي إيجاد أرضية توجيه التهم

من الخطوات والإجراءات الأخرى في مواجهة إشاعة الأكاذيب عن المذهب الشيعي، هو تفادي إيجاد أرضية لتوجيه التهم والإتهامات. فالمعارف الإسلامية والروايات تؤكد على أن الإنسان يجب أن يبتعد عن مواضع التهم،

١. بالاستعانة من مقابلة الاستاذ ابو محمد ضياء مع مجلة المبلغان العلمية الإخبارية، خرداد و تير ١٣٨٦، شماره ٩٢، پاگاه

اطلاع رساني حوزة <http://www.hawzah.net> /

كما قال الرسول الأعظم: إتق مواضع التهم^١. ويروى عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: " من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن"^٢.

من هنا، فإن الشيعة وفي أي نقطة من العالم كانوا (لاسيما من يعيشون بين أتباع سائر المذاهب) عليهم أن يحتاطوا ولا ينبغي لهم أن يقوموا بأفعال تعرض المذهب الشيعي للتهمة والإتهامات.

كما أن على الخطباء والمداحين الشيعة أن يحتاطوا أيضا. إذ أنه قد تكون هناك عبارة أو قصيدة ذات معنى إيجابي لدى الشيعة بعد تبريرها أو تأويلها، ولكن إذا وقف عند صورتها، وتأمل فيها من لا يملكون تبريراتها، يستخلصون منها الكفر والشرك، فيجب قراءة جمل وأشعار على المنابر لا تقتضي التأويل وأن تكون مفاهيمها شافية وتتطابق مع القرآن والسنة النبوية الشريفة ومبادئ المذهب الشيعي.

ج: التشجيع على التفكير في القضايا الدينية

الخطوة الأخرى التي نقترحها هي تشجيع كل من تأثروا بالتيارات التكفيرية، على التفكير، كما أن إثارة الشكوك في المعتقدات الباطلة لدى التكفيريين بحيث تدفع الآخرين نحو التحقق والبحث، هي خطوة أخرى في هذا الصدد.

د: إنشاء ومساعدة المراكز الناشطة لرصد العالم الإسلامي

أما الخطوة الأخرى فهي إنشاء وإسناد وتعزيز المراكز في مختلف الدول لرصد أحدث تطورات واستراتيجيات أعداء العالم الإسلامي ومعرفة الظواهر الانحرافية في العالم الإسلامي. في مثل هذه المراكز، يجب استخدام وتوظيف الباحثين والمحققين من أجل الرد الملائم والسريع، بعد معرفة التيارات ورصد العالم الإسلامي يوميا.

على هذه المراكز أن تقوم ومن خلال التخطيط الدقيق، بنقد الشبهات في الإنترنت والقنوات الفضائية وأن ترصد الشبهات الواردة في العالم الافتراضي من خلال متابعة المواقع والقنوات الفضائية وأن تقدم الرد والإجابة الضرورية على المتلقين في العالم الافتراضي.

٣. الرد بالمثل على النشاطات الثقافية والترويجية لدى التيار التكفيرى

يدخل التصدي للنشاطات الثقافية والترويجية للتيار التكفيرى ضمن الخطوات الأخرى في سياق القضاء على مثل هذا التيار الخطير.

فالجماعات التكفيرية في باكستان تجد طريقها بين الناس من خلال استغلال فقر المجتمع وجهله وعبر توفير الحاجات المالية للفقراء ومن خلال إثارة الشبهات بين البسطاء من المسلمين أو بين الأميين. لذلك، فإن بذل

١. محمد باقر، مجلسي، بحار الانوار، ج ٣٣، ص ٥١٠، ح ٧٠٧.

٢. كليني، كافي، ج ٨، ص ١٥٣.

الجهود الثقافية لخلق بيئة اقتصادية ملائمة والتعاون من أجل إيجاد فرص عمل وتنمية الترويج للتعاليم الإسلامية السلمية في المجتمع لاسيما في المناطق الأكثر تضررا، تعتبر من الخطوات الثقافية والترويجية التي تؤثر في الحد من نسبة الفقر والجهل في المجتمع وبالتالي تستطيع أن تمنع استمرار أو على الأقل تزايد نشاطات التيارات التكفيرية في المجتمع.

٤. العمل على المشاركة الفاعلة في السياسة والسلطة في باكستان

لعل الخطوة الهامة الأخرى في التصدي للتيار التكفيري في باكستان هي العمل على المساهمة الفاعلة من قبل الشيعة في السياسة والسلطة في باكستان. مثل هذه الخطوة تستطيع أن تؤثر بشكل كبير في تحسين الوضع المعيشي لدى الشيعة وبالتالي تكون مؤثرة في مواجهة الفكر التكفيري في البلاد.

٥. العمل على الوحدة والإنسجام الإسلامي

تعتبر الوحدة والإنسجام الإسلامي من أهم الخطوات وأبرز الضروريات الإجتماعية والسياسية للمسلمين في عصرنا الحالي، بل إنها من أهم التعاليم التي أكد عليها القرآن الكريم. فالله سبحانه وتعالى قد أمر المسلمين والموحدين إلى الوحدة والإنسجام والإبتعاد عن الفرق والتفرق، حيث يقول عز من قائل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾^١. كما أن القرآن الكريم يعتبر التفرق عامل ضعف لقوة المسلمين ويحذر من ذلك: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتشوا و تذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين﴾^٢.

إذن فالوحدة والإنسجام في الأمة الإسلامية هي تعليم قرآني وضرورة إجتماعية حيوية، في حين أن التفرق والفرقة عمل سيء ومفسد يضر بالمسلمين.

والمقصود من الوحدة بين المذاهب الإسلامية ليس التغافل عن المبادئ وإنكار الحقائق الدينية، بل يعني تجنب النزاعات غير المنطقية والعصبية الخاطئة والتركيز على نقاط الإشتراك بين مختلف المذاهب الإسلامية. من هنا فعلى المسلمين أن يتنبهوا بأنهم وباعتبارهم مسلمين لديهم مبادئ أساسية موحدة وأن التركيز على مثل هذه المبادئ الأساسية ونقاط الإشتراك الدينية هي من أهم الضروريات لاسيما في عصرنا الحاضر، لأتباع كافة المذاهب الإسلامية.

على هذا، وبالنظر إلى الظروف الحالية التي تمر بها باكستان والمشاكل التي يثيرها التيار التكفيري للمسلمين في هذه البلاد، فالعمل على الوحدة والإنسجام الإسلامي من أهم الضروريات التي من شأنها التصدي للتيار التكفيري. لذلك، على المسلمين في كل الدول الإسلامية ومنها المسلمين في باكستان سواء من الشيعة أم من

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. سورة الانفال، الآية ٤٦.

السنة أن يعلموا أن الوحدة الإسلامية في المجتمع، لا تستخدم مصالح مذهب بعينه، بل أنها لصالح كل المسلمين في باكستان. فكل استفزاز يبدو أنه يخدم الشيعة ضد السنة أو أنه في خدمة السنة ضد الشيعة، لا يخدم مصالح أي من الطائفتين بل إنه يضر بالمسلمين أجمع.

خاتمة الكلام

نرى اليوم وبكل وضوح أن التيارات التكفيرية تكرر أعمالها العنيفة في أنحاء العالم بمختلف السبل والطرائق. لا ريب في أن هذه الظاهرة ليست بالأمر الجديد، إذ أن التاريخ يشهد أن الباطل والظالمين قد وقفوا دوما في مواجهة الحق والمظلومين وأن هذا سيتواصل حتى ظهور الإمام مهدي المنتظر آخر ذخائر الله من أجل إقامة حكم العدل العالمي. إن الأعمال العنيفة لدى التكفيريين لا تستطيع إهابة المسلمين ولا سيما الشيعة منهم أو تدفعهم نحو التراجع عن معتقداتهم الدينية السليمة.

لا ريب أننا وبالاستناد إلى الآية القرآنية الشهيرة: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين"، نؤمن بأن المستقبل سيكون لأتباع الإسلام الحقيقي وإن التيارات التكفيرية شاءت أم أبت سوف ترى أن الفكر الإسلامي الصحيح سينتشر في العالم أجمع.

إن مثل هذا التفاؤل يستند إلى النص القرآني الصحيح الذي لا شك فيه ولكن لا بد من الإنتباه إلى أن الله سبحانه وتعالى يؤكد في محكم كتابه الشريف: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". على هذا فلا ينبغي لنا أن نقف مكتوفي الأيدي وأن ننتظر مثل ذلك اليوم، بل أن من واجبنا تجنب الإفراط والتفريط في التعامل مع مختلف القضايا وبالاستناد إلى التفكير والتأمل، نؤدي واجبنا في الدفاع عن الإسلام الحقيقي في مواجهة التيارات التكفيرية.

المصادر:

١. قرآن مجيد.

٢. موقع: <http://www.hawzah.net>

٣. تصحيح الاعتقاد: ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ج ٥، ١٤١٤ هجري.

٤. جمالي، جواد، افراطیگری در پاکستان، ماهنامه مطالعات سیاسی راهنما:

5. www.rahnama.ir

٦. الوكالات والجرائد الباكستانية.

٧. وكي بيديا

٨. دوماهنامه آفاق مهر، العدد ٥٠، السنة ١٠، خرداد و تير ١٣٩١

۹. رادیکالیسم اسلامی در پاکستان، نوشته سفارت جمهوری اسلامی ایران در پاکستان: منتشر شده در: <http://www.iranembassy.pk/fa/political>
۱۰. رادیو دری ایران: <http://dari.irib.ir>
۱۱. جریده جمهوری اسلامی: در تاریخ ۱۳۹۲/۱۱/۲۹
۱۲. موقع اسلام تایمز: <http://www.islamtimes.org>
۱۳. موقع تبیان: <http://www.tebyan.net>
۱۴. موقع خبرگزاری ابنا: <http://abna.com>
۱۵. موقع وكالة شبستان، تاریخ ۱۳۹۳/۳/۷: <http://www.shabestan.ir>
۱۶. موقع خبری «تابناک»: <http://www.tabnak.ir/fa/news>
۱۷. موقع: خبری صدای شیعه: <http://www.sedayeshia.com>
۱۸. موقع: رسمی پاکستان Islamic Republic of Pakistan
۱۹. موقع: نیوز: <http://www.farsnews.com/newstext>
۲۰. موقع: مؤسسه تحقیقاتی حضرت ولی عصر: [aj.com - valiasr](http://aj.com-valiasr)
۲۱. موقع: ندای انقلاب: <http://www.nedayeenghelab.com>
۲۲. موقع: <http://www.ghatreh.com/news>
۲۳. موقع: <http://www.khabaronline.ir>
۲۴. صرّامی، سیف الله، «تکفیر چیست؟»، سایت اسلام فاوندیشن.
۲۵. طباطبائی، سید عبد العزیز، «موقف الشيعة من هجمات الخصوم»، مجله تراثنا، شماره ۶/
۲۶. علی بن محمد، عیون الحکم و المواعظ، ط اول، دارالحديث.
۲۷. کلینی، یعقوب، کافی، ط چهارم، دارالکتب الاسلامیه، طهران/۱۴۰۷
۲۸. حوار مع رئیس پژوهشکده حج: قدس آنلاین: <http://qudsonline.ir/NSite/FullStory/>
News
۲۹. حوار «نسیم» مع دکتر ثمرحسینی، استاد تاریخ اسلام: <http://www.nasimonline.ir>

۳۰. مجلسی، محمدباقر، بحار الانوار، مؤسسه الوفا، بیروت.

۳۱. گودوین، ویلیام، ترجمه فاطمه شاداب، انتشارات ققنوس، چاپ اول، پاکستان ۱۳۸۳^۱.

۳۲. همشهری پایداری / العدد ۱۲۳، حوار مع پیرمحمد ملازهی درباره بررسی اوضاع شیعیان پاکستان: منتشر شده در: <http://www.hamshahrimags.com>

۱ المؤتمر العالمی آراء علماء الإسلام فی التيارات المتطرفة و التكفيرية، مجموعة مقالات المؤتمر العالمی آراء علماء الإسلام فی التيارات المتطرفة و التكفيرية، ۸ جلد، دار الإعلام لمدرسة اهل البيت عليه السلام - قم - ایران، چاپ: ۱.